

# مِزَالِكُ مَا قَبَّلَ الظُّهُورُ

عرض ودراسة في فكر الإمام الخميني  
وأحداث الثورة الإسلامية في إيران وأدبياتها

قَدَّمَ لَهُ

سماحة العلامة المجاهدة كية الله الشيخ محمد مهدي الأصفى  
(حفظه الله تعالى)

رَبِّكَ الرَّقِيقُ  
تُرَابُ امْتِنَانِي

مَجْلَدُ الثَّوْرَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

مكتبة

هومن قريش

www.homenqarysh.com

مِنْ لَدُنْكَ  
مَا قَبَّلَكَ لِلظَّالِمِينَ



# مآقبات الظهور

عرض ودراسة في فكر الإمام الخميني  
وأحداث الثورة الإسلامية في إيران وأدبياتها

إعداد وتقديم  
تراب امتاعي





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



# مكتبة هؤمن قريش

أبو وضع إيمان أبي طائب في كتبة ميزان وإيمان هذا الحق  
في كتبة الأخرى لوجه إيمان  
الإمام الصادق (ع)

moamenquraish.blogspot.com



WWW.ANNAJAT.ORG

WWW.ANNAJAT.NET

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

---

---

## هوية الكتاب

اسم الكتاب : زلال ما قبل الظهور .....

المؤلف : تراب إمامي .....

إعداد وإخراج : مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية .....

الناشر : مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية .....

عدد النسخ : ١٠٠٠ نسخة .....

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤسسة

---

---





## الأهداء

إلى الأب العطوف والرؤوف ...  
إلى مدينة العلم ومربط الوحي ...  
إلى أبي القاسم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)  
أهدي هذا القليل من الأتكل ...  
في النائب الفقيه والهادق الوفي  
(روح الله الموسوي الخميني)  
فاجعله ذخراً لي يوم فاتني ،  
وشفيعاً يوم اضمحلالك الخير من صهيفتي .

تراب



**قديم** تفضّل به سماحة العلامة المجاهد آية الله الشيخ محمد مهدي  
الآصفى (حفظه الله تعالى)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لا أعرف عالماً من أعلام المسلمين في عصرنا كتب عنه الكتاب وتحدث عنه  
الناس، كما كتبوا وتحدثوا عن الإمام الخميني رحمه الله؛ فقد كان أوّل فقيه - في عصرنا  
- ينظر للدولة الإسلامية، ثم يدعو إليها، ثم ينهض بإنشائها، ثم يتولى زعامتها، ثم  
يواجه كل التحديات التي واجهتها من ناحية الشرق والغرب، ومن الداخل، بإيمان وثقة  
بالله وصبر وسعة صدر وكفاءة عالية.

وعندما نحلّل هذا الصمود والقوّة التي شهدها عصرنا ننتهي إلى كلمتين (الإيمان  
بالله) و (العمل بالتكليف).

وهاتان الكلمتان تختزلان آفاق هذه الشخصية كلّها، وهما سرّ هذه القوّة والصمود  
والنجاح.

ولكي تتجسّد هاتان الكلمتان في حياة الإنسان المسلم وسلوكه، لا بدّ له من جهدٍ  
طويلٍ وحركةٍ شاقّةٍ إلى الله تجمع بين العلم والعمل والفكر والحركة والمعرفة.

ويبين يدينا دراسة موسّعة عن حياة وفكر وحركة الإمام الخميني رحمه الله، وحياة  
الإمام الخميني رحمه الله حافلة بالفكر والحركة، وثقافة الحركة، والفقهاء والعرفان.

ويمتزج في حياته رحمه الله، (الفقه) و(العرفان) بالحركة و (الثورة)، وهو  
مزيج مبارك نفتقده في حياتنا المعاصرة.

وقد كان رسول الله ﷺ قمة في الفقه والمعرفة والتقوى والذكر والعبادة،



وفي نفس الوقت كان عليه السلام قَمَّةً في الحركة والعمل من بدء القيام بأمر الدعوة إلى مرحلة تأسيس وتشيد الدولة .

ونحن نحتاج اليوم إلى أمثال هذا النموذج في حياتنا المعاصرة ولسنا نستطيع أن ننهض اليوم بمقاومة التحديات الصعبة التي تواجه الإسلام والأمة الإسلامية إلا بأمثال هذا النموذج النبوي الرفيع في العرفان ، والفقه ، والتقوى ، والحركة .

والإمام الخميني رحمه الله يجسّد في حياته وسلوكه هذا النموذج النبوي الرفيع في الفكر والسلوك والحركة ... تتلمذ في هذه المدرسة ، وتخرج منها ، وجسّدتها في سلوكه وحركته .

ولم يعيش الإمام الخميني بمعزل عن الناس ، وإنما كان يعيش في وسط المجتمع ، مع الناس في السراء والضراء .

ولذلك فإن دراسة حياة وسلوك وفكر وحركة الإمام رحمه الله تصلح أن تكون مادة نافعة للتربية والتثقيف في حياة شبابنا الذين يريدون أن يسلكوا مسالك الصالحين من عباد الله ، وطلبة الحوزات العلمية الذين يبحثون عن الأنموذج (المتكامل) للعالم والفقيه في هذا العصر .

والدراسة التي بين أيدينا واحدة من الدراسات التي تناولت حياة الإمام رحمه الله وفكره وسلوكه ...

وقد قرأت شطراً من هذا الكتاب ، فوجدت فيه جهداً علمياً لاستعراض حياة الإمام وسلوكه وفقهه وحركته ، رحمه الله .

جزى الله خيراً مؤلفه الأستاذ الفاضل تراب إمامي حفظه الله ، على هذا الجهد ، وأسأل الله أن يديم عليه فضله ورحمته .

محمد مهدي الأصفي

قم المقدسة

٢٥ جمادى الأولى - ١٤٢٤هـ

## المُقَرَّرَةُ

من خلال قراءة تاريخية لأحداث الثورة الإسلامية في إيران نستنتج أنَّ حركة التَّغْيِيرِ الخمينيَّة لم تكن وليدة أحداث عامي ١٩٧٨م - ١٩٧٩م ، وإنما هي وليدة النشاط الثقافيِّ والجهاديِّ للإمام الخمينيِّ قَدَّسَ فِي أَيَّامِ الشَّاهِ رِضَا خَانَ ، أي قبل انتفاضة الخامس عشر من خرداد ١٣٤٢هـ . ش - الخامس من حزيران ١٩٦٣م .

وظهر ذلك من خلال كتابه القيم (كشف الأسرار) الذي شرح فيه موقفه من نظام الشاه رضا خان البهلويِّ ، ومسؤوليَّة الفقهاء في إقامة الحكومة الإسلاميَّة .

وقد رافق حركته تلك نشاطه الأخلاقيُّ والتربويُّ ، ممَّا جعله يشحذ همم الجماهير ، ويحرِّك الوعي لدى الحوزة والأُمَّة باتجاه إقامة النُّظَامِ الإلهيِّ ، وجعله يتعامل مع هذا المشروع بجدِّيَّة بالغة ، بل حرَّك ذلك الوعي باتجاه فهم الضريبة التي يحتاجها المشروع، وخلقَ لديه الاستعداد التامَّ لتلبية نداء التَّغْيِيرِ .

ولذلك كانت نشاطاته تلك ، ونشاطات تلامذته ومريديه بمثابة المقدِّمة التعبويَّة لترجمة ذلك المشروع إلى واقعٍ عمليِّ .

وهكذا كان انفجار الخامس عشر من خرداد المقدِّمة العمليَّة لتلك الترجمة ، من خلال شرح الفكرة بالدِّم ، والنجاح بالدِّم ، والمحافظة على مكاسبه بالدِّم .

وقد كان العامل الأقوى - بعد الفقاهاة والإيمان - في إنجاح مشروع التَّغْيِيرِ الإسلاميِّ الكبير في الحركة الإسلاميَّة على الإطلاق هو الفراسة المنقطعة النُّظِيرِ

التي تميز بها الإمام الخميني قدسُ ، والتي قفزت بالأمة فوق أهداف المذبحة المفجعة ، وجعلته يقرأ رسالة القلوب ، وقد وُقِّعَ إلى إعداد الجواب اللائق لتلك الرسالة من خلال القدرة الفائقة في تطويع الكلمة حيث يشاء .

وكان لعامل الحضور والتصدر من قبله في كل انتفاضة ومعاناة للشعب قوة دفع كبرى إلى الأمام في تقدُّم مشروعه وبلوغ أهدافه ، كما أن موقعه وثقله في الحوزة كان رصيذاً إضافياً ضخماً جعل التعرض له يحتاج إلى مغامرة كبرى غير معلومة العواقب .

وقد قام بخطوة تمهيدية لقراءة ردِّ فعل الحوزة والشارع ، فكانت ردة الفعل من جهة الحوزات والمعاهد الدينية والشارع في مستوى وحجم القضية . وبالرغم من إشاعة فكرة إعدامه إلا أنه لم يكن مبالياً بذلك ، وهو القائل أنه لم يشعر بالخوف مرة في حياته .

وقد تصدَّى وبحزم لتلك الخطوة البهلوية (مشروع إعدام الإمام) مراجعُ الدين في قم المقدسة والنجف الأشرف .

وكان قدسُ في كلِّ حلقة بلاء تنال شعبه يرمي نفسه في لهواتها ، أداءً لتكليفه ومن أجل ألا يشعر الشعب بأنه هو المسؤول وحده عن تقديم الضريبة .

وهكذا كانت هذه العوامل ذات تأثير قوي جداً في غرس شجرة الولاء المطلق للقيادة ، وبالتالي إنجاح المشروع الإسلامي الكبير للإمام قدسُ .

أنا لا أقول إن تلك العوامل هي وحدها التي ساهمت في إنجاح المشروع ، بل هناك عوامل أخرى بلا ريب ، وحتى سياسة الشاه كان لها دورٌ في ذلك ، وكذلك الشعب الواعي الوفيّ والحوزة العلمية المباركة .

وكان الإمام قدّمُ يوجّه كل تلك العوامل ، ويستثمرها في الوقت المناسب بما تلحُّ به من مفروضٍ شرعيٍّ، محافظاً على قوتها لخدمة المشروع الإسلامي ، مما قلل كثيراً من الضريبة التي ستكون أكبر لو لم تستثمر في حينها . فالشعب كان ملتصقاً بقيادته ، والشاه مبالغاً في عمالته ، والحوزة واضحة وموفقة في خطاها من خلال قيادة وتوجيهات الإمام الخميني العظيم قدّمُ .

كما كان لاستثمار كل المؤشرات الإيجابية لحقبة ما قبل الثورة الدور الأكبر في إفشال كل المؤامرات من خلال عمق مفهومها الفكري وقاعدتها الفقهية ، ومنطلقاتها السياسية النزيهة ، وحضور الأبعاد المعنوية السامية في تحصين النفوس من الشعور بالغرابة وبُعد الطريق ، ومشقّة المجهود ، حيث ما كان ليتأخر أي إنجازٍ إلا لحاجته للوقت لتخطي العراقيل التي قد تقسو أحياناً في مواجهتها لأي عمل إنساني إسلامي قيمٍ .

هذه هي الثورة التي استوقفتنا كثيراً في بحوثنا الآتية ، حين عزمنا أن نتناول فكر الإمام الخميني ، والواقع الذي صنعه به أو استجاب له كنتائجٍ طبيعيٍّ في حركته ، رغم أنّ المفروض أن نتعرض لها في هذا الكتاب بشكلٍ عابر ، حيث إن الحديث عن الإمام الخميني قدّمُ يجعلك في عالمٍ مليءٍ بالحيوية والإنجازات على جميع الأصعدة الثقافية والسياسية والعقائدية والإدارية و... و... ، مما يجعل المرء يحارُ فيما يريد أن يتكلم عنه أو يدعه ، فكلُّ له أهميته في حياة الإمام والأمة والثورة ، وكلُّ له إنجازاته .

فالحديث عن الإمام الخميني قدّمُ هو حديثٌ عن تحولٍ عظيمٍ في وجه العالم وجوهره وموازينه . تحول سادت فيه القيم والمفاهيم الإنسانية لخدمة الإنسان وقضاياها الحقيقية .



ولا نبالغ إذا قلنا إننا لن نجد إنجازاً ووعياً متحركاً في جميع حقول الحياة الفقهية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية كالذي تركه الإمام الخميني قُدُّسُ للامة ، وبالتالي فإن تأسيس المراكز العلمية للدراسات الاستراتيجية لدراسة هذه الظاهرة وما تركته في إنسان هذا العصر ، ليس أمراً مستغرباً ، بل ملحاً ؛ لأن فكرة أن ينجم المشروع الديني لقيادة مجتمع متحضر في أوج تعملق الثورة الصناعية فكرة غير مفهومة وغير مستوعبة لدى الكثيرين .

قد تكون دراسات تلك المراكز ذات أهداف مشبوهة واستعمارية ، إلا أنها ستكون مفيدة في ذاتها فيما لو تعاطت مع الثورة وأحداثها بموضوعية جادة ، ودقة متناهية ، آخذة في الاعتبار خصائص المجتمع الذي تحمّل ضريبة ومسؤولية الثورة ، وإن كنت أتصور أنها لن تستطيع الإحاطة بكل جوانبها الممتدة من عمق الإنسان إلى جميع مواقع حياته العملية ، ولكن من أجل أن يتحرك الإنسان في بناء الذات والمجتمع بالمستطاع ، ستكون تلك الخطوة عملاً إنسانياً يخدم الإنسان وقضاياه المصيرية .

وإسهاماً مني في هذا الحقل قمت بدراسة بعض القضايا التي تركّزت على ما تخزنه الوصية الإلهية المباركة للإمام الخميني قُدُّسُ من وعيٍ منفتح وشموليةٍ تسع عالم الإنسان الإلهي ، خدمةً لقضية ذلك الإنسان المتحرّر من هوى النفس ، والمضحّي في سبيل الله والحقّ والمستضعفين .

وكان أساس مشروع هذه الدراسة كتابة الوصية ، ثم استحسنّت إلحاق تلك الدراسة بها رغبةً مني في أن تكون الإحاطة أكثر بقضايا الثورة والدولة الإسلاميّة ، من خلال معالجة الإمام الخميني قُدُّسُ لذلك . وقد استجدّ الكثير في حقل الدراسة ، فانصب اهتمامي على كل مستجد ، وحاولت عرضه من أجل خدمة ذلك الهدف .

إن ما في هذه الدراسة من آراء ومواقف لا تمثل دعماً لتيار ضد آخر ، ولا توهيناً بفكرة أبدأ ، وإنما هو الفهم الذي صاغه فكر الإمام الخميني قدس في أذهان المثقفين ، حيث كنتُ من تلك الشرائح التي أثر فيها ، بل وصنعها الإمام قدس بفكره العميق والتفاتاته الدقيقة لمزاجية أهل زمانه ، وكيف يفهمون الحياة ، علماً بأنه قد يختلف المتأثرون بفكر الإمام في لون تعاطيهم !؟

وبالتالي ، إن ما في هذه الدراسة ليس هو الحق الذي في اللوح المحفوظ ويقابله الباطل في اللوح المحفوظ ، وإنما هو الفهم الذي يرى صاحبه انه الممثل لفكر الإمام من خلال الاستفادة من المواقف الصريحة والتصريحات الجليّة والمحصورة في خطٍ فكري واحد .

وبالرغم من ذلك فإن في فكر الإمام ما يستفيد منه من نختلف معه في بعض المفردات السياسية التي ساعدت متغيرات الساحة العالمية في السياسة والاقتصاد ومفاهيم سياسية أخرى على صياغتها ، وإن نقصها - حسب فهمنا - القراءة المستوفية لاتخاذ مواقف تناسب مع القيمة الأخلاقية والدينية التي يؤمن بها النظام الإسلامي ويدافع عنها ، بل ويعتبرها أساس ديمومته .

وبالتالي فأنا لا أستخف بفكر أحد ، وإنما أتعرض لبعض عيوب تلك الأفكار ، وما ينقصها ، ولذلك فإنني أتمنى لمن يقرأها ويختلف مع ما يراه في هذا الكتاب أن يتناولها بطريقة علمية بعيدة عن التشنج ومصادرة حق الآخرين في التفكير .

على كل . . هذه الدراسة ليست الخاتمة ، وإنما هي قابلة لاحتضان دراسات أخرى في قضايا أخرى عندما أوفق لذلك ، وقد أسميتها بـ (زالال ما قبل الظهور) ؛ لأنها انصبت على الفكر النقي والمستنبط من الفهم الصحيح

من فقه أهل البيت عليهم السلام ، والذي لم يستطع أن يقدمه أحدٌ بذلك العمق والوضوح من زاويته النظرية والعملية إلا الإمام الخميني قده ، ولم تعرف الأمة ولا تاريخ المسلمين منذ غيبة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) إلى الآن فكراً ثورياً وثورةً فكريّةً من مدرسة أهل البيت عليهم السلام كالذي قدمه الإمام للحركة الفقهية والفكرية ، وللحالة الإسلامية عامة .

أسأل الله سبحانه أن يوفقني إلى نيل رضاه ، وخدمة الحق والخلق ، وأن يديم عليّ وعلى المؤمنين والمسلمين لباس العزة والعافية وأن يقبل مني هذا القليل إنه جواد كريم .

**تراث إمامي**

١١/١٠/١٤١٧هـ

# الفصل الأول

## إشراقه النور والأمل

◀ من هو روح الله

◀ في طريق العلم

◀ على خطى الحسين عليه السلام

◀ الإمام : طالباً ، وأستاذاً ، ومؤلفاً

◀ قالوا في الإمام

◀ مكرامات الإمام





## من هو روح الله

روح الله هو الابن الثالث من الأبناء الذكور للشهيد آية الله السيد مصطفى ابن العلامة السيد أحمد الموسوي ، ويعرف السيد روح الله بـ (الخميني) نسبة إلى مدينة (خُمَيْن)<sup>(١)</sup> مسقط رأسه .

وُلِدَ السيد روح الله الخميني في العشرين من جمادى الثانية عام ١٣٢٠ هجري قمري ، ومن جميل البشارة أنَّ يوم ميلاده اقترن بيوم ميلاد جدته الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام .

### أسرته المباركة

#### والده :

كما مرَّ هو آية الله الشهيد السيد مصطفى الموسوي ، ولد عام ١٢٧٨ هـ ، وقد درس في النجف الأشرف وسامراء لدى العلماء والمجتهدين ، وكان ذلك في عصر الفقيه العظيم الميرزا محمد حسن الشيرازي قدس سره ، ولدى رجوعه من النجف الأشرف التزم زعامة وقيادة أهل مدينته (خمين وضواحيها).

وفي ١١/١٢/١٣٢٠ هـ ، وفي طريقه إلى مدينة أراك تعرَّض لمحاولة اغتيال من قبل عددٍ من المسلحين الأشرار ، واستشهد على أثرها وهو في السنة الثالثة والأربعين من عمره ، ونقل جثمانه إلى النجف ، و وُورِيَ الثرى هناك إلى جوار إمامه وجده أمير المؤمنين علي عليه السلام .

(١) مدينة خمين من توابع المحافظة المركزية ٣٤٩ كم . جنوب غربي طهران .

ولآية الله السيد مصطفى الموسوي ثلاثة من الذكور وثلاث من الإناث ،  
وأبناؤه الذكور هم :

١ - آية الله المرحوم السيد مرتضى الموسوي المعروف بـ (بسنديده) ،  
وقد توفي عام ١٤١٧هـ عن عمرٍ ناهز المائة وأربعة أعوام .

٢ - المحامي المرحوم السيد نور الدين ، وقد توفي عام ١٣٩٦هـ الموافق  
لـ ١٩٧٦م ، وكان يسكن طهران .

٣ - آية الله العظمى الإمام السيد روح الله الموسوي الخميني قدس ، وهو  
أصغر أولاد أبيه .

#### والله السيد هاجرا :

والدة الإمام الخميني من أسرة عريقة معروفة بالعلم والتقوى ، أبوها آية  
الله المرحوم الميرزا أحمد ، وهو من العلماء والمدرسين الكبار .

#### طفولة وبتم

لم تضر سوى خمسة أشهر من عمر السيد روح الله المليء بالابتلاءات  
حتى فقد والده ، وفقد معه الحنان والعطف الأبوي إلى الأبد .

وهكذا تربي السيد روح الله يتيماً في أحضان أمه المؤمنة (السيدة هاجر)  
وعمته الشجاعة التقية (السيدة صاحبه خانم) .

وكان بفطرته شغوفاً منذ طفولته باكتساب العلم ، فبدأ بتعلم القراءة والكتابة  
وختم القرآن الكريم لدى معلم اسمه (ملا أبو القاسم) ، وهو لم يزل طفلاً صغيراً .

واستمر السيد روح الله بما يتمتع به من ذكاء وذهنية شغوفة بالعلم يتلقى بدايات  
المعارف الإسلامية والمنطق وآداب اللغة العربية كمقدمة للوصول إلى مراقبي السمو

والكمال لدى علماء ومعلمين من منطقته من قبيل : (المرحوم الشيخ جعفر، والمرحوم الميرزا محمود افتخار العلماء، وخاله المرحوم الحاج الميرزا محمد مهدي، والمرحوم الحاج الميرزا رضا النجفي، وأخيه المرحوم السيد مرتضى بسنديه) .

وفي عام ١٣٣٦ هجري قمري توفيت والدته وعمته ، فخيمت سحابة كثيبة سوداء في بدايات حياة السيد روح الله الذي لم يمض من عمره سوى ستة عشر عاماً محفوفةً بالمخاطر ، وأطبقت مخالبا الوحدة والغربة ويتم الأبوين وفراق الأحبة على روحه الحزينة .

ولكن هل تستطيع هذه الأحزان والهموم أن تحطم روحاً تُكسّرُ صلابتها الجلمود الأصبم ، وأن تغرق في خضمٍّ أمواجها العاتية إنساناً اطمأن قلبه بالإيمان ، واستمدت روحه القوة من الله جل وعلا ؟ كلا ، وألف كلا ، فعلى الرغم من فقدته أعزائه ، وبالرغم من ابتلائه بالمصائب والأحزان فإن روح الله ظلُّ صامداً قوياً دون أن ينحني أو يخضع أمام تزاخم الأحداث ، واستمر في الاستقامة والصبر متوكلاً على الله معتمداً على فيض الله عليه في مواجهة الواقع المأساوي والمتلون والغامض ، الذي لا يعلم ما يحملُ مستقبله إلا الله .



## في طريق العلم

درس السيد الذكي والطموح بعض مقدمات العلوم الإسلامية لدى أخيه المرحوم آية الله السيد بسنديه، ثم انتقل في سنة ١٣٣٩هـ إلى مدينة (أراك)، حيث كانت حوزتها العلمية وقتئذٍ بزعامة آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري مؤسس الحوزة العلمية في قم المقدسة، ودرس هناك المنطق عند المرحوم الشيخ محمد الغلبايگاني، وشرح للمعة عند المرحوم الشيخ عباس الأراكي .

وفي عام ١٣٤٠هـ انتقل إلى مدينة قم، حيث نقل آية الله الحائري الحوزة إلى هناك، واستمرّ اليافع روح الله بكلّ جدّ واجتهادٍ في مدارس قم، حتى أنهى دراسة السطوح العالية لدى آية الله السيد علي الثرثري الكاشاني، وآية الله السيد محمد تقي الخونساري .

وبعدئذٍ بدأ الفصل الأخير من الدراسة الاستدلالية العالية في محضر آية الله العظمى الحائري حتى بلغ درجة الاجتهاد .

بدأ العالم الجليل (السيد روح الله الموسوي الخميني) في عام ١٣٤٧هـ بتدريس الفلسفة والعلوم العقلية عندما كان يسكن في مدرسة (دار الشفاء) قبل أن يتزوج، وتمّ زواجه عام ١٣٤٨هـ<sup>(١)</sup> .

في عام ١٣٥٠هـ كان يعدّ من الأساتذة الكبار، والمتخصصين في الفلسفة والحكمة الإلهية . وكانت دروسه محصورة على العلماء الأفاضل، وكان يهيمه كثيراً أن يختار طلابه في هذه الدروس من خيرة الطلاب وأكثرهم

---

(١) دروس في الجهاد والرفض، ص ١٦ .

إيماناً وذكاءً ، وكان يمتحنهم بين الحين والآخر تحريرياً وشفوياً ، ليصفّي درسه من غير أهله<sup>(١)</sup> .

وبعد مدة بدأ بتدريس العرفان سرّاً لنخبةٍ خالصةٍ من الطلاب المعتمدين لديه ، ثمّ عقد جلسةً أسبوعيةً ليدرّس فيها علم الأخلاق والعلوم المعنوية .

وفي عام ١٣٥٥هـ توفي أستاذه الحائري ، وفي حينها كان يعدّ السيد روح الله من المجتهدين والعلماء الكبار ، وأشرق هذا الكوكب المنير في سماء العلم والفضيلة في الحوزة العلمية بقم المقدسة .

وعلاوة على الدرجة العالية التي بلغها العالم الجليل السيد روح الله الخميني في الفقه والأصول ، فإنه كان ذا مستوى عالٍ في علوم (الهيئة) والفلسفة والعرفان ، كما كان يتمتع بمقامٍ شامخٍ في الذوق الأدبي والشعر والخطابة وخاصة الأدب الحماسي الثوري ، وكان أحد شعراء العرفان الإسلامي ، كما كان يعدّ الأستاذ الأول في الفلسفة في قم المقدسة آنذاك .

وفي عام ١٣٦٤هـ بدأ الإمام الخميني بتدريس أبحاث الخارج في الفقه والأصول ، وكان يحضر مجلس درسه جلّ فقهاء ومراجع الشيعة في هذه الأيام ، وذلك لما كان يتمتع به من ميزات ترجحه على الآخرين .

وفي ذلك يقول آية الله الشيخ جعفر السبحاني : « كان الإمام الخميني تلميذاً للمرحوم الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري الذي تميّز بالاعتماد على الدقة والتفكير والنقاش ، وقلماً يستشهد بالآيات والروايات في دروسه . . كما أنه كان تلميذاً عند المرحوم البروجردي أيضاً والذي كان يهتم في أبحاثه بتتبع الأقوال والمصادر والنصوص ، ومراجعة أقوال العامة، والتأكيد على الخلفية التاريخية لمثل

(١) مجلة الرصد الثقافي ، ص ١٤ .

هذه المسائل . . وقد اقتبس سماحة الإمام حسنات هذين الأسلوبين في التدريس، وطبقهما في دروسه بعد الاعتماد على مزيج من هذين الأسلوبين ، حيث أخذ دقة النظر والتفكير من المرحوم الحاج الشيخ الحائري ، والخصائص الأخرى اللازمة للدرس من المرحوم البروجردي، رحمة الله عليهم أجمعين»<sup>(١)</sup> .

ويقول آية الله السيد محمد حسين فضل الله : « لقد كان الإمام تفتُّل مجتهداً مفتحاً على الإسلام كله على أساس منهج الفقهاء الأقدمين ، ولكنه كان يحرك هذا المنهج في وعيه الشامل للإسلام كله ، الأمر الذي يفرض علينا التوفر على دراسته في كل المجالات الفقهية ، لنكتشف فيه الثائر الذي لا يتجاوز حدود الإسلام في ثورته ، والمجتهد الذي لا يتجمد عند نظريات القدماء في فتاواه»<sup>(٢)</sup> .

ويقول آية الله الشيخ جواد الأملي : «كان بحث الإمام تفتُّل في أصول الفقه محضراً لفضلاء الحوزة . . فقد كان يحلل مسائل علم الأصول - وهو علم يعدُّ من العلوم الاعتبارية ، وهو مزيج من القواعد العقلانية والقضايا العرفية - بقوةٍ فولاذية إلى درجة أن قوله فيها لم يكن أدنى من الحد القطعي المؤثر في العلوم الاعتبارية ، فالحكيم القوي و(الإنسان الكامل) يتكلم بقوةٍ ، فكان يتحدث في الأصول كما يتحدث في المعقول (الفلسفة الإسلامية) ، ولم يكن يسمح باتخاذ قرارٍ في علم الأصول على أساس الاعتبارات الموهومة ، وإنما كان يتكلم بقوةٍ ومثانة كاملة ، ولسان كل إنسانٍ - كما قيل - ترجمان عقله ، والكلام القوي المحكم دليلٌ على حكمة قائله»<sup>(٣)</sup> .

(١) مجلة الرصد الثقافي ، ص ١٤ .

(٢) مجلة الثقافة الإسلامية ، عدد ٤٣ ، ص ٦٥ .

(٣) قيسات من حياة الإمام ، ص ١٩ .



ولو تتبعنا أقوال الفقهاء والحكماء في عبقريته لَلزَمنا إعداد كتابٍ خاصٍ لهذا الغرض ، ولكن نكتفي بما نقلناه ، وذلك تعبيراً عن علوِّ مقامه في تدرُّجه في مراقبي الكمال ، ولاشكَّ في أنَّ رجلاً حاز المفآخر والمقامات السامية تلك لا بد أن يكون ممن يشار إليهم بالبنان لتسنُّم مقام المرجعية في أيام المرحوم آية الله العظمى السيد حسين البروجردى قَدْشُ ، ولكن لورعه كان يمتنع عن الحديث عنها ويؤكد على الالتزام بمرجعية السيد البروجردى ، ويدعمها دعماً مطلقاً .

وبعد وفاة السيد البروجردى طالبه جمعٌ من تلامذته الكبار بطرح رسالته العملية<sup>(١)</sup> ليعمل بها من يرى مرجعيته ، ولكنه كان يرفض ذلك بإصرار .

يقول آية الله الشيخ إبراهيم الأميني : « بعد وفاة آية الله البروجردى بدأت النشاطات والتحركات من أجل رئاسة وإدارة الحوزة ، وذلك للوصول إلى المرجعية ، وكان طلابٌ ومحبو كلِّ عالمٍ يسعون إلى تعريفه وإبرازه بين الناس بصفة أنه خلف للمرحوم البروجردى ، ونحن - أيضاً - كنا نميل إلى تعريف الناس بالإمام . أما هو فقد كان يعارض بشدة مثل هذه التحركات والأعمال ، ولم يكن مستعداً لأن يتحرك في هذا المضمار .

وشارك في مراسم تشييع جثمان السيد البروجردى مثل أيِّ شخصٍ آخر ولم يكن يذهب إلى مجالس الفاتحة ، حتى إنه امتنع عن المشاركة في بعض المجالس . وكان مصراً على عدم إقامة مجلسٍ للفتاحة في منزله ، ولكن بعد إلحاحٍ شديدٍ ، وبناءً على بعض المصالح الضرورية وافق على إقامة مجلسٍ شريطة أن يكون بعد الآخرين .

وفي مسألة إدارة الحوزة وتكفل رواتب الطلبة وقف جانباً ، وكان يقول : الحمد لله ، يوجد آخرون ، وأنا أستمر في الدراسة والتدريس .

(١) الرسالة العملية هي الكتاب الذي يتضمن فتاوى الفقيه في جميع أبواب الفقه .

أما بعد بدء المواجهة فقد ذهب مع آية الله المنتظري وأحد علماء طهران إليه واقترحنا عليه مرة ثانية أن يتكفل رواتب الطلبة ، وبعد إصرارٍ والحاحٍ شديدين وافق على ذلك»<sup>(١)</sup> .

وشكّل مجلس ترأسه أساتذة كآية الله المطهري وآية الله البهشتي وآية الله المنتظري وطرحوا الإمام الخميني مرجعاً للتقليد .

ولم يكتب الإمام رسالته العملية إلا في مدينة "بورصا" التركية عام ١٣٨٤هـ ، وما كان لمقلديه سوى تعليقة له على كتاب وسيلة النجاة ، كان قد كتبها من قبل ، وكذلك تعليقة على كتاب العروة الوثقى .

(١) قبسات من حياة الإمام ، ص ٤٠ - ٤١ .



## على خطى الحسين عليه السلام

عُرف الإمام الخميني منذ صباه برفضه للظلم والاستكانة ، والسخط على الوضع المنحرف في الأمة ، حتى إنه كان يتحدث عن رفضه ذلك الواقع بصوت عالٍ وجرأةٍ مذهلة رغم حداثة سنّه ، كما أنه تحدّث عن نفسه مرةً أنه حمل السلاح في سن السادسة عشرة أو السابعة عشرة<sup>(١)</sup> .

كما ينطلق تحرك الإمام من رأيه بشأن علاقة العلماء بقضايا السياسة والحكم ، والقاضي بوجود تحمل العلماء إقامة أحكام الله وحدوده وشرعه في أرضه ، ولا يتمكن من ذلك إلا علماء الدين ، ولا يقدرّون على ذلك إلا بممارسة السياسة .

ولذلك فإنه بعد أن تبلورت في ذهنه النظرية الفقهية للحكم في عصر الغيبة الكبرى ، لم ينتظر لتطبيقها أن تتعبّد له الأمور بنفسها فهذا ما لن يحدث مطلقاً ، بل تحرك في اتجاه طرح النظرية من خلال كتابه القيم (كشف الأسرار) الذي نشر عام ١٩٤٤م ، وضمّ انتقاداتٍ شديدةً وصارمةً للاجتياح الاستعماري ، وما نفّذه رضا خان لآسياده ، وشمل الكتاب تنبيهاتٍ وتحذيراتٍ للأمة وعلمائها من تأزم الأوضاع أكثر مما مضى .

ثمّ أتبع ذلك بتفصيلاتٍ متفرقة في دروس أبحاث الخارج التي كان يلقيها على تلامذته ، ومن ثمّ سعى لتطبيقها بعد أن وفقه الله لخلق ظروفها ، وإعداد عُديّتها .

وهكذا بدأ نشاط الإمام السياسي علانيةً بعد نشر هذا الكتاب وبدأت معه سلسلة من الأحداث في الفترة ما بين عامي ١٩٤٠م و ١٩٦٤م ، سواء ذلك

(١) مقتطفات من كتاب صحيفة النور - خواطر للإمام الخميني ، ص ٥٩ .

النشاط الذي قام به ضمن إطار الحوزة العلمية في قم من خلال علاقاته المتينة مع علماء الدين والمراجع الكبار، أو من خلال تحركه السياسي الملحوظ خارج نطاق الحوزة .

إنَّ من العسير علينا أن نوفِّق بين الإيجاز الذي نريده وبين إشباع الأحداث في سردها أو تحليلها منذ بداية النهضة إلى وفاة الإمام، ولذلك سوف نجتهد في طلب الإيجاز في الاستعراض التالي .

من الحوادث التي دعت الإمام للخوض أكثر في معترك السياسة مسألة المرجعية الدينية، إثر وفاة المرجع الكبير آية الله السيد أبو الحسن الإصفهاني عام ١٩٤٧م الموافق لـ ١٣٦٥هـ، وتزامنها مع الفترة المتأزمة والحساسة بعد هروب رضا خان .

وفي هذا الإطار امتاز نشاطه - في خدمة أهدافه المقدسة - بالجدية والمثابرة والتركيز في عمله، حتى أثمرت جهوده بمجيء آية الله البروجردي إلى قم، ليقوم الأخير بوظيفة الزعامة والحفاظ على وهجها واستقلاليتها، بعد غياب البديل القوي الذي يملأ فراغ المرجعية العامة بعد السيد الإصفهاني .

وفيما يتعلق بالمدَّ البهائي<sup>(١)</sup>، فقد واجهه الإمام بقوة وحزمٍ شديدين من خلال مرجعية السيد البروجردي .

(١) البهائية : فرقة ضالة إدعى رموزها أولاً وجود علاقة لهم مع الإمام المهدي عليه السلام، وبعد إقبال الناس السذج عليهم إدعوا الإمامة ثانياً، ثم لم يكتفوا بذلك حتى ادعوا النبوة والإتيان بشريعة جديدة . بدأت أوّل جذورها في العهد القاجاري وامتدت الى يومنا هذا، وتغلغلوا في المناصب الهامة في العهد الملكي السابق، وأصبحوا أقلية مترفين لما كانوا يتلقونه من الدعم من السلطات الإنجليزية والأمريكية لأسباب لاتخفى على أحد . فرَّ معظمهم الى الغرب بعيد انتصار الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩م، ويسكن غالبيتهم الآن في أمريكا وإسرائيل .

وفي مجال آخر تحرك بجهد متواصل ومحاولاتٍ دؤوبةٍ لإلغاء حكم الإعدام عن أربعة من أعضاء حركة (فدائيي الإسلام)<sup>(١)</sup>، ومن ضمنهم السيد الشهيد (نواب صفوي).

ثمَّ ومن خلال الانتفاضة التي قادها آية الله السيد أبو القاسم الكاشاني، لدعم زعيم (حركة التحرير الوطنية) الدكتور محمد مصدّق، تشكّل تحالفٌ بين السيد الكاشاني ومصدّق، وقد أثمر في تأميم النفط واستقلال الحكومة في القرار السياسي، بل أجبر الشاه حينها على الهرب، ولكن بعد أن تعرض ذلك التحالف للانهيار قام اللواء (زاهدي) عام (١٩٥٣) بانقلابٍ عسكريٍ أنهى ما تبقى من التحالف.

وكان انهيار ذلك التحالف بسبب تعمق الخلافات حول قضايا حاسمة ومصيرية بين الدكتور مصدّق والسيد الكاشاني<sup>(٢)</sup>.

وهنا تحدّث الإمام عن ذلك، رافضاً أن يكون مبعث أي تحركٍ أو انتفاضةٍ سياسياً، بل يقول: «طريقنا ليس النفط، وتأميمه لم يكن هدفنا أو غايتنا، إنّ ذلك عين الخطأ. غايتنا الإسلام وحده ولا غير؛ فعندما يحكم الإسلام سوف يرضخ النفط لأحكامه»<sup>(٣)</sup>.

في عام ١٩٦٢م صوّت البرلمان الإيراني على التعديلات التي قدّمها رئيس الوزراء آنذاك (أسد الله علّم) إلى البرلمان، والتي اشتملت على مواد معارضةٍ للشريعة المقدسة وناقضة لما جاء في الدستور؛ إذ احتوت على

(١) تأسست منظمة فدائيي الإسلام في عام ١٩٤٦م بقيادة الشهيد نواب صفوي، وقد قامت بعملية إغتيال رئيس الحكومة الإيرانية (رزم آرا) عام ١٩٥١م بوصفه المناوئ الرئيس لعملية تأميم النفط.

(٢) الحياة السياسية للإمام الخميني، ص ١٣٦-١٣٧.

(٣) المصدر السابق، ص ١٤٤.

بعض الشروط للناخبين والمرشحين ، من بينها حذف كلمة (الإسلام) وكون المرشح باستطاعته أن يؤدي القسم بأي كتاب سماوي<sup>(١)</sup> .

وتحسباً لمستقبلٍ مظلمٍ وما قد تلاقيه الحوزة العلمية والبلاد من خطرٍ باسم الإصلاحات والتطور ، قام الإمام الخميني بدعوة جميع العلماء والفضلاء الكبار في الحوزة العلمية لمداولة الأمور المهمة ، والتأهب لمواجهة المؤامرات المستجدة .

وقد حاول أسد الله علم إهانة الإمام بإرسال برقياتٍ جوابيةٍ إلى ثلاثةٍ من مراجع الدين في قم ، مظهراً موافقته على طلباتهم ، لكنه فشل في إحراج الإمام ، إذ ازدادت شعبية الإمام والتفاف الجماهير حوله .

وقد انخدع البعض بتلك الرسائل ، ففضح الإمام تلك الخطوة بقوله :

«إنَّ تلك اللائحة لن تسقط ببضع رسائل سريةٍ ، بل يتوجَّب على (علم) أن يُعلن بشكل رسمي في الصحف عن ذلك»<sup>(٢)</sup> .

وفي آخر المطاف رضخ (علم) لمطالب الحوزة والإمام ، وأعلن في لقائه الصحفي في ١٩٦٢/١٢/١م عن إلغاء اللائحة ، ووصفها بأنها غير قابلة للتنفيذ .

ثم ألقى الإمام خطاباً في ١٩٦٣/١/٢م شكر فيه الأمة ووقوفها بجانب علمائها ومراجعها .

كذلك تحدّث فيه عن الأحداث الأخيرة ، والخطط الاستعمارية المعنونة بالحرية الاجتماعية ؛ مسفهاً لها ولدعاتها .

(١) المصدر السابق ، ص ١٦٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٦٩ .

في ٢٦ / ١ / ١٩٦٣م أُجري الاستفتاء العام على الإصلاحات الشاهنشاهية المسماة بـ «الثورة البيضاء»، ولم تشارك فيه الجماهير في معظم المدن والولايات . وقد علم بها الإمام قبل الاستفتاء ، فحاول هو والحوزة العلمية أن يستفهموا من الشاه عن حقيقة تلك الإصلاحات ، فتبيّن لهم من مخاطبة الشاه لموفدهم (آية الله كمال وند) عمالته لأسياده .

في ٢٢ / ٣ / ١٩٦٣م أقيمت مجالس تأبينية بمناسبة ذكرى وفاة الإمام الصادق عليه السلام ، فأرسل الشاه مرتزقته ليندسوا في تلك المآتم لإثارة البلبلية والفوضى ، وكانوا قد حاولوا ذلك في مجلس الإمام الخميني ، فأفشل الإمام سعيهم ، فحضروا عصرأ في المدرسة الفيضية ، وقاموا بتنفيذ ما جاؤوا لأجله ، فاشتبكوا مع الطلبة وعامة الحضور ، وتدخلت القوات الخاصة لدعم أولئك العملاء ، فسقط عشرات الشهداء ومئات الجرحى .

بعد ذلك مباشرة ألقى الإمام الخميني خطاباً تاريخياً تعرّض فيه للشاه والنظام ، وندد بالمجزرة ومرتكبيها ، مما أعطى الجماهير شحنةً جديدةً من القوة والصبر والثبات .

وفي ذكرى الأربعين لشهداء الفيضية أصدر الإمام بياناً أعرب فيه عن أسفه لهتك حرمة الحوزة العلمية والعلماء الأعلام ، وقد كثرت مجالس التأيين رغم محاولة الشاه منعها .

ومما جاء في بيان الإمام ذاك : « لقد عزمْتُ على النضال والجهاد ، ولن أتقهقر أبداً إلى أن أرى بعيني هاتين انهيار النظام الشاهنشاهي ، أو أفدّ على ربِّ غفورٍ رحيمٍ ، حاملاً عذري معي »<sup>(١)</sup> .

(١) المصدر السابق ، ص ١٨٥ .



ومع اقتراب شهر محرم الحرام وجّه السافاك دعوةً لحضور كافة الخطباء والوعاظ ، وحذّرهم من التطرق إلى ثلاثة مواضيع فقط ، وأما ما سواها فلهم الحرية التامة ، وتلك هي :

١ - عدم المساس بشخصية الرجل الأول للبلاد [الشاه] .

٢ - عدم التطرق إلى إسرائيل نهائياً .

٣ - الكف عن الكلمات والعبارات الحماسية المحرّضة للشعب ، كذكر انّ الإسلام في خطر .

وبعد هذا مباشرة وجه الإمام بياناً إلى الخطباء والوعاظ والهيئات الحسينية ، وصف فيه مطالب السافاك بأنها مُخالفة للقانون ، ولا يترتب على مخالفتها أي أثر ، وهاجم الشاه ، وتحذّاه في صحة مزاعمه من تأييد الشعب له .

وفي الرابعة من عصر اليوم العاشر من محرم لعام ١٣٨٤هـ - ١٩٦٣م اعتلى الإمام المنبر أمام حشودٍ كبيرةٍ من رجال العلم ، والجماهير ومواكب العزاء التي قدّمت من طهران ومحافظاتٍ أخرى ، وألقى خطاباً تاريخياً هاجم فيه النظام الحاكم ، وفضح مؤامراته ، وتأمّره مع أسياده على الوطن .

وفي منتصف الليل هاجمت قوات خاصةٍ بزيٍ مدني بيت الإمام ، وألقت القبض عليه ، وذهبت به إلى طهران ، وأودعَ هناك في زنزانةٍ انفراديةٍ .

وفي الغروب من اليوم التالي نُقلَ إلى (معسكر القصر) ، ولبث فيه (١٩) يوماً ، ثم نُقلَ إلى معسكر (عِشْرَتِ آباد) ، ثم وُضعَ تحت الإقامة الجبرية في بيتٍ بطهران لمدة عشرة أشهر .

وفي صبيحة الخامس من حزيران ١٩٦٣م اندلعت مظاهرات ضخمة في أنحاء كثيرة من إيران ، تطالب الشاه وحكومته بإطلاق سراح الإمام ، وكان

شعار المتظاهرين في طهران «إما الموت، وإما الخميني» و«الموت للشاه»، كما قامت قائمة الحوزات العلمية الشيعية في النجف وقم واصفهان ومشهد وطهران وشيراز، وأصدرت تلك الجهات البيانات والاحتجاجات منددةً باعتقال الإمام .

وقد استشهد في تلك الاحتجاجات (١٥) ألف شهيد، والتي لازال الشعب يحتفي بذكراها كأول انتفاضة على طريق النصر وإعدام الملكية إلى الأبد .

وأطلق سراح الإمام في ٧ نيسان ١٩٦٣م؛ فتوالت الجماهير من أهل قم ومن كافة أنحاء إيران على بيت الإمام فرحةً بالإفراج عنه، ومنتظرةً منه توجيهاته وتكليفها الشرعي تجاه الأحداث .

وبعد إطلاق سراحه بثلاثة أيام، ألقى خطاباً في الجامعيين القادمين من العاصمة، قال في بعضه: «لو لم تكن مرارة السجون وعذابها لما كانت هناك لذة للنصر»<sup>(١)</sup> .

وتحدث فيه عن طبيعة علاقته بالنظام بأنه لن يفاوض النظام «ولو عُرض لحبل المشنقة»، كما تحدث عن إشاعات النظام حول إصلاحات الشاه المزيّفة، والوضع الاقتصادي والاجتماعي للشعب، وحياة المستضعفين والفقراء .

وفي أيلول ١٩٦٤م صادق البرلمان على لائحة الحصانة للأمريكان، فثارت ثائرة الإمام، وألقى خطاباً عنيفاً فيه الشاه وأزلامه ومؤامراتهم ضد الوطن، وقال: «لقد سرق شرف بلادنا، وسلبت عزتها، وهدرت كرامتنا، وإن عظمة جيوشنا ومعسكراتنا قد تلاشت واضمحلّت»<sup>(٢)</sup> .

(١) الحياة السياسية للإمام الخميني، ص ٢٠٢ .

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢١ .

وبعد تسعة أيام من خطابه ألقى القبض عليه ، ونُقل إلى طهران ، ومن ثم نُقل في طائرة شحنٍ عسكرية إلى منفاه في تركيا ، وذلك في ٤ تشرين الثاني ١٩٦٤م ، ثم أُلحق به نجله الأكبر السيد مصطفى الخميني قَتْلًا .

ظل الإمام في تركيا في مدينة (بورصا) إلى الرابع من نيسان ١٩٦٥م ، إذ نُقل فجأةً بصحبة ابنه الشهيد السيد مصطفى إلى بغداد ، فتوجه إلى زيارة الإمام الكاظم عليه السلام . ثم توجه بعد ذلك إلى كربلاء قاصداً زيارة الإمام الحسين عليه السلام ، ونزل ضيفاً عند سماحة السيد محمد مهدي الشيرازي أسبوعاً كاملاً ، حيث قدّمه السيد الشيرازي إماماً للصلاة مكانه . ثم قصد بعد ذلك التوجه إلى مدينة النجف ، مدينة العلم والعلماء ، وقد استقبل استقبالاً حاراً لم تشهد النجف له مثيلاً من قبل ، وكان المراجع أول من قام باستقباله قبل وصوله النجف من خلال ممثلهم ، وفي النجف كانت الجماهير تقوم بواجبها المشرف في استقباله .

بعد شهرٍ تقريباً من استقرار الإمام في النجف وافتتاحه دروسه العلمية هناك ، ألقى خطاباً تحدّث فيه عن أمور كثيرة مهمة وعبرّ فيه عن مشاعره وأفكاره وتوجهاته . ثمّ واصل جهاده من هناك متابعاً قضايا شعبه خاصة والأمة عموماً بالدعم لقضاياها باستمرار .

وفي ٢٣ أيلول ١٩٧٧م استشهد آية الله السيد مصطفى الخميني قَتْلًا بدسيسةٍ من عملاء الشاه ، وقد واجه الإمام هذا المصاب الجلل بصلافةٍ وحزمٍ قويين ، ووصفه بأنه «لطفٌ من ألطاف الله الخفية» .

بعدها لم تستقر إيران لمدة عامٍ وأشهر ، إلى حين انتصارها في ١١/٢/١٩٧٩م من خلال إقامة مجالس الفاتحة على روح الشهيد السيد مصطفى ، وعلى من يقتل في تلك المآتم .

وعلى الرغم من المضايقات التي تعرّض لها الإمام من قبل النظام العراقي وبعض الجهات التي لم يعمر قلبها الإيمان في النجف الأشرف ، إلا إنه لم

يكن راغباً في مفارقة العراق ، ولكن لأن ذلك سيمنعه من مواصلة نشاطاته الجهادية بحرية تامة ، قرر الخروج من العراق إلى الكويت ، ولكن الكويت رفضت استقباله ، فتوجه إلى فرنسا بعد مشاورات أجراها مع نجله الأصغر السيد أحمد قذافي ، وذلك بسبب أجواء الحرية المنفتحة هناك ، وعدم خضوع فرنسا لأحد كالدول العربية والإسلامية التي طُرحت كبديل للعراق .

واصل الإمام جهاده من هناك من خلال إرشاداته التي كانت تصل للشعب الإيراني بسرعة مذهلة عن طريق أشرطة الكاسيت ، حتى أطلق على الثورة (ثورة الكاسيت) .

وبعد بروز علائم النصر بشكل جلي أرسل الإمام الشهيد المطهري قذافي لتشكيل مجلس لقيادة الثورة ، من أجل إدارة المسيرات والاحتجاجات والنشاطات السياسية الإسلامية في إيران .

كما أن الإمام التقى هناك بالمراسلين العرب والإيرانيين والأجانب ، وقام بشرح قضيته ووجهات نظره ورؤاه السياسية في الشأن الإيراني كله ، ونظرته حول مستقبل النظام القادم بعد نجاح الثورة .

### إلى دولة القائم

في ١ شباط ١٩٧٩م وصلت طائرة الإمام قادمة من فرنسا إلى طهران بعد هروب الشاه وتسليم مهامه الإدارية إلى شاهبور بنختيار إلى حين إخماد الثورة - بحسب زعمهم - من خلال تسلّمه لرئاسة الوزراء .

ورغم أن قوات الدفاع الجوي استلمت أوامر العسكريين الشاهنشاهيين بإغلاق الحدود الجوية أمام الطائرة ، وإسقاطها إن هي تجاوزت الحدود ، إلا أنهم لم يستجيبوا لتلك الأوامر ، وفتحوا خطأً أسموه «خط الثورة» .

وتجمعت الملايين لاستقبال الإمام في طهران ، وكأنها لم تكن تصدق تلك اللحظات العظيمة .

بعد أن وصل الإمام إلى طهران توجّه مباشرةً إلى مقبرة الشهداء (جنة الزهراء) وفاءً منه لتضحيات الشهداء المضحين في سبيل الإسلام والثورة .

ومن هناك أعلن عن مشروعه السياسي ، وطبيعة النظام الذي يجب أن يكون ثمناً لتلك التضحيات الجسام .

وفي اجتماعٍ مطوّلٍ في ١٩٧٩/٢/٤م تناول الإمام موضوع الحكومة المؤقتة ، إلى حين إجراء استفتاء عام يرسم مصير الثورة والنظام الجديد .

وفي اليوم التالي ١٩٧٩/٢/٥م أعلن الإمام وأمام عددٍ كبيرٍ من الصحفيين المحليين والأجانب أنه كلّف المهندس مهدي بازرگان<sup>(١)</sup> بتشكيل حكومة مؤقتة ، وقد فعل الأخير .

وفي نفس العام أجري استفتاء عام حول شكل النظام وهويته ، فصوّت الناخبون لصالح قيام جمهورية إسلامية بنسبة ٩٨,٢٪، وذلك تنويجاً للتضحيات التي قدّمت من أجل الحرية والاستقلال ، والإسلام هو الضامن الأول لهما ، وهو هوية الشعب الإيراني المسلم ؛ فكان ذلك علامةً على استقرار النظام الجديد وجماهيريته .

وإثر خلافات حادّة بعد احتلال السفارة الأمريكية (وكر التجسس) في طهران من قبل الطلبة الذين أطلقوا على أنفسهم «الطلبة السائرون على نهج

(١) وقد أشار الإمام قديماً لاحقاً أنّه لم يكن مرتاحاً لتعيين بازرگان رئيساً للوزراء ، وأنه لم يدل بصوته لبني صدر ، وذلك في تعليقه على قضية الشيخ المتظري . (رسالة أدرج مضمونها الشيخ الري شهري في كتابه المذكرات السياسية ، ص ٣٥٧) فيما تلا نصها الشيخ فاكّر في مجلس الشورى الإسلامي وفيها ما يتعلق ببازرگان .

الإمام» قدّمت حكومة بازرگان استقالتها احتجاجاً على تلك الخطوة بعد تأييد الإمام لها .

وبعد الانتهاء من إعداد الدستور الإسلامي للنظام الجديد أُجري استفتاءٌ جديد بشأنه ؛ فنال القبول الساحق من قبل الشعب بجميع فئاته .

بعد ذلك تمَّ إجراء أول انتخابات رئاسية للجمهورية الإسلامية الفتية ، ففاز فيها أبو الحسن بني صدر ، فشكّل بعد ذلك حكومة برئاسة الشهيد محمد علي رجائي .

ولكنَّ بني صدر لم يستمر في منصبه لعلاقاته وتصرفاته المشبوهة ، إذ صوّت مجلس الشورى بغالبية ١٧٧ صوتاً على حجب الثقة عنه وعن حكومته ، واعتراض صوت واحدٍ وامتناع ١٢ صوتاً عن التصويت .

بعد ذلك أُجريت انتخابات الرئاسة ثانيةً ، وفاز فيها السيد محمد علي رجائي ، فشكّل حكومة برئاسة حجة الإسلام الدكتور محمد جواد باهنر ، ولكنها لم تدُم أكثر من شهر ؛ إذ تعرض رجائي وباهنر للاغتيال ، فاستشهدا «رضوان الله عليهما» .

ولكنَّ الثورة التي تنفس حيث يتنفس الإمام لن تنكفي والإمام هو الذي يمدّها بالدعم والتأييد ، فلم تفتُ في عضدها الاغتيالات والمذابح الجماعية التي يقوم بها من باع ضميره لهواه ولشياطين الشرق والغرب . فأُجريت انتخابات ثالثة للرئاسة ، فاز فيها آية الله السيد علي الخامنئي ، فشكّل حكومة برئاسة المهندس مير حسين الموسوي .

وقبل الحديث عن تسلّم السيد الخامنئي رئاسة الجمهورية يلزم الإشارة إلى وقوع حدثين مهمين في تاريخ الثورة الإسلامية ، أحدهما استمرّ إلى أواخر الولاية الثانية لرئاسة السيد الخامنئي :

**الأول:** نسف المنافقين مقرّ الحزب الجمهوري ، والذي استشهد فيه اثنان وسبعون حوارياً من أصحاب الإمام الخميني ، كالشهيد المفكر آية الله السيد محمد الحسيني البهستاني رئيس الحزب الجمهوري الإسلامي ورئيس السلطة القضائية ، والشهيد محمد منتظري .

**والثاني:** قيام النظام البعثي بشنّ حربٍ ظالمة على الجمهورية الإسلامية من أجل إسقاطها في ٢٢ أيلول ١٩٨٠م ﴿وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(١)</sup> ، إذ فشل ذلك المشروع فشلاً ذريعاً بفضل الله عز وجل ثم بفضل قيادة الإمام الخميني قدس الحكمة ، وتضحيات الشعب الإيراني الشجاع .

وقد سطر الشعب الإيراني العظيم في هذه الحرب ملحمةً هي من أعظم الملاحم في تاريخه وتاريخ المسلمين ، من خلال عمليات كبيرة وجريئة وعمليّات بيت المقدس والفتح المبين وعمليات "الفجر" الثامنة وكربلاء الخامسة وعمليات جزر مجنون ، وقد استمرت الحرب العدوانية ثماني سنوات دون أن تحقق أهدافها المشؤومة ، بحمد الله ومنه .

وقد أثبت كل ذلك عدم جدوى كافة الأساليب في القضاء على هذا النظام الإسلامي الفتّي .

ولم تمض سوى عدّة شهور من انتهاء الحرب حتى تعرّض منصب خلافة الإمام الخميني للفراغ ، بعد أن أقال الإمام خليفته آية الله الشيخ المنتظري ، لسلبية تعاطي الشيخ المنتظري مع أحداث الثورة ومستجداتها ، التي خرج فيها عن مألوف الأعراف الدبلوماسية ، حتى إنه وقع في كثيرٍ من مواقفها في حبال ومكائد

(١) التوبة: الآية ٣٢ .

مهدي الهاشمي وجماعته<sup>(١)</sup>، وتأثر بإشاعاتهم المغرضة في تشويه سمعة بعض التنفيذيين المخلصين المضحين ، وحول انتهاكات للدستور وحقوق الإنسان ، مما أدى إلى أن يتخذ الشيخ المنتظري مواقف تضع علامات استفهام خطيرة على مستقبل الخلافة في عهده ، مما حدا بالإمام إلى إقالته .

وقبل رحيل الإمام بعدة أشهر أصدر الإمام حكمه الشهير ، والقاضي بأن يُطبَّق حكم الإعدام بحق المرتد المارق سلمان رشدي ، لتعرضه لمقدسات المسلمين بالسب والشتم والإهانة .

بعد إقالة الشيخ المنتظري من منصب الخلافة ، وفراغ موقع القيادة ، أمر الإمام بدراسة بعض بنود الدستور وتعديلها ، وأهمها مسألة القيادة من خلال تشكيل لجنة تضم آية الله الشيخ المشكيني (رئيس مجلس الخبراء) وآية الله السيد الخامنئي ، وآية الله الشيخ الرفسنجاني وعدد آخر من العلماء والمسؤولين .

وقبل الانتهاء من التعديلات وإجراء الاستفتاء بشأنها ، أدخل الإمام المستشفى لإجراء عملية جراحية في القناة الهضمية ، وقد تمت العملية بنجاح ، ولكن مضاعفات ما بعد العملية تسببت في حادثٍ جللٍ أوهى القوى ، وطاش اللبُّ من هولته ، حينما قضى الله بتوقف القلب النابض بذكر الله وحبه ، وحب المظلومين والانتصار لهم .

(١) شكل مهدي الهاشمي أحد المقربين إلى الشيخ المنتظري منظمة للدفاع عن الحركات التحريرية في العالم خاصة العالم الإسلامي ، وتدخل في شؤون البلاد ، وقام بأعمال تنافى العرف الدبلوماسي الدولي ، كما قام بعمليات اغتيال وتصفيات جسدية لبعض خصومه ، وتوج ممارساته اللامسؤولة بإثارة الفتنة وإشعال نار الخلاف بين المسؤولين . أعتقل هو وجماعته وأعدم في الثمانينات ، وهو من أسباب الخلاف الذي أدى إلى إقالة الشيخ المنتظري .



لقد اختار الله إليه عبداً أثقله احتراق حشاشته لفراق الحبيب سبحانه ، بعد جهاد طويل لم يكل فيه ولم يمل ، وبعد معاناة قضاها في سبيل إحياء الإسلام وعزة المسلمين .

ولهذا المصاب الجلل عمّ إيران والعالم الإسلامي والشعوب المستضعفة حزنٌ لم يشهد التاريخ له مثيلاً من قبل ، جعل العالم الشرقي والغربي يحار في كيفية فهم شخصية هذا الفقيه الفريد رغم الحملات العدائية التي شنت عليه وعلى الثورة للحط من مقامه السامي .

وقد صلى على جنّماته الطاهر سماحة آية الله العظمى السيد محمد رضا الكلبايگاني ، وقُدّر من صلى بصلاته بنحو عشرة ملايين شخص .

ولقد أقيمت مجالس العزاء في إيران بصورة مهيبة ، ولا سيما مجالس العزاء التي أقامها الآيات العظام : السيد الكلبايگاني والسيد المرعشي النجفي والشيخ الأراكي والشيخ الميرزا هاشم الأملي .

وحق أن تقام تلك المجالس على روح ما هنا عيش وفي العالم قوى النهب والتسلط تعبت بمقدرات المستضعفين .

وحق لنا أن نقول إن ما تركته تلك الحياة رغم قصرها الزمني من بصمات أيادي الإمام البيضاء في حياة المسلمين لا يمكن أن تقاس بأمدّها .

فالسلم عليه يوم ولد ، ويوم زلزلَ عروش الطغاة بثورته الكبيرة ، ويوم ارتضاه الله إليه ، ويوم يُبعثُ حياً في زمرة النبي الأعظم محمّد وآله الطاهرين (عليهم صلوات الله والصالحين من عباده) إن شاء الله وحسن أولئك معشراً ورفيقاً .

وبعد الرحيل المفجع لإمام المسلمين في يوم السبت ٣ حزيران ١٩٨٩م ، في الساعة العاشرة والثلاث مساء بتوقيت طهران ، كان لابد من البحث سريعاً

في موضوع القيادة لتلافي أي طوارئ أو مضاعفاتٍ سلبية تعرض الكيان والنظام الإسلامي للخطر ، وهكذا اجتمع في ظهر اليوم التالي أعضاء مجلس خبراء القيادة وتم تناول موضوع خلافة الإمام قُدُّسٌ .

وبعد مداولاتٍ ومشاوراتٍ أُقرَّ بأغلبية (٦٠) صوتاً من مجموع (٧٤) تعيين آية الله الفقيه الجليل السيد علي بن الجواد الحسيني الخامنئي قائداً للثورة الإسلامية في إيران<sup>(١)</sup> .

(١) كان عدم تصويت الأربعة عشر الآخرين آنذاك ؛ لأنهم يرجحون القيادة الجماعية التي يرون آية الله السيد الخامنئي أحد أعضائها . (لماذا الخامنئي ، ص ١٩) .



## الإمام : طالباً ، وأستاذاً ، ومؤلفاً

### الإمام طالباً

تتلمذ الإمام عند مشاهير رجال الحوزة في أراك وقم المقدسة ، وكان أشهر من تتلمذ عليهم هم :

- ١ - أخوه المرحوم آية الله السيد مرتضى «بسنديده» . (مقدمات) .
- ٢ - آية الله العظمى السيد علي الثرربي الكاشاني . (سطوح عليا) .
- ٣ - آية الله العظمى السيد محمد تقي الخونساري . (سطوح عليا) .
- ٤ - آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري . (بحث خارج) .
- ٥ - آية الله الشيخ الميرزا جواد ملكي التبريزي . (أخلاق و عرفان) .
- ٦ - آية الله الشيخ محمد علي الشاه آبادي . (عرفان) .
- ٧ - آية الله السيد أبو الحسن الرفيعي القزويني . (فلسفة) .
- ٨ - آية الله العظمى السيد البروجردي ، (ولم يحضر الإمام درسه إلا تيمناً ودعماً لمرجعيته ، حيث كان الإمام يدرّس بحث الخارج ، وذلك في ١٣٦٤هـ . ق حين ورود السيد البروجردي مدينة قم المقدسة) .

### مشايخه في الرواية :

- ١ - آية الله الشيخ محمد رضا الإصفهاني النجفي .
- ٢ - آية الله الشيخ عباس القمي .
- ٣ - آية الله السيد محسن الأمين العاملي .

٤ - آية الله السيد أبو القاسم الدهكردي الإصفهاني .

### الإمام أستاذاً

تخرج على يد الإمام الخميني المئات من كبار العلماء والفقهاء ، وهم ينتشرون الآن في شتى أنحاء إيران وغيرها من البلاد ، ونذكر هنا بعضاً منهم :

- ١ - آية الله العظمى السيد علي الحسيني الخامثي .
- ٢ - آية الله العظمى الشيخ محمد فاضل اللنكراني .
- ٣ - آية الله العظمى السيد علي السيستاني .
- ٤ - آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي .
- ٥ - آية الله العظمى السيد موسى شبيري الزنجاني .
- ٦ - آية الله العظمى الشيخ حسين نوري الهمداني .
- ٧ - آية الله العظمى الشيخ يوسف صانعي .
- ٨ - آية الله العظمى السيد محمد محمد صادق الصدر .
- ٩ - آية الله العظمى الشيخ مسلم الملكوتي .
- ١٠ - آية الله العظمى الشيخ مرتضى الحائري اليزدي .
- ١١ - آية الله العظمى السيد عبد الكريم الموسوي الأردبيلي .
- ١٢ - آية الله العظمى السيد محمد الوحيددي .
- ١٣ - آية الله الشيخ الشهيد مرتضى مطهري .
- ١٤ - آية الله السيد الشهيد مصطفى الخميني .
- ١٥ - آية الله الشيخ حسين علي منتظري .

- ١٦ - آية الله الشيخ علي المشكيني .
- ١٧ - آية الله السيد الشهيد محمد الحسيني البهشتي .
- ١٨ - آية الله الشيخ جعفر السبحاني .
- ١٩ - آية الله الشيخ أحمد آذري القمي .
- ٢٠ - آية الله الشيخ الهاشمي الرفسنجاني .
- ٢١ - آية الله الشيخ حسين المظاهري .
- ٢٢ - آية الله الشيخ ابراهيم الأميني .
- ٢٣ - آية الله الشيخ أحمد جتتي .
- ٢٤ - آية الله الشيخ مرتضى بني فضل التبريزي .
- ٢٥ - آية الله الشيخ محمد هادي معرفت .
- ٢٦ - آية الله الشيخ الشهيد الدكتور محمد مفتاح الهمداني .
- ٢٧ - آية الله الشيخ محمد المؤمن القمي .
- ٢٨ - آية الله الشيخ صادق الخلخالي .
- ٢٩ - آية الله الشيخ أبو القاسم خزعلي .
- ٣٠ - آية الله السيد الشهيد أسد الله مدني .
- ٣١ - آية الله السيد حسن طاهري الخرم آبادي .
- ٣٢ - آية الله السيد جعفر كريمي المازندراني .
- ٣٣ - آية الله السيد عباس خاتم اليزدي .
- ٣٤ - آية الله الشيخ محمد حسن القديري .
- ٣٥ - آية الله الشيخ عبد الله الخائفي .

- ٣٦ - آية الله الشيخ عبد الله جوادى الأملى .
- ٣٧ - آية الله الشيخ محمد تقي المصباح .
- ٣٨ - آية الله الشيخ حسين الراستى الكاشانى .
- ٣٩ - آية الله الشيخ محمد محمدى كيلانى .
- ٤٠ - آية الله الشيخ محمد اليزدى .
- ٤١ - آية الله الشيخ على أكبر مسعودى الخمينى .
- ٤٢ - آية الله الشيخ محمد إمامى كاشانى .
- ٤٣ - آية الله الشيخ الشهيد فضل الله محلاتى .
- ٤٤ - آية الله الشيخ الشهيد على قدوسى .
- ٤٥ - آية الله الشيخ عباس محفوظى .
- ٤٦ - آية الله السيد الشهيد عبد الكريم هاشمى نجاد .
- ٤٧ - آية الله الشيخ عبد الرحيم ربانى الشيرازى .
- ٤٨ - آية الله الشيخ غلام رضا الرضوانى .
- ٤٩ - آية الله السيد محمد أبطحى الكاشانى .
- ٥٠ - آية الله الشيخ محمد رضا التوسلى .

### الإمام مؤلفاً

تميّزت المؤلفات التى نشرت للإمام الخمينى تدكُّ بالعمق والأصالة والشمولية ، وأنها كلها قد كتبت بخط يده رغم انشغالاته المستمرة بالعبادة والجهاد ، وتعرضه للنفي ، والظروف التى أحكمت هيمنتها على نشاطاته فى

مجال التأليف بعد الانتصار، يستثنى من ذلك كتاب (تهذيب الأصول) وبعض الرسائل التي قررها تلامذته .

وقد تحدثتُ مع بعض تلامذته حول ما إذا كانت لديهم تقارير لدروس وأبحاث الإمام ، فأجابوا بـ (نعم) ، وسألتهم عن سبب عدم إخراجها ، فالتمسوا أعذاراً ، منها ظروف ما قبل الثورة والانشغالات الكثيرة عن مراجعتها بعد الانتصار ، وبعضها التماسات شخصية حول الشعور بأن تكون أساليبهم تؤثر سلباً على عمق وأصالة وشمولية الإمام ؛ لأن تسليمهم بأعلمية الإمام عليهم وعلى الآخرين في الصياغة والدلالة تقوِّي من اعتقادهم بعدم الحاجة إلى نشر تقاريرهم ، خاصة وأن الإمام كتب بنفسه أكثر كتبه الفقهية والأصولية .

وهناك ميزة أخرى (وما أكثر الميزات) ميّزت الإمام الخميني قدسُ عن كثيرٍ من الفقهاء والمؤلفين ، وهي الالتزام بأجواء ومفردات العلم الذي يتناوله ؛ فعندما يتناول الفقه تجده يتعد عن مداخلات الفلسفة والعرفان ، وعندما يتناول الأصول تجده ذلك المتعمِّق الماسك بزمام الأمور ، ويتناولها بعقلانية متألفةٍ بعيدةٍ عن التقليد والجمود ، وعندما يتناول القضايا الاجتماعية والسياسية تجده منظرّاً بارعاً وقديراً ، وعندما يخاطب الجماهير تجده يسحر الجماهير ببلاغة منطقته . . إنها ولاشك عُدةُ الفقهاء الثائرين المصلحين .

ويظهر من مجموع مؤلفات الإمام أنها تنقسم إلى خمسة أقسام ، وهي :

١ - الفقه .

٢ - الأصول .

٣ - الأخلاق .



٤ - العرفان .

٥ - الاجتماع والسياسة .

وسوف نصنّف الفقه إلى جانب الأصول ، والأخلاق إلى جانب العرفان ،  
ومن ثمّ المؤلفات المتفرقة إلى جانب الاجتماع والسياسة :

### الأصول والفقه

- ١ - تهذيب الأصول . (مجلدان) . (تقريرات درسه بقلم الشيخ جعفر السبحاني) .
- ٢ - أنوار الهداية في التعليقة على الكفاية . (مجلدان) .
- ٣ - مناهج الوصول إلى علم الأصول . (مجلدان) .
- ٤ - جواهر الأصول . تقريرات تلميذه اللنكرودي خرج منه مجلد واحد .
- ٥ - الاستصحاب . (مجلد واحد) .
- ٦ - تقريرات درس أصول آية الله البروجردي بقلم الإمام . في طريقه إلى النشر .
- ٧ - رسالة في الطلب والإرادة .
- ٨ - نيل الأوطار في بيان قاعدة لا ضرر ولا ضرار .
- ٩ - بدائع الدرر في قاعدة نفي الضرر .
- ١٠ - رسالة في التعادل والتراجع .
- ١١ - رسالة في الاجتهاد والتقليد .
- ١٢ - كتاب الطهارة ، بحوث فقهية . (٣ مجلدات) .
- ١٣ - الخلل في الصلاة . فقه . ( مجلد واحد) .
- ١٤ - رسالة في تعيين الفجر في الليالي المقمرة .

- ١٥ - رسالة في قاعدة « من ملك » .
- ١٦ - رسالة في التقية .
- ١٧ - الحكومة الإسلامية .
- ١٨ - كتاب المكاسب المحرمة . فقه (مجلدان) .
- ١٩ - كتاب البيع ، بحوث فقهية (٥ مجلدات) .
- ٢٠ - المسائل المستحدثة ، كأحكام التأمين ، والعملات الورقية ، والصكوك المصرفية والكمبيالات ، والسرقفلية ، وأوراق اليانصيب ، وتشريح الأموات ، وأمثالها .
- ٢١ - تحرير الوسيلة ، دورة فقهية للمقلدين . (مجلدان) .
- ٢٢ - زبدة الأحكام ، ومثيلة لها بالفارسية باسم (توضيح المسائل) .
- ٢٣ - مناسك الحج .
- ٢٤ - أحكام الإسلام ، استفتاءات .
- ٢٥ - تعليقة على العروة الوثقى . شاملة لكافة الأبواب الفقهية ، طبعت مع العروة ومستقلة عدة مرات .
- ٢٦ - تعليقة على كتاب الإرث للمرحوم الملا هاشم الخراساني . (فارسي) .
- ٢٧ - الدماء الثلاثة . تقارير درسه للشيخ صادق الخلخالي .
- ٢٨ - وتوجد تقارير كثيرة مخطوطة متفرقة لدى طلابه الذين زحرت بهم ساحات درسه ، وقد يتم طبع بعضها في المستقبل .

### الأخلاق والمرقان

- ٢٩ - مصباح الهداية .
- ٣٠ - شرح دعاء السحر .

- ٣١ - كتاب الآداب المعنوية للصلاة .
- ٣٢ - شرح حديث (جنود العقل والجهل) . (مجلدان) .
- ٣٣ - كتاب الأربعين حديثاً .
- ٣٤ - أسرار الصلاة .
- ٣٥ - حاشية على شرح فصوص الحِكم للقيصري .
- ٣٦ - حاشية على مصباح الأنس .
- ٣٧ - حاشية على كتاب مفاتيح الغيب .
- ٣٨ - حاشية على شرح حديث رأس الجالوت ، للقاضي سعيد القمي .
- ٣٩ - شرح مستقل للحديث نفسه .
- ٤٠ - جهاد النفس ، أو الجهاد الأكبر .
- ٤١ - حاشية على كتاب شرح الفوائد الرضوية للمرحوم القاضي سعيد القمي .
- ٤٢ - رسالة لقاء الله . رسالة موجزة في المسائل العرفانية .

### الإجتماع والسياسة :

- ٤٣ - كشف الأسرار ، في الدفاع عن العقيدة ومذهب أهل البيت عليهم السلام .
- ٤٤ - تفسير سورتي الحمد والعلق .
- ٤٥ - ديوانه الشعري (بالفارسية) .
- ٤٦ - الوصية السياسية الإلهية .
- ٤٧ - صحيفة النور ، وهي بياناته وخطاباته ورسائله منذ بداية الانطلاق في الستينات الميلادية إلى وفاته (٢٢ مجلداً) .

## قالوا في الإمام

- ١ - قال المرحوم آية الله العظمى البروجردي قدس في شأن الإمام :  
« إن الحوزة العلمية قريرة العين بوجوده ، وإن دروسه في قمة الدروس الحوزوية ، ويؤمل منها الكثير»<sup>(١)</sup> .
- ٢ - وقال آية الله العظمى الشيخ محمد تقي الآملي قدس في بيان إصداره عام ١٣٨٣هـ :  
« إن المقامات العلمية والعملية لسماحة آية الله السيد الخميني (مد ظله العالی) لا تخفى على أحد ، حتى تحتاج إلى التوضيح ، لذا فإنني أعتبره مجتهداً ومرجع تقليد من الطراز الأول»<sup>(٢)</sup> .
- ٣ - وقال آية الله العظمى السيد محمد هادي الميلاني قدس في رسالة جوابية بعثها إلى تجار طهران في ٤/٢/١٣٨٣هـ :  
« إن سماحة حجة الإسلام والمسلمين آية الله الحاج السيد روح الله الخميني هو من مفاخر العالم الإسلامي ، وأحد مراجع التقليد ، حيث إن موقعه الديني ، وشخصيته الإسلامية غير خافية على أحد»<sup>(٣)</sup> .
- ٤ - وقال آية الله العظمى السيد أبو الحسن القزويني قدس في برقية بعثها إلى السفارة التركية في طهران ، عندما نُفي الإمام إلى تركيا عام ١٩٦٤م :

(١) الرصد ، ص ٢٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٤ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٥ .

« إنَّ الضيف الكبير الذي قَدِمَ هذه الأيام إلى أرض تركيا هو أحد مراجع الإسلام الكبار ، والنموذج الكامل في العلم والفضيلة والتقوى»<sup>(١)</sup> .

٥ - وقال آية الله العظمى السيد الشهيد محمد باقر الصدر تدئ :

« لم يكن الإمام الخميني في طرحه لشعار الجمهورية الإسلامية إلا استمراراً لدعوة الأنبياء ، وامتداداً لدور محمدٍ وعليٍّ عليهما السلام في إقامة حكم الله على الأرض ، وتعبيراً صادقاً عن أعماق ضمير هذه الأمة»<sup>(٢)</sup> .

٦ - وقال آية الله الشهيد الشيخ مرتضى مطهري تدئ :

« لمست فيه - أي الإمام الخميني - الإيمان بأربع :

أ - إيمانه بهدفه : إنه يؤمن بهدفه ، بحيث لو اجتمع العالم ما استطاع أن يصرفه عنه .

ب - إيمانه بسبيله : إنه يؤمن بالطريق الذي اختاره ، ولا يمكن لإنسان أن يحيد به عن سبيله ، ومثلما كان النبي مؤمناً بهدفه وبطريقه فإنه كذلك .

ج - إيمانه بشعبه : لم أر أحداً قط مثله من بين جميع أصحابي وأصدقائي من يؤمن بهدفه بمعنوية الشعب الإيراني ، فعندما ينصحونه أن يخفف قليلاً من مواقفه قائلين : إنَّ الشعب بدأ يتراجع تدريجياً ! يقول : لا ، ليس كما تقولون ، إنني أعرفه أحسن منكم . وما نحن نرى صدق كلامه يتضح يوماً بعد يوم .

د - وأهم من ذلك كله إيمانه بربه : كان يقول لي في جلسةٍ : لا تتصور أننا نحن الذين نعمل هكذا ، إنني أرى وألمس يد الله بوضوح . إنَّ الذي يشعر بقوة الله وعنايته ، ويسير في سبيل الله فإن الله يضيف إلى قوته النصر»<sup>(٣)</sup> .

(١) المصدر السابق ، ص ٢٤ - ٢٥ .

(٢) الإسلام يقود الحياة ، ص ٢٤ .

(٣) قضايا الثورة الإسلامية (الشهيد المطهري) .

٧ - وقال آية الله العظمى السيد الكلبايگاني قدس في تأبينه :

« لقد استجاب دعوة الحق رجلٌ أحيا الإسلام في عالمنا المعاصر بجهاده العظيم ، وتضحياته الفدوة ، وقيادته الحاسمة والحكيمة ، وأسمع العالم نداء التوحيد والتكبير ، معيداً للإسلام مجده ، وللمسلمين عزتهم ، وأدخل الرعب في قلوب المستكبرين بصرخاته المدوية . . لقد انتقل إلى الدار الباقية فقيه كبير ومرجع مسلم<sup>(١)</sup> .

٨ - وقال آية الله العظمى الشيخ محمد علي الآراكي قدس :

« إنه رجلٌ متقٍ بكل معنى الكلمة ، ورجلٌ مضحٌ في طريق الإسلام بكل معنى الكلمة لقد وقف برجولةٍ أمام الكفر ، وسددته يدُ الغيب الإلهي بشكلٍ محيرٍ للعقول . إنه رجلٌ وضع روحه على كفه واستعدَّ لتقديم نفسه من أجل تبليغ القرآن والدين الإسلامي الحنيف ، واستعدَّ للشهادة في هذا السبيل .

إن مثل هذا الإنسان يندر أن يوجد في العالم ، بل لا نظير له ، وإن دعمه والدفاع عنه يعني الدفاع عن سيد المرسلين والأئمة الأطهار (عليهم الصلاة والسلام)<sup>(٢)</sup> .

٩ - وقال آية الله العظمى الإمام السيد الخامنئي (دام ظلُّه) :

« لقد توفرت في ذلك الإنسان الفدوة مجموعةً من الخصال النفسية ، والصفات السامية التي لم تُجمَع بقرونٍ متماديةٍ - إلا بندرةٍ - في إنسانٍ واحدٍ ؛ إذ كان يجمع قوة الإيمان إلى العمل الصالح ، والإرادة الفولاذية إلى الهمة العالية ، والصفاء المعنوي والروحي إلى الذكاء والفطنة ، والتقوى والورع إلى

(١) بيان الفاجعة من (راديو الجمهورية الإسلامية ، ومجلة الرصد الثقافي ، ص ٢٥) .

(٢) مجلة الرصد الثقافي ، ص ٢٥ .

السرعة والحزم ، ووقار القيادة إلى الرقة والعطف والرأفة ، وهي - لعمرى - صفاتٌ يندثر اجتماعها مرةً واحدة»<sup>(١)</sup> .

١٠ - وقال آية الله العظمى الشيخ الفاضل اللنكراني (دام ظله) :

«عندما كنتُ أمرُّ على الآية الكريمة ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾<sup>(٢)</sup> ، كنتُ أتوقف وأتساءل هل يوجد مصداقٌ لهذه الآية في زماننا الحاضر ؟ ، وأقتنعُ بأنه لا يوجد ، حتى جاء الإمام الخميني تتمة فرأيته المصداق الكامل لها في هذا الزمان»<sup>(٣)</sup> .

١١ - وقال آية الله الشيخ الجوادى الأملى (دام ظله) :

«الإمام الخميني أنسى من سبقه من العلماء ومن سيأتي بعده»<sup>(٤)</sup> .

١٢ - وقال آية الله الشيخ الشهيد أشرفى الأصفهاني تتمة :

«إنّ الذي لم يصدر منه ترك الأولى طول حياته هو الإمام الخميني ، ولا يمكن قياس الآخرين به»<sup>(٥)</sup> .

١٣ - وقال آية الله الشهيد السيد عبد الحسين دستغيب تتمة :

«إنّ الشخص الذي اجتمعت فيه جميع شرائط النيابة هو آية الله العظمى الإمام الخميني»<sup>(٦)</sup> .

(١) سلسلة الولاية الثقافية ، العدد (١) ، ص ٣ - ٤ .

(٢) الاحزاب : الآية ٣٩ .

(٣) سلسلة الولاية الثقافية ، العدد ١ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٢ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٢١ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٢٠ .

١٤ - وقال آية الله السيد الموسوي الأردبيلي :

«إن من أهم خصائص الإمام ، القدرة على اتخاذ القرار ، وهي من أهم العوامل التي مهدت طريق الثورة ، وفي جميع مراحلها ، وحتى اليوم لم نر مسألة مبهمّة عند الإمام»<sup>(١)</sup> .

١٥ - وقال الشيخ محمد جواد مغنية قدس :

«هذه هي دولة الإسلام التي يدعو إليها الإمام الخميني ، ولأنها رحمة للعالمين - المسلمين وغير المسلمين - يحاربها المستعمرون والصهاينة وأذئابهم الأذعياء والعملاء» . وقال : «وأخيراً هذه النبوءة التي جاءت في الجزء الثاني من كتاب سفينة البحار (ص ٤٤٦) طبعة سنة ١٩٣٦م نقلاً عن مصادر مضى عليها العديد من القرون وهذا نصها : روي عن الإمام الكاظم عليه السلام : «يخرج رجل من قم يدعو الناس إلى الحق ، يجتمع معه قوم كزبر الحديد ، لا تزلهم العواصف ، ولا يملون ولا يجبنون ، وعلى الله يتوكلون ، والعاقبة للمتقين» .

وهذا الوصف أصدق وألصق بالإمام الخميني وقومه ، حيث أمضى هذا القائد معظم حياته في مدينة قم درساً وتدرّساً ، وفيها أعلن الثورة على الشاه ، ومنها نفى إلى الخارج . أما دعوته فهي دعوة الحق والعدل التي يستجيب لها كل محق ومخلص ، ويرهبها كل مبطل وأثم . والله مع المتقين»<sup>(٢)</sup> .

١٦ - وقال آية الله الشهيد السيد محمد الحسيني البهشتي قدس :

« الإمام من بين مجتهدي الشيعة العظام ، كان ذا أبعاد متعددة من حيث سعة الرؤية ؛ فكان فيلسوفاً عارفاً فقيهاً أصولياً ، من أهل الحديث والقرآن ،

(١) المصدر السابق ، ص ٢٠ .

(٢) مقالات: من ذا وذاك ، ص ٣٣ .



تجمّع كلُّ هذا في مرحلة التهذيب ، وكان ينظر إلى الأمور بنظرةٍ منفتحةٍ شموليةٍ وقال - أيضاً - : «جميع عشاق الحق والعدل يعتبرون الإمام إمامهم»<sup>(١)</sup> .

١٧ - وقال آية الله السيد محمد حسين فضل الله :

« هكذا كان الإمام الخميني (رضوان الله عليه) في موقعه من علماء العرفان ، العارف الوحيد الذي ألقى بكلِّ عرفانه في حركة الحياة ، بحيث اقتحم كلُّ التحفظات التي كان العرفاء يهربون منها باعتبارها قد تسيء إلى طهارة العرفان في روحيتهم . » وقال : « لن تستطيع أن تفهم الثورة الإسلامية إلا إذا استطعت أن تفهم شخصية (الإمام) الحركية والفكرية » وقال : « استطاع الإمام أن يدخل الإسلام إلى كلِّ مكانٍ في العالم بما لم يستطعه أحدٌ من قبله »<sup>(٢)</sup> .

١٨ - وقال العلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين :

« فقد استطاع الإمام الخميني بحركته أن يعيد الحيوية والفعالية على المستوى العالمي إلى فكرة الأمة الإسلامية الواحدة التي تقلّصت وانحسرت عن الوعي العالمي والدولي باعتبارها حقيقةً سياسية دولية منذ القرن التاسع عشر ، عندما وضعت القوى الاستعمارية الأمة الإسلامية في نطاق مشروعها الاستعماري فيما سمي في حينه (المسألة الشرقية) »<sup>(٣)</sup> .

١٩ - ورد في مذكرة لوكالة المخابرات الأمريكية :

(١) سلسلة الولاية الثقافية ، ص ٢١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٢ - ٢٣ .

(٣) عبرات وعبارات ، ص ٣٢ .

«الخميني رجلٌ متعدد المواهب ، وهو يشبه الفيلسوف الذي يهدف إلى إنهاء الفساد ثم الاعتكاف بعد ذلك في مدرسته بمدينة قم المقدسة»<sup>(١)</sup> .

٢٠ - وقالت مجلة المستقبل في تحليل لها عن تعاطي الإمام الخميني مع قضايا الساعة محلياً وخارجياً :

«إن الإمام ومنذ دخوله معترك المواجهة والسياسة يعتمد كثيراً على توازن القوى أو خلله لمصلحة هذا التيار أو ذاك ، ولذلك فإنه اختار دائماً التوقيت الذي يراه مناسباً لاتخاذ قراره بما ينسجم مع هذا الخيار [أو ذاك]» .

٢١ - وقال المؤرخ الدكتور أحمد شلبي :

«إنه في كلمات قصيرة رجلٌ آمن بالفكرة ، ولم تكن له أطماع شخصية ، وهو يتجه للزهد اتجاهاً تاماً في طعامه ولباسه وسكنه ؛ لا يهتم بممتلكات ، ولا يسعى لمالٍ ؛ وَهَبَ نفسه لأهداف أمته ، وذلك سرُّ عظمته .

أما عن كفاءة الإمام الخميني فهي فوق الوصف ؛ فعلى الرغم من سنه واعتلال صحته نجده يحيط بالأمر ، ولا يخشى التهديد ، ويجيد توجيه أجهزة الإعلام واستغلالها أكثر مما يفعل أي متخصص في الدعاية والإعلام ، ثم هو قلبٌ ثابتٌ عند الشدائد ، لاتروعه الكوارث ، ولا تنزله الآلام .

والإمام الخميني يضع الهدف أمامه ويصرُّ على بلوغه ، ولا يعرف اليأس ، ويتخذ من الاضطهاد الذي يتجه ضده ، ومن دماء أتباعه التي تُراق ظلماً ، دوافع لمزيدٍ من الحماسة والإصرار ، حتى دم ابنه (مصطفى) زاده تصميمياً ، وجعله يهتف بالمعزين قائلاً : كفى دموعاً وهياً بنا نعمل .

(١) صحيفة الشرق الأوسط ، العدد ٣٨٤٢ .

إنّ رجلاً كهذا كان لابد أن يتتصر ، وليت الذين يطمعون في الزعامة يتعلمون منه هذه الجوانب المضيفة من الأخلاق»<sup>(١)</sup>.

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي : ج ٨ ، ص ١٧٠ - ١٧١ .

## كرامات الإمام

عندما تخترق بصيرة الإنسان الحجب المعنوية بينه وبين ﴿مُن﴾<sup>(١)</sup> ، فإنَّ الله يسخرُ له ما كان مفتاح تسخيرهِ إزالة تلك الحجب .

وهكذا كان الإمام الخميني ؛ فلقد كان من أولئك الذين ذابت مهجهم واحترقت شوقاً وولهاً للقاء «غاية آمال العارفين» ، والذين لم تلهمهم تجارةٌ أو لهوٌ عن ذكر الله ، فسخرَ لهم ما يشاء من خلقه علامةً على رضاه عنهم وبهم ، وبلوغهم محلَّ إكرامه ، فلقد ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾<sup>(٢)</sup> .

وكان سفينةً للراجلين إلى رياض العشق والمعشوق إلى «حبيب قلوب الصادقين».

ومع تحرُّجه الشديد أمام تلك المشاعر السماوية ، إلا أنَّ اللجوء إليه يزداد ويكبر .

وقبل الولوج في صُلب الموضوع أود الإشارة بصورةٍ عابرةٍ إلى الفرق بين المعجز والكرامة ؛ فلقد اقتربت الآراء من بعضها في تعريف المعجز ، وابتعدت نوعاً ما حول من يُوهَب له المعجز ، وأما حول الكرامة فلم أجد ما يشفي الغليل في تعريفها .

وما يمكن لي قوله - بعد أخذٍ وردٍ - هو أن المعجز ما يخرق العادة لإثبات حجةٍ ، وإلزامها على من تصل إليه ، أو حين يتعرض صاحبها إلى

(١) البقرة : الآية ١١٧ .

(٢) المائدة : الآية ١١٩ .

كيدٍ يمسُّ شخصية صاحب المعجز ، أو وظيفته أو مكانته عند الناس ، وتحدث تلك بتسخير العبد لها بعد أن وهبه الله قدرة التسخير .

أما الكرامة فهي التي تحدث دون تسخير وإنشاءٍ من قبل العبد ، وإنما هي موهبة يهبها الله لمن يشاء من عباده ووقتٍ يشاء ، دون أن يكون ذلك التسخير داخلٌ في خيار العبد أو إرادته كما هو بالنسبة للمعجز .

وكما أكرم الله العديد من أبناء المعصومين والعلماء العظام بالكرامات الباهرة ، وكتب الله التوفيق والنجاح لمن توسل إليه بهم فقد منَّ الله بكرمه على عبده الصالح والممتحن (روح الله الخميني) بكراماتٍ لا تقلُّ شأناً عن تلك ، ونذكر منها :

أ - الفراسة في قراءة وتفسير الأحداث ، وتشخيص معطياتها قبل حدوثها ، وهذه من أكبر النعم والكرامات التي منَّ بها الحق تعالى على الإمام الخميني قدس سره ، وتلك الموهبة الإلهية هي العامل الأول والأبرز في انتصار الحركة الإسلامية وتمكُّنها من إقامة النظام الإسلامي الإلهي الأول بعد حكومتي الرسول الأعظم ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام ، والفترة الانتقالية بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام بقيادة الإمام الحسن عليه السلام ، ومن تلك الكرامات :

١ - تنبأ الإمام الخميني بسقوط الاتحاد السوفيتي السابق قبل سقوطه ، وفي وقت انعدام المؤشرات المباشرة ، ونجد ذلك في خطابه لزعيم الاتحاد السوفيتي ، وعرض الإسلام عليه بدل اللجوء إلى الغرب والرأسمالية المجحفة بحق الطبقات الكادحة ، جاء ذلك في الفقرة التي يقول فيها : « ومن الممكن أن يبدو العالم الغربي أمامكم ، وكأنه جنانٌ خضراء ، وذلك بسبب الأساليب الخاطئة ، والسياسات المنحرفة لأقطاب الشيوعية السابقين في المجال الاقتصادي ، ولكن الحقيقة هي في مكان آخر .

إنكم إذا أردتم أن تحصروا جهودكم لحل العقد المستعصية في الاقتصاد الاشتراكي والشيوعية - في هذه المرحلة - باللجوء إلى مركز الرأسمالية الغربية ، فاعلموا أن نتيجة ذلك لن تنحصر في العجز عن معالجة شيء من آلام شعبيكم ، بل ستتجاوز ذلك إلى إيجاد حالة تستلزم مجيء من يعالج آثار أخطائكم ؛ لأنّ العالم الغربي مبتلى - أيضاً - بنفس ما ابتليت به الماركسية - اليوم - من وصول أساليبها في التعامل مع القضايا الاجتماعية والاقتصادية إلى طريق مسدود ، بل وهو مصابٌ بمشاكل أخرى ؛ والفرق هو في الشكل والظواهر» .

ثمّ يستقرئ المستقبل للاشتراكية والشيوعية فيقول : «لقد اتضح للجميع أنّ البحث عن الشيوعية يجب أن يتوجه - من الآن فصاعداً - إلى متاحف التاريخ السياسي العالمي! أما لماذا ؟ فلأنّ الماركسية لا تلبس شيئاً من احتياجات الإنسان الحقيقية» .

كثيرٌ من النظريات الاقتصادية والسياسية لا تقدم شيئاً للإنسانية ، ولا تحل شيئاً من مشاكل الإنسان ، فلماذا تميّزت الشيوعية عنها في كون البحث عنها - من الآن فصاعداً - في متاحف التاريخ السياسي ؟! لاشكّ أنّ فراسته هي التي أسعفته على قراءة كهذه .

٢ - فراسته في تحذير دول الخليج العربية من ارتداد صدام عليها واعتدائه عليها إذا بقي في الحكم بعد انتهاء الحرب ، وذلك في قوله : «اعلموا يا دول المنطقة انه إذا نجا صدام ، واستولى على القدرة والإمكانات فلن يكون الإنسان الذي يعترف بجميل أمثالكم ؛ إنه إنسان يحمل جنون العظمة ، وبهذا الجنون سوف يشعل نار الحرب معكم أنتم الذين ساعدتموه ، وسوف يبيدكم إذا امتلك القدرة على ذلك»<sup>(١)</sup> .

(١) الاستقامة والثبات ، ص ٢٤ .

وهذا ما حدث بالفعل من خلال عدوانه على الكويت ، وتهديده للدول الخليجية الأخرى .

٣ - فراسته في قراءة بعض الأحداث الأخرى كإخباره السيد علي أكبر محتشمي بطول مدة فراقه لزيارة العراق حال خروجه منه . وندع ذلك للسيد محتشمي ليقص علينا الحادثة بنفسه :

«كان البعثيون قد حاصروا منزل الإمام ، ووضعوا لذلك العيون والأرصاد ؛ فانقطع الناس عن زيارة الإمام ، وفي خلال عام ١٩٧٨م كان الحصار على أشده ، وقد أزمعوا من وراء ذلك العمل على إبعاد الإمام عن النجف الأشرف .

وفي هذه الأثناء كانت قد وردت رسالة إلى الإمام ، مُرسلة إليه من شخصية سياسية معروفة ، وقد أعدَّ الجواب عليها ، وطلب إليَّ أن أوصله إليه شخصياً ، وتهيأت للسفر ، ودخلتُ على الإمام لكي أودِّعه ، فرأيته وحده ، ولم يكن أحد حاضراً عنده ، فسلمتُ عليه وأخبرته بأني مسافر إلى سوريا ولبنان ، ورجوته أن يشملني بدعوته ، فنظر إلي نظرة أعقبها بابتسامة ثم قال لي : إن سفرك هذا سيكون طويلاً . وقد استغربتُ من ذلك ، وأردفتُ مستهتماً : لا يخفى على سماحتكم أنَّ مهمتي لا تعدو إيصال رسالتكم ، ولا أظنُّ أنَّ ذلك سيستغرق مدة يومين أو ثلاثة أيام ؛ فهل استجدَّ شيء آخر بالنسبة لي يطيل أمد سفري كما تفضلُّ سماحتكم ؟

وخلاصة القول فقد تحركتُ نحو بغداد مع الأخوين الشيخ فردوسي ، والسيد دعائي ، حيث سلَّمتُني بعض الوثائق لإيصالها إلى سوريا ، ولما وصلتُ مطار بغداد سلَّمتُ حقيبتني لمسؤولي المطار ، حيث وضعتُ في الطائرة ، وجلستُ في قاعة الانتظار لحين السماح بركوب الطائرة قبيل إقلاعها .

لاحظتُ حركةً غيرَ طبيعيةٍ بين أشخاص يرتدون الملابس المدنية ، وقد أدركتُ بأنهم من رجال الأمن والاستخبارات . تقدم أحدهم نحونا وسأل : أيُّكم سيسافر ؟ فأجبته : أنا الذي سأسافر . فاستدعاني للذهاب معه ، وطلب إليَّ إحضار الحقيبة من الطائرة ، وقارن الرقم الملتصق عليها مع الرقم المثبت على بطاقة الطائرة ، ثمَّ قام بتفريغ محتوياتها والأوراق والوثائق التي كانت بداخلها ، ثمَّ أخذوني إلى الطابق الثاني من البناية ، إلى مكتب أمن المطار ، حيث تعرَّضتُ للاستجواب والتحقيق لمدة ساعة أو ساعتين . بعدها أحضروا لي جواز سفري واستمارة طلبوا مني التوقيع عليها . فاستفسرتُ عن هذه الورقة . فقيل لي اقرأها ، ولما قرأتها وجدتُ أنها تحتوي على إقرارى بالسفر خارج العراق دون العودة إليه ثانيةً ، وأن ألتزم بذلك ، وسوف لن تطأ قدماي أرض العراق ، وإذا خالفتُ ذلك ودخلتُ إليه فسوف أقع تحت طائلة الإجراءات القانونية ، وأحاسب على ذلك ، فامتنعتُ عن توقيع الاستمارة أول الأمر ، ولكنهم أصرُّوا على ذلك ، فوقعتُها بعد ذلك ، وهناك تذكرتُ ما تفضلُ به الإمام ، وظلَّت عباراته ترنُّ في أذنيَّ ، وبأخذني العجب ، وكان ذلك شيئاً جديداً يصادفني في حياتي»<sup>(١)</sup> .

ب - تسخير العناصر العاقلة لخدمته ، وفي هذا الصدد نترك الحديث لطيبه الخاص الدكتور مقدس بور (طيبه الخاص لمدة تسع سنوات) :

يقول الدكتور مقدس بور :

«أصيب الإمام في الخامس والسادس من فروردين ١٣٦٥هـ . ش بعارضٍ قلبي شديد . فجاء الحاج عيسى وأخبرني بأنَّ حالة الإمام قد انقلبت ،

(١) الإمام قدوة : ج ١ ، ص ٦٤ - ٦٥ .



وبسرعة وبدون أن أبدل ثيابي ركضتُ إلى بيت الإمام لأرى حفيده والسيد أحمد وزوجته والسيد رضا فراهاني يركضون أمامي قائلين : أسرع يا دكتور! قلت : ماذا حدث ؟ قالوا : إنَّ الإمام ليس بحالةٍ جيدة .

دخلتُ ، وعندما وصلتُ رأيتُ الإمام وقد ألقى رأسه على الحائط ورجلاه على الأرض . المدهش هو أنني في تلك الحالة العصبية لم أضطرب أبداً ولم أرتجف ، وبهدوءٍ - وهذا قطعاً معجزة للإمام نفسه <sup>(١)</sup> - تقدّمتُ ونظرتُ إلى عينيه لأرى أنه في حالةٍ «الميدرياز» <sup>(٢)</sup> الكامل ، ومن الناحية الطبية فإنَّ الأمل فيها بالنجاة بعيدٌ جداً .

باختصار كان القلب متوقفاً عن الحركة كلياً ، وقد زالت كل علائم الحياة من الجسد . قلتُ للسيد فراهاني بأن يأخذ بقدمي الإمام ، وحملناه إلى غرفته ، وهناك مددناه على الأرض ، وقررتُ أن أقوم بعملية الإحياء أو «الريسي ستيشين» ، أي أنني قمتُ بعمل التنفس الاصطناعي والماساج القلبي ، وكنتُ أقوم به وأنا في غاية اليأس .

ولكن بعد عشر دقائق وقعت المعجزة الإلهية الثانية ، وذلك عندما بدأ القلب بالعمل ثانياً ؛ فبدأ القلب أولاً ينبضُ عشر مرات في الدقيقة ، فاختلط

(١) لست بطبيعتي رجلاً هادئاً ، ولكن ذلك اليوم مع أنني كنت أرى إمامي ومرادي وحبیب الشعب الإيراني كله في حالةٍ سيئةٍ جداً ، ولعجبي الشديد فقد كنت في هدوءٍ مدهش ، وأنا أعتقد تماماً بأنَّ ذلك الهدوء كان بإرادة الله ومعجزة شخص الإمام ؛ لأنَّ الله كان يريد نجاة الإمام عبرنا ، وإعادة الحياة مجدداً إلى جسده ، وقدَّر لي أن أجري ذلك ، لهذا أعطيتُ ذلك الهدوء حتى أؤدي عملي بنحوٍ أفضل .

(٢) «الميدرياز» هي أن يمر على توقف القلب عن العمل ثلاث أو أربع دقائق ، وتقريباً فإنَّ عودة الحياة في هذا الظرف بعيدةٌ جداً (منه) .

اضطرابي بسروري ، وفارقني ذلك الهدوء العجيب ، وعاد الخوف يملأ كياني .  
فصرختُ «أحضروا المصل بسرعة ، والأدوريم ، وكذلك جهاز الصعقة  
الكهربائية» ، وكنتُ أصرخ وأنجز أعمالِي بسرعة ، فحقنته بحوالي مَلِّي غرام  
من الأدوريم ، ولحسن الحظ فإنَّ أثره ظهر بسرعةٍ وازداد عدد النبضات إلى  
٤٥ ثمَّ ٥٠ في الدقيقة .

وعندها عاد إليه الوعي من جديد ، وبدأ بالتنفس ، فقال : «إنَّ صدري  
يؤلْمني» ، فعرفنا أنَّه أُصيب بنوبةٍ قلبيةٍ حادَّةٍ ، ظهرت أولاً على صور  
الموت الفجائي والتوقف التام للقلب ، ولحسن الحظ شُفيَ وهدأ الألم  
بواسطة الدواء .

وهذه الحالة - النوبة القلبية - من الاستثناءات الطيبة ، ذلك لأنَّ الذين  
يصابون بها يبدأون عادةً بالتقيؤ وألم القلب ، وهذه العلامات تبعث المريض  
على مراجعة الطبيب . ولكن أُولَى علامات النوبة القلبية عند الإمام كانت  
السكته التي يسمونها (سدندس) أي الموت الفجائي» .

ج - نعمة تسخير بعض العناصر غير العاقلة لخدمته ، وفي ذلك يقول  
شهيد المحراب الثالث آية الله الشيخ محمد صدوقي اليزدي :

«حينما كان قسمٌ من أراضي إيران تحت سيطرة الروس والإنجليز  
والأمريكان ، عند عودتنا من مشهد أوقف الروس السيارة لأجل التفتيش ، فنزلنا  
منها ، ولأنَّ الإمام - ومنذ بداية التكليف - كان مواظباً على صلاة الليل ، ملتزماً  
بأداء هذا العمل مائةً بالمائة ؛ فقد أراد الإمام أن يصلي صلاة الليل ، ولكن لم  
يكن هناك ماء ، ونحن وسط تلك الصحراء . فجأةً لاحظنا ماءً يجري ، فشمَّر  
الإمام عن ساعديه وتوضأ ، ولا ندري إن كان قد بقي الماء جارياً أم انقطع بعدما

أنهى الإمام صلواته ، على كلِّ حالٍ فقد كُنَّا شهوداً كثيرين على تلك الكرامة في  
سفرتنا تلك»<sup>(١)</sup> .

---

(١) قصص من حياة الإمام الخميني : ج ٤ ، ص ١١٧ .

# الفصل الثاني

## من أَدب الوصية

- ◀ تمهيد
- ◀ طريق حديث الثقلين
- ◀ باقر العلوم والمدرسة الجعفرية
- ◀ الإمام والإيمان بالغيب
- ◀ الإمام والجامعات
- ◀ الإمام والعلماء
- ◀ الإمام والحكومة
- ◀ حين لا تغتفر الخطيئة
- ◀ السُّلطة القنائية
- ◀ مجلس الشورى
- ◀ مشيرو انتقادات التخطيطة



## مُهَيَّبَةٌ

الوصية الإلهية التي كتب أسطرها الإمام الخميني بمداد عمره الشريف طاقةً وعلماً وتجربة وزهداً وتقوى ومصابرةً ومرابطةً من أجل المسلمين والشعوب المستضعفة ، لم تكن وصايا على صورة أوامر تُفرض على الناس بالطريقة العسكرية، وإنما هي حقائق تلمس الواقع مباشرة ، ولا تحيد عمّا يجب أن يقال عنه .

ورغم ذلك فهي لا تحبس العقول الأصيلة والمجددة في إطار تصوّرٍ واحدٍ للواقع ، وإنما هي مفتاح انطلاقاتٍ إسلامية أصيلة ومستوعبة للحياة من خلال الوحي ومدرسة أهل البيت عليه السلام ، وتترك العقول المفكرة تستنير بتلك الوصايا لتشعّ الحياة بإبداعاتها .

وها هي الثورة الآن تعيش ذلك التنوع الذي لا تقوى عليه أنظمة العالم الإسلامي المتبجّحة بالديمقراطية .

وقد احتضن الإمام ذلك التنوع في فهم الحياة الإسلامية ، وصاغ وصيته على أساسه ، ولكنه اشترط لنزاهة ذلك التنوع التقوى والإخلاص والكفاءة ، واعتمد في ذلك على التركيز على القضايا الكبرى التي تدخل تحت عنوان (الثوابت) ، والتي يشكّل تجاوزها مشكلة قانونية تعرّض الاستقلال لخطرٍ داهمٍ ، قد لا تتوفر الإمكانية عندئذٍ لمواجهة سلبياتها .

وهذا ما أشار إليه في رسالته إلى الشيخ محمّد علي الأنصاري في قوله :

« .. يجب أن يظلّ باب الاجتهاد مفتوحاً في الحكومة الإسلامية ، فطبيعة الثورة والنظام تقتضي - بصورةٍ مستمرة - أن يتم طرح الآراء الاجتهادية

الفقهية في مختلف المجالات بحرية ، حتى إذا كانت متعارضة ؛ فلا يمكن ولا يحق لأحدٍ منعها»<sup>(١)</sup> .

وهذا ما دفعني إلى كتابة ما نهضت به قراءاتي المتكررة للوصية تحت عنوان « من أدبيات الوصية » .

وأول ما افتتحت به هذه القراءة ما افتتح به الإمام وصيته ، وهو الحديث عن العترة «تراجمة وحي الله» .

### العترة

افتتح الإمام الخميني قدس سره وصيته الإلهية بالحديث الشريف : «إني تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»<sup>(٢)</sup> ، وافتتاح مقدمة وصيته بهذا الحديث الشريف له دلالاته ومؤشرات حول سير الكلام في مقدمة الوصية ، وما ستضمّنه بنود الوصية بعد ذلك .

فمقدمة الوصية تحدثت عن قضايا امتازت بميزتين :

**الأولى :** كونها بمثابة الثوابت عند الإمام قدس سره .

**والثانية :** كونها من القضايا المغفول عنها أو المستهدفة من قبل الأعداء ، مع أنّ موقعها هو موقع الصدارة في سلم الثوابت والأولويات ، وهي ذات قيمة عالية في تحديد الهوية والشخصية الإسلامية .

ولذلك نجد في أولويات الوصية ، الآتي :

(١) ريادة الفقه الإسلامي ، ص ٨٦ .

(٢) مستدرك الصحيحين للحاكم النيسابوري : ج ٤ ، ص ١٢٩ ح ٤٧٦٥ . ط دار المعرفة بيروت .

- ١- القرآن الكريم .
- ٢ - العترة المطهرة .
- ٣ - الأحكام الإلهية .
- ٤ - الحكومة الإسلامية .
- ٥ - الجمهوريّة الإسلاميّة .
- ٦ - الغزو الثقافي والاقتصادي .

وعند الحديث عن العترة ؛ فإنه يركز في التأكيد على أهمية ربط العترة بالقرآن على أنهما صنوان<sup>(١)</sup>، لن يفترقا حتى اللقاء عند الحوض برسول الله ﷺ .

ولذا نجده يشدد على جملة: «إني تارك فيكم» وجملة: «فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» ، مؤكداً على التكامل العضوي لجملة: «لن تضلّوا بعدي أبداً» في جملته: «وأن هجر أيّ منهما هجر للآخر» .

فالقرآن يؤكّد على العترة ، والعترة تؤكّد على القرآن ، وهذان التأكيدان هما على نحو الثوابت ، وليس على نحو المندوبية لقوله: «ما إن تمسكتم بهما فلن تضلّوا أبداً» .

وتواتر الحديث لم يأتِ فقط لكثرة رواته ، بل - أيضاً - للتأكيد المستمر من قبل رسول الله ﷺ في مواقع عدّة على الثقلين ، وبذلك جاء الحديث بألفاظ مختلفة منها هذا الذي رواه الإمام وأعقبه بقوله: «وقد روته كتب أهل

(١) إذا خرجت نخلتان من أصل واحد ، فكل واحدة منهما صنوّ . (الناشر) .



السنة من الصحاح الستة وغيرها من كتبهم ، متواتراً عن الرسول الأكرم ﷺ بألفاظ متعددة وموارد متكررة»<sup>(١)</sup> .

وهذا الحديث الشريف - بناءً على أهميته وتواتره - يضع لنا آيتين لضمان الاستقامة على الصراط المستقيم ، وهما :

الأولى : القرآن الكريم .

والثانية : العترة .

وهما تعنيان التأكيد على عنصرين مهمين في حياة الأمة ، وهما : الهوية الثقافية للأمة ، وآلية ترجمة تلك الهوية إلى واقع عملي في حياتها من خلال الكوادر .

فهما يعنيان الرمز والهوية ، وهما لا يفترقان حتى يحصل تصادم بينهما ، فبين القرآن والعترة لن يحدث ذلك أبداً ، ولذا قال ﷺ : « حتى يردا علي الحوض » .

وهذا الأمر يصعب على أي عاقل منصف أن يكابر فيه ؛ فالحفاظ على أي تشريع لا يمكن إلا من خلال وجود آليات فهمه وتطبيقه كما هو في واقع الأمة .

وقد أكد على ذلك القرآن والرسول الأعظم ﷺ ، فقد جاء في القرآن قوله تعالى :

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَنْبِطُونَهُ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقال النبي ﷺ : « لن يفترقا حتى يردا علي الحوض » .

(١) الوصية السياسية الإلهية ، المقدمة . وسيأتي في الفصل الرابع من هذا الكتاب النص الكامل لوصية الامام الخميني تمثل السياسة الإلهية .

(٢) النساء : الآية ٨٣ .

ولما كان من الصعب إعلان الحرب على القرآن وأحكامه وسننه ، كان الأهلون ممارسة أي سبيل يمكن من خلاله تحقيق أهداف حرف الإمامة عن أهلها الحقيقيين ، فكان إبعاد العترة في مقدمة الخطوات العملية في تأسيس مشروع الحكومة الأخرى ، وكان ذلك ابتداءً من تجميد حركة الجيش الموجه لحرب الروم أيام مرض الرسول الأعظم ﷺ مروراً بمقولة : « إن النبي يهجر »<sup>(١)</sup> ، وخطوات أخرى كلّف كل منها مشروع حكومة العدل الإلهية كثيراً ، وزاد من صعوبة تلافي أخطار ذلك المشروع الخطير ، ولذلك لم يقل الإمام : « أبعادوا أهل البيت » ، وإنما قال : « أبعادوا مفسري القرآن الحقيقيين » ، وليس ذلك متوفراً لأي أحدٍ وإنما هو للذين « تلقوا القرآن كله من الرسول الأكرم » .

وهذا الهجران للعترة يقتضي الهجران الأكيد للقرآن ؛ لأن « هجر أي منهما هجر للأخر » ، عندها سيشكو المهجوران حالهما إلى رسول الله ﷺ .

(١) الهجر بالفتح الهذيان عند المرض أو النوم .



## طريق حديث الثقلين

ذلك الحديث الذي ربط العترة بالقرآن ، « وأن هجر أي منهما هجر للآخر » لا بد أن يكون طريقه لرسول الله في أعلى مراتب التواتر ، ليكون حجة على جميع أهل الملة بجميع طوائفها ، ولذلك لم ينس الإمام الإشارة إلى ذلك فقال : « ويلزم التذكير هنا بأن حديث الثقلين متواتر بين جميع المسلمين »<sup>(١)</sup> .

ولأن الإمام فقيه ومن مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، فإنه يلزم - ليكون الحديث الذي جاء به حجة على جميع المسلمين - إثبات تواتر الحديث عند جميع الطوائف المعنية بمقتضى الحديث ، ولذلك قال : « وقد روته كتب أهل السنة من الصحاح الستة وغيرها من كتبهم ، متواتراً عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بألفاظ متعددة وموارد متكررة »<sup>(٢)</sup> .

### حجية الحديث على البشرية جمعاء

ختم الله سبحانه وتعالى شرائعه بدين نبيه الأعظم صلى الله عليه وآله خاتم الرسل والأنبياء ، وجعله منهاجاً للبشرية جمعاء ، وهذا يعني تكامل القابلية لدى إنسان ما بعد البعثة النبوية المقدسة لاستيعاب هذا الدين وتعقله ، وتوفير

(١) الوصية السياسية الإلهية ، المقدمة .

(٢) هناك لفظة مهمة وهي : قوله روته كتب أهل السنة ، ثم بين ما يقصده من ذلك بقوله : الصحاح الستة وغيرها ، وهذا يعني عدم لزوم التدقيق في روايته ، إذ يكفي أن يكون صحيحاً على شرط بعض أصحاب الصحاح ليكون معتمداً من جهته بناءً على شرطه . والصحاح التي روته : صحيح مسلم : ج ١٥ ، ص ١٨٠ ، وهو صحيح على شرط البخاري ولم يخرجها ، وصحيح الترمذي : ج ٥ ، ص ٦٦٢ ، ومستدرک الحاكم : ج ٣ ، ص ١٤٨ ، وصحيح النسائي نقله عنه المتقي الهندي في كنز العمال .

الآلية المستوعبة لحقيقة الرسالة بتمامها لتصبح قناة الاتصال بين الأمة وبين حقيقة وجوه الدين ، وهذا الدين وتلك القنوات يراعيان في مفرداتهما ورؤاهما التشريعية تنوع القابليات والظروف .

لا يوجد إنسان ليس مرتبطاً بدين - مهما كان ذلك الدين - ولو كان دين خرافة ، فالجانب المعنوي لدى الإنسان لا يملؤه غير الدين .

ونظراً إلى أن الإسلام جاء للبشرية جمعاء لنزعة الإنسان إلى بلوغ أرقى مراقي الكمال ؛ فإنه غير معذورٍ عندما يسمع نداء التوحيد والذي تنزع إليه فطرته ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾<sup>(١)</sup> ، ولذلك فإنّ أي نداءٍ للتوحيد يطرق سمع قلبه فإنه هو المسؤول عن اختياره غير سبيل المؤمنين .

صحيح أنّ مستوى الحجة التي يُلزم فحواها سامعها تتناسب وحجم القابلية التي يتمتع بها ، لقوله تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾<sup>(٢)</sup> ، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه أجاب أحد أصحابه في هذا الشأن عندما سأله: «من لم يعرف شيئاً ، هل عليه شيء ؟ قال : لا»<sup>(٣)</sup> ، والله تبارك وتعالى أكّد على ذلك ، كما مرّ في الآية الشريفة ، ولأن حجة الله لا بد أن تكون بالغة ، قال أبو عبد الله عليه السلام : «إن من قولنا : إن الله يحتجُّ على العباد بما آتاهم وعرفهم ، ثم أرسل إليهم رسولاً ، وأنزل عليهم الكتاب ، فأمر فيه ونهى»<sup>(٤)</sup> ، بعد أن تكون الحجة بالغة في قوله تعالى : ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾<sup>(٥)</sup> ، من هنا

(١) الروم : الآية ٣٠ .

(٢) الاسراء : الآية ١٥ .

(٣) الكافي : ج ١ ، ص ١٦٤ .

(٤) الكافي : ج ١ ، ص ١٦٤ .

(٥) الانعام : الآية ١٤٩ .

جاء استخدام الإمام **تدئ** أداة (لاسيما) وهي أداة تخصيص لما بعدها ، ويريد بها تحجيم الأثر الناتج عن حجة هذا الحديث على غير المسلمين ؛ ويتبع ذلك بقوله: «**وإن كان هناك عذر للجاهلين الذين لا اطلاع لهم**»<sup>(١)</sup> ، معتبراً الجهل غير المقصود نافذةً يمكن أن ينفذ منها العوام خلاصاً من مسؤولية الانحراف عن العترة .

وقوله: «**حجة قاطعة على البشرية جمعاء**» مستثنياً من (البشرية جمعاء) عامتهم «**الذين لا اطلاع لهم**» ، ولذلك لا بدّ من أساسين :

**الأوّل** : أن الحجة ما لم تكن بالغة فإنها غير ملزمة لأحد ، بناءً على جواب الإمام الصادق لأحد أصحابه بعد سؤال الأخير : «**من لم يعرف شيئاً ، هل عليه شيء؟ قال : لا**» .

**والثاني** : إن معرفة حقيقة أهل البيت كأدلاءً على الله والحقيقة - من أي جهة يتم ذلك - فإنّ من بلغه ذلك يلزمه أن لا يأخذ الحجة إلا عنهم ، ومثال ذلك : هناك بعض المسيحيين الذين تعرفوا على أمير المؤمنين **عليه السلام** إلا أنهم التزموا (على الظاهر) بمسيحتهم على الرغم من تسليمهم بصدق وحجة ما ثبت أن الإمام علي **عليه السلام** قاله ، كبولس سلامة وجورج جرداق .

كل تشريع في الإسلام يلزم البشرية كلها - بموجب كونه حجة بالغة - ومن ذلك أساس الإسلام بعد الشهادتين الإيمان بالولاية المتمثلة في حديث الثقلين .

وفي زماننا هذا تكون الحجة ألزَمَ على الجميع في كون الحصول عليها سهلاً ويسيراً بفضل وسائل الإعلام العالمية التي مكّنت الراقد على فراشه أن يطلع على أخبار العالم المعنوية والثقافية والاقتصادية والسياسية ، وما أحدثته

(١) الوصية السياسية الإلهية ، المقدمة .

الثورة الإسلامية الإيرانية في العالم اليوم من قفزة فوق المفاهيم الهشة والرتيبة التي تُصادرُ بها ذهنية الإنسان المعاصر ، من خلال تعميق الرؤى الإسلامية وتأصيلها ، وإثرائها الفكري ، وقدرتها على معالجة الفراغ الفكري لدى إنسان اليوم ، فأظهرت عمق الذهنية الإسلامية وسموها المعرفي ، وذلك في حد ذاته حجة من حيث وصول الحجة البالغة إلى الإنسان ، تبقى مسألة انفتاحه على كل ذلك ، وتلك هي مسؤوليته .

وتلك الضجة العالمية التي خلقها صعود قادة آخر الأديان وأنقاها إلى موقع الإدارة والحكم في بلد بحجم إيران وموقعها وإمكاناتها ، لا بد وأن يثير تطفُّل المفتقرين إلى معرفة ذلك العالم والهوية التي استعان بها في الوصول إلى هذا الموقع وهذه العالمية .

وإماتة أية إشعاعاً للحجة من قبل أي إنسان بتغافله أو صدوده ، أو باستجابته لجهات مصادرة حقه في التفكير يحمله مسؤولية عدم اهتدائه للحق ، من هنا قال : «حجة على البشرية جمعاء» .

### الحجة أعظم على علماء المذاهب الإسلامية

وتتعاظم الحجّة والمسؤولية على علماء المذاهب الإسلامية من غير الشيعة أكثر من عامة الخلق ؛ لأن الحديث وتواتره موجود في تلك المصادر التي يلقنونها أتباعهم بما يعتقدون ؛ ولا يفيدهم البحث عن ألف معنى لمفردة «مولاه» لتوجيه حديث : «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه»<sup>(١)</sup> ، والركون إلى

(١) أخرجه الحافظ الطبراني في المعجم الكبير المجلد الخامس من عشرين طريقاً بالأرقام :

٤٩٦٨ ، ٤٩٦٩ ، ٤٩٧٠ ، و... ، وصححه الألباني على شرط الشيخين .

وأورد العلامة الأميني رضوان الله عليه أسماء مئة وعشرة من الصحابة انتهت إليهم رواية حديث

الغدِير: ج ١ ، ص ٣٥ .

ضعيف حديث «وستتي»<sup>(١)</sup> - مع أن السنة هي الداعي الصريح للتمسك بالعترة بحجم تواتر حديث الثقلين - أو البحث عن «البر بأهل بيته» بوصلهم بالمال ، أو بالركون إليهم عند عجز فقهم عن حل الإشكالات التي تواجه شرعية ما هم عليه .

بعد ذلك تطرق الإمام إلى مسألة إبعاد العترة بتلك الذرائع التي تم بموجبها تجاهل «إني تارك فيكم الثقلين» وذلك بهدف إبطال حكومة العدل الإلهية ، إذ أن هؤلاء الطامعين يرون في العترة الوارث الحقيقي الذي يصادر عليهم رغبتهم الجامحة في الاستيلاء على منصب الخلافة .

وقد تضخم بذلك حجم الانحراف لاعتماد الأسس المنحرفة في تكوين تلك النظم ، من هنا قال : «وكلما ارتفع هذا البناء المعوج ازداد الاعوجاج والانحراف» .

قبل أن أختتم الموضوع أودُّ الإشارة إلى أن الإمام قدَّم لم يفصل الحديث عن العترة عند الحديث عن القرآن وكذلك العكس ، باعتبار أن «هجر أي منهما هجر للآخر» ، لا لغرض إثبات هويته المذهبية ، أو هوية نظامه العقيدية ، وإنما لغرض الإشارة إلى أنه إذا أريد الإسلام الذي جاء به جبرائيل إلى النبي الأعظم محمد ﷺ ، فإنه لا يمكن الحصول عليه عن طريق تجاهل من أرادهم الله ورسوله مبلغين لأحكامه إلى العباد وكلَّفهم بتطبيقها بعد وفاة النبي الأعظم ﷺ ، وما سوى ذلك فإن الإسلام الذي يُعرض للناس خديج لا يرضي الله ولا رسوله .

(١) (لو تتبع الخبير سند حديث : (عليكم بستي وسنة الخلفاء .. ) لوجد رجاله مجروحين مطروحين عند نقاد أهل السنة ورجال الحديث ، وعلى ذلك فإن دعوى صحته باطلة) العباة : ج ٢ ، ص ٣٣٩ .



## مأساة القرآن

قال الرسول الأعظم ﷺ: «... فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن؛ فإنه شافعٌ مشفعٌ وماحلٌ مصدقٌ»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «القرآن هدىٌ من الضلالة، وتبيانٌ من العمى، واستقالة من العثرة، ونورٌ من الظلمة، وضياءٌ من الأحداث، وعصمةٌ من الهلكة، ورشدٌ من الغواية، وبيانٌ من الفتن، وبلاغٌ من الدنيا إلى الآخرة، وفيه كمال دينكم، وما عدل أحدٌ عن القرآن إلا إلى النار»<sup>(٢)</sup>.

هذا العرض الرائع، والوظائف السامية للقرآن الكريم تعيش حالة من التعطيل والإيقاف، وإعمال الفكر الوضعي والمنحرف في صياغة بنى جديدة تتعارض مع أطروحات القرآن في شتى الصعد الحياتية، إذ يقول الإمام قدس عن ذلك وهو يتحسر: «وللأسف فإن القرآن - هذا الكتاب المصيري - ما كان له من دور وإلى الآن سوى في المقابر والمآتم»<sup>(٣)</sup>.

وليت الأمر كان متوقفاً عند هذا الحد، كلا؛ فلقد تجاوز الأمر إلى درجة اتخاذه وسيلة لتأسيس حكومات معادية للقرآن، ووسيلة للتفرقة وإثارة الخلاف.

فالقرآن وهو دستور الحياة البشرية الأعظم قد تناول شتى الجوانب الحياتية للإنسان، وأعطى موقفاً محاكياً لحاجة الواقع والإنسان، وبالتالي يكون الأنكى من تحييده اتخاذه وسيلة لبلوغ أهدافٍ خبيثة، وذلك من خلال

(١) الكافي: ج ٢، ص ٥٩٩ نشر دار الكتب الإسلامية.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٦٠١ نشر دار الكتب الإسلامية.

(٣) الوصية السياسية الإلهية، المقدمة.

استغلال الظاهرة التي فيه «حمال ذو وجوه»<sup>(١)</sup> وهي أشد وأنكى على قلب رسول الله ﷺ .

فتأسيس حكومة معادية للقرآن نفسه تعتبر حالة في غاية الاشمئزاز ، ويتساءل المرء كيف يكون ذلك؟ والقرآن «هدى من الضلالة ، ورشد من الغواية ، وبيان من الفتن ، وعصمة من الهلكة» .

وهذا ما أكده أمير المؤمنين في قوله : «القرآن حمال ذو وجوه» . بمعنى أن القرآن ينطق بعضه ببعض ، ويشهد بعضه على بعض ، واستفرد تلك الآيات وفصلها عن بعضها يصبح «حمالاً ذا وجوه» ، وفن القرآن يكمن في أن «خصوص المورد لا يُخصَّصُ الوارد» .

ولذا تمكَّن الوضعيون من بلورة أطروحاتهم الوضعية من خلال الاستفادة من ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾<sup>(٢)</sup> ، بعد أن حرَّر هذا النص من قيده المتمثل في ﴿مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾<sup>(٣)</sup> ومثال ذلك لا عدَّ له .

وعندما يحمل الإمام قَدْحُ على محمد رضا بهلوي فيما يتعلق بتظاهره في القيام ببعض الطقوس الدينية أو خدمتها ، إنما لحماية تلك الطقوس من أن ينجح مشروع استغلالها كوسيلة وجسر عبورٍ لأهداف أخرى هي في حدِّ ذاتها معادية للقرآن .

(١) عبارة وردت في وصية أمير المؤمنين عليه السلام لابن عباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج ، قال له :

(لاخاصمهم بالقرآن فإن القرآن حمال ذو وجوه ، تقول ويقولون ، ولكن خاصمهم بالسنة) نهج

البلاغة ج ٣ كنه ورسائله ووصاياه ص ١٣٦ .

(٢) الشورى : الآية ٣٨ .

(٣) الأحزاب : الآية ٣٦ .

ومن ذلك قيام محمد رضا بهلوي بطباعة القرآن ، ليخدع به « الأصدقاء الجهلة » كما عبّر عنهم الإمام قَدْ تُرْ لِيَتِمَكُنْ من خدمة مشروعه المعادي لأهداف القرآن ، ومصادرة حقّه في صياغة حياة الإنسان وفق ما تريده السماء .

وَيُرْجِع الإمامُ أساس المشكلة هذه إلى إبعاد مفسّري القرآن الحقيقيين ، العارفين بالحقائق الحقّة « الذين تلقوا القرآن كلّهُ من الرسول الأكرم » .

فعندما يقول الرسول ﷺ : « عليّ مع القرآن والقرآن مع علي ، لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض »<sup>(١)</sup> ، وعندما يقول : « ولا تعلموهم ؛ فإنهم أعلم منكم »<sup>(٢)</sup> إنما ذلك تأكيدٌ منه على أنّ أهل البيت هم القرآن الناطق ، فالقرآن معهم وهم مع القرآن ، وليس لأحدٍ أن يعلمهم أو أن يتقدّمهم .

ولما انحرفت الأمة عن أهل القرآن أصبحت معرفة الله كمعرفة الإنسان لمثيله في الخلق ، وهو الذي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾<sup>(٣)</sup> ، وأصبح القرآن يعرّض بأهله عندما يقول لمن أنزل لهديتهم : ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

ويوضّح الإمام أن ذلك الانحراف إنما تمكن من بسط هيمنته لسبيين ، هما :

## ١ - الأعداء المتآمرون .

(١) أوردته الحاكم في المستدرك : ج ٣ ، ص ١٢٤ . وصرح الذهبي في ذيل الصفحة بصحته . المناقب للخوارزمي الحنفي ، ص ١١٠ ط / الحيدرية ، وص ١٠٧ . ط / تبريز . المعجم الصغير للطبراني : ح ١ ، ص ٥٥ .

(٢) كنز العمال : ج ١ ، ص ١٦٨ ح ٩٥٨ . الدر المنثور للسيوطي : ج ٢ ، ص ٦٠ . الصواعق المحرقة : ص ١٤٨ و ٢٢٦ ط المحمدية .

(٣) الشورى : آية ١١ .

(٤) الأنفال : الآية ٦٧ .

## ٢ - الأصدقاء الجهلة .

وهذان الصنفان لم يكدا أي خطاب للإمام فتش يتحدث فيه عن ولوغ مؤامرة في المجتمع الإسلامي يخلو منهما ؛ لأن المتأمرين يحاولون إيجاد أرضية صالحة لتمرير مخططهم التأمري بحق القرآن والأمة ، ونافذة ينفذون من خلالها إلى جسم الأمة لتسميمه وتخديره ، فوجدوا « الأصدقاء الجهلة » . ويقصد الإمام بالأصدقاء هم الشريحة المتمتية للحوزة العلمية ، والتي يسهل خداعها ببعض المفردات الدينية التي يتبجح بها المدعون .

ولاشك أن مقدمة كل ذلك الانحراف بعد إبعاد مفسري القرآن عن تفسيره والعمل بمقتضاه هو حصر الاستفادة منه في مجال تلاوته استحلاباً للأجر ، حتى غدا الساعون إلى تطبيقه غرباء أجنب عن القرآن وفهمه وهم أهله . إذ اعتنى الناس بسرد روايات فضل تلاوة السور والآيات ، ولا تجد أي اعتناء بالآيات أو الروايات التي تتحدث عن تطبيقه كدستور للحياة الإنسانية وفق إرادة الله .

فالقرآن لم يأت كتاب تلاوة ليس فيه إلا استحلاب الأجر والثواب ، ولو كان كذلك لم تكن هناك أي حاجة إلى التعمد بحفظه عن التحريف والزيادة والنقصان كما نصت الآية الكريمة على ذلك : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾<sup>(١)</sup> ، ما دام لا يرجى منه إلا الثواب ، فهناك رواية تتحدث عن أجر القارئ الذي يتحصّل على الأجر حتى وإن شقت القراءة على القارئ أو ظل يتتعتع فيها ، وخطأه في القراءة يعني خطأه في فهم مقاصد الآيات التي قرأها وهي تقول : ( الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن

(١) الحجر : الآية ٩ .

ويتتبع فيه وهو عليه شاق له أجران<sup>(١)</sup>، ولو توقف الأجر على حصره في القراءة لم تكن هناك ضرورة في حفظه مادام الأمر متوقفاً على قراءته، كيف والأجر مضاعف لمن قراءته تحيد بفهمه عن مقاصد القرآن؟

إذن، فالقرآن ليس مجرد كتاب تلاوة يُستحلب منه الأجر فحسب، وإنما دوره الأساسي «السمو بالبشرية إلى ما يجب أن تسمو إليه»<sup>(٢)</sup>، وهو الذي تنزل من أجل «الوصول بالعالم إلى القسط والعدل، وتسليم الحكم إلى أولياء الله المعصومين (عليهم صلوات الأولين والآخرين)»<sup>(٣)</sup>.

### حديث الفخر

من ذلك التنوع الملحوظ في الوصية الإلهية ظاهرة «نحن نفخر»، وهي ظاهرة الفخر بالقيم التي تعتبر في مقدمة الأولويات، والتي يقوم على أساسها بناء الشخصية المستقلة وبناء الكيان المستقل، وفي «نحن نفخر» رموز الأمة ومفاهيمها وقيمها السامية، وبالتالي يكون الفخر بتلك الرموز والمفاهيم والقيم، نزعة موضوعية نحو تلك الأولويات، وهي صنعة العقل المتسامي والراشد.

والأولويات التي فخر بها الإمام هي:

١ - الإسلام كدين .

٢ - القرآن كمنهج حياة .

٣ - التمدب بمذهب يهدف إلى إنقاذ القرآن من المقابر .

(١) مقدمة القرآن الكريم (الطبعة الدمشقية) والمذيلة بتفسير معاني كلمات القرآن وأسباب النزول للنيسابوري .

(٢) الوصية السياسية الإلهية، المقدمة .

(٣) الوصية السياسية الإلهية، المقدمة .

٤ - والتمذهب بمذهب وُضِعَتْ أسسه بأمر من الله ورسوله الأكرم ﷺ .  
هذه مقدمة الأوليات .

ثم سرد بعدها فخره بتطور فهم الشعب الإيراني وتفاعله الإيجابي وبحرارة مع خطه السياسي ، والمستخلص من فقه القرآن والعترة الطاهرة ﷺ وهو يعتبر أعظم خطأٍ حركيٍّ دينيٍّ في القرون الأخيرة ، يهدف إلى تجسيد الأطروحة الدينية بتمامها وتحويلها إلى واقعٍ عمليٍّ ، وعلى رأس أولويات تلك الأطروحة النظام السياسي .

وعندما يفخر بتدُّد بالإسلام والقرآن وهو الانتماء إلى الوحي والدين ؛ فإنما يريد بذلك التأكيد على الهوية والفخر بها ، فلا خجل من الهوية ما دام مصدرها السماء .. تلك الجهة التي لا تنكَّب فيها عن الطريق ، ولا وجود فيها للظنِّ والتخمين ، فالإسلام والقرآن هما العقيدة والقانون ، وذاتك قوام الأمة ، وهما الضمانة لاتصالها بالله ، والضمانة الحقيقية لتلك القيم ولديمومتها .

ثمَّ بعد ذلك تحدَّث عن التفاصيل في قضيته حول الانتماء المذهبي ، لافتاً النظر إلى هوية هذا المذهب ، الذي ما فتئ ضعاف النفوس يلمزونه بما ليس فيه ، فيقول : « نحن نفخر بأننا أتباع مذهب أسسه رسول الله بأمر من الله تعالى » .

إنَّ هذه المقولة تقرر أن يطلع القارئ على حقيقة هذا الادعاء ؛ فعندما افتتح مقدمة وصيته بالحديث الشريف « إني تاركٌ فيكم الثقلين » وقال عنه : إنه « حجة قاطعة على البشرية جمعاء ، لاسيما المسلمين بمختلف مذاهبهم » ، فإنه يؤكد بعد ذلك في قوله : « أسسه رسول الله بأمر من الله تعالى » ، على أن الأمر ليس فعلاً اجتهادياً في الإيمان بأولئك الناس المشار إليهم في الحديث ، وإنما هو استجابة طوعية لأمر الله تبارك وتعالى ورسوله ﷺ .

قال الإمام عليه السلام: «أسسه رسول الله بأمر من الله تعالى»، إذن هناك أسسٌ وضعت بأمر من الله فما هي تلك الأسس؟

ورصيد الإجابة على هذا السؤال لدينا يقول:

إن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾<sup>(١)</sup>، وتواتر النصوص في تثبيت مناسبتها يؤكد على الأساس الأول والأهم من بين تلك الأسس، وهو الإمامة.

بعد التوحيد والنبوة تأتي الإمامة، وقد تواترت عشرات النصوص في التأكيد على الإمامة نظراً إلى رغبة الكثيرين في صرفها عمّن عيّنهم النص، على أنها قناة الوصل النقية بين الله تبارك وتعالى والأمة بعد رحلة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، وتأكيدها على أن «لا تخلو الأرض إلى أن تقوم الساعة من حجة فيها، ولولا ذلك لم يُعبد الله»<sup>(٢)</sup>؛ ولذلك فعندما يقول النبي صلى الله عليه وآله: «لا يؤذي عني إلا أنا أو علي»<sup>(٣)</sup> ويقول لعلي عليه السلام: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي»<sup>(٤)</sup>، و«علي مني بمنزلة رأسي من بدني»<sup>(٥)</sup>، و«علي أخي ووزير، ووارثي ووصي، وخليفتي في أمتي»<sup>(٦)</sup>، و«من كنت مولاه فهذا علي مولاه»، إنما يريد التأكيد على وجود تلك الحجة في الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله.

(١) المائدة: الآية ٦٧.

(٢) الإمام المهدي عليه السلام وظهوره، ص ١٧٤.

(٣) سنن ابن ماجه في باب فضائل الصحابة: ج ١، ص ٤٤ ح ١١٩. صحيح الترمذي: ج ٥، ص ٣٠٠ ح ٣٨٠٣. خصائص أمير المؤمنين للنسائي الشافعي، ص ٣٣ ط بيروت.

(٤) صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة تبوك. صحيح مسلم كتاب الفضائل باب مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٥) الصواعق المحرقة، ص ١٢٣ ط المحمدية. تاريخ ابن عساكر: ج ٢، ص ٣٧٥ ح ٨٧٠.

(٦) إكمال الدين واتمام النعمة للصدوق، ص ٢٧٧.

وهي بمثابة وجود للنبي ﷺ، وهذا ما أشار إليه النبي في قوله «من أحب أن يحيا حياتي ويموت مميتي ، ويدخل الجنة التي وعدني ربي ، وهي جنة الخلد ، فليتلو علياً وذريته من بعده ، فانهم لن يخرجوكم باب هدى ، ولن يدخلوكم باب ضلالة»<sup>(١)</sup> .

إذن وجود مثل هذا الشخص الذي يمثل النبي الأعظم ﷺ تمام التمثيل هو الضمانة لتلك الأسس التي قام عليها الإسلام ، وبالتالي فالإيمان بالإمامة هو إيمان بكل ما جاء به الإسلام .

والأسس الأخرى هي نفسها التي اعتمدت في مذهب أهل البيت عليهم السلام ، سواء فيما اتفق المذهب عليه مع المذاهب الإسلامية الأخرى ، أو ما اختلف فيه معهم .

ولضمان بقاء تلك الأسس بنفس ما نصت عليه النصوص لا بُدَّ أن تكون الشخصية التي تُكَلَّفُ بالعمل به - كما هي في الأمة - تحمل سمات سماوية بنفس المضمون المقدس الذي حمله صاحب الرسالة ، ليكون بنفس التحمل لمشاق الطريق وعناء المجهود وذلك الشخص هو أمير المؤمنين عليه السلام إذ يقول : «فيما كُلف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - هذا العبد المحرر من جميع الأغلال - بتحرير البشرية من كافة القيود والعبوديات»<sup>(٢)</sup> .

وهو يحمل في ذاته تلك الوظيفة المكلف بها ، فيقول عنه : «هذا العبد المحرر من جميع الأغلال» .

ثم بدأ بسرد المفاخر تباعاً ، والتي يرى أن المدارس الأخرى غير مدرسة أهل البيت عليهم السلام لا تملك مفاخر مثلها لتفاخر بها .

(١) كنز العمال : ج ٦ ، ص ١٥٥ ح ٢٥٧٨ . المناقب للخوارزمي ، ص ٣٤ . ينابيع المودة ، ص ١٤٩ .

(٢) الوصية السياسية الإلهية ، المقدمة .



فتحدّث عن امتياز مذهبه بقوله : « نحن نفخر ، ويفخر شعبنا المتمسك بكلّ وجوده بالإسلام والقرآن بأننا أتباع مذهبٍ يهدف إلى إنقاذ القرآن من المقابر»<sup>(١)</sup> .

وقد يفرز سماع هذا النص سؤالاً وهو : كيف يكون هذا المذهب كذلك ، وهو لم يطرح مشروعاً أو نظرية للحكم بعد غياب الإمام الثاني عشر إلا في العصور الأخيرة ، فيما لازالت مجموعة منه يعتد بها ترفض أي مشروع أو نظرية في هذا الصدد؟ كما إننا نجد أن بعض الذين اتخذوا القرآن للقراءة في المقابر هم من اتباع المذهب الذي يفاخر به الإمام تَدكُّل؟

وهذا سؤال جدير بالطرح ، فجدير بنا أن نرى إذا كان المذهب أو أتباعه يملكون جواباً له ، سواء على مستوى التنظير ، أم على مستوى التطبيق .

والجواب لا يخلو من حاجة إلى القراءة التاريخية لمعرفة ظروف وملابسات ذلك الموقف ، وهل حدث ذلك بفعل تسبُّد سلوك العوام من الناس ، أو الذين وصفهم الإمام نفسه بـ «الأصدقاء الجهلة»؟ أم أنه يريد أن ينقل نظراءه من الشيعة - خاصهم وعامهم - إلى مستوى أرفع من التفكير والمسؤولية ، والخروج بالقرآن إلى دوره الواقعي والحقيقي في هداية المجتمع ؟

ويتمحور الجواب في نقطتين :

**الأولى : على المستوى النظري .**

**الثانية : على المستوى العملي .**

**أما على المستوى النظري فنقول :**

(١) الوصية السياسية الإلهية ، المقدمة .

أولاً : نظرية الإمامة ، وهي نظرية أو مشروع حياة متكامل في حد ذاته ، ونموذجها العملي ممارسة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

ثانياً : نظرية ولاية الفقيه ، وهي نظرية منعت من طرحها أو ممارستها الظروف القاسية ، وهي نفس الظروف التي أدت إلى حرمان الأئمة المعصومين عليهم السلام من ممارسة دورهم في بسط العدالة الإلهية في أولى بداية الحاجة إليها ، مما جعل فهمها والاستجابة لمفروضها غير متيسر بسهولة ، مضافاً إلى أن الشيعة لا يشكّلون ثقلاً يمكنهم من فرض ما يرغبون فيه في واقعهم .

وبالتالي نجد أن الاستجابة لإلحاح الواقع بالحاجة إلى نظرية ولاية الفقيه تطورت نسبياً من خلال عنصرين :

الأول : تكاثر الشيعة ، بحيث يمكن الاعتماد على تلك الكثرة في تأسيس نظام إسلامي .

الثاني : قيام أنظمةٍ شيعية تتبنى التشيع لأهل البيت عليهم السلام كالصفويين والبويهيين .

ولكن الذي مَنَعَ من بروزها بقوة كنظرية واقعية في منطقتها وفي مفروضها هو تمسك الصفويين بالسلطة ، وعدم قبولهم بفكرة التخلي عنها ، مضافاً إلى الذاكرة التي تحتفظ بالتجارب المرة في حقل السعي لإقامة حكومة العدل الإلهي ، إلا إنه لا بد من ملاحظة الآتي :

أولاً : بالرغم من الفسحة الفقهية والعقائدية في العهد الصفوي إلا إن واقع الصفويين يقول حتى لو أنهم تخلوا عن مناصبهم ، لن تتقدم النظرية ، أو تنضج العقول التي تلتزم بها لتتحول إلى مشروع عملي ؛ لأنها في العهد الصفوي وهو بداية القراءة من جديد للنصوص المتعلقة بالنيابة في الغيبة ،

وعلى ضوء ذلك فهي آنذاك في بداية تبلور خطوطها العامة ومسئوليات الفقيه السياسية والاجتماعية من خلالها في ذهن فقهاء تلك المرحلة ، إذ إن تلك المرحلة هي مرحلة تطور في قراءة النصوص وليس في قراءة المشروع الذي تعنى به ولاية الفقيه ، إذ إن النظرية في ذاتها تختزن المشروع .

**ثانياً :** كان العادل من الصفويين يأخذ النيابة من الفقهاء ليقوم في الحكم على أنه قائم مقامهم . ولم يأخذ العلماء منه الولاية بالرضا أو عنوة ؛ لأنهم وإن امتلكوا النظرية فإنهم لا يمتلكون الأرض ولا الناس ، ولا ما بعد التمكين .

وبرنامج ما بعد التمكين أهم من التمكين نفسه ، وشاهد ذلك حال الناس بعد انتفاضتهم ، وبيعتهم لأمر المؤمنين عليه السلام ؛ إذ إنهم لما لم يكونوا يمتلكون برنامج ما بعد التمكين - أي واجبههم تجاه الحاكم بعد البيعة له - خذلوه ، وعصوه وتمردوا عليه ؛ ففرقة نكثت وأخرى مرقت ، وأخرى قسطن ، حتى قال متألماً «لقد ملأتم قلبي قيحاً ، وشحتم صدري غيظاً» بالرغم من أنهم جاؤوه - خاصتهم وعامتهم - ببايعونه ، وبالرغم من أنه اعتذر لهم أول الأمر لعلمه أنهم لن يقوموا بواجبهم تجاهه ، وطرح عليهم أن يقبلوه كوزير وكمستشار ، دون أن يتحمل مسؤولية أخطاء القيادات التي ستتصدى للخلافة ، إلا إنهم لم يقبلوا ولم يلتزموا له بتعهداتهم بنصرتهم والوفاء له ، مما أدى إلى استشهاده بعد أقل من خمسة أعوام من مبايعتهم له ، ذاق منهم فيها مرارة العصيان والخذلان والشغب والاعوجاج .

هذا هو حال أمير المؤمنين عليه السلام مع الذين انتفضوا وهم يهتفون باسمه وبولايته ، وبايعوه أفواجاً أفواجاً ، فكيف بالفقهاء وهم لم يقوموا بثورة؟! ورغم ذلك يرون الشيعة يصطلون بنار الحكام الظلمة ، فكيف إذا قاموا بثورة ؟ !

وأعداء الشيعة في العراق وتركيا وفارس والجزيرة العربية والشام وشمال أفريقيا ، بالإضافة إلى اللعب السياسية التي يمارسها حكام الولايات المجاورة

والمعارضون في الداخل ، في حين أن الفقهاء لا يملكون ما يسعفهم لمواجهة كل ذلك الحصار والهلاك ، لا البرنامج ولا الجماهير ولا العدة .

وإذا كانت هذه ظروفهم ، فأى نظام سيقوم في محيط كهذا ؟ وأي نظرية ستتمكن من الواقع في أجواء كهذه ؟

هذا بالنسبة لتطور قراءة نصوص النيابة ، والتي تعني بموضوع الولاية ، أما بالنسبة للنوع الثاني من سلاطين الصفويين ، فإنه يرفض فكرة النيابة والوصاية من قبل الفقهاء على ولايته .

**ثالثاً :** فقدان التجربة التي تساعدهم على الإقدام على ممارسة الحاكمية في أجواء الغربية .

**رابعاً :** وبناءً على ما مرّ في (ثانياً) فإنهم ينظرون إلى أن الضريبة فوق طاقتهم - كما مرّ - .

وبهذا راوح فهمهم لتلك النظرية مكانه دون تقدّم ، خاصة وأن فكرة الولاية الشرعية لم يمارسها أحدٌ من أي من المذاهب الإسلامية (غير النبي الأعظم ﷺ) وأمير المؤمنين عليه السلام ومارسها الإمام الحسن عليه السلام بضعة أشهر بعد استشهاد أبيه) ، سواء من خلال نظرية ولاية الفقيه أو من خلال نظرية الخلافة .

والخلافة نفسها - مع قدّمها - لم تتكامل إلى الآن كمشروع حكم ؛ لأن الخلافة الدينية نظراً لبرنامجها الذي يتعارض مع مصالح الفئة المهيمنة على مصادر الثروة والإنتاج كانت تصطدم دائماً مع أولئك المهيمنين ، وبالتالي لم تمارس هذه النظرية إلا في عهدين فقط : عهد خلفاء العصر الأول للإسلام ، وعهد عمر بن عبد العزيز - الذي هو أفضل عهود بني أمية - وإن كانت هذه الخلافة عن طريق العهد الأموي .

والكل يعلم بالمشاكل التي واجهت نظرية الخلافة على المستوى العملي ، من قبيل تعرض كيانها ورموزها للتمرد والاغتيالات والانقلابات والثورات .

ولم تتمكن الشخصيات الإلهية من تجسيد المشروع السماوي ومن تطبيقه على أرض الواقع بكامل حيثياته سوى في عهد نبي الله داوود وابنه سليمان عليهما السلام ، والنبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله والوصي أمير المؤمنين عليه السلام وشهور حكم الإمام الحسن عليه السلام ، وما قيل عن عهد ذي القرنين .

وبالتالي لا عجب في أن يتأخر فهم نظرية ولاية الفقيه بحجم مفروضها على مسرح الواقع نظراً لضخامة ما تحتاجه من ضريبة قبال ضخامة العوائق التي تواجه تطبيقها .

وأدلة ولاية الفقيه مستمدة من القرآن والنصوص المروية عن النبي صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت عليهم السلام ، وقد تطرق لها بعض الفقهاء - وذكروا منها الكثير في كتبهم مثل : « عوائد الأيام للشيخ أحمد النراقي » ، و« تنزيه الملة للشيخ النائيني » ، و« الحكومة الإسلامية والبيع للإمام الخميني » ، و« دراسات في ولاية الفقيه » للشيخ المنتظري ، و« آراء في المرجعية الشيعية » لمجموعة من الباحثين ، ومدار الأخير في أغلبه حول القضاء وبعض الشؤون التي لا ولي لها ، وتلك الآراء تخلق اتجاهات إيجابية نحو تعاطي فقهاء الغيبة الكبرى مع الولاية تدريجياً .

ولو تهيأت الأسباب للفقهاء في ممارسة جميع شؤون القضاء لكانت نظرية الولاية كحالها الآن بعد تفعيل الإمام الخميني تقديراً لها .

فالشيعية إلى ما يقارب القرون الخمسة أو الستة بعد حكم أمير المؤمنين عليه السلام مبعدون عن ممارسة أي عمل أو دور سياسي ، وقد استشهد الإمام الحسين عليه السلام في محاولته تصحيح المسار للأمة والخلافة .

وبعد تلك الجهود القاسية ، وانفراج الأمور نسبياً طرحتْ نظرية (ولاية الفقيه) بصورة أكثر تقدماً وإيجابية من قبل آية الله الشيخ أحمد النراقي في كتابه «عوائد الأيام» ، ثم من قبل آية الله الشيخ محمد حسين النائيني في رسالته «تنزيه الملة وتبنيه الأمة» ، ثم بعد ذلك بلغت أعلى مراتب تكاملها من خلال طرح الإمام الخميني قَدُّهُ لها ، و ممارستها إياها عملياً .

وهذا ليس مشواراً مرحلياً في بنائها ليكون مشواراً خيالياً لبناء نظرية - أي نظرية - ، وإنما ذلك نظراً لخنق الشيعة خاصةً وعمامة بصورة لا يمكن أن يكون لهم أي مجال في الإعداد أو حتى لمجرد التفكير في المسألة من الأساس ، في حين أنهم تحدثوا عنها بُعيد ابتداء الغيبة الكبرى ، أي منذ ما ينيف على الألف سنة ، في حين أن نظرية الخلافة لم تتقدم إلى الآن عن حالها منذ عهد عمر بن عبد العزيز ، وظلَّت ذلك المشروع الذي يستحيل ممارسته بكل شروطه إلى الآن مع كثافة الأمصار والمفكرين الذين يعتقدون بها ، مضافاً إلى الآليات المتوفرة في هذا المجال لممارستها .

بخلاف ولاية الفقيه التي تنحصر في مصر أو على الأكثر في مصرين ، ناهيك عن تبعر معتنقيها في أمصار تجعلهم فيها أقلية ومضطهدين ، وآليات أقل حجماً مما هو متوفر لدى معتنقي نظرية الخلافة ، بمعنى أنها مشروع لم يتجاوز تجربة عمر بن عبد العزيز الأموي ، الذي انتهى نتيجة ممارسته ذلك المشروع بعد عامين فقط من تسلمه نظام الحكم ، ولم يستطع أن يعيش بعده .

نعم ، إذا اعتُبر العباسيون والعثمانيون والأيوبيون والمماليك نماذج تضاف إلى رموز مشروع الخلافة وفق الفقه السني ، فهذا يعني عدم وجود أي مشروع في الأساس ، فأولئك لم يتحملوا من الخلافة سوى عنوانين ، هما اسم الخليفة واسم الإسلام ؛ لأتباعها النظام الوراثي ، ومحاربتها لأي نشاطٍ دينيٍ يتعارض وممارساتهم السياسية .

إذن، ما دامت حاكمية أولئك الناس ليست خاضعة للشروط الموضوعية للخليفة وفق الفقه السني فإنها تعتبر غير شرعية ، وإذن فلا خلافة .

نعم قد يعتبر بعض الفقهاء عملية الغصب والهيمنة بالقوة على الخلافة عملية شرعية ، ويقرّونها كخلافة شرعية مشابهة لخلافة الخلفاء أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز؛ إلا إن هذا الحال يعني أن الخلافة لا شروط لها في الأساس ، وستكون خلافة أي حاكم ينطق الشهادتين ويقر الفرائض الدينية - وإن حاربها فضلاً عن عدم أدائه لها - وبأي طريقة كانت خلافة شرعية - بناء على منحي اللاشروط - .

وهذا اللون من الحكم يرفضه القرآن بصريح محكماته ، حيث جاء فيه قول الله تعالى : ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(١)</sup> وفي أخرى : ﴿هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ، وفي أخرى : ﴿هُمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> وبالتالي لا يمكن أن نقول عن هذا اللون اللامشروط خلافة إسلامية ، مهما ادعاها بعض الفقهاء ؛ لأنها مخالفة لنص صريح في القرآن ، ولا مجال للاجتهاد والرأي أمام النص الصريح .

هذا على المستوى النظري .

أما على المستوى العملي ؛ فأسباب تأخر المشروع السياسي الشيعي تكفل الإجابة عليه ما عرضناه في المستوى الأول (النظري) ، ولهذا عندما توفرت الظروف الموضوعية لممارسة المشروع استطاع أن يعطي صورة ممتازة عن النظرية والمشروع .

(١) المائدة : الآية ٤٥ .

(٢) المائدة : الآية ٤٨ .

(٣) المائدة : الآية ٤٤ .

أما فيما يتعلق بالفقرة الثانية من الشق الأول للسؤال حول رفض نظرية ولاية الفقيه من قبل مجموعة يُعتدُّ بها من فقهاء الشيعة ، فإنما ذلك ناتجٌ لعدة أسباب ، منها :

**الأول :** الاعتقاد الراسخ بحق المعصوم في الولاية ، وأنه لا يحق لأحدٍ غير المعصوم أن يتصدى له إلا بنصٍ مباشرٍ منه في أمر ولاية الفقيه على الأمة .

**الثاني :** بناء على الاعتقاد الراسخ بالعصمة ، فإنهم يرون أن العصمة في الأئمة عليهم السلام تضمن للناس حقوقهم ، وتمنع من حدوث أي تجاوزٍ حقوقي أو اجتماعي أو سياسي ، وهذا ما يفتقر إليه الفقيه ما دام يفتقر إلى العصمة .

**الثالث :** بناء على أصل أن « لا ولاية لأحدٍ على أحدٍ إلا ما نص عليه الدليل » ، فيما تواترت النصوص الصحيحة في ولاية المعصومين عليهم السلام على الناس ، في حين لا يوجد نص بحجم تلك النصوص ، أو أقلًا بحجم موضوع الولاية في الفقيه .

**الرابع :** امتداد سلبية ومرارة ذلك الواقع الماضي إليهم ، والذي استمر إلى حين انتصار الثورة الإسلامية . وفي موقعٍ آخر لا زال الفقهاء يعيشون مرارة أكثر مما كان يحدث في السابق ، ومثال ذلك ما يجري في العراق هذه الأيام جراء الحكم البعثي البغيض .

وعلى طول هذه المحن لما لم يتمكنوا من تجاوز ذلك الواقع الذي فرض على المذهب وأتباعه قرونًا متتابعة بالقوة والقهر التي لا طاقة لهم على التغلب عليها على امتداد تاريخ المذهب ومعتقيه ، فلا بد أن يكون مشروع الحكم متعثرًا حتى على مستوى النظرية ومشروعية الممارسة ، بناءً على تعاضم الشعور بعدم وجود أي مقدمات للممارسة وفقاً للمفهوم الذي طرحه أمير المؤمنين عليه السلام وأهل البيت للإدارة والحكم .



وقد التفست الفقهاء القائلون بالولاية إلى تلك الأمور ، وأجابوا عنها بإجابات محكمة ، غيَّرت مسار النقاش في موضوع الولاية .

فكان من بين إجاباتهم :

أولاً : إنَّ نصَّ : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾<sup>(١)</sup> ، نصٌّ في النبي ، والنبي نصٌّ على ولاية المعصومين من الإمام علي إلى الإمام المهدي عليه السلام .

ثانياً : بعد غيبة المعصوم لا زالت الأحكام الشرعية في الحكم والاجتماع والأحوال الشخصية تكاليف شرعية على المكلفين ، ولا بد أن يلتزموا بها .

ثالثاً : في الأحكام الشرعية أحكام تَعَيُّنية ، وأخرى كفائية ، ففي التعينية يجب التزام كل المكلفين بها ، وفي الكفائية سقوطها عن العامة إذا تصدى بعض ذلك الكل إلى تحملها بما يرفع التكليف عن الآخرين .

رابعاً : قال الفقهاء الذين لا يرون ولاية الفقيه المطلقة ويقصرونها على بعض الشؤون كنصب القيم على الصغار والمتولي للوقف وأمثال ذلك : إنما ذلك لليقين بعدم رضا الله بترك هذه الشؤون لما ينتج عنه من الفساد ، وقد قال فقهاء الولاية : كيف لا يرضى الله بترك هذه الشؤون الجزئية والفساد الناتج عنها ، ويرضى بالفساد والهرج والمرج الناتج عن عدم تصدي الفقيه للظلمة واعتداءاتهم على الأنفس والأعراض والحرمات وتضييعهم لأحكام الله تعالى ؟ ! ولا يكون ضمان حفظ تلك الأمور إلا بولاية الفقيه المطلقة ، وإلا أصبح الفقيه بمثابة كاتب الرسالة العملية لآرائه يلتزم من يشاء أن يلتزم ، ويدع ذلك من شاء أن يدع ، وهذا الحال لا يمنع من الفساد والهرج والمرج .

(١) سورة الاحزاب : الآية ٦ .

خامساً : تنقسم الإمامة إلى قسمين:

الأول : إمامة دينية ، والثاني : إمامة سلطانية .

وقد أجمع الفقهاء أن الفقيه هو نائب المعصوم في الإمامة الدينية ؛ لأنه القدر المتيقن في رضا المعصوم في تحمل مسؤولية الإمامة بعد غيبته أو موته ، ويقين أن الإمامة السلطانية لا محالة ستكون في غيبة المعصوم إما بيد من يجتهد للحكم بما أنزل الله أو بيد من لا يحكم بما أنزل الله ، ولا شك إن المراد هو الأول، والأول مشروط بمن يملك القدرة على فهم أحكام الله والقدرة على الاستنباط وفق الأصول التي ترعى عملية الاستنباط المرضية للشارع المقدس ، وتحافظ على هوية وحقيقة الشرع والتشريع .

وعلى ضوء ذلك أمرت النصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام الشيعة المؤمنين بولايتهم الالتزام بفتاوى الفقهاء المتصدين للإفتاء ، وهذا - أيضاً - لدى عامة المسلمين ، حيث فهموا ذلك من خلال آية النفر، قال تعالى : ﴿ قُلْ لَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، ثم جاءت النصوص بالأمر بالالتزام بأحكام الفقيه ، وتحريم نقض حكمه إلا في حالات دقيقة ومحصورة في شرط المخالفة الجلية للنصوص ، وهذه الولاية أو الصلاحية لا تستقيم بوجود صلاحية قبالتها ؛ لأن ذلك يعني إلغاء أحد الطرفين للآخر ، فيما الواقع يفرض أن ما يعد حاكماً شرعياً فإن ما هو ضده خارج الشرعية ، وهذا بطبيعته يلغي شرعية أحد الطرفين ، وبالنتيجة إلغاء شرعية الولايات غير الفقهية ، فيما حديثنا فقط عن الشرعية .

(١) التوبة : الآية ١٢٢ .

وأما ما يتعلق بالحدود والقصاص والتعزيرات فإن هناك فقهاً كاملاً في هذا الشأن ، وحاجة الأمة التي شُرِّعَ من أجلها ذلك الفقه مستمرة في غياب المعصوم كما هي كذلك في حضوره ، مما يعني أن لتفعيله نفس الاستمرارية التي هي لتشريعها ، إلا إنه هنا ينحصر في أعلم الناس به ، وهم الفقهاء ، وهم القدر المتيقن في فهمه وتطبيقاته .

وأما استيعاب الاستدلال في هذا الصدد ، فهذا ما تصدى له الكثير من الفقهاء وناقشوا دلالات الروايات وتعارضاتها وكل ما يتعلق بالموضوع بشكل مستفيض .

أما الشق الثاني من السؤال حول اتخاذ القرآن للقراءة في المقابر :

فلنا أن نتصور ذلك على نحوين :

**الأول :** حصر دور القرآن في قراءته في المقابر والمآتم .

**الثاني :** إن قراءته في المقابر والمآتم ليس إلا جزءاً من شمولية الدور الذي يقوم به القرآن في حياة الإنسان .

ومن خلال المضامين والمشروع المتكامل للمذهب الجعفري لحياة الإنسان بشقيها - المعنوي والمادي - نجد الإمام تذلل يرفض رفضاً قاطعاً حصر دور القرآن في المآتم والمقابر ، ولا نجد من يفعل ذلك سوى عوام الذهن والتحصيل ، وهم من وصَّفَهُم الإمام تذلل بـ (الأصدقاء الجهلة) ، ومن لَفَّ لِقَهُم من عامة الناس .

وقد أشار الإمام إلى ذلك « وللأسف فإن القرآن - هذا الكتاب المصيري - ما كان له من دور وإلى الآن سوى في المقابر والمآتم»<sup>(١)</sup> منتقداً حصر دوره

(١) الوصية السياسية الإلهية ، المقدمة .

في المقابر والمآتم ( أي قراءة القرآن على الميت والفواتح فقط ) ، ومؤكداً على أن ذلك الحصر اللامسؤول إنما هو لاستحلاب الأجر والبركة ، في حين أن القرآن (كتاب الهداية) ، وبهذا يصح القرآن كتاباً خاصاً بالرهبان والمتصوفة ، وهذا ما ألم الإمام ، وأثار حفيظته .

ولذلك لا يحسب صنع العوام على المذهب حتى وإن اتخذ طابعاً تقليدياً ، وإنما أولئك أناس قصرت أذهانهم عن فهم حقيقة الروايات الكثيرة الخاصة بتلاوة القرآن ، ولا ريب أن المذهب لا يؤاخذ بعوام معتنقيه .

### مذاخره الآخر

بعد أن ذكر الإمام ركائز المذهب ، تحدّث عن تراثه الثقافي والعلمي والأخلاقي ، الذي يملأ كل الحقول الحياتية بتنوعها .

فابتدأ ذلك بالحديث عن نهج البلاغة وما يحتوي من ذخائر لا متناهية من الفيوضات العلوية إذ يقول : « نحن نفخر بأن كتاب نهج البلاغة - وهو بعد القرآن - أعظم دستور للحياة - بشؤونها المعنوية والمادية - وأسمى كتاب لتحرير الإنسان ، وتعاليمه المعنوية والحكومية تمثل أرقى سبيل للخلاص ، هو من فيض إمامنا المعصوم»<sup>(١)</sup> ، خاصة وأن نهج البلاغة يضم خطب الإمام علي عليه السلام في زمن خلافته ، وهو زمن تحرر المنبر من قيود السياسة وتوجهاتها المغايرة لقضايا وأهداف القرآن والإسلام .

وعندما يصف الإمام القرآن بقوله: « وهو الكتاب الذي تنزل من مقام الأحدثية السامي إلى مقام الكشف المحمدي ﷺ التام ، من أجل تكامل

(١) الوصية السياسية الإلهية ، المقدمة .

البشرية ، ونقطة التقاء لجميع المسلمين ، بل وعموم العائلة الإنسانية ، ومن أجل السمو بالبشرية إلى ما يجب أن تسمو إليه<sup>(١)</sup> إنما لتمتعه بتلك السمات العالية ، وبفس تلك السمات يأتي نهج البلاغة بعد القرآن رتبة من حيث قضاياه ومفاهيمه واهتماماته ، وهذا ما وصفه بأنه : أعظم دستور - بعد القرآن - للحياة ، وأسمى كتاب لتحرير الإنسان ، وأنجح سبيل للخلاص .

بعد ذلك تحدث عن فخره بالسلسلة الذهبية المباركة ، وإلى أنهم المنصوص عليهم من قبل الله تبارك وتعالى ، ولا يعرف أحد مكانتهم حق المعرفة إلا النبي الأعظم ، وفاطمة الزهراء بعد الله سبحانه وتعالى ، إذ يقول : «نحن نفخر بأن الأئمة المعصومين هم أئمتنا ؛ بدءاً من علي بن أبي طالب ، وختماً بمنقذ البشرية الإمام المهدي صاحب الزمان (عليهم آلاف التحيات والسلام) وهو - بقدره الله القادر - حي يراقب الأمور»<sup>(٢)</sup> .

ومع أن هذا النص تناول (الفخر) بالأئمة الاثني عشر عليهم السلام ، ولكن ذلك تضمّن اعتقاده بهم عندما قال : «هم أئمتنا» .

ثم تناول عقيدته في خاتمهم (عليه وعلى آبائه السلام) عندما قال : «وهو - بقدره الله القادر - حي يراقب الأمور» .

ثم أعقب حديثه عن نهج البلاغة ، وعقيدته في أئمة الحق المعصومين عليهم السلام بالحديث عن تراث أئمة أهل البيت عليهم السلام من الأدعية ، وذخائر العلم اللامتناهية من فيوضاتهم النقية ، فيقول :

«نحن نفخر بأن الأدعية التي تبعث الحياة في النفس - وهي القرآن الصاعد كما يعبر عنها - هي من فيض أئمتنا المعصومين ؛ فعندنا مناجاة

(١) الوصيّة السياسيّة الإلهيّة ، المقدمة .

(٢) الوصيّة السياسيّة الإلهيّة ، المقدمة .

الأئمة الشعبانية، ودعاء الحسين بن عليؑ في عرفات، وعندنا الصحيفة السجادية (زيور آل محمد)، والصحيفة الفاطمية وهي الكتاب الذي ألهمه الله تعالى للزهراء المرضية<sup>(١)</sup>.

### الصحيفة الفاطمية وملهمها

وقبل أن ننتقل إلى عرض مفخرة أخرى، لا بد أن ألفت الانتباه إلى ما يتعلق بمقولته القائلة: «وهي الكتاب الذي ألهمه الله تعالى للزهراء المرضية».

وهناك مفردات دقيقة في النص، فكما أنه قال: «الصحيفة السجادية» فلقد قال: «الصحيفة الفاطمية»، وذلك لملاحظة عمل المنحرفين عن أهل البيت والترويج لذلك في قولهم بأن ذلك هو قرآن الشيعة و... و...، وعندما عرض اعتقاده في قوله: «الذي ألهمه الله تعالى للزهراء المرضية» قد يتبادر إلى الذهن معنيان، هما:

الأول: الإلهام، على نحو: ﴿وَأَوْخَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾<sup>(٢)</sup>.

الثاني: الوحي المنزّل، على نحو: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيِي يُوحَىٰ﴾<sup>(٣)</sup>.

وللإجابة عن ذلك في الأول نقول: ليس المعنيان المذكوران هما المقصود من قوله: «ألهمه الله تعالى للزهراء المرضية»، ففي الأول يأتي المعنى على نحو الإيحاءات التي خطرت على قلب أم موسى لإلقاء ابنها موسى في اليمّ مخافة أن يقتله فرعون، ووصف القرآن ذلك بقوله: ﴿وَأَوْخَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾<sup>(٤)</sup>؛ ولا يريد الإمام تفسّر هذا المعنى.

(١) الوصيّة السياسيّة الإلهيّة، المقدمة.

(٢) القصص: الآية ٧.

(٣) النجم: الآية ٤.

(٤) القصص: الآية ٧.

وفي الثاني هو تنزيل التلاوة ، وهذا طبعاً يستتبع الاعتقاد على نحو تلاوته في الصلاة ، وجواز عدم ختم الرسالة به ، وعدم ختم التنزيل ، وهذا محالٌ في الشريعة الخاتمة وفي عقيدة الإمام تَدُّر .

إذن ما هو الإلهام الذي عناه الإمام في مقولته تلك؟

في النص مفردتان توضح المعنى الذي يريده الإمام تَدُّر .

الأولى : الصحيفة .

والثانية : ألهمه .

فالصحيفة هي ما يطلق على الصحف المجموعة في متنٍ واحد كصحيفة أمير المؤمنين عليه السلام في الفقه ، والتي تطرق لها البخاري في صحيحه<sup>(١)</sup> ، وهناك نظائر لها لبعض الصحابة ، وهي صحائف تحتوي على علوم يحدد هويتها مؤلفها .

وتلتقي الصحيفة الفاطمية مع تلك الصحف في كونها صحيفة ، وتختلف معها في مصدر التنصيب لها .

فتلك الصحف إما هي جهدٌ ذاتيٌ يقوم مؤلفها بإعدادها من خلال رصيده المعرفي ، وإما هي جمعٌ لآراء رموزٍ علمية وفقاً لما يخدم موضوع الصحيفة المعمول به فيها .

أما الصحيفة الفاطمية فهي تختلف معها تحت هذا العنوان ، فهي صحيفة تنقسم إلى قسمين ، هما :

١ - العلوم الإسلامية ، من فقه وتفسير .

٢ - علم ما كان ويكون ، إلى يوم القيامة .

(١) صحيح البخاري : ج ٨ ، ١٤٤ .

وهذا المحتوى لا يمكن أن يتوفر لكل أحدٍ ما لم يكن ذلك من قبل الله سبحانه وتعالى ، سواء كان ذلك عن طريق التنزيل بالوحي كالقرآن أو تفسيره المنزَّل ، أو عن طريق الإلهام ، كحال الإمام المعصوم مع محدثه المأمور بمرافقته من قبل الله تعالى كما نصت على ذلك الروايات ، والصحيفة الفاطمية بهذا المعنى الأخير .

وكما قلنا : إنَّ ذلك ليس على نحو القرآن حتى يلزمُ القول بالمُحال في الشريعة الخاتمة ، أما إذا قلنا على نحو التفسير فذلك لا علاقة له بالمُحال في الشريعة المحمدية الخاتمة ، كل ما في الأمر هل من الممكن أن ينزل مَلَكٌ إلى أحد من أهل الأرض بعد وفاة النبي الأعظم ﷺ ؟ وهل أنَّ جبرائيل ممكَّنٌ من ذلك ؟ وهل من الممكن أن يحدث أحداً بحجم صحيفة فيها من العلوم كالتي وردت في الصحيفة الفاطمية؟ .

تحدَّث الشيعة والسنة عن المحدث الذي يرافق رموزهم أو يسعفهم في بعض المواقف<sup>(١)</sup> ، والمحدث هو المَلَك المأمور بذلك من قبل الله تبارك وتعالى ، ومن أسماء فاطمة الزهراء عليها السلام المحدثة ، ومن المقطوع به أنَّ المَلَك لا يحدثُ عبثاً ، بل لأغراض إلهية بحتة .

يبقى شقٌّ آخر في المسألة ، وهو ما يتعلق بنزول جبرائيل عليه السلام على السيدة الزهراء عليها السلام ومحدثتها محادثةً ينتج عنها تلك الصحيفة .

في ذلك يمكن القول : إنه مادام أساس نزول الملائكة إلى أهل الأرض ومحدثتهم ممكَّنٌ ، فالقول بامتناع ذلك من جبرائيل لا مبرر له ؛ ولأنَّ وظيفة

(١) الإصابة في تمييز الصحابة : ج ٣ ، ص ٥ ، والحادثة هي بشأن نداء عمر بن الخطاب لسارية يدعوه للالتفات للجبل ، إذ قطع خطبته وقال : يا سارية الجبل ، وكررها ثلاثاً .



جبرائيل لا تنحصر في تنزيل القرآن ، ولا عمله يختم بوفاة النبي الأعظم ، وبالتالي فلا مُحال في المسألة .

تبقى مسألة الاعتقاد بحقيقتها ووقوعها ، وهي تعود للجهة التي تؤمن بالمسألة ، سواءً كان ذلك من مذهبٍ أو مذاهبٍ أو مجتهدين ، وهذه هي عقيدة الإمام في الصحيفة الفاطمية وقد وردت بذلك الروايات الصحيحة عن أهل بيت النبي ﷺ .

وقال الله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup> والآية تدل صراحة على أن الصديقة مريم ؑ كانت محدثةً تحدثها الملائكة .

بعد الحديث عن الصحيفة السجادية تستوقفنا مفردةٌ في النص المتعلق بالصحيفة الفاطمية ، وهي (المرضية) ، ويريد الإمام بذلك الإشارة إلى حديث: «رضا فاطمة من رضاي ، وسخط فاطمة من سخطي»<sup>(٢)</sup> .

(١) آل عمران : الآية ٤١ .

(٢) بيت الأحزان ، ص ٦٤ .

## باقر العلوم والمدرسة الجعفرية

ثم إنَّ الإمامَ قَدَّمْهُ تطرَّقَ في الحديث عن رموز الإسلام ومدرسة أهل البيت عليهم السلام الذين أثاروا المسلمين معرفةً وعلوماً ، وفي ذلك يقول : « نحن نفخر بأنَّ منا باقر العلوم ، وهو أعظم شخصية تاريخية ، ما عرف منزلتها ولا يستطيع معرفتها إلا الله تعالى ، ورسوله ﷺ والأئمة المعصومون عليهم السلام »<sup>(١)</sup> .

ثم أتبع ذلك بقوله : « نحن نفخر بأنَّ مذهبنا جعفريٌّ ، وأنَّ فقها - ذلك البحر الذي لا حدَّ له - أثر من آثاره »<sup>(٢)</sup> مفتخراً بجعفرية ، وكأنه يحاكي فخر الشاعر السيد الحميري عندما قال :

«تجعفرتُ باسمِ اللهِ واللهِ أكبرِ وأيقنتُ أن الله يعفو ويقدرُ»

واصفاً فقه تلك المدرسة الجعفرية بالبحر اللامتناهي في العطاء ، ويتضمَّنُ ذلك الفخرَ أيضاً بجعفر الصادق عليه السلام حين يقول :

«أثرٌ من آثاره» أي من آثار جعفر الصادق عليه السلام .

طبعاً الإمام لا يقصد بذكر الإمام الصادق عليه السلام الإيحاء بأن المذهب مستقل عن الوحي والسلف من الأئمة الطاهرين عليهم السلام ، وإنما يريد أن يقول : إن عطاء الإمام الصادق عليه السلام ذخيرة لا متناهية من خزائن علم الأئمة الطاهرين عليهم السلام ، وقد سنحت الفرصة للإمام الصادق عليه السلام بنشره في الأمة ، حتى عُرفَ الآخذون به بـ (الجعفرين) .

(١) الوصية ، المقدمة .

(٢) الوصية ، المقدمة .

بعد ذلك يفخر الإمام قَدْئُلُ بكلِّ الأئمة المعصومين عليهم السلام ، أي : من ذكرناهم ، ومن لم نذكرهم ، فـ «نحن نفخر بجميع الأئمة المعصومين عليهم صلوات الله»<sup>(١)</sup> .  
وليس فخر الإمام قَدْئُلُ بأولئك لمجرد الانتماء العقائدي لهم وإنما باتباعهم ، وفي ذلك يقول : «ونلتزم باتباعهم»<sup>(٢)</sup> .

بعد سرده لمفاخره بالدين والمذهب ورموزهما وإرثهما ، تطرَّق لنوع آخر من المفاخر ، وهو الفخر بأنَّ ذلك الالتزام كلَّف ضريبةً كبيرة ، دفعها المذهب ورموزه نتيجةً لذلك الموقع البارز الذي بوأهم الله ونازعهم عليه من هو دونهم ، حتى إنَّ الله تعالى أشار إلى أولئك المناوئين بقوله عزَّ وجلَّ : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾<sup>(٣)</sup> ، وفي ذلك يقول : «نحن نفخر بأنَّ أئمتنا المعصومين - صلوات الله وسلامه عليهم - قضوا أعمارهم سجنًا ونفيًا في سبيل رفعة الدين الإسلامي وتطبيق القرآن الكريم»<sup>(٤)</sup> .

ثمَّ بعد ذلك تطرَّق إلى فخره بحماسٍ ووَلَه كلَّ الشَّعب الإيرانيِّ لدفع ضريبة تحقيق أهداف القرآن ، فيقول : « ونحن نفخر اليوم بأننا نسعى لتطبيق أهداف القرآن والسُّنة ، وفي هذا الطُّريق العظيم والمصيريِّ تندفع مختلف فئات شعبنا بوَلَهٍ للتضحية بالأنفس والأموال والأعزة في سبيل الله»<sup>(٥)</sup> .

ولم ينسَ الإمام مشاركة النساء - بمختلف فئاتهنَّ - جنباً إلى جنب الرُّجال ، فيقول : « نحن نفخر بمشاركة نساتنا - فتياتٍ ومسناتٍ صغيراتٍ وكبيراتٍ -

(١) الوصية ، المقدمة .

(٢) الوصية ، المقدمة .

(٣) النساء : الآية ٥٤ .

(٤) الوصية ، المقدمة .

(٥) الوصية ، المقدمة .

إلى جانب الرجال ، أو بحضور أفضل في الميادين الثقافية والاقتصادية والعسكرية ، من أجل رفعة الإسلام»<sup>(١)</sup> .

ثم يفخر بأن أعداءه وحوش ، وما كانوا كذلك إلا لتمسك الشعوب الإسلامية بهويّتها الدينيّة وكرامتها ، فيقول : « ويفخر شعبنا ، بل والشعوب الإسلاميّة وعموم مستضعفي العالم بأن أعداءهم أعداء الله العظيم ، والقرآن الكريم ، والإسلام العزيز .. هم وحوش لا تتورّع عن ارتكاب أيّ جريمة »<sup>(٢)</sup> .

إنّها مفآخر سامية ، وأعظم بهذا المفتخر الذي يتباهى بها أمام الملأ دون أن يردعه تحامل الحمقى عليه وكثرتهم ! .. فيفخر بالهويّة والرّموز والمتج الذي أعطياه .

هذه الكبرياء وهذه العظمة جعلت العالم بشقيّه ، العدو والصديق ينحني إجلالاً وإكباراً له .. ذلك هو كبرياء وشموخ روح الله ، صنيعه مدرسة الوحي وبيت العصمة والظاهرة .. مدرسة العمق والتأصيل التي ليس لها مرجعية إلا القرآن ، والتي لم تبتلّ بازدواجية المفاهيم أو المرجعية الفكرية .. مدرسة ذات كلمة واحدة ، ومنطق واحد .. ولكن لتفاعلها مع الحياة حيث مقتضى كل واقع تتحرك فيه ، فإن منهج استجابتها للواقع يفضي إلى أن ذلك المنهج من فصول لا يُستغنى عن فصل منه بآخر دونه .

(١) الوصيّة ، المقدمة .

(٢) الوصيّة ، المقدمة .



## الإمام والإيمان بالغييب

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾<sup>(١)</sup> .

وقال تعالى : ﴿ فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوْحِنَا ﴾<sup>(٢)</sup> .

والآيتان تشيران إلى نوعين يتألف منهما هذا الكائن الحي المسمى (إنساناً) وهما : الرُّوح والجسد .

هذا الإنسان الذي يأكل وينمو ، ويفكر ويتج ، ويحب ويكره يتميز عن سائر الكائنات ذوات الأرواح بالعقل والتفكير ، والشعور بما هو حوله ، والتكيف مع الثابت والمتغير في حياته .

وإذا خرجت رُوْحُهُ من جسده أصبح الجسد جثة هامدة لا فائدة منها ، وإذا لم تدفن تعفنت وأخرجت رائحة نتنة كما يحصل ذلك لأي جثة .

وبالرغم من أن الرُّوح والعقل ، والشعور والأحاسيس التي تميزه عن المخلوقات الأخرى ، لا يستطيع أن يلمسها كشيء مادي ، إلا أنه يشعر بها أكثر مما يشعر بما يلمسه من المحسوسات ، لكونها من تكوينه كإنسان وهي تعيش في وجوده ، ويستجيب لكل ما تمليه عليه ، ولا يستقرُّ به حالٌ ما لم يستجب لها .

وبالرغم من وجود هذه الحالات عند كل إنسان إلا أن الآخرين لا يعرفون بحقيقة وعمق وكنه ما يعيше و يحسُّه ذلك الإنسان وما يعرفه عن نفسه .

(١) التين : الآية ٤ .

(٢) التحريم : الآية ٦٦ .

ولأنه كذلك ، فقد لمس بدنه واستطاع - بما وهبه الله من عقل وفكر - أن يكتشف أسراراً كثيرة وعجيبة ومثيرة في جسمه ، ورموزاً كثيرة من أسرار تكوين أجسام الكائنات الأخرى - حيوانات ونباتات - ، واستطاع أن يكتشف - أيضاً - طبيعة وتأثير النوازع والميول والعواطف في الإنسان ، بل حتى ما لدى الحيوان وردود فعلهم تجاه ما يستجدّ ، من خلال المفردات المعنوية المشتركة التي يعيشها أيُّ جنسٍ من المخلوقات التي استطاع أن يبحث في تكوينه الجسديّ ، وطبائعه المعنوية .

إلا أنّ علمه من أين تكوّنت ؟ وكيف ؟ هذه الأمور المعنوية لم يصل فيها إلى نتيجة محسوسة مقنعة إلا إلى التسليم بكونها مسائل غيبية .

إلا أنّ الثورة ضدّ الكنيسة والثورة الصناعية جعلت الجانب الماديّ يسيطر على كلِّ شيءٍ في حياة الإنسان ، على معاشه وتفكيره ، حتى بدت المسائل الغيبية التي يعيشها الإنسان أوّل المسائل التي يتنكر لها إنسان الثورة الصناعية ، وإنسان الفكر الماديّ .

نعم هناك شيثان هما بمثابة (شعرة معاوية كما يقال) جعلتا الإنسان في حاجة ماسّة للارتباط بالغيب ، حينما تهدّده حوادث الزمان ، وهما : الحياة والطاقة .

فهو يعلم أنّ هذا البدن المشحون بقوةٍ لم تكن فيه لولا وجود الحياة فيه ، ولم يكن كذلك لو أنّ الطاقة ليست فيه ، بمعنى لو أنّ الحياة فيه دون وجود الطاقة لكان كالميتّ دماغياً في الطبّ الحديث ، قلبه ينبض بالحياة ، إلا أنه دون طاقة أو قل دون ما يميّزه عن الأموات ، وإن كان قلب الميت لا ينبض ، وقلب هذا لازال يعمل .

وهذان الأساسان هما اللذان جعلاه رغباً عن أنفه يبقى على تلك الشعرة بينه وبين الغيب ، وإن كان ذلك الارتباط خرافياً ، وأحياناً مزيجاً من الخرافة والواقعية .

فعندما يتعرّض الإنسان إلى شيء يهدّد حياته تجده يتعلق بما يعتبره أنه مصدر الحياة ليؤمن له حياته ، وكذلك عندما يتعرّض إلى ما يهدّد طاقته يتعلق بما يعتقد أنه مصدر الطاقة ، وإن كان لا يشعر بمصدر القوة والحياة إلا في الله تبارك وتعالى ، إلا إنه إذا لم يكن مؤمناً به فإن اعتقاده يُصوّر له أن مصدر ذلك كلّهُ هو ما آمن به كمصدرٍ للطاقة والحياة .

وخلاصة الحديث أنه مما لا محيص عنه أن كلّ البشر - مهما اختلفت عقائدهم - فإنهم يرون أن مصدر الحياة والطاقة هو الإله .

وسبب الانحراف عن الله هو الطَّبِيعَةُ الخرافيّة التي عاشتها الشعوب التي عاثت الخرافة بعقائدهم .

ولأنّ الإسلام التفتَ إلى عبث الخرافة بتلك العقائد وتصدّى لترتيب مسائل الإيمان كلّها في حديثه الطويل عن الإيمان والغيب ومصدر الحياة والطاقة في القرآن الكريم ، ومن ذلك قوله تعالى في الحياة : ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾<sup>(١)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ \* أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ \* أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ \* نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ \* عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup> .

وعن الطاقة ، قال تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ \* أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ \* لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾<sup>(٣)</sup> .

(١) الملك : الآية ٢ .

(٢) الواقعة : الآية ٥٧ - ٦١ .

(٣) الواقعة : الآية ٦٣ - ٦٥ .



وقال تعالى أيضاً: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ \* أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ \* لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ \* أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ \* أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ولذلك نجد كل الشعوب يقدمون إيمانهم بالغيب على كل الطقوس الأخرى التي يرونها ثوابت معتقداتهم ، بل يرون الغيب هو مصدر تلك الطقوس ، وهذه الظاهرة ليست من صنع أمة من البشر أو مذهب من مذاهبهم ، وإنما هذا الإجماع البشري الذي خرج عن ترتيبات العقول والأذهان هو حديث فطرة الله ﴿الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا \* لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup> ، ولذلك جاء الإسلام هكذا مقدماً الإيمان بالغيب على الصلاة ، وهي عمود الدين في قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ \* الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾<sup>(٣)</sup> ؛ لأن مصدر الصلاة وكل تشريع سماوي هو الإيمان بالغيب .

فالإيمان بالغيب من الزاوية الإسلامية وبصورته الصحيحة ، هو الذي يجعل انطلاقة المسلمين في كل شؤونهم معتمدة على أساس مشيئة الله وإذنه ورضاه والحصول على عواقب مبشراته الحسنة ، بحقيقة قوله تعالى : ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾<sup>(٤)</sup> ، وقوله عز وجل : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾<sup>(٥)</sup> .

وبتلك الصورة وبحقيقتها كان المسلمون أنقى البشرية ارتباطاً بالغيب ، وهم أقوى الشعوب معنوية ، وأكثرهم ترتيباً للأثر عليها ، وهي التي ساعدت هؤلاء الناس في إيمانهم بالغيب كي يكونوا موضوعيين في إيمانهم ، وذوي

(١) الواقعة : الآية ٦٨ - ٧٢ .

(٢) الرُّوم : الآية ٣٠ .

(٣) البقرة : الآية ٢ - ٣ .

(٤) التكوير : الآية ٢٩ .

(٥) الأنفال : الآية ١٧ .

تأثير قوي على منطق العقل في زمن (الحدائث) العالمية أو قل زمن (العولمة) الشاملة ، بل ويكونوا أكثر ارتباطاً بالله وبالغيب وبما شرَّعه لهم دينهم .

نعم حدث أن انحرف الكثير من الكُتَّاب والمفكرين ، إلا أنهم ليس بيدهم توجيه فطرة الناس ، وإن أسأوا إلى معتقداتهم ، إذ سرعان ما تنجلي تلك السحابة لمجرد داعٍ إلى الإيمان بالله والغيب ، بشرط أن يعرف كيف يلتفت على أطروحات المشكِّكين الذين يريدون فصل الناس عن الغيب ، وربطهم بالمادة والطبيعة كما فعل الشيوعيون .

وفي هذا القرن فإن أكبر داعية للارتباط بالغيب وبصورته الحقيقية ، وبصورة محطمة ومهلكة للمادية والطبيعية هو الإمام الخميني قدس ، والذي استطاع من خلال الارتباط بالغيب أن يصنع أكبر ثورة عرفها المسلمون بعد ثورة الإمام الحسين عليه السلام ، وأن يصنع مجتمعاً على أساس الاعتماد على المعنويات ، وأن يفعل ذلك كله في شعوب العالم المستضعفة .

وموضوع بحثنا الذي بين أيدينا الآن هو الإيمان بالغيب وفق طرح الإمام ، وقد كانت تلك المقدمة لتتقدم الغيب والإيمان كما يراه الإمام قدس .

فالإمام كان منذ البداية قد شدَّد على الإيمان بالغيب ، وقد رافق ذلك كل مراحل ثورته ، وفي أوائل النهضة في شوال ، عام ١٣٨٢هـ ألقى خطاباً يقول في بعضه : « أيها الناس : كونوا كما أرادكم الله ... صامدين ومستقيمين في كل الأمور ، كونوا أمة حية مؤمنة لا ترضخ لقوى البغي والطغيان ، فالله تعالى يحرسكم وينزل عليكم - بعد أن أتمتم واستقتمتم - ملائكة من السماء تحرسكم ، وتقلد في قلوبكم نداء الحياة الخالدة ﴿أَلَا تَخَافُونَ﴾<sup>(١)</sup> من القتل والصلب ، وإن مفرَّكم ومصيركم جنة ونعيم ومنزلة ومقام كريم»<sup>(٢)</sup> .

(١) فضلت : الآية ٣٠ .

(٢) دروس في الجهاد والرفض ، ص ٣٣ .

وقال مرةً : وكان ذلك قبل الثورة بعام تقريباً : « لا يمكن مقايسة أيّ سلاح بالإيمان»<sup>(١)</sup> . وأكد على ذلك طيلة فترة قيادته المباركة للأمة .

واختتم ذلك بالتأكيد في وصيته الإلهية في قوله تعالى : « نحن نعلم أن هذه الثورة العظمى التي قطعت يد ناهبي العالم والظالمين عن إيران الكبرى قد انتصرت بالإمداد الإلهي الغيبي ، ولولا يدُ الله المقتدرة لم يكن ممكناً أن يُنجز شيئاً شعبُ الستة والثلاثين مليوناً<sup>(٢)</sup> في ظلّ تلك الدعاية المعادية للإسلام وعلمائه ، خاصةً في هذه المئة عام الأخيرة ، وفي ظل جهود التفرقة التي لا تحصى والتي كان يمارسها الكتاب والخطباء المرتزقة عبر الصحافة ومجالس الخطابة والمحافل والأندية المعادية للإسلام والوطنية باسم الوطنية ، وفي ظلّ كلّ تلك الأشعار والنكت الماجنة وكلّ تلك المراكز المخصصة للفساد والفحشاء والقمار والخمر والمُخدرات »<sup>(٣)</sup> .

وهذا الارتباط الحقيقي والصادق بالله يجعل المرء - أيضاً - مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بـ « الأدلاء على الله »<sup>(٤)</sup> وهم : « باب الله الذي إليه يتوجّه الأولياء »<sup>(٥)</sup> .

ولذلك كان هو شديد الارتباط بالنبي الأعظم ، وبيت العصمة والطهارة ، وهذا الكيان المقدس لنظام الجمهورية الإسلامية ما هو إلا من بركات الإيمان بعد الله تبارك وتعالى بهم ، وما كان ليكون لولا ذلك الوجود المبارك والمقدس لإمام العصر والزمان المهديّ بن الحسن عليّؑ ، ودعاؤه الذي لا يردُّ .

(١) المصدر السابق ، ص ٣٠٨ .

(٢) هذا الرقم يعبر عن الحقبة التي كتب الإمام فيها وصيته ، وعدد السكان الحالي للشعب الإيراني ينيف على السبعين مليوناً .

(٣) الوصية السياسية الإلهية ، الترقيم (١) .

(٤) مقطع من الزيارة الجامعة . (الناشر) .

(٥) مقطع من دعاء النُذبة . (الناشر) .

وقد أكّدت هذا الإيمان والإرتباط الإلهي أقواله المتناثرة - هنا وهناك - طيلة أيام قيادته المباركة : « لا شك أن سرّ ديمومة الثورة الإسلامية هو نفس سرّ انتصارها ، والأمة تعلم ما هو سرّ الانتصار ؟ وستقرأ الأجيال الآتية في التاريخ أن ركنيه الأصليين هما :

- الدافع الإلهي ، والغاية السامية (وهي الحكومة الإسلامية) .

- والتفاف الشعب في كافة أرجاء البلاد بكلمةٍ موحدةٍ حول هذا الدافع والغاية .

وإنّي أوصي كافة الأجيال المعاصرة والآتية إنكم إذا أردتم استقرار الإسلام وحكومة الله وقطع أيدي الاستعمار والمستغلين في الداخل والخارج عن بلدكم ، فلا تفرطوا في هذا الدافع الإلهي الذي أوصى به الله تعالى في قرآنه الكريم ، ويقابل هذا الدافع الذي هو سرّ الانتصار وديمومته نسيانُ الهدف والفرقة والاختلاف»<sup>(١)</sup> .

(١) الوصية السياسية الإلهية ، الفقرة (ألف) .



## الإمام والجامعات

في إطار الجهود التي تبذلها المجتمعات المتحضرة في الحقل المعرفي نوعان من العمل :

**الأول :** مكافحة الجهل ، من خلال فتح أبواب العلم والمعرفة لكل شرائح المجتمع وفتاته .

**الثاني :** التنمية المعرفية الشاملة ، وذلك من خلال التشجيع على العلم ، ومكافحة الطاقات الإبداعية .

وينقسم لون التعاطي مع العلوم الإنسانية بشتى ألوانها إلى قسمين :

**الأول :** التخصص للإنشاء والإبداع والتطوير .

**الثاني :** من باب العلم بالشيء ، أو الأخذ منه بقدر الحاجة .

إلا إن المجتمع كله لا يحتاج إلى معرفة كل العلم ، ولا أن يلتزم بذلك ، ولا على المجتمع أن يلتزم كله بأحد العلوم ، ولا حتى ببعض ذلك .

وهذا النوع من العلوم هو ما تبنته المعاهد العلمية الرسمية التي ترعاها الدول القائمة من خلال وضع برنامج دراسي موزع إلى عدة مراحل ، تراعي ذهنية المتسبين إليها .

إلا إن المسائل المتعلقة بالمسلّمات العقائدية يلزم جميع المسلمين الإيمان بها ، ولو من باب التسليم بها والعمل بمقتضاها ؛ فالإسلام أوجب الإيمان بأصوله ، وعلى كل مكلف الإيمان بها .

وهناك فروعٌ أوجبها الله تعالى على كل مكلفٍ ، وفي حال حاجتها إلى الطاقة فإن التكليف بها يسقط ما لم تتوفر القدرة والطاقة للإتيان بها تحت عنوان : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾<sup>(١)</sup> ، و﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾<sup>(٢)</sup> ، و﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾<sup>(٣)</sup> .

وعلى ضوء ذلك فيمكن الطالب أن يدرس أيَّ حقلٍ علميٍّ أكاديميٍّ في أيِّ أكاديميةٍ عالميَّةٍ ، باعتبار كونها مادةً علميَّةً ، بل حتى الأخلاق والدين والمعنويات ، لا تُدرس فقط من أجل الإيمان بها ، وإنما تدرس أحياناً لكونها علماً مستقلاً بحدِّ ذاته ، يختلف عن علم الفيزياء ، كما أن علم الجيولوجيا علمٌ مستقلٌّ ، ومثال ذلك سعيُّ المستشرقين لفهم ودراسة الإسلام وجوانبه المعنويَّة لعرضه للغرب أو للدراسات الأكاديميَّة أو للتوثيق المهنيِّ بالطريقة التي تملئها عليهم ثقافتهم أو أيديولوجيتهم أو كليهما .

وهذه الحالة لا تضمن الالتزام الأخلاقيَّ والعقائديَّ للمجتمع الإسلاميِّ ، وقد تتعرض قيمهم للذوبان من خلال التعاطي الجاف مع مفاهيم معنويَّة وروحيَّة .

ولذلك ، فبالرغم من المكانة الاجتماعية للجامعيِّ أو قل للأكاديميِّ في المجتمع ، إلا إنَّ هذه المكانة لا تسدُّ الفراغ الذي أحدثته الطَّبِيعَةُ العلميَّة في دراسة قضايا رُوحِيَّة ومعنويَّة .

وهذا يعني أنه ليس من الضروريِّ الالتزام بمفاد تلك النتائج المعرفيَّة المتعلقة بالأخلاق والقيم الدينيَّة ، وليس من الضروريِّ أن تتوصَّل الطَّبِيعَةُ المنهجِيَّة والمناهج الأكاديميَّة إلى ما يصبو إليه الإسلام في تربية الإنسان وتهذيبه ، خاصةً

(١) البقرة : الآية ١٨٥ .

(٢) البقرة : الآية ٢٨٦ .

(٣) آل عمران : الآية ٩٧ .

وأن هذه المفاهيم لا تؤخذ من خلال الكتب والنظريات ، وإنما من خلال وجود القدوة المثاليّة التي تتحدّث بالفعل لا بالكلام وبطريقة «كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم»<sup>(١)</sup> ، والتي تساعد المستضعف ذاته على استيعاب ما اعتقده، وأن يقوى عملياً على تهذيب نفسه وتربيتها وفق المنظور الإسلاميّ .

وهذه المادّة العميقة المفاهيم ، وذات المطلب الطوعيّ في الامتثال بها ، لا يمكن تصويرها كحقيقة ملموسة إلا من خلال المدارس المتخصّصة في هذا الحقل ، وهي مدارس التّهذيب والرياضات الروحيّة .

وهي في مدرسة أهل البيت عليهم السلام تسمى الحوزة العلميّة ، والتي تضع في أولوياتها التّربية وتهذيب النّفس ، إذ إنّها تعتبر العدالة شرطاً أساسياً ومهمّاً في الانتساب لهذه المدرسة .

فالعالم إذا تقول على الله ، أو كنتم أمر الله بغياً من عند نفسه ، فهو شيطان متفكّه - والعياذ بالله - وأشدُّ من يزيد بن معاوية ، بمعنى أنه افتقد المؤهل الذي يعطيه حق التصدّي للبتّ في القضايا الدينيّة والاجتماعيّة ، وبمعنى أوضح أصبح فاقداً لـ «العدالة» .

فالفقه والأصول والحكمة والمنطق هي مثلها مثل التخصّص في الفيزياء والكيمياء في الوصول إلى المراحل المتقدّمة فيها ، إلا إنّ العلوم الحوزويّة يشترط فيها قصد القربة إلى الله تعالى ، بخلاف الفيزياء والكيمياء ، والتي لا يشترط فيها ذلك ، وهذا يعني ضرورة تهذيب النفس وفق الطّرح الإسلاميّ .

ولذلك جاء مشروع الجمع بين الحوزة والجامعة ، أو تطوير وتوثيق العلاقة بينهما ليكون عنوان القربة في كليهما ، وفي خدمة المجتمع بما يرضي الله .

(١) حديث معروف عن الإمام الصادق عليه السلام ، وسائل الشيعة : ج ١ ص ٥٦ (الناشر) .



ولغرض حماية المجتمع والنظام الإسلامي من خطر الانحلال الأخلاقي والقيمي في الجامعات والمعاهد العلمية شدّد الإمام الخميني تَدكُّر في تأكيداتهِ في هذا الشأن على أهمية الاهتمام بالجامعات والمعاهد العلمية الأخرى .

ففي هذا الإطار يقول : «مسألة مراكز التعليم والتربية من دور الحضارة وإلى الجامعات هي من القضايا المهمة جداً والمصيرية التي كررتها مراراً لأهميتها الاستثنائية .. ليعلم الشعب المنهوب أن الجامعات كانت مصدر القسم الأكبر من الضربة القاصمة التي وجهت إلى إيران والإسلام خلال النصف الأخير من هذا القرن»<sup>(١)</sup> .

خاصة وأن المناهج الأكاديمية تعني وزارات المعارف والتربية والتعليم ووزارة الثقافة ، وهذا يعني ارتباط تلك المعاهد بالنظام السياسي في أي بلد ، فتراعى في المناهج الثقافة السياسية والأيدولوجية للنظام السياسي ، فإذا ما كان النظام نظاماً اشتراكياً ، فالأنتجاه الذي ستؤكّد عليه الجامعات هو الثقافة الاشتراكية ، وكذلك فيما إذا كان النظام السياسي رأسمالياً أو إسلامياً .

ولذلك ، كان وضع الجامعات في إيران متردياً ، وموافقاً لطبيعة النظام الثقافية والسياسية خلال العقود الخمسة التي سبقت انتصار الثورة الإسلامية ، كما أشار إلى ذلك الإمام تَدكُّر .

وأشار أيضاً إلى هذه الحقيقة ، وهي حقيقة انسجام الأنتجاه العلمي والثقافي في تلك المعاهد مع الأنتجاه السياسي والأيدولوجي للنظام البهلوي في إيران ، إذ يقول :

«كم هو محزن ومؤسف للغاية أن الجامعات والمدارس الثانوية كانت تدار من قبل أشخاص جميعهم - باستثناء أقلية مظلومة محرومة - من المتأثرين

(١) الوصية السياسية الإلهية ، الفقرة (كاف) .

بالغرب والشرق الذين احتلوا مواقع في الجامعات ببرنامج وخطه مملأ، وعلى أيدي هؤلاء كان يتلقى أعزأونا التعليم والتربية، فكان قدر شبابنا الأعزأ والمظلومين أن يتربوا في أحضان هذه الذئاب العميلة للقوى الكبرى، وأن يتصدوا للمناصب التشريعية والحكومية والقضائية لينجزوا الأعمال على وفق أوامرهم، أي أوامر النظام البهلوي الظالم»<sup>(١)</sup>.

ثم عدد المعضلات والمشاكل التي نتجت عن ذلك الاتجاه السائد والحاكم في المعاهد التعليمية - من الحضانة إلى الجامعات - وجسامة التركات السلبية التي خلّفها هذا الاتجاه، فقال: «فما كان لوطننا - أبداً - أن تبتلعه إنجلترا وبعدها أمريكا والاتحاد السوفيتي لو كانت الجامعات ومراكز التربية والتعليم تدار وفق مناهج إسلامية ووطنية، وتسير باتجاه مصالح البلد في تربية وتعليم وتهذيب الأطفال والأحداث والشباب، ولما كان ممكناً قط أن تُفرض على الشعب المحروم المنهوب الاتفاقيات المهلكة، ولا أن تطأ أقدام المستشارين الأجانب أرض إيران، ولكان محالاً أن تُصب ثروات إيران والذهب الأسود العائد لشعبها الكادح في جيوب القوى الشيطانية، وما كان ممكناً قط للعائلة البهلوية والمرتبطين بها أن ينهبوا أموال الشعب، ويبنوا لأنفسهم في الخارج والداخل قصوراً وجناناً على أجساد المظلومين، ويملؤوا المصارف الأجنبية من حاصل كدح هؤلاء المظلومين، ويصرفوه على مجونهم، ومفاسدهم هم والمرتبطين بهم»<sup>(٢)</sup>.

ويؤكد أكثر على خطورة أن يشغل غير الصالحين من خريجي الجامعات مواقع القرارات الوطنية كالحكومة ومجلس الشورى والقضاء، وجاء هذا التأكيد في سياق حديثه السابق بقوله: «ولو أن المجلس والحكومة والسلطة القضائية

(١) الوصية السياسية الإلهية، الفقرة (كاف).

(٢) الوصية السياسية الإلهية، الفقرة (كاف).

وسائر المؤسسات كانت تنبثق من جامعات إسلامية ووطنية ، فإن شعبنا ما كان ليبتلى اليوم بالمشاكل المدمرة .

ولو كانت قد شقت طريقها من الجامعات إلى مراكز السلطات الثلاث شخصيات نقية ذات اتجاهات إسلامية ووطنية - بمعناها الصحيح ، وليس بهذا المعنى الذي يطرح اليوم قبال الإسلام - لما كان يومنا كهذا اليوم ، ولا وطننا على ما هو عليه اليوم ، ولتحرر المحرومون من أسر الحرمان ، ولطوي بساط الظلم والجور الملكي<sup>(١)</sup> .

كل تلك المصائب يمكن أن تحدث إذا كانت الجامعات ذات اتجاه معاد للقيم والأخلاق والمفاهيم الإسلامية والوطنية ، وذلك لسببين :

**الأول :** إن الأكاديميين هم الذين يشغلون كل المؤسسات النظامية على أساس التخصصات التي تتطلبها البلدان القانونية (بأي قانون) .

**الثاني :** إنهم النخبة الثقافية التي تتحرك في المجتمع والمؤسسات التعليمية والثقافية ، وتحكم - بأساليبها المنظمة والمدروسة - في نبض المجتمع وموقفه .

ولذلك فـ « لو كانت الجامعات إسلامية وإنسانية ووطنية لاستطاعت أن تقدم للمجتمع المئات والآلاف من الأساتذة »<sup>(٢)</sup> .

وعلى ضوء الخلفية الثقافية وتحديث أساليب تلك البقايا التي خلفها أو صنعها العهد الملكي في إيران ، أو ثقافات العالم الغربي أو الشرقي أو القانطون الذين احتضنتهم قوى التبعية المعادية للنظام الإسلامي ، لا تزال هذه العناصر تشغل مواقع مهمة في الجامعات أو في الشارع عبر التظاهر بالإيمان بمبادئ الثورة ، ودس السم في مخالطاتهم ومخاطبتهم للناس .

(١) الوصية السياسية الإلهية ، الفقرة (كاف) .

(٢) الوصية السياسية الإلهية ، الفقرة (كاف) .

ولذلك يحتاج الشعب والنظام إلى اتخاذ خطوات يقظة وحذرة تمنع من تسلل أي انحراف من المنحرفين والمخدوعين إلى هذه المعاهد ، كي لا تبت من جديد سمومها التي تسمم الثقافة الإسلامية وتشوهها لتتحكم في ثقافة المجتمع وهو الأهم في المحافظة على ديمومة النظام الإسلامي ، ولذلك قال الإمام تَدَبُّرُ :

« ... على شعب الجمهورية الإسلامية وحكومتها في كل عصر أن يمنعوا تسلل العناصر الفاسدة ذوي المدارس الفكرية المنحرفة والميول الغربية والشرقية إلى المعاهد العلمية والجامعات وسائر مراكز التعليم والتربية ، وليمنعوا ذلك من الخطوة الأولى لكي تُجْتَنَّب المشاكل ولا يفلت الزمام من اليد .

ووصيتي إلى الشبان الأعزاء في المعاهد العلمية والثانويات والجامعات هي أن يتفضوا بأنفسهم وبشجاعة أمام الانحرافات ليصان استقلالهم وحريتهم واستقلال وحرية بلدهم وشعبهم»<sup>(١)</sup> .

وأهم خطوة في طريق الحذر واليقظة هي : « أن لا تصيب الغفلة الجيل المعاصر والأجيال الآتية ، وأن يسعى الجامعيون والشبان النجباء الأعزاء إلى تعزيز وتوثيق أواصر الود والتفاهم أكثر من ذي قبل مع العلماء وطلبة العلوم الدينية ، وأن لا يغفلوا عن منخططات ومؤامرات العدو الغادر»<sup>(٢)</sup> ؛ لأن أول خطوة في هذا الإطار إيجاد العداوة بين الحوزوي والجامعي وإيجاد النفرة بينهما .

وقد انطلق العمل في هذا المجال من منطلق مؤامراتي هو عزل العلماء الأتقياء المخلصين الواعين ، وفي هذا يقول تَدَبُّرُ : « إن عزل علماء الدين هو من المخططات الشيطانية التي تنفذها القوى الاستعمارية والاستغلالية الكبرى

(١) الوصية ، الفقرة (كاف) .

(٢) الوصية ، الفقرة (دال) .

منذ سنوات متتالية ، وقد تزايدت في إيران منذ عهد رضا خان ، وتويعت في عهد محمد رضا بأساليب أخرى .

فعلى عهد رضا خان كان ذلك ينفذ بالتضييق والقمع ونزع الزي الديني والسجن والنفي والإهانة والإعدام وما مائل ذلك .

أما على عهد محمد رضا فقد كانت تنفذ وفق خطة وبأساليب أخرى ، أحدها إثارة العداة بين الجامعيين وعلماء الدين ، وقد شنت حملة إعلامية واسعة في هذا المجال ، كان لها - مع الأسف - أثر ملحوظ بسبب جهل الفئتين بالمؤامرة الشيطانية للقوى العظمى ...

ومن جهةٍ أخرى ، أخافوا وبواسطة الإعلام المغرض العلماء والخطباء والمتدينين من الجامعة والجامعيين ، وكانوا يرمونهم جميعاً بعدم التدوين والتحليل ومخالفة ظواهر الإسلام والأديان<sup>(١)</sup> ؛ وذلك لأنّ الحوزويّ والجامعيّ هما الشريحة التي : « تشكّل عقل المجتمع المفكّر »<sup>(٢)</sup> .

ويتطور تعميق الخلاف والعداوة إلى درجةٍ يُعتبر : « الاستخفاف بكل ما يرتبط بالدين والمعنويات هو من أدلة الفكر النير والتملن ، والتزامها دليل التخلف والتحجّر »<sup>(٣)</sup> .

وأخيراً يقول تقيّ : « فيفتح هذا الخلاف العميق بين الحكم والشعب وبين الجامعيّ وعالم الدين الطريقَ أمام الناهيين بحيث تكون كافة أمور البلاد تحت سيطرتهم ، وتنصبُّ ثروات الشعب كلها في جيوبهم ، كما رأيتم ما جرى على هذا الشعب وما كان سيجري عليه »<sup>(٤)</sup> .

(١) الوصيّة ، الفقرة (دال) .

(٢) الوصيّة ، الفقرة (دال) .

(٣) الوصيّة ، الفقرة (هاء) .

(٤) الوصيّة ، الفقرة (دال) .

## الإمام والعلماء

جُبِلَ الناس على احترام ذوي المعرفة ، لأنهم العقل المفكّر والمتبحر والمنظر والمبرمج للمجتمع ، ولذلك فكثير هم الطامحون للحصول على تلك الخطوة ، وقد تُسَوَّلُ لبعض القاصرين نفسه الوصول إلى تلك المكانة بأية وسيلة إذا ما فقدوا الأمل في الوصول إليها بالطرق الطبيعيّة والمألوفة ، وقلَّ انضباطهم الأخلاقي في ممارسة المهنة والتخصُّص .

إلا إنّه كلما كان الحقل دقيقاً ، ويحتاج إلى ذهنيّة خاصّة فإنه يصعب على المدّعين المواصلة في طريق الخداع ، ويسهل اكتشافهم لذوي الاختصاص ، كما أنّ ادعاء العلم والتخصُّص في بعض العلوم قد لا يخلق أية مشاكل اجتماعيّة ، أو قد يخلق مشكلةً ما ، إلا إنها بسيطة ، وسرعان ما يمكن مواجهتها .

إلا إنّ الخطورة تكمن في انحراف عالم الدين ؛ لأن انحرافه يقلب صورة المجتمع ، ويحوّله إلى صورة أخرى تنافي ما يريده الدّين والأخلاق ، بل وحتى الطّبيعة البشريّة .

وفي النظام الإسلامي تكون الخطورة أكبر ؛ لأن العلماء هم المشرفون على إسلاميّة النظام ، وهم المعنيّون بالحفاظ على هويّته الدينيّة والثقافيّة ، كما أنهم معنيّون بأعلى موقعٍ سياسيٍ فيه ، وذلك التزاماً بمشروع القراءة الدينيّة للحكم من خلال مدرسة أهل البيت عليهم السلام .

ولمواجهة هذه الخطورة يحذر الإمام بشدة من العلماء المنحرفين بقوله :

« إنَّ للقوى الكبرى الناهبة احتياطاً في المجتمعات من أفراد بعناوين شتى من الوطنيين والمتقنين الزائفين ، والمتلبسين بزي العلماء الذين لو سنحت لهم الفرصة لكانوا أشدَّ خطراً وإضراراً ، فهؤلاء يعيشون بين الشعوب ثلاثين أو أربعين سنة أحياناً ، متحمّلين بصبرٍ مشقة الاستمرار في التظاهر بسلوكٍ إسلاميٍّ وقدسيّة ، أو بقوميّة فارسيّة ووطنية ، وحيلٍ أخرى ، ثم وفي الوقت المناسب يتفقدون مأموريتهم »<sup>(١)</sup> .

ثم يصنف مجموعة أخرى :

« وأما بالنسبة لتلك الفئة (من العلماء) التي تخالف بشدة الجمهورية الإسلامية وحكمها أساساً ، وتعمل لإسقاطها من أجل الله !! وبحسب أوهامها فهذه الجمهورية أسوأ من الحكم الملكي أو مثله ، وذلك بسبب بعض الاشتباهات أو الأخطاء المخالفة لأحكام الإسلام ، والصادرة عمداً أو سهواً عن مختلف الأشخاص أو الفئات »<sup>(٢)</sup> .

ويحذّر في آخر بيان له من خطورة هؤلاء ، فيقول : « فالعلماء - العلماء - والمتظاهرون بالقدسيّة والمتحجّرون ما كانوا قلةً في الحوزات العلمية ، وليسوا هم بقلة الآن أيضاً .

هناك أفرادٌ ينشطون في العمل ضد الثورة والإسلام المحمديّ الأصيل ، وها هي عدّةٌ منهم اليوم يتسترون بظاهر القدسيّة ويوجهون ضرباتٍ للجذور الدينية ، وللثورة والنظام ، وكأنّه لا تكليف لديهم غير ذلك .

وما هو بالضليل خطر التحجّر والحمقى المتظاهرين بالقدسيّة في الحوزات العلمية ، فعلى الأعرّاء طلبة العلوم الدينية أن لا يغفلوا - ولا للحظة - عن هذه الأفاعي ، ذات الظاهر الحسن والمضلل ، فهؤلاء مروّجو الإسلام الأمريكيّ ، وأعداء

(١) الوصيّة ، الفقرة (طاء) .

(٢) الوصيّة ، الفقرة (عين) .

رسول الله ، أفلا ينبغي أن يحفظ الطلبة الأعداء اتحادهم في مواجهة مثل هذه الأفاعي<sup>(١)</sup> .

هذه الصورة الخطيرة عن علماء السوء المتلبسين بزي العلماء تعكس تفكيرهم ونشاطهم المخالف للوظيفة الشرعية لعلماء الدين .

فعلماء الدين الأنقياء هم حصون الإسلام وأمناء الرُّسل ، وأمناء الله على حلاله وحرامه ، وفي ذلك قال الكثير الكثير ، ومما قاله : « لا شك أن الحوزات العلمية والعلماء الرساليين كانوا على مدى تاريخ الإسلام والتشيع أهم قاعدة حصينة للإسلام في مواجهة الهجمات والانحرافات .

لقد سعى علماء الإسلام العظام جاهدين طوال حياتهم من أجل تبليغ وترويج أحكام الحلال والحرام الإلهية دون تدخل ولا تصرف ، ولولا أولئك الأعداء من الفقهاء لما كان معلوماً أية علوم محرقة كانت ستقدم اليوم لعامة الناس على أنها علوم القرآن والإسلام وأهل بيت النبوة ﷺ ، فلم تكن يسيرة مهمة جمع وحفظ العلوم القرآنية والإسلامية ، وآثار الرسول الأعظم ﷺ وأحاديثه وسنة المعصومين ﷺ وسيرتهم<sup>(٢)</sup> .

ولأنهم كذلك فقد أثبتوا كفاءتهم ومبدئيتهم ، إذ إن قراءة فاحصة في تاريخهم المضيء تؤكد هذا الأمر ، وقد أشار الإمام إلى ذلك في نفس بيانه السابق في قوله : «إن كفاءة علماء الإسلام وفقهائه وصدقهم والتزامهم - هذه العوامل - هي التي جعلت الجماهير تتوجه إليهم وتختارهم ، ولم يتحقق نفوذ العلماء لا بفعل القوة وحرابها ولا بفعل أموال عبدة المال والأثرياء ...

(١) ريادة الفقه الإسلامي ، ١٩ - ٢٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٧ .



... وعلى أي حال ، فإن الذي كتب لعلماء الإسلام الحياة والبقاء والحب في القلوب هي الخصال الجليلة التي تحلوا بها كالفقاعة والشجاعة والصبر والزهد ، وطلب العلم وعدم الارتباط بقوى السلطة ، والأهم من كل ذلك هو الشعور بالمسؤولية تجاه الجماهير .

وأي عزة وكرامة لعلماء الإسلام أسمى من نجاحهم في ترويج الفكر الإسلامي النقي ، وحفظه حياً في ساحة أفكار وآراء المسلمين - رغم قلة الإمكانيات - فأثمرت شجرة الفقه المقدسة براعمها المباركة في حدائق ورياض حياة آلاف المحققين وأزهرت بمعنوياتهم<sup>(١)</sup> .

وبتلك الخصال العظيمة «لم يحدث أبداً أن خضع علماء الإسلام الحقيقيون للرأسماليين وعبدة المال والإقطاعيين ، وحفظوا لأنفسهم هذا الشرف على الدوام»<sup>(٢)</sup> .

ولأنهم بتلك الصلابة والأصالة «سيشهد العالم الإسلامي بين آونة وأخرى مصداقاً من مصاديق تفجر سنخ ناهبي العالم على عالم مضح من علماء الدين المجاهدين»<sup>(٣)</sup> . وتمثل تفجر سنخهم في الإرهاب والتسلل ، وهو الموضوع الذي أثاره الإمام تثنى باهتمام بالغ حيث قال : «إن الاستكبار عندما يشس من تدمير علماء الإسلام والحوزات الدينية بصورة كاملة اختار أسلوبين لضربهم :

الأول : تمثّل في الإرهاب والعنف والقوة .

والثاني : تجسّد في الخداع والتسلل .

(١) المصدر السابق ، ص ١٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٦ .

وفي القرن المعاصر ، عندما لم تحقق حرب ( الإرهاب والتهديد ) الفاعلية المطلوبة عمد الاستكبار إلى تقوية أساليب التسلُّل والخداع ، وأوَّل وأهمُّ حركة في هذا المجال كانت عملية زرع شعار فصل الدِّين عن السياسة .

ومع الأسف فإنَّ هذه الحرب قد فعلت فعلها لدى الحوزات الدينيَّة وعلمائها، بحيث وصل الأمر إلى اعتبار التدخُّل في السياسة لا يناسب شأن الفقيه ، وأنَّ اقتحام معارك السياسيين يستتبع التعرض لآتهامات العمالة للأجانب .

ويقيناً إنَّ ما أصاب العلماء المجاهدين من جراح سهام المتسلِّلين يزيدُ عن غيرها ، ولا تظنُّوا أنَّ الأجانب وحدهم هم الذين وجَّهوا تهم العمالة وفرية عدم التدين للعلماء [العاملين] ، ففاعليَّة ضربات العلماء غير الواعين ، والواعين العملاء كانت أشدَّ تأثيراً بأضعاف مضاعفة»<sup>(١)</sup> .

بل وصل الحال بالإمام أن قال : «إنَّ الغَصَص التي تجرَّعها أبوكم الشيخ من هذه الفئة المتحرِّجة لم يتجرَّعها أبداً من كل ضغوط الآخرين ، والمشاق التي سببها»<sup>(٢)</sup> .

وعندما شدَّ العلماء العاملين المجاهدين أحزمة التصدِّي لهموم المحرومين والمستضعفين اتَّهموهم بالعداء للمدنيَّة ليخوَّفوا الناس منهم ، ويبعدوهم عن الناس ، ولكن الإمام أشار إلى حقيقة موقفهم ، وهل هم حقاً يعارضون المدنيَّة أم ماذا ؟

يقول : «إنَّ معارضة علماء الإسلام لبعض مظاهر المدنيَّة في السابق ما كانت إلا بدافع الخشية من التسلُّط الأجنبيِّ ، وإدراكهم مخاطر انتشار الثقافة الأجنبيَّة ، لاسيما الثقافة الغربيَّة المبتذلة ، فهذا هو الذي جعل أولئك العلماء يتعاملون بحذر واحتياط تجاه الاكتشافات الحديثة والظواهر الجديدة .

(١) المصدر السابق ، ٢١ .

(٢) المصدر السابق ، ٢١ .

فعلماء الإسلام الصلحاء أصبحوا لا يثقون بأي شيءٍ غربيٍّ بعد كل الذي شاهدوه من كذب ناهبي العالم ، وخذاعهم ومكرهم ، ولذلك كانوا يعتبرون عدداً من الوسائل - كالإذاعة المسموعة والمرئية - أدواتٍ ممهدة لمجيء الاستعمار ، من هنا كانوا يحكمون أحياناً بعدم جواز استخدامها .

ألم تكن الإذاعة المسموعة والمرئية وسائل لترويج الثقافة الغربية في إيران والبلدان المشابهة ! .

ألم يكن النظام البائد يستخدم الإذاعة المسموعة والمرئية لإضعاف العقائد الدينية ، وطمس الآداب والأعراف الوطنية؟<sup>(١)</sup> .

«إنهم - أي الحكام - يتهموننا بالرجعية ، والصحافة المأجورة في الخارج أيضاً تنعتنا - وبكل وقاحةٍ - بأننا أعداء الإصلاح مع أن الإسلام هو عنوان للإصلاح والتقدم... ويصفوننا أيضاً بأننا ضد الرقي والتقدم !! ويقولون : إن العلماء لا يريدون غير الحمير مركباً للتنقل والسفر! يقولون : إن العلماء يمانعون من استخدام الكهرباء ، ويعارضون ركوب الطائرات ، إنهم يريدون التقهقر إلى القرون الوسطى !!»<sup>(٢)</sup> .

«إذا كان المقصود من مظاهر التمدن والاختراعات هو الابتكارات والإبداعات والصناعات المتطورة التي تساهم في تقدم البشر وتحضرهم ، فلا الإسلام ولا أي دينٍ توحيديٍّ عارضٍ أو سيعارض ذلك أبداً ، بل إن العلم والصناعة قد أكد عليهما الإسلام والقرآن المجيد ، وإذا كان المراد من الحدائق والتحضر ذلك المعنى الذي يطرحه بعض المثقفين المحترفين وهو الحرية في

(١) المصدر السابق ، ١٧ - ١٨ .

(٢) دروس في الجهاد والرفض ، ص ٧٠ .

جميع المنكرات والفحشاء حتى الشذوذ الجنسي وما شاكلة ، فهذا ما ترفضه كافة الأديان السماوية والعلماء والعقلاء ، وإن روجّ لذلك المبهورون بالغرب أو الشرق انطلاقاً من تقليدهم الأعمى<sup>(١)</sup> .

هؤلاء هم العلماء ذوي المداد الأفضل من دماء الشهداء ... وهؤلاء هم العلماء الذين قال عنهم الإمام تَمْتَلُ : «لقد سعى علماء الإسلام العظام جاهدين طوال حياتهم من أجل تبليغ وترويج أحكام الحلال والحرام الإلهية دون تدخل ولا تصرف ، ولولا أولئك الأعزة من الفقهاء لما كان معلوماً أية علوم محرقة كانت ستقدم اليوم لعامة الناس على أنها علوم القرآن والإسلام وأهل بيت النبوة ﷺ ، فلم تكن يسيرة مهمة جمع وحفظ العلوم القرآنية والإسلامية ، وأثار الرسول الأعظم ﷺ وأحاديثه وسنة المعصومين ﷺ وسيرتهم»<sup>(٢)</sup> .

(١) الوصية ، الفقرة (باء) .

(٢) زيادة الفقه ، ص ١٧ .



## الإمام والحكومة

جاءت الرسالة الخاتمة لكل البشر بمثابة الدستور المستوعب للحياة كلها ، من نظام الحكم إلى النظام التربوي للمجتمع والفرد ، وقد جسّد القرآن ذلك الجانب القانوني في الرسالة ، ولذلك كان تعامل الحكّام معه من باب قراءته من أجل الأجر ، وعطّوه بشكل جعل من يجهل دينهم يتصوّر أنّهم من غير دينٍ ولا كتاب ، وقد أكّد الإمام عليه السلام على ذلك في قوله : « لقد أقصوا - عن ساحة الحياة - القرآن بالقرآن الذي هو أعظم منهاج لحياة البشر المادية والمعنوية إلى حين الورود على الحوض »<sup>(١)</sup> .

والقرآن الذي يحتوي على الناسخ والمنسوخ ، والمحكم والمتشابه لا يمكن أن يعرفه إلا « الذين تلقوا القرآن كلّهم من الرسول الأكرم ﷺ » ، ولكنّ غياب أولئك الورثة المعصومين عليهم السلام لا يعني إلغاء مشروعية أو إمكانية العمل بذلك الدستور ، وإنّما نظراً للمأثور الضخم الذي جاء تبياناً للقرآن عن أولئك المعصومين عليهم السلام ، بدءاً من سيّد المخلوقين وختماً ببقية الله الأعظم عليه السلام ، وما تبنّاه الأصوليون من حُجّية الظواهر . فإنّ المسؤولية تقع على عاتق الفقهاء الصّالحين الذين نصّت عليهم النصوص كورثة لمقام الإمام الغائب المنتظر (عج) أن يقيموا أحكامه ويبيّنوا حلاله وحرامه ويطبّقوا نظّمه وتشريعاته ، لقوله ﷺ : « فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه ، حافظاً لدينه ، مخالفاً لهواه ، مطيعاً لأمر مولاه ، فللعوام أن يقلّدوه »<sup>(٢)</sup> .

(١) الوصية السياسية الإلهية ، المقدمة .

(٢) تحرير الوسيلة : ج ١ ، ص ٥ .

والنصوصُ الكثيرة الواردة في مكانة الفقهاء الصالحين العاملين ، والتي ورد في بعضها : « حصون الإسلام » و« ورثة الأنبياء » و« أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاءوا به » و« اللهم ارحم خلفائي » وكثير غيرها ، تدلُّ على أن ما كان قائماً في الناس بوجود المعصوم لا يليه إلا أعلم الناس به بعده ، وهم القدر المتيقن لشغل ذلك الفراغ ، أعني « الفقهاء » .

وما يجب أن يكون قائماً بوجود المعصوم أو في حال غيابه هو تطبيق الأحكام الإلهية والعالم المثالي الذي يدعو له النبيؐ ، وأهل بيته الطاهرون عليهم السلام ، ولا يقوم به إلا أقرب الناس إلى فهم أهداف المعصوم ، وأقدرهم على تطبيقها .

وهكذا جاءت نظرية « ولاية الفقيه » والثورة الإسلامية في إيران كتجسيد عملي لتحمل أمانة النيابة في زمن الغيبة الكبرى .

ولذا فالحكومة هي الجهاز التنفيذي لذلك الدستور الذي يتمثل مصدره في القرآن الكريم وسنة النبي الأعظم ، وورثته المعصومين عليهم السلام .

وهذا الجهاز ما لم يكن لإقامة شرع الله وسنة نبيه ، والمعصومين عليهم السلام ، فسيصبح جهازاً طاغوتياً ، وصارفاً للخلق عن الله تعالى .

وهذا يعني الاهتمام بكوادر ذلك الجهاز ، إذ يجب أن يكونوا مؤمنين صالحين ، ويتمتعون بالخبرة والحذر واليقظة ، وهذا الجانب هو ما أكد عليه الإمام الخميني قدس في قوله : « من الأمور التي يجب إصلاحها وتنقيتها ومتابعتها هو السلطة التنفيذية . فقد يحدث أحياناً أن يسنَّ مجلس الشورى تشريعات راقية ونافعة للمجتمع ، ثم يصادق عليها مجلس أمناء الدستور ، ويبلغها الوزير المختص ، ولكنها عندما تصل إلى التنفيذيين غير الصالحين فإنهم يمسخونها ، ويعملون بخلاف المقررات»<sup>(١)</sup> .

(١) الوصية ، الفقرة (باء) .

وينسب قدس سره هذا الفلتان لحالتين : « إما وفقاً لما اعتادوه من الروتين المعقّد والاتوانات الإدارية ، أو عن عمدٍ بهدف إثارة الإضطراب لدى الناس » ، ثم يُحذّر من هذه الظاهرة بقوله : « مما يؤدي بالتدرّج والتساهل إلى الفتنة » .

وإذا ما تخلّصت الحكومة من شوائب سلبيتها ، فإنها ستصبح نعمة الله على من تعولهم ، وشكر النعمة هو المحافظة عليها كالعزيز والنقيس الذي يستحقُّ أن يفدى بالنفوس ، كما يرى الإمام ذلك تذكُّل في قوله : « أما وصيّتي إلى الشعب الإيراني العزيز فهي : أن تعرفوا قيمة النعمة التي حصلتم عليها عبر جهادكم العظيم وبدماء شبابكم النجباء ، وأن تقدروها كأعزُّ الأمور إليكم ، وتحرسوها وتحافظوا عليها وتجاهدوا في سبيلها فإنها نعمة إلهية عظيمة وأمانة ربانية كبيرة» <sup>(١)</sup> .

(١) الوصيّة ، الفقرة (جيم) .





## حين لا تُغتفر الخطيئة

هذه هي الحكومة في الإسلام ما دامت في خدمة الدِّين والجماهير المؤمنة ، التي ستكون بلا شكٍ وفيّةً للحكومة ، وستنجب الجماهير الكفاءات في كل الحقول استعداداً لملء الفراغ الذي لم يشغله أحدٌ أو فُقدَ من كان فيه ، وستعذرُ الجماهيرُ الحكومةَ فيما إذا لم تفلح جهودها في تنفيذ بعض التزاماتها التي تعهّدت لهم بالوفاء بها .

أما إذا انحرفت الحكومة عن خطِّ الإسلام - لا سمح الله - فإنها ستحرف النَّاسَ عن سبيل الله ، وستكون طاغوتاً يعبد من دون الله تبارك وتعالى .

من الممكن أن يقوم بعض الساسة المخادعين أو المخدوعين بخلق أجواء محددة لتتولد من خلالها ظاهرة شعبية - مقصودة أو غير مقصودة - يمكن أن تخترق الدستور لتفرض تغيير ثوابته ، وهذا سهل من خلال عمل المتنفذين على تلوين مفاد الثوابت وفق المفروض الذي رسمه المتنفذون غير الصالحين .

ومن هنا جعل الدستور مادةً ثابتة تجعل الوليَّ الفقيه العادل البصير الكفوء راعياً للنظام ، وحارساً لهويته ، إذ تقول: « في زمن غيبة الإمام المهديّ (عجل الله تعالى فرجه) تكون ولاية الأمر وإمامة الأمة في جمهورية إيران الإسلامية بيد الفقيه العادل المتقي البصير بأمر العصر ، الشجاع القادر على الإدارة والتدبير»<sup>(١)</sup> .

إلا أنّ عمل القائد دون أن يستمد موقفه وحضوره من وعي الشعب سيفقد تأثيره وفعاليتته التي تحرس ثوابت وهويته الشعب ، لذلك قال الإمام الخمينيُّ قدسُ :

(١) الدستور ، المادة الخامسة .

«والآن بعد أن نجوتم - إلى حدٍ كبيرٍ جداً - من كثيرٍ من تلك الشراك . . أوصي الشعب العزيز انطلاقاً من الحرص عليه والرغبة في الخدمة ، بأن عليكم باليقظة والحذر ، ومراقبة محترفي السياسة المرتبطين بالغرب أو الشرق ، كي لا يسوقوكم بوساوسهم الشيطانية إلى تبعية هؤلاء السراق الدوليين»<sup>(١)</sup> .

وليس الحذر الذي تعنيه هذه الفقرة في الانكفاء وترك الجبل على الغارب بتكذيب الجميع وعدم الثقة في أحد ، وإنما بالتواجد في الساحة على الدوام ، وتصحيح الأخطاء إذا ما شُخص ذلك من قبل «العلماء الأتقياء الملتزمين بالجمهورية الإسلامية»<sup>(٢)</sup> .

وإذا ما أصرت الجهات المختصة على التهاون في معالجة الأخطاء والانحرافات وتجاهلها ولا مبالاتها ، فعلى الجماهير - من خلال توجيهات وإرشادات العلماء الأتقياء والملتزمين - أن يقوموا هم بمواجهة هذا الانحراف واستئصاله ، وفي ذلك يقول : «وصيتي إلى الشبان الأعزاء في المعاهد العلمية والثانويات والجامعات هي أن يتفوضوا بأنفسهم وبشجاعةٍ أمام الانحرافات ؛ ليصان استقلالهم وحريةتهم واستقلال وحرية بلدهم وشعبهم»<sup>(٣)</sup> .

أما إذا كان الحذر مبنياً على أساس الاختلاف في الأمزجة والمعالجة ، فإن النتائج السلبية ستخلق أجواءً انفلاتية لا تخضع لضوابط ولا لقيمة أخلاقية ، وستعرض هوية الجمهورية الإسلامية وثوابتها إلى الذوبان ، ولذلك قال الإمام : « ليس هناك من مبررٍ شرعيٍّ ولا عقليٍّ يجيز اليوم أن تؤثر الاختلافات في الأمزجة والاستنتاجات وحتى ضعف الإدارة على الألفة والوحدة بين علماء الإسلام وطلبة علومه الرساليين .

(١) الوصية ، الفقرة (هاء) .

(٢) الوصية ، الفقرة (زاي) .

(٣) الوصية ، الفقرة (كاف) .

من المحتمل أن يكون لدى كل شخصٍ في ظل أجوائه الفكرية وآرائه الخاصة انتقادات تجاه طريقة عمل الآخرين والمسؤولين وأساليبهم الإدارية الخاصة ، ولكن أسلوب التعبير وأوجه التعبير عن تلك الانتقادات ينبغي أن لا تحرف أفكار المجتمع والأجيال القادمة عن مسار معرفة الأعداء الحقيقيين والقوى الكبرى التي هي السبب في كل المشاكل والنواقص ، وتشغل الأذهان بقضايا فرعية .

فلا ينبغي أن تُحمَل - لا سمح الله - كلُّ المشاكل ومظاهر الضعف على المسؤولين والمدراء ، ثم يُستتَج من ذلك القولُ باستبدادية جناح معينٍ بالحكم !! هذا هو عدم الإنصاف ، فضلاً عن أنه يؤدي إلى تدمير هيبة مسؤولي النظام الإسلامي ، وبالتالي يمهد الأرضية لدخول اللامبالين الذين لا يحملون هموم وآلام المحرومين إلى صدارة ميادين الثورة<sup>(١)</sup> .

وهذه النصيحة كما أنها موجّهة إلى الكتاب والمثقفين الذين هم من رحم الثورة ، ويقفون إلى الجانب المعارض للحكومة ، فهي - أيضاً - موجّهة للحكومة التي بيدها زمام الأمور ، ومن خلال تغاضيها وعدم مبالاتها يسهل تغلغل المتآمرين في أوساط المثقفين والكتاب .

ويوجّه نداءه إلى الوزراء فيقول : « وصيبي إلى الوزراء المسؤولين في العصر الحاضر والعصور الأخرى هي أنكم جميعاً بحاجة إلى دعم الشعب ... ولو حرمتهم يوماً هذا الدعم فسوف تُقصون عن مناصبكم ، وسيحتلها بدلاً عنكم الظلمة كما في النظام الملكي الجائر ، هذا فضلاً عن أن الميزانية التي تترزقون منها أنتم وموظفو الوزارات هي ملك للشعب ، فيجب عليكم جميعاً أن تكونوا في خدمة الشعب ، خاصة المستضعفين منهم ، كما أن إيجاد

(١) ريادة الفقه الإسلامي ، ص ٣١ - ٣٢ .

المشقة للناس والعمل خلافاً للواجب حرام ويوجب أحياناً الغضب الإلهي -  
لاسمح الله -»<sup>(١)</sup>.

هكذا يرى الإمام طبيعة العلاقة والمسؤولية التي يجب أن تكون من قبل الحكومة تجاه الشعب . وملخص ما يريد في هذا المجال قوله : «أوصي المجلس والحكومة والمسؤولين بأن يعرفوا قدر هذا الشعب ، وأن لا يألوا جهداً في خدمته خاصة المستضعفين والمحرومين والمظلومين؛ فهم قُرّة أعيننا وأولياء نعمة الجميع»<sup>(٢)</sup>.

(١) الوصية ، الفقرة (باء) .

(٢) الوصية ، الفقرة (جيم) .

## السُّلْطَةُ الْقِضَائِيَّةُ

إذا سلّمنا بأنّ للإسلام شريعة لكلّ حياة الإنسان (الماديّة والمعنويّة) فلا بدّ أن نسلم بأنّ له موقفاً في ذلك كلّ لترتيب حياة الفرد والمجتمع والشعوب ، ومعالجة أيّ انفلاتٍ يلغي اعتبار الآخرين ، أو يتجاوز حدود ما شرّع الله في حقّ الله أو حقّ العباد .

وهذا له عدّة صور ، تنسجم كلّ معالجة مع نوع الانفلات ، فإتلاف عين إنسان بالعمد يكلف المعتدي ثمناً ليس هو المال ، وإنما عينه هو ، حتّى يشعر بنفس الألم الذي تسببه للمعتدى عليه فيمتنع من تكرار فعلته ، إلا إذا قبل المعتدى عليه الدية وتنازل عن حق المماثلة ، وهذا يردّ على الأغبياء القائلين : «إن قانون النفس بالنفس يقضي على نفسين بدل أن تكون الهالكة واحدة» ، وهذا سنخفّ يثير الغرابة ، وهو : كيف جاز لهؤلاء أن ترقّ قلوبهم على مجرم ألغى أي اعتبار إنسانيّ بريء ، ولا ترقّ على الأبرياء الذين لا ذنب لهم من الضحيّة الأولى للمجرم إلى الآخرين من ضحاياه الذين سيكونون كذلك حينما يرى القضاء الرأفة بحقه .

فبأي حقّ وفي أيّ شريعة جاز أن يفقد بريء عيناً أو يداً أو يموت قتلاً ، وفي مقابل ذلك يخسر المعتدي بعض نقوده أو بعض رفاهيته أو يُلزم بالمكوث سنوات في قصرٍ أو في (فيلا) أو في شقّة مرفّهة ، تحت اسم (سجن) كعقوبة ، وعندها لن يتردد أي غاضبٍ متهورٍ أن يبتز عضواً أو أعضاءً أو يقضي على من اختلف معه على مالٍ أو تجارة أو مجرد ملابسنة صبيانيّة .

ولأجل كلّ ذلك لا بدّ في أيّ بلدٍ من جهازٍ قضائيٍّ لمعالجة أيّ منازعات أو خصومات وفق الشريعة التي يتبناها نظام ذلك البلد . فكيف بالنظام الإسلامي الذي

جاء من أجل سعادة الإنسان والحفاظ على حقوقه الفرديَّة والاجتماعيَّة ، وتأهيله فرداً صالحاً يستحقُّ يوم اللِّقاء - الذي يؤمن به كلُّ المسلمين - الجنَّة والخلاص من النار؟. ولذلك فمن البديهي أن يكون لهذا النُّظام الجهاز القضائيُّ المعنيُّ بالعدل والقسط، وهو أكثر إلحاحاً بعد الجهاز التنفيذي ، وبدونه يكون النُّظام كله نظاماً طاغوتياً .

وقد ورد في القضاء الكثير من النصوص - آيات وأحاديث - محذرة من الترك ومن التسيب ، ومن بين ما ورد قوله تعالى : ﴿وَإِنَّا حَكَمْتُ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا غَدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ويأمر الله بالعدل في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾<sup>(٤)</sup>، ويحذِّرهم من تركهم طلب العدل واللجوء إلى غير ما شرع الله في قوله تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(٥)</sup>.

وإذا لم يكن الحُكم حُكماً إلهياً فهو ظلم والحاكم ظالم ، وهذا ما ورد في الآية الشريفة : ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(٦)</sup> ، بل وسماهم

(١) النساء : الآية ٥٨ .

(٢) النساء : الآية ١٣٥ .

(٣) المائدة : الآية ٨ .

(٤) النحل : الآية ٩٠ .

(٥) النساء : الآية ٦٥ .

(٦) المائدة : الآية ٤٥ .

فسقة في آية أخرى : ﴿... فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>(١)</sup> ، وأخرى تتشدّد في وصفهم ، وتخرجهم من تظاهرهم بالدين في قوله تعالى : ﴿... فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> .

أما ما ورد من الأحاديث الشريفة ، فمن بينها :

عن النبي الأعظم ﷺ قال : «إنَّ الله مع القاضي ما لم يجُرْ ، فإذا جار تخلَّى عنه ولزمه الشيطان»<sup>(٣)</sup> .

وعنه أيضاً قوله : «لسان القاضي بين جمرتين حتى يصير إما إلى الجنة ، وإما إلى النار»<sup>(٤)</sup> .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قوله : «من حكم في درهمين بغير ما أنزل الله فهو كافر بالله العظيم»<sup>(٥)</sup> .

هذه هي السُّلْطَةُ الْقِضَائِيَّةُ ، التي أكَّد الإمام على أهميَّة الاعتناء بها في قوله : «وأوصي القضاة الموقرين في العصر الحاضر والعصور القادمة أن يتصدوا لهذه المهمَّة الخطيرة آخذين بنظر الاعتبار الأحاديث الواردة عن المعصومين صلوات الله عليهم عن أهميَّة القضاء وخطره العظيم ، وأن يتبهاوا ويلتفتوا إلى ما ورد عن القضاء بغير الحقِّ ، وألاَّ يسمحوا بأن يعهد بهذا المنصب إلى من ليس أهلاً له ، وأن لا يمتنع عنه من هو أهلٌ له ، ولا يدعوا مجالاً لغير أهله ، وليعلموا أن أجر وفضل وثواب هذا المنصب عظيمٌ مثلما أن خطره عظيم ، كما أنهم

(١) المائدة : الآية ٤٧ .

(٢) المائدة : الآية ٤٤ .

(٣) كنز العمال : ج ٦ ، ص ٩٢ ح ١٤٩٨٥ ، ط مؤسسة الرسالة .

(٤) كنز العمال : ج ٦ ، ص ٩٤ ح ١٤٩٩٢ ، ط مؤسسة الرسالة .

(٥) وسائل الشيعة : ج ١٨ ، ص ٢٠ ، الباب الخامس من أبواب صفات القاضي .



يعلمون بأن التصدي لمنصب القضاء واجب كفاي<sup>١</sup> على من هو أهل له<sup>(١)</sup>.

ولمّا مرّ أكد الدستور على أهميّة القضاء وخطورته ، ولذلك جعل السّلطة القضائيّة جهازاً مستقلاً ، لا يحقّ لأحدٍ تنصيب القاضي فيه إلا للوليّ الفقيه ، كما نصّت على ذلك المادة (١١٠) والمادّة (١٥٦) ، إذ الأولى تنصّ على أن الوليّ الفقيه هو المعنيّ بتعيين أعلى مسؤولٍ قضائيّ<sup>٢</sup> ، والثانية تنصّ على أن السّلطة القضائيّة مستقلة .

ويحدّد الدستور مسؤوليات السّلطة القضائيّة في المادّة (١٥٦) والتي تقول :  
«السّلطة القضائيّة : سلطة مستقلة ، تدافع عن الحقوق الفرديّة والاجتماعيّة ، وعليها مسؤوليّة إحقاق العدالة ، وتتولى الوظائف التالية :

١- التحقيق ، وإصدار الحكم بخصوص التظلمات ، والاعتداءات والشكاوى ، والفصل في الدعاوى والنصومات ، واتخاذ القرارات والتدابير اللازمة في ذلك القسم من الأمور الحسيّة التي يعيّنّها القانون .

٢- صيانة الحقوق العامّة ، وبسط العدالة والحريّات العامّة ، والحريّات المشروعة .

٣- الإشراف على حسن تنفيذ القوانين .

٤- كشف الجريمة ، ومطاردة المجرمين ، ومعاقبتهم وتعزيرهم وتنفيذ الأحكام الجزائيّة الإسلاميّة المدوّنة .

٥- اتّخاذ التدابير اللازمة للحيلولة دون وقوع الجريمة ، وإصلاح المجرمين .» .

ولأجل أن لا تقع السّلطة القضائيّة في أيدي أناسٍ غير أمناءٍ يحوّلون الجهاز إلى جهازٍ طاغوتيّ<sup>٣</sup> - كما مرّ - يشدّد الإمام قُدُّسُ على أن مسؤوليّة استقلاليّة ذلك الجهاز ونزاهة وإيمان القضاة هي مسؤوليّة القائد أو مجلس القيادة ، إذ يقول :

(١) الوصيّة ، الفقرة (حاء) .

« إنَّ القضاء من مهمَّات الأمور لارتباطه بأرواح الناس وأموالهم وأعراضهم ، فوصيَّتي للقائد ومجلس القيادة بالنسبة لما بعهدتهم من تعيين أعلى مسؤول قضائي هي أن يسعوا لتنصيب أفراد ملتزمين ذوي خبرة ورأي في القضايا الشرعية والإسلامية وفي شؤون السياسة .

وأطلب من مجلس القضاء الأعلى أن يجدوا في إصلاح شؤون القضاء التي وصلت على عهد النظام السابق إلى حالة مؤسفة ومحزنة ، وأن يمنحوا أولئك الذين يتلاعبون بأرواح الناس وأموالهم والشيء الذي لا يفكرون فيه هو العدالة الإسلامية عن كرسي القضاء أن تطاله أيديهم - وهو منصب بالغ الأهمية - ، وليصلحوا تدريجياً وضع «العدلية» بسعي حثيثٍ جادٍ ، وليستبدلوا من لا تتوافر فيهم الشروط الإسلامية من القضاة بقضاة يتحلون بها ممن تُعدُّهم تربيةً وتعليماً الحوزات العلمية وهي جادةٌ في هذا الأمر بمشيئة الله ، ولا سيما الحوزة العلمية المباركة في قم»<sup>(١)</sup> .

ولذلك تكون تركيبة المجلس القضائي مختلفةً عن تركيبة السُّلْطَةُ التَّنْفِيذِيَّةُ أو التشريعيَّةُ ، إذ يشترط أن يكون رئيس القضاء من المجتهدين العدول الخبراء بشؤون القضاء كما أشار إلى ذلك الإمام قَدْ تُرُ .

وفي إطار مجريات عمل القضاء قد تدخل بعض القضايا في تعقيدات تقنيَّة أو فنيَّة ويحتاج طرفا الخلاف إلى جعل جلسات المحاكمة علنيَّة ، وقد تكون الرغبة من قبل المحكمة نفسها عندما تشخِّص المصلحة الوطنيَّة أو المهنيَّة علنيَّة المحاكمات ، وقد يكون العكس ، بناءً على ما ورد في المادة (١٦٥) ، والتي تقول : «جلسات المحاكم علنيَّة ، ولا مانع من حضور الأفراد فيها ، وتكون سرِّيَّة

(١) الوصيَّة ، الفقرة (حاء) .

إذا ارتأت المحكمة أن كونها عليّية يناقض النظام العام والآداب العامّة ، وأن يطلب الطرفان في الدعاوى الخصوصية أن تكون المحكمة عليّية» .

ولا تنحصر مسؤوليّة القضاء في حدود الدعاوى المقدّمة من قبل المتخاصمين في مالٍ أو عقارٍ أو ميراثٍ أو قضايا نكاح أو قصاص أو ما شابه ، وإنما تتجاوز ذلك إلى الجرائم السياسيّة والصحفيّة وما شابه ذلك ، وذلك بناءً على ما جاء في المادة (١٦٨) والتي تنصُّ على أنه : « يتمُّ التحقيق في الجرائم السياسيّة والجرائم المتعلّقة بالمطبوعات في محاكم وزارة العدل بصورة عليّية وبحضور هيئة المحلّفين . ويحدّد القانون وفقاً للمعايير الإسلاميّة طريقة انتخاب هيئة المحلّفين ، والشروط اللازم توفّرها في هذه الهيئة وصلاحيّاتها وتعريف الجريمة السياسيّة » .

وتقول المادة (١٧٠) : « على قضاة المحاكم أن يمتنعوا عن تنفيذ القرارات واللوائح الحكوميّة المخالفة للقوانين والأحكام الإسلاميّة ، أو الخارجة عن نطاق صلاحيّة السّلطة التنفيذية .

ويُمكن أي فرد أن يطلب من ديوان العدالة الإداريّة إبطال مثل هذه القرارات واللوائح » .

ويشكّل عام فهي معنيّة بمتابعة حسن سير الأمور وتنفيذها الصّحيح ، هكذا قالت المادة (١٧٤) : « انطلاقاً من حق السّلطة القضائيّة في الإشراف على حسن سير الأمور والتنفيذ الصّحيح للقوانين في المؤسسات الإداريّة ، يتمُّ تشكيل دائرة باسم (دائرة التفتيش العام) تحت إشراف رئيس السّلطة القضائيّة ، يحدّد القانون نطاق صلاحيّات ومسؤوليّة هذه الدائرة» .

وبهذا العرض الذي أراده الإمام والدستور سيجعل من القضاء جهازاً ضامناً للعدالة في المجتمع الإسلامي ، ومبعثاً لرضا الله تبارك وتعالى ، وعلى هذه الصورة فقط « يُحيي - العدل - الأرض بعد موتها » كما ورد في بعض الروايات .

## مجلس الشورى

مجلس الشورى هو المجلس الذي يضم نواب الشعب الذين تم انتخابهم بالاقتراع المباشر من قبل الشعب ، ويقومون بتمثيل الشعب في المجلس ، ولقراراته التي تقرها أغلبية نوابه صفة الإلزامية على الحكومة إذا كانت بصورة الإلزام .

ولذلك تقول المادة (٧١) من الدستور : « يحق لمجلس الشورى الإسلامي أن يسن القوانين في القضايا كافة ، ضمن الحدود المقررة في الدستور»<sup>(١)</sup> .

كما أن له صلاحية شرح وتفسير القوانين العادية أيضاً ، وهذا ما أقرته المادة (٧٣) : « شرح القوانين العادية وتفسيرها يعتبران من صلاحيات مجلس الشورى الإسلامي» .

ولضمان استقرار النظام الإسلامي من خلال سير الأنظمة والقوانين المصادق عليها قانونياً أو دستورياً في المؤسسات النظامية والشعبية : « يحق لمجلس الشورى الإسلامي أن يتولى التدقيق والتحقيق في جميع شؤون البلاد»<sup>(٢)</sup> .

ومن نشاطاته ، بل من أهمها مساءلة الحكومة ووزرائها في شأن أدايتهم مهامهم وفق القانون ، وذلك ما نصت عليه المادة (٨٩) : « يستطيع أعضاء المجلس استجواب مجلس الوزراء أو أحدهم في أي مجال يروونه ضرورياً ، ويكون الاستجواب قابلاً للمناقشة في المجلس إذا قدمه ما لا يقل عن عشرة نواب» .

ولكي تؤدي تلك الوظائف الدستورية كما نصت عليها المواد المذكورة آنفاً ، مع الالتزام بروح تلك المواد ينبغي أن يلتفت المجلس إلى العناصر التي لها حق العضوية فيه ، وفقاً لما

(١) دستور الجمهورية الإسلامية .

(٢) دستور الجمهورية الإسلامية ، المادة ٧٦ .

ورد في الوصية المباركة للإمام في قوله : « وأطلب من نواب مجلس الشورى الإسلامي في هذا العصر وفي المستقبل أن يرفض مجلسهم أوراق اعتماد العناصر المنحرفة إذا حدث - لا سمح الله - أن استطاعت فرض تمثيلها للجماهير بالانتماء واللعب السياسي ، ولا يسمحوا ولا لعنصرٍ منحربٍ وعميلٍ واحدٍ بالوصول إلى المجلس»<sup>(١)</sup> .

وهذا الضمان لا يوفره إلا إيمان النواب بالجمهورية الإسلامية وبثوابت النظام الإسلامي . وهذا ما ركز عليه في جانب آخر من وصيته حين وجه نداءه هذه المرة إلى الشعب المعني بانتخاب النواب ، ليحدد له مواصفات النائب الصالح قال : «فإنني أوصي أبناء الشعب في الحاضر والمستقبل بأن ينتخبوا بإرادة راسخة ، وانطلاقاً من التزامهم بأحكام الإسلام ومصالح البلاد ، في كل دورة انتخاباتٍ نواباً ملتزمين بالإسلام والجمهورية الإسلامية ، غير منحرفين عن الصراط المستقيم إلى الغرب أو الشرق ، وليست لهم ميولٌ للتيارات الفكرية المنحرفة ، متعلمين ومطلعين على قضايا العصر ، وعارفين بالسياسة الإسلامية ، وغالباً ما يكون هؤلاء من بين الطبقة المتوسطة والمحرومة في المجتمع»<sup>(٢)</sup> .

ولأن الكثير من المتبجحين بالإسلام يدعي إيمانه بهذه المبادئ ، فإذا دخل مجلس الشورى انقلب عليها ، أو مارس أساليب التفافية دقيقة تسوق المجلس إلى الانحراف عن الخط الإسلامي الأصيل حدد الإمام - كمقياس عام - الطبقة التي تتوفر فيها هذه العناصر الصالحة بكثرة ، وإن لم يمنع من وجود صالحين مؤمنين في الطبقات المرفهة ، إلا أن شعورهم بمعاناة الشعب لا يرقى إلى مستوى شعور المحرومين ، وفي ذلك يقول :

(١) الوصية ، الفقرة (زاي) .

(٢) الوصية ، الفقرة (زاي) .

« وغالباً ما يكون هؤلاء من بين الطبقة المتوسطة والمحرومة»<sup>(١)</sup> ، لأن الدخول إلى المجلس بدوافع شخصية أو حزبية لا تراعي حاجة النظام الإسلامي والجمهورية الإسلامية ، ستقضي على حيوية المجلس والآمال المعقودة عليه .

وهذا الكلام ليس مبالغة في التنبؤ ، وإنما التجارب السابقة لإيران الشاه ، والحالية في الدول الأخرى لم تتجاوز هذه النبوءة ، وهذا ما جاء في مقطع من وصيته ، يقول فيه : «لقد شاهدنا أيّ ضربات محزنة للغاية أصابت الإسلام وإيران من مجالس الشورى غير الصالحة والمنحرفة»<sup>(٢)</sup> .

إذن ، فالتزامهم بالإسلام والحرص على مصالح البلد يضمن للنظام الإسلامي الاستقرار والديمومة ، والاستقلالية والتقدم ، وهذا ما أشار إليه في قوله : «ومن المؤمل أن يحول التزامهم بالإسلام ومصالح الشعب دون حصول أي انحراف»<sup>(٣)</sup> .

إذن فالمجلس هو الديوان الذي تتمثل فيه كل شرائح الشعب ، وفيه تطرح قضاياها وفق ما يراها هو ، بناء على ترشيحه لأعضائه كممثلين له ، وبالتالي يكون الشعب قد شارك في النظام من خلال ممثليه ، من رئيس الجمهورية إلى عضو مجلس الشورى .

(١) الوصية ، الفقرة (زاي) .

(٢) الوصية ، الفقرة (زاي) .

(٣) الوصية ، الفقرة (زاي) .



## مشيرو انتقادات التخلّطة

قد يملك المرء على المستوى الذهنيّ رؤىً قويّةً وعميقةً وبارزة المعالم ، ولكنها تتلکأ في البروز على مسرح الواقع ، وتعرض بناها التقيديّة للهشاشة عندما يأتي دور ترجمتها على أرض الواقع ، وذلك إما :

- ١- لأنها أُعدت دون أن يُؤخذَ بنظر الاعتبار معوّقات ترجمتها .
  - ٢- وإمّا لأنها أُعدت كمقاس تفصيلي لواقعٍ معيّن ، لا يمكن أن تنسجم مع واقعٍ غيره .
  - ٣- وإمّا لأنّ عمليّة التّنظير لم تكن منطلقة من تجارب وخلفياتٍ موضوعيّة لتقبّل الواقع لها .
  - ٤- وإما لأنها ردة فعلٍ لواقعٍ لا ينشده ذلك الشخص صاحب القراءة الجديدة حسب الظاهر ، أو أنها تتصادم مع مصالحه الشخصية أو الحزبية أو الأثنية .
- وبالتالي تنفتّت تلك الرؤى على صخرة الواقع ، وكأنها رؤىً تنظيريّة لواقعٍ أسطوريّ .

هذا على مستوى الإخراج الذهنيّ لانعكاسات الواقع لتفعيل نظريّات المنظر لإحياء واقعٍ منشود غير القائم وفقاً لما أُسست له تلك النظريّات ، بهدف أن تترجم تلك النظريّات من الاختمار الذهنيّ إلى القولية اللفظيّة ، ومن ثمّ إلى ممارسة مفادها في توجيه وتحريك الواقع إلى حالٍ آخر .

أمّا على مستوى التفعيل الإجرائيّ لتلك الرؤى ، فإنّ لانعكاسات الواقع مردوداً فعلياً على تلك الرؤى ذاتها وعلى ذاتٍ مُخرجها .



فعلى مستوى الأفكار ، إما أن يساهم احتكاكها بالواقع في ترسيخها وتمتين قواعدها ، وتعميق جذورها التأسيسية ، وإما أن يساهم ذلك في تعويمها ، أو تذويبها أو تعرّض بناها التعيدية إلى الهشاشة والضعف لتتلاشى كأن لم تكن .

وعلى مستوى ذات المُخرج ومريديه ، فهم إما أن يقبلوا بالمتغيرات ، ويقوموا بتحريك ثوابت تلك الرؤى ، ويعيدوا صياغتها من جديد لينسجم تفعيلها مع الواقع الذي يراد أن تُفَعَّل فيه ، أو يظلّوا مشاكسين للواقع والمصلحين الذين تجاوزوا مرحلة إخفاقهم بنجاح وتوفيق ، ويحرضوا على الانفلات والتكثّل والتفتيت والفوضى ويشاركوا في ذلك .

لا يمكن أن نقول إنّ ذلك ينطبق على حالة واحدة ، وليس بالإمكان أن ينجرّ إلى باقي الحالات . . . كلا ، فالحالات وإن تعدّدت أشكالها ، ولكن معالجة الإشكاليات فيها تحتاج إلى نفاذ في البصيرة واحتياجات لا تُعلم إلا حين احتكاكها بالواقع .

فالإخلاص والموضوعية والانفتاح على الواقع بضوابط القيمة الأخلاقية لمواجهة الانفلاتات الفكرية والسلوكية والأخلاقية والإدارية والسياسية ، كل ذلك كفيلاً بتجاوز إرهابات القناعات المخالفة ، أو رفضها ولفظها لدى الكتل والمجاميع الأخرى .

ويحدد الاتجاه والنتيجة لتلك الصياغات والمضامين المتباينة ويحكمهما الدافع لذلك التأسيس الذهني وصياغة الأفكار .

من هنا يقول الإمام الخميني في شأن الدافع : « لا الاعتزال الصوفي دليل الارتباط بالحق ، ولا الدخول في المجتمع وتشكيل الحكومة شاهد الانفصال عن الحق ، الميزان في الأعمال هو دوافعها »<sup>(١)</sup> .

(١) بلسم الروح ، ص ١٧ .

فلعل بالدافع تذوب الفواصل الفكرية ، ويصل بالواحد مع الآخرين إلى درجة الانسجام في وحدة المضمون ، ولعل بالدافع تنحرف البشرية وتذوب الهويات الثقافية والمضامين الفكرية لمجتمعاتها ، وتتحول إلى غابة وحوش يحكمها منطق الغاب ، ولعل بالدافع - أيضاً - تذوب الفوارق بين المنحرفين ويتوحدون من أجل إسقاط مظهر من مظاهر الحق ، أو تشويهه .

قراءة تاريخية في تطوّر حالات التباين نجد أن الحروب والإبادة بحق الإنسانية كان من ورائها الدوافع السيئة ، وينساق خلف تلك الدوافع سوء الفهم واضمحلال قوى التحصين المانعة من الذوبان في تلك الدوافع .

وتتضخم حالة سوء الدافع عندما يكون المتصدي للحكم أناساً إلهيين ، وذلك من قبل الذين غلبهم الهوى وجنّدهم الشيطان للانحراف عن سبيل الله والمؤمنين .

يقول أمير المؤمنين عليه السلام : « فلما نهضتُ بالأمر نكثت طائفة ، ومرقت أخرى ، وقسط آخرون ، كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، بلى والله لقد سمعوها ووعوها ، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم <sup>(٢)</sup> ، إشارة منه إلى أن الدافع شيطاني ، كما يقول حفيده الخميني تقديراً : « إذا كان لإنسان ما - بدافع إلهي - ملك الجن والإنس ، بل إذا طلب ذلك وحصل عليه ، فهو عارف بالله وزاهد في الدنيا ، وإذا كان الدافع نفسانياً وشيطانياً ، فكل ما حصل عليه - حتى إذا كان مسبحة - فقد ابتعد بهذا المقدار عن الله تعالى <sup>(٣)</sup> .

(١) القصص : الآية ٨٣ .

(٢) نهج البلاغة ، ٨٩ - ٩٠ .

(٣) بلسم الروح ، ص ١٧ .

ومن أكبر المشاكل التي أبتليت بها الثورة الإسلامية في إيران سوء الدافع عند أغلب قادة المعارضة للنظام الإسلامي .

فمرةً يتمثل شكل المعارضة في العمل المسلح ، ومرةً يتمثل في إثارة الإشكاليات الفكرية والفقهية لدى العوام في كثيرٍ من ثوابت ومقررات النظام ، أضف إلى ذلك ما ستركه تلك النشاطات من مصائب وكوارث تنسحب آثارها إلى خلق مشاكل أخرى قد تكون أكبر من المشاكل الأساسية أمام الإمكانيات والاستطاعة في مواجهتها .

قراءة الإمام الخميني قدس لثوابت ومقررات وخطط تلك الجهات مكنته من تشخيص حالتها ، وتوجيهه النقد الدقيق لإثاراتها ، وللمبتنيات والمعايير التي قامت عليها ، وهدمها ، وعندها يتعين على أولي البصيرة استيعاب الحقيقة ومجريات الواقع في صياغة مواقفهم ورؤاهم تجاه تلك القضايا المثارة أو التي ستثار مستقبلاً .

ثم تتضخم المشاكل أكثر فأكثر عندما تتجدد ضد النظام الإسلامي الجهات التي لا يبعثها سوء الدافع وإنما سوء الفهم ، أو ضعف القنوات الخبرية التي يتعرفون بها على مجريات الأحداث ، أو ضعف القدرة على قراءتها ومعطياتها وطبيعة الإجراءات التي يجب اتخاذها لمثل تلك الحالات ، ومعوقات الإجراءات وإمكانيات المؤسسات المعنية بتطبيقها .

ويسمي الإمام قدس عناصر تلك الفئتين : « الأعداء المتآمرين ، والجهلة من الأصدقاء » .

ولذلك خصص جانباً مهماً من وصيته للحديث عن هاتين الفئتين ، فيقول للفتنة الأولى :

« وصيتي إلى الكتاب والخطباء والمنقذين ومثيري الانتقادات والمعقدين ، هي أن انقطعوا إلى ربكم ليلة واحدة ، أو إلى ضميركم إن لم يكن لكم إيمان بالله ،

بدلاً من إنفاق وقتكم في مخالفة مسيرة الجمهورية الإسلامية وتسخير كل جهودكم في إثارة سوء الظن والإساءة والوقيعه بالمجلس والحكومة وسائر المتصدّين للخدمة ، مما يؤدي لسوق بلدكم باتجاه القوى الكبرى ، وتفكروا في دوافعكم الباطنية التي كثيراً ما يغفل الناس أنفسهم عنها»<sup>(١)</sup> .

نعم ، هل انطلق ذلك النشاط المعارض بدافع الحرص على البلد والشعب ومصالحهما ؟ أم بدافع التمحور حول الذات والعمالة للأجنبي ؟ ذلك كلّه يحتاج إلى انقطاع مخلص إلى الله أو الضمير أو بكليهما لقراءة حقيقة الدوافع الباعثة لذلك التحرك الخاطئ .

ثم يحاول أن يحرك بواعث الانقطاع لله أو للضمير أو لكليهما ، والعمل على تغيير تلك المواقف السلبية من خلال عرض قضايا مؤثرة ادعى أولئك الحرص عليها والدفاع عنها ، فيما كان الشعب الإيراني - الذي كان غايتهم الدفاع عنه بمعارضتهم كما يزعمون - بطل البناء والدفاع عن المكتسبات ، وضحية مواقفهم الخاطئة أو ضحية العمل المسلح الناتج عن تلك الأطروحات التي طرحوها ، ثم يطالب تلك الجهات بحقيقة المعيار الذي خوّل لهم اتخاذ تلك المواقف شعاراً لهم في معارضتهم فيقول :

«بأي معيار وبأي إنصاف تتجاهلون دماء هؤلاء الفتية الذين تناثرت أشلائهم في الجبهات والمدن ، وقمتم بشن حربٍ نفسيةٍ على شعبٍ يريد التخلص من تحت وطأة الظلمة والناهبين - الأجانب والمحليين - بعد أن نال استقلاله وحرّيته ببذل الأرواح والتضحية بأبنائه الأعداء ، ويسعى لحفظهما بتقديم التضحيات ؟! وتسعرون نار الاختلافات والمؤامرات الخيانية ، وتفتحون الطريق للمستكبرين والظلمة ؟»<sup>(٢)</sup> .

(١) الوصية ، الفقرة (نون) .

(٢) الوصية ، الفقرة (نون) .

ثم يقوم بعملية تذكير بالمفاسد التي خلّفها النظام البائد ، وبالمكاسب التي حقّقها نظام الجمهوريّة الإسلاميّة على رغم قصر عمر الثورة ، ورغم كلّ تلك الصّعاب والمشاكل المتلاحقة والمتراكمة التي واجهها ، والتي تتمثل في :

« المؤامرات والدعايات الافترائية ، والهجوم العسكري من الخارج والداخل ، وما لا يمكن تجنبه من تسلّل مجموعات من المفسدين والمعادين للإسلام إلى كافة المؤسسات الحكوميّة »<sup>(١)</sup> .

فيقول : « ألا تعلمون بأنّ هذا البلد الإسلامي كان على ذلك العهد قاعدة عسكرية لأمریکا يتعاملون معه كمستعمرة ، وكان كلّ شيء من المجلس والحكومة والقوات المسلحة في قبضتهم ؟ .

ألا تعلمون بما كان يفعله مستشاروهم وصناعيُّوهم وخبرائهم بهذا الشعب وثرواته ؟ هل مُحي من ذاكرتكم ما كان يجري من إشاعة للفاحشة في أرجاء البلاد ، ومراكز الفساد من دورالبغاء والقمار والحانات ومحلات بيع الخمر ودور السينما وغيرها ، كان كلّ منها يشكّل عاملاً كبيراً في تدمير جيل الشباب ؟ .

هل نسيتم وسائل إعلام ذلك النظام ومجلاته الإفسادية من أولها إلى آخرها ، وصحفه ؟ ... ألا تعلمون بأنّ الأعمال العمرانيّة قد اختصت في ذلك العهد بالمدن تقريباً ، وبمناطق المترفين فقط ، أمّا الفقراء والمحرومون فنصيبهم منها كان النزر اليسير ، أو لم يكن لهم نصيب ؟ ...

هل قارنتم ما أنجزه النظام السابق من عمران بمقدار ما أنجزته خلال هذه الفترة القصيرة الحكومة ومؤسسات الجمهوريّة من خدمات على الرغم

(١) الوصيّة ، الفقرة (عين) .

من وجود هذه المشاكل والإختلالات الملازمة لأية ثورة ، وعلى الرغم من الحرب المفروضة علينا بكل خسائرها ، والملايين المشركين من الإيرانيين وغير الإيرانيين والعراقيل التي لا حد لها؟<sup>(١)</sup> .

والباعث على حملة الإمام تتلخص على مشيري انتقادات التخطيطة هو أنهم - وبرغم «أن الحكومة الحالية والمؤسسات الإسلامية تتفانى في خدمة هذه الفئة المحرومة»<sup>(٢)</sup> وبرغم كل تلك الصعاب والمشاكل التي ذكرها الإمام ، وبرغم يقينهم أن ذلك يعوق عمل أي حكومة أو مؤسسة مهما كانت مقتدرة - لا يكفون عن الانتقادات وتوجيه الاتهامات ، دون أن يقدموا شيئاً للخدمة من أجل إثبات حسن النية لديهم ، وتوفير الإمكانية للعاملين في حقل الخدمة ، وهذا يعني عدم وجود المبررات التي يتمسكون بها لقيامهم بحملات الانتقاد والاتهامات غير المنطقية .

ويزيد من تلك المشاكل والإثارات ، ويعمق تأصلها حملات الانتقاد الفاقدة لعناصر القوة والإيجابية ، والصادرة من جهة : المتلبسين بزى العلماء ، والجهلة من الأصدقاء .

فكانت جهود كل المشاركين - راغبين أو مرغمين - هي في سبيل بث اليأس في قلوب المؤمنين بالثورة منها ، ومن إنجازاتها ، وإثارة الشائعات بالحديث سلباً عن رموز النظام الإسلامي ، والتشكيك في إخلاصهم .

فيخاطب الإمام تلك الفئة بقسميها : المعادية للجمهورية الإسلامية ، والأخرى المغرر بها من بعض الأصدقاء الجهلة ، فيقول لأولاهما : «وصيتي لتلك الفئة من علماء الدين والمتلبسين بزى العلماء ، الذين يعارضون الجمهورية الإسلامية ومؤسساتها بدوافع شتى ، والذين وقفوا وقتهم لإسقاطها ، ويعينون

(١) الوصية ، الفقرة (نون) .

(٢) الوصية ، الفقرة (نون) .

أعداءها المتآمرين وأرباب اللعب السياسية ، إلى درجة تصل أحياناً - مثلما يُنقل - حدّ تقديم مساعدات ضخمة مما يستلمونه لهذا الغرض من مبالغ طائلة ، يقدمها الرأسماليون الغافلون عن الله - وصيتي لهؤلاء - هي إنكم لم تجنوا شيئاً من هذه الأعمال المنحرفة ، ولا أظنكم تجنون شيئاً فيما بعد ، وإذا كان عملكم هذا سعيّاً للدنيا - والله لن يدعكم تصلون لهدفكم المشؤوم»<sup>(١)</sup> .

ثم يتوجه بالحديث إلى ثانيتهما بالقول : « وأما بالنسبة لتلك الفئة التي تخالف بشدة الجمهورية الإسلامية وحكمها أساساً ، وتعمل لإسقاطها من أجل الله !! وبحسب أوامها فهذه الجمهورية أسوأ من الحكم الملكي أو مثله ، وذلك بسبب بعض الاشتباهات أو الأخطاء المخالفة لأحكام الإسلام والصادرة عمداً أو سهواً عن مختلف الأشخاص أو الفئات»<sup>(٢)</sup> .

ثم يواصل سرد عوامل التعطيل والإعاقة فيقول : « وصيتي لهؤلاء هي أن يتفكروا بنيتهم مخلصين في الخلوات وليقارنوا الحال - بإنصاف - بالحكومة والنظام السابق ، وليتنبهوا أيضاً إلى أن الثورات في العالم يلازمها وقوع اضطرابات وانحرافات وحالات من الانتهازية .

فانتبهوا وخذوا بعين الاعتبار المشاكل التي تواجهها هذه الجمهورية من قبيل المؤامرات والدعايات الافتراضية ، والهجوم العسكري من الخارج والداخل ، وما لا يمكن تجنبه من تسلل مجموعات من المفسدين والمعادين للإسلام إلى كافة المؤسسات الحكومية ابتغاء إثارة الاستياء لدى الشعب من الإسلام والحكم الإسلامي ، وانعدام الممارسة السابقة لدى أكثر المتصدّين للأمر أو كثير منهم ، ونشر الإشاعات الكاذبة من قبل الذين توقّف أو نقص ما كانوا ينالونه من منافع

(١) الوصية ، الفقرة (عين) .

(٢) الوصية ، الفقرة (عين) .

جمعة غير مشروعة، والنقص الملحوظ في عدد قضاة الشرع، والمشاكل الاقتصادية القاصمة، والصعوبات الكبيرة في غربلة وتهذيب عدة ملايين من المتصلين، والنقص في عدد الأفراد الخبراء الصالحين والمختصين، وعشرات من المشاكل الأخرى التي لا يعرفها إلا من دخل في معتركها»<sup>(١)</sup>.

ويتحدث عن طبيعة النشاطات التي تمارسها تلك الفئة؛ ليتحقق لها إسقاط النظام من خلال إضعاف قواعده الشعبية بيث اليأس وفصلها عنه، فيقول: «ومن جهة أخرى، هناك الأفراد المعرضون المؤيدون للملكية ذوو الرساميل الضخمة، الذين يوجهون الآن ضغوطاً تصل إلى حدّ الهلاك لفقراء المجتمع ومحروميه، ويجرّونه للفساد عبر ممارسة الرِّبا والاسترباح المجحف، وتهريب العملة الصعبة، وإيجاد الغلاء الفاحش والتّهريب والاحتكار، هؤلاء يأتونكم بالشكوى والخذاع، وأحياناً يعطونكم مبالغ - كحقوق شرعية - ليستجلبوا التصديق، وليظهروا بمظهر المسلم الخالص، ويذرفون دموع التماسيح فيثيرونكم ويدفعونكم للمعارضة، في حين أن الكثير منهم يمتصون دماء الناس بانتفاعات غير مشروعة، ويجرّون اقتصاد البلد إلى الإنهيار»<sup>(٢)</sup>.

ثم يتوجّه إلى الفئتين، ويطرح لهما ما هو الأفضل والأنجع لهما في الدنيا والآخرة ولبدهما وشعبهما، فيقول للفئة الأولى: «أليس حرّاً بكم أن تعينوا هذا الشعب المظلوم المحروم، وتساهموا بدعمكم في استقرار الحكم الإسلامي؟ ... إنني آسف من أجلكم أنتم - أيها الإخوة - ممن أعرف إلى حدّ ما سوابقكم وأودّ بعضكم، لا من أجل أولئك الذين كانوا أشراً متلبسين بظاهر حبّ الخير، وذئاباً في ثياب رعاة ...

(١) الوصية، الفقرة (عين).

(٢) الوصية، الفقرة (عين).



فلماذا لا تُعينون الحكومة ومجلس الشورى وتشكّون منهما ، وهما يسعيان لخدمة المحرومين والمظلومين ، وإخواننا المُعْدِمِينَ المحرومين من كافة مواهب الحياة ١٩ . . . في حين أن الحكومة الحاليّة والمؤسّسات الإسلاميّة تتفانى في خدمة هذه الفئة المحرومة ، فكونوا أنتم - أيضاً - أيّها المؤمنون عوناً لها ، لتتجزّ الأعمالُ سريعاً ، ولتذهبوا إلى لقاء الله تعالى - وهذا حاصلٌ شتّم أم أبيتم - حاملين وسام خدمة عباده»<sup>(١)</sup> .

ثم يتوجّه إلى الفئة الأخرى ، ويخاطبها بروح مشفقة ، ويطلبها بأن تحذر من الوقوع فريسةً لمكاند أعداء الإسلام والثورة ، فتصبح أداة سهلة الانقياد بيدهم ، فيقول : «إنني أقدم نصيحةً أخويّةً متواضعةً أن لا يتأثر السادة المحترمون بأمثال هذه الإشاعات ، وأن يعملوا على تقوية هذه الجمهوريّة من أجل الله ، وحفظ الإسلام ، وليعلموا أن هذه الجمهوريّة الإسلاميّة لو سقطت ، فلن يحلّ محلّها نظامٌ إسلاميٌّ يرضاه بقيّة الله (روحي فداه) ، أو نظامٌ مطيعٌ لأمركم - أيها السادة - ، بل سيصل للحكم نظامٌ يرتضيه أحد قطبي القوة ، وسيستولي اليأسُ على قلوب محرومي العالم ، الذين توجهوا للإسلام والحكم الإسلاميّ ، وعشقوهما ، وسيتعرّض الإسلام للانزواء إلى الأبد ، وتندمون على أعمالكم عندما يقضى الأمر ، ولا ينفع الندم»<sup>(٢)</sup> .

ثم يشرح بإيجاز سبب التأخر في تحقيق مطالب وطموحات التغيير الشامل الذي ترجوه الثورة والنظام ، فيقول : «إذا كنتم تتوقّعون أن تكون كلُّ الأمور في ليلةٍ واحدةٍ على طبق الإسلام وأحكام الله تعالى فهذا خطأ ، ولم تقع معجزة كهذه على مدى التاريخ الإنسانيّ ولن تقع . ولا تتوهّموا أن تقع معجزة عندما يظهر مصلح

(١) الوصيّة ، الفقرة (نون) .

(٢) الوصيّة ، الفقرة (عين) .

العالم إن شاء الله تعالى ويتحقق إصلاح العالم في يوم واحد ، بل يُطرد الظلمة ويُقمعون ببذل الجهود والنضحيات»<sup>(١)</sup> .

هذا هو قوله إذا كانت تلك المواقف والمعارضات بسبب وقوع الأخطاء القاهرة التي لم يلتفت إلى حيثياتها وبواعثها ، أو وقعوا في ذلك لقلّة معرفتهم بواقع الثورة وما يلازمها من فهم أو سلوكٍ خاطئٍ لبعض أنصارها ، أو لما تعرّض له من حملات متنوّعة ومتواصلة من قبل الأعداء والعملاء .

أما إذا كان الهدف من معارضة النظام الإسلاميّ هو إشاعة الظلم وترويح الفساد ، تمهيداً لظهور الإمام المنتظر (عج) ، فإنّ الإمام هنا يُحجم عن مناقشة هذا الرأي ويسترجع ، إشارةً منه إلى عمق ألمه وأسفه أن يصل الحال بأولئك إلى هذه الدرّجة من العاميّة والحماقة ، فيقول : «وإذا كان رأيكم مثل رأي بعض العوامّ المنحرفين ، بأنه لا بدّ - لظهور ذلك العظيم - من السّعي لتحقيق الكفر والظلم ، ليملاً العالمُ بالجور ، وتتوفّر مقدمات الظهور .. فإنّا لله وإنا إليه راجعون»<sup>(٢)</sup> .

هذا هو العرض الذي قام به الإمام قدس في وصيّته المباركة ، وتناول فيه تشريح أطراف المعارضة ، وفضح المرتبطين منها بالخارج ، وحقيقة الدوافع التي تدفعهم للمعارضة والوقوف بوجه النظام الإسلاميّ .

كلّ ذلك الوعي والتوغل الدقيق والمسؤول في فهم ما يختلج في صدور أولئك المعارضين أضعف من تأثيراتهم في إسقاط النظام بالطريقة التي يريدونها ، وقتل من ضرر تغلغلهم في أوساط الشعب الإيرانيّ ، ومن أهميّة معارضتهم ومواقفهم على الشعب والنظام الإسلاميّ .

(١) الوصيّة ، الفقرة (عين) .

(٢) الوصيّة ، الفقرة (عين) .

من هنا فالقيادة عندما تتوغل إلى العمق الثقافي لجميع فئات المجتمع ، وتكتلاته - العرقية أو القومية أو الدينية أو الطائفية أو الحزبية - من خلال ثوابت النظام وثوابت القيادة الإلهية ، وتوفرها على الانفتاح والموضوعية وفهم مفردات وثوابت كل فئة لنقد الواقع السلبي الذي تعيشه تلك التكتلات وتقويمه أو تهئية الأجواء لاستئصاله ، وتنمية الإيجابيات والتشجيع عليها ، لاشك أن سير حركة المؤشر ستكون تصاعديّة أكثر فأكثر بمرور الوقت باتجاه القضاء عليهم .

من جانب آخر لا يرفض الإمام الاختلاف الذي يكون الباعث له حسن الدافع ، ولكنه يحذّر من تسلّل سوء الدافع إلى النفس أو ذوي الدوافع السيئة إلى المجتمع فيتحول العمل إلى ضرب في أساسيات الاستقرار والمدنية للمجتمع والنظام الإسلاميين .

ولا يكفي حسن الدافع ليخوض العاملون معمعة الخدمة في المجتمع والنظام ، وإنما - أيضاً - وجوب الاهتمام بالقنوات النظيفة والنقية التي تساعد على التعرف على قضايا المجتمع ومتطلباته بصورة صحيحة ، مضافاً إلى فهم آليات التنظير والعمل لذلك الواقع ، عندها لا يُخشى من عملية الاجتهاد التي تؤدّي بطبيعتها إلى اختلاف في وجهات النظر الناتج عن اختلاف الأذواق ، ووسائل المعالجة .

نعم يجب أن تكون الغاية خدمة الإسلام والنظام ، وهذا يعني أن تكون الوسائل بمستوى سمو الإسلام والنظام الإسلامي ، وبمستوى تلك الغايات الشريفة وتلك الوسائل سيكون الإنتاج في تطوره وإيجابيته ، وهذا يعني حتمية وجود الاختلاف والتنوع .

لذلك يقول الإمام تدكّر : « إن كتب فقهاء الإسلام العظام مملوءة باختلاف الآراء والأذواق والاستنباطات المتباينة في مختلف المجالات العسكرية والثقافية والسياسية والاقتصادية والعبادية ، وحتى في المسائل التي ادّعي وجود الإجماع بشأنها هناك قول أو أقوال مخالفة له ، بل حتى في المسائل الاجتماعية من الممكن العثور على قول بخلاف الإجماع ، وكل هذا فضلاً عن (أمثال) الاختلاف بين الأخباريين والأصوليين .

... من هنا يجب أن يظل باب الاجتهاد مفتوحاً في الحكومة الإسلامية ، فطبيعة الثورة والنظام تقتضي - بصورة مستمرة - أن يتم طرح الآراء الاجتهادية الفقهية في مختلف المجالات بحرية ، حتى إذا كانت متعارضة ، فلا يمكن ولا يحق لأحد منعها .  
... ولكن من المهم وجود المعرفة الصحيحة للحكومة وللمجتمع ، فعلى أساسها يستطيع النظام الإسلامي أن يخطط لما فيه صالح المسلمين .

... وواضح أنه لو كان ثمة اختلاف بين الأفراد والأجنحة المرتبطين بالثورة فهو سياسي حتى لو أضفي عليه ظاهر عقائدي ، فهم مشتركون في الأصول والمبادئ ، وهذا هو سبب تأييدي لهم .

... وهناك شيء مهم آخر يمكن أن يكون باعثاً للاختلاف - وعلينا جميعاً أن نستعيز بالله من شره - وهو (حب النفس) ، وهو لا يعرف هذا التيار أو ذلك ... وهناك طريق واحد - لا غير - لمكافحة ، وهو الرياضات والمجاهدات .

... وبهذه الرؤية قلت إن النقد البناء لا يعني المعارضة ، و(التنظيم) الجديد لا يحمل الاختلاف (المعارضة) .

... إن النقد البناء في موارد المناسبة هو عامل لتطور المجتمع ونضوجه ، وإذا كان النقد محققاً يصبح سبباً لهداية كلا التيارين .

... يجب تطهير سير التنافس من أشكال التلوث والانحراف والإفراط والتفريط ، وذلك من خلال تبادل الأفكار والآراء البناءة .

هكذا ، وبهذا العمق والشمولية والاتزان في قراءة مفردات الكتل المعارضة والمؤيدة وتقييم كل منها ، حفظ الإمام قدس للنظام هويته وأصالته ، وحرصه من كيد الكائدين مهما كان شكل المكائد أو حجمها .

ولاشك أن الله سبحانه وتعالى قد أنعم على الأمة الإسلامية بالإمام الخميني تلك الذخيرة النفيسة والعظيمة - رغم كل تلك الآلام النفسية والجسدية التي واجهها - ليختم ذلك الوجود المقدس بتعبئة النفوس وتجنيدها لمواجهة كل تلك العقبات التي ستعرض طريق الأمة حاضراً ومستقبلاً .

# الفصل الثالث

من مخاض الثورة

قضايا وأحداث

◀ الحُرِّيَّة عند الإمام نكّل

◀ الإمام والشعب

◀ خط الإمام أمثولة مترجمة إلى واقع

◀ ولاية الفقيه

◀ الإمام وفقهنة فلسطين

◀ الإمام وموقفه الحكيم في الحرب

◀ مله الخليفة المهزول الشيخ المنتظري



## الحرية عند الإمام تقي

قبل أن نتناول قراءة الإمام الخميني قدس سره للحرية ، سنتطرق لتعريف (الحرية) من زواياها الثلاث ، الفلسفي ، والسياسي ، والاجتماعي . بدايةً يقول التعريف الفلسفي : « الحرية بوجه عام ، حال الكائن الحي الذي لا يخضع لقهر أو غلبة ، ويفعل طبقاً لطبيعته وإرادته ، وتصديق على الكائنات الحية جميعها من نبات وحيوان وإنسان»<sup>(١)</sup> .

ويقول التعريف السياسي والاجتماعي : « وهي التي يستطيع فيها الفرد أن يفعل ما يريد في حدود القانون ، ودون أن يسيء إلى غيره . وأخص الحريات السياسية حرية الرأي والقول والعمل والاعتقاد ، وهي مقيدة دائماً بنظام المجتمع ، وحقوق الآخرين ، وليس ثمه حرية مطلقة»<sup>(٢)</sup> .

وقيد « نظام المجتمع وحقوق الآخرين » في التعريف السياسي والاجتماعي يعني الحد الذي تنتهي عنده الحرية في كل نظام اجتماعي .

والنظام الاجتماعي الذي يشي به التعريف هو ما يقوم بخلقه النظام العقائدي ، ويحكمه تفسيره ، وبالتالي فإن الحرية خاضعة في أي مجتمع للتفسير العقائدي الذي يؤمن به ذلك المجتمع ، حتى وإن لم يتم أحد بصياغة أي تعريف لها ؛ لأنها تتبلور بذاتها من خلال ما تعطيه العقيدة للمجتمع فرداً فرداً من حقوق وما تفرضه عليه من واجبات .

(١) المعجم الفلسفي ، ص ٧١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٧١ .



ويمكن أن يأتي تعريفها في هذا المعنى « هي الحركة الحرة في إطار احترام الذات والآخرين وفق المنهج القرآني لتكريم الذات والآخرين » .

إلا إن غياب المعصوم تسبب في غياب المركزية في قراءة وتفسير الحياة من خلال الطرح العقائدي، وهذا ما ساعد على إتاحة للقراءات والمعالجات المختلفة أن تدخل الساحة بعناوين مختلفة لأي إشكال اجتماعي أو تفسير عقائدي، ساهمت القراءات المتطرفة والفاعلية السياسية في خلق تلك الألوان المختلفة والمتطرفة أحياناً؛ إذ إن وجود مركزية قائمة للمجتمع، ومؤسسة لنظامه الاجتماعي والسياسي يساعد على وحدة ومركزية التعريف، فإذا ما استطاعت أن تقيم ذلك النظام فإنها لاشك ستتمكن من وضع المفاهيم الاجتماعية والسياسية له، والتي ستستفيد منه القوى المتولدة فيما بعد من إفراز الظواهر الاجتماعية التي خلقها التأسيس الأوّل لذلك النظام، وبالتالي لن تكون القراءات الأخرى سوى قراءة نقدية للتعريف الأساس الذي أوجدته قاعدة تأسيس ذلك النظام، وعلى ضوء ذلك لن تقوى على تغييره القراءة الوليدة، أو احتلال موقعه كبديل، إلا في حال تمكّنها من صياغة ذهنية جديدة في المجتمع تقتنع بتداعي القراءة المؤسسة وهشاشة قواعدها الفكرية والجماهيرية .

وذلك لاحتمال أن تكون القراءة التأسيسية قد صيغت لذهنية انتقالية، أو هي في حدّ ذاتها كذلك، إلا أن الصياغة الأولى إذا تجاوزت هذه الحالة وأخذت في نظر الاعتبار مفهوم الدين والأمة للحرية وليس قراءة الوضع الثوري والسياسي الراهن، فإنه يصعب إيجاد البديل لها .

ومن هنا فإن التعريف السياسي والاجتماعي للحرية في الإسلام يتبلور من خلال طرح الإسلام للحقوق والواجبات المتبادلة لمعتنقيه وعلاقتهم مع الآخرين، وقبل ذلك كلّ حقوق الله على العباد، وعلّة خلقه لهم .

## واقع ومخاوف ومحاولة

تحدثت بعض الأوساط السياسيّة المثقفة عن طبيعة الممارسة السياسيّة والعمل الفكريّ والاجتماعيّ في عصر النّظام العالميّ الجديد ، إذ تقول : ما نعطينه نحن وغيرنا (في جيلنا ومن كان قبلنا) هو التّصوّر والفهم الذي صاغته ثقافتنا التي تعيش طبيعة الزمان الذي نعيشه ويعيشه أفراد ذلك الزمان ، وليس حتماً أن ينسجم ذلك كلّه مع حقيقة الدين أو أن يكون حقيقة الدين بذاتها ، وحتىّ إذا كان الأمر كذلك ، فلا علم لنا بذلك التّطابق والانسجام ، ولذلك فدائرة الاجتهاد تظلّ مفتوحة ، ولا يوجد ما يمنع من ذلك .

ونحن نعيش اليوم في إطار ثقافة سياسيّة وفكريّة مختلفة عن الأمس ، وسيختلف أهل الغد عنا ، وبالتالي فإنّ تبنيها إلحاحٌ منطقيٌّ وواقعيٌّ ، خاصة وأن الفكر السياسيّ في عالم اليوم يتمظهر بمظهر واحدٍ ، ولا يمكن ممارسة السياسة اليوم بشكلها القديم والفرديّ ، وغضّ النظر عن الممارسة الحديثة للسياسة ، والتي تصورها الإمبراطوريات المعاصرة التي يمكن اتخاذها قدوة في الممارسة للديمقراطية .

ولذلك فمن المنطقيّ قبول الحرّيّة والديمقراطيّة بوضعهما الحديث أو بمألوفهما الحديث .

أما المخاوف فهي مخاوف من أن يكون رفض الحرّيّة الفكرية والسياسيّة المعاصرة من خلال ممارسة وإشاعة لونٍ واحدٍ من الممارسة السياسيّة والثقافيّة مهيناً لترويج الثقافة السريّة المعارضة ، وإشاعتها لتكون ناراً تحت الرّماد ، وساعتئذٍ لن تكون الدّولة قادرة على مواجهتها .

وذلك ما يمكنه أن يعرّي المنطق الرسميّ والثقافة الرسميّة للنظام ، وينسفهما من عقول الناس ، ويعرض نفسه كبديل لهما ، فإذا بالنّظام يُفاجأ

بأنه افتقد شعبيته وقبل ذلك فقد مصداقيته ، فأى شرعية تبقى له عندئذٍ ؟!

هذا هو ملخص لما يدور في تلك الأوساط .

وهذا المفهوم هو عبارة عن صياغة تجميلية لمنطق انتقائي ، يقوم على أساس ضرورة خلق الجو السانح لممارسة العناصر غير المؤمنة بالنظام الإسلامي لنشاطها القائم على رفض هويته واستراتيجياته ومشاريعه ، ويضخم من خطورة المحاولات الرامية لاحتوائها .

قراءة لواقع التاريخ تقول إن أي فكر مهما قلنا عن قيمته العلمية والمنطقية فإنه ما لم يكن هو وعي وثقافة الأمة فإنه لن يكون قادراً على التأثير إلا في حالة واحدة فقط ، تتخذ لذلك عنصرين أساسيين وهما أولاً : أن يكون حكاية عن واقع المرجعية العقيدية والأخلاقية للشعب ، وثانياً : إتاحة المجال له لممارسته بما ينسجم مع منطق الشعب وهمومه وانتمائه العقائدي .

فكيف به إذا كان بأيدولوجية مخالفة لأيدولوجية الشعب ، ويمرجعية مخالفة للشعب ؟! فإن ذلك ليس له خطر إلا إذا امتلك خطاباً التفافياً من خلال امتنائه المرجعية العقيدية والفكرية للشعب كمقدمة لتحويل وعي الشعب إلى حيث مرجعيته .

وهذا اللون هو الذي تمارسه تلك التيارات التي يخشى أولئك المثقفون والمفكرون من نشاطهم السرمي ، وهو بالتأكيد لن يستطيع فعل شيء إذا ما كان على تلك الحقيقة ، وتصور خطره إنما هو مجرد هواجس قد يكون باعثها ما تثيره هي من زوابع في الخارج من خلال حديث القوى العظمى لفرض فهمها للديمقراطية والحرية .

إن إتاحة عناصر من النظام الفرصة لتلك التيارات وتجاهل هوية النظام وثقافته إنما هو استخفاف بثقافة النظام والشعب ؛ لأن الواقع يفترض أن لا يحجر على

تلك التيارات أن تفكر ، ولكن يفترض أيضاً ألا تقوم بتسويق ثقافة تلك التيارات نيابة عنها أو إعطائها التسهيلات الإعلامية والمادية والقانونية لتسويق ثقافتها ومشاريعها ، وكأن النظام لا ثقافة ولا مشروع له ، أو أن النظام ذو ثقافة أحادية منفصلة عن الشعب .

ويفترض في إتاحة الفرصة لها أن تكون ممارستها ونشاطاتها واضحة وشفافة وبطريقة علمية ، وليس بطريقة إعلامية مثيرة ، لاستدرا العواطف ، والحديث عن ثقافة التآمر عليها واستئصالها .

ممارسة المنطق الإعلامي القائم على أساس فكرة أن النظام يمارس منطقاً استئصالياً وأحادياً هو الذي يحيي نظرية المؤامرة ، وتتحرك بقوة في أوساط تلك التيارات الاستئصالية للواقع القائم .

يثار هذه الأيام حملات شرسة ضد ما يسمى بالمحافظين ، وتحركاتهم المشبوهة ضد التيار الإصلاحية ، بالرغم من أن انتماءهم السياسي ، ومنهجيتهم السياسية جليّة ، فيما من يتهمهم بذلك يفتر إلى المرجعية ، وإلى الوضوح وإلى الشفافية .

أنا لا يعنيني الدفاع عن أحد الأطراف ، وإنما يعنيني الانتماء والوضوح ، بغض النظر عن المفردات المثيرة التي تأخذ الطابع الإعلامي في أكثرها ، وإن لم يوفق ذلك النموذج الذي قلت عنه صريحاً وشفافاً إلى الحديث عن رأيه بطريقة مدروسة ؛ لأنني يمكنني فهم ما يريد ، وذلك بخلاف غير الشفاف ، إذ قد تتصور أنه يريد هذا المعنى من خلال النص الذي قاله ، ولكنك تفاجأ فيما بعد أن ذلك النص إنما هو مقدمة إعلامية لواقع ثقافي مختلف تماماً .

وبعيداً عن ذلك كله ، ولناخذ بعض ما يجري على أرض الواقع ، وذلك عندما وصل بعض المحسوبين على التيارات المعارضة للنظام إلى ممارسة بعض

النشاطات العلنية ، وقد قاموا بالتعرض للقيادة الإسلامية وللنظام والدستور ، فإن العالم ضج بكاء ورحمة وإشفاقاً على تلك العناصر بحجة الدفاع عن الحرية وحقوق الإنسان والخيار الديمقراطي الشعبي وحرية الصحافة وما إلى ذلك ، ونسوا ماضيهم المليء بالمواجهة معهم .

ومثال آخر : لا يخفى موقع إيران ومنطقها وبرنامجهما الدستوري والسياسي ، كل ذلك يتعارض مع وجود الدويلة اللقيطة للكيان الصهيوني على أرض فلسطين ، وكذلك مع مصالح أمريكا في المنطقة وشرطتها على العالم .

ذلك كله ، والكثير أمثاله يفرض أن تكون قراءة الحرّية بناءً على التزامات النظام والدستور وثوابته ، والتزام البعض بفكر مخالف لا يعني قتله أو مصادرته ، وإنما يعني أن الشعب الذي استأمن النظام والدولة على حراسة هويته ومعتقداته ومصالحه فهما معنيان بالحفاظ على تلك الهوية والمعتقدات والمصالح .

وأرى أن تلك الجهات التي تتحدث بتلك المفردات قد تجاهلت أو غفلت أو أنها لم تلتفت إلى أن الفكر الحزبي ليس بالضرورة منطلقاً من ثقافة ووعي شعبي ، وإنما قد يكون منطلقاً من نخبة ملتزمة بنظرية سياسية للحكم ، لم تكن وليدة ثقافة الشعب ولا من مرجعيته الفكرية .

وخذ على ذلك مثلاً الدول العربية التي تبنت المنهج الشيوعي شريعة لنظامها السياسي والثقافي ، فإنها لم تستطع أن تقنع سوى النخب السياسية والاجتماعية والعناصر المستفيدة من ذلك ، وما إن تباح للشعب مساحة من الحرية حتى تراه يتكلم عنها كثقافة دخيلة وحكراً على النظام والعناصر المرتبطة به .

تبقى استجابة ثقافة ذلك النظام المنطقية للمتغير حتى لا تنخر الضغوط مقاومة الشعب ، وتغير هويته ، أو كما يقال تغير جلده .

إلا إنّ الفكر الإسلاميّ الذي استطاع أن يقيم نظاماً سياسياً ، ومعتمداً على القراءة الدينيّة لممارسته ، وبآليّات عصره ، فإنه بالتأكيد سيستطيع الاستجابة للمتغيّر والمستجد الإيجابيين دون أن تتأثر هويّته أو ثوابته .

فالإسلام لا يرفض المنتج الإنسانيّ الإيجابي الذي يساهم في بلورة وعيه لفهم ما يدور حوله ، وما يجعله يصنع واقعاً متقدماً ويستجيب للمنجزات العلمية الإنسانية سواء كانت شرقية أم غربية ، ويفترض أن يقوم ذلك التداول المشروع والإيجابي للسلطة على الأسس القويمة والمشروعة ، وليس على أساس منطوق المناحرات السياسيّة والتصفيّات الحزبية .

وهذا لا يكون إلا بالعمل الفكريّ الملتزم والجادّ والفاعل والشفاف ، وبإدارة مفكّرٍ النظام ومثقفٍ الملتزمين .

ذلك كله يفترض تحاشي إيجاد أجواء إباحيّة يطمئنُّ بها المعارض لترويج ثقافته الاستتصالية بالشكل الذي يريده ، ثم يقوم بعض أبناء النظام الذين يفترض فيهم ومن خلال مواقعهم التي يمثلون فيها الشعب وهويّته وثوابته وقراءاته للحرّيّة وقوانين ضبط النظام السياسيّ والاجتماعيّ تحاشي مساعدة تلك الجهات في ترسيخ وضعها السياسيّ وتقوية قنواتها الاجتماعية ، والضغط على النظام والشعب لقبول تلك الجهات ، إلا في حالة تعهدّها احترام هوية الشعب وثقافته والتزامه .

ومن هنا لا بد أولاً من قراءة فكر المعارضة التي يراد استيعابها ، وإمكانية ذلك للنظام ، وإمكانية قبول القيادات بالاستجابة الإيجابية لمشروع الدخول في النظام والعمل معه وفيه ، وأول ما يجب الالتفات له وملاحظته هو إن كانت تلك الجهات ترى من ثوابت نشاطها السياسيّ مشروعاً أو قل مشاريع يكون على رأسها إسقاط النظام القائم ، أم هدفها فقط المشاركة الإيجابية فحسب .

الغفلة عن كل ذلك والحديث عن الديمقراطية ومحاكاة الأنظمة الإباحية في ترجمة ممارساتها الديمقراطية المنحازة يعني عرض بضاعة النظام والشعب على تلك المشاريع ، لتكون لتلك الجهات مسؤولية إعطاء الشرعية لهوية النظام والشعب . إن القول إن هذا تهويل استفزازي إنما هو منطوق ساذج يرمي إلى استغناء الآخر ، والاستفراد بالعمل السياسي للعمل بلا هوية ولا استراتيجية واضحة وشفافة .

نعم أن يكون للدين النظارة لملاحظة تلك الممارسات العلنية والرسمية ، ولكن إذا دخلنا في دهاليز القراءات المتعددة للدين كما يقول أولئك ، والقراءات المتعددة للحرية ، والقراءات المتعددة لفهم الدستور ، والقراءات المتعددة للمشروع وغير المشروع ، فإن أول ضحية سيكون النظام ؛ وذلك عندما افتقدنا مرجعيتنا التي تحدد لنا المساحة التي نتحرك فيها داخل النظام ، وقد اعتمدنا على القراءات المتعددة لتحكم على هوية النظام وعلى شرعيته .

إذا قلنا : يمكن القبول بذلك إذا جعلنا مشاركات الأحزاب ذوي الاتجاهات غير الدينية تحت نظارة الدين .

فإننا سندخل مرة أخرى في متاهة المقولة الذكية : ليس للدين قراءة واحدة ، وإنما هناك قراءات ، وهذا التيار أو ذلك الحزب التزم بالقراءة الكذائية .

مقتضى الدستور الإسلامي في إيران أن تكون المرجعية الحاكمة والفاصلة هي ثلاث جهات :

الأولى : الإسلام والقرآن والمذهب .

الثانية : الدستور الإسلامي .

الثالثة : القيادة (أو الولي الفقيه) .

حيث قيادة النظام تلدها المؤسسة الدينية الملتزمة ، ويظل ممثلوها يراقبون أداء القيادة وفق الدستور والإسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام .

هذا الواقع تجربته الثورة الإسلامية إبان قيادة الإمام الخميني قدّم القيادة الحالية ، والمتمثلة في الإمام الخامنه في حفظه الله تعالى .

### وهي إيران كيف هي الحرية؟

في كل بلد تفهم الحرية من خلال فهم شعبه العقائديّ - كما مرّ - ومن خلال عرض المفكرين والسياسيين النافذين في الساحة الاجتماعية والسياسية ، إضافة إلى ذلك الطموحات التي يثيرها ويغذيها الكبت والممارسات الفردية للسلطة .

وفي الجمهورية الإسلامية آمن الشعب الإيراني بالنظام الإسلامي بثوابته وآمن بثوابته كركائز ديمومة له ، وهو يتحرك ليس في هامش واسع من الحرية في التعبير عن رأيه والاحتجاج على تهاون المسؤولين اللامبرر في حلّ قضاياها كما يقال ، وإنما واقع منشود للحرية ، من جانب آخر يعد التساهل مع المعارضة بناءً على حرّيتها في تعريفها للحرية فهماً متواضعاً للسياسة ، وخطيراً في نتائجه على مسرح الواقع .

نعم ، من الممكن أن يكون هناك قصور في عمل الداخلية والأمن والقضاء في التعاطي مع الفهم الصحيح للحرية ، أو قل الحذر الشديد الذي لا يروق للبعض نظراً لحساسية هذه الجهات في مسائل الأمن الوطني والاجتماعي والسياسي ، إلا إن ذلك لا يعني المعجىء بالقراءة الغربية للحرية الفكرية والسياسية كبديل للحرية التي يتبنّاها النظام الإسلامي ، فتلك مغامرة عواقبها وخيمة ، ومن حقّ الداخلية والأمن والقضاء أن تكون لهم حساسية بحجم ما يمكن أن يمسّ الأمن الوطني ، وحذرهم مبرراً في مثل هذه الحالات ، وإن كان الجزم بعدم وقوع الأخطاء غير معقول ، حالها حال بقية الأجهزة ، إلا إن الحديث عن أخطائها بطريقة مريبة لإثارة وحشة الناس وإخافتهم من جهاز الأمن والداخلية عامل مساعد لخلق معارضة غير موجودة ، وتصلب عود المعارضة الموجودة ، ومورد الخطورة هنا أن تسعى المعارضة إلى إيجاد ما هو موجود من مفردات لإرهاب الناس وإخافتهم من النظام وأجهزته ،



كالديكتاتورية والطغيان ، وما شابه ، وتسعى للتصرف كمظلوم يسرّب منشورات التظلم بين الناس لإثارة القلق بين الناس ضد النظام .

وفي أي بلد دائماً تكون حساسية الأمن والداخلية والقضاء تجاه الجديد والمخالف للمألوف الفكري والسياسي والاجتماعي شديدة ؛ فكيف إذا كان المرشح للممارسة منتجاً غريباً تَكُونُ نتيجة السُّخط على الكنيسة وتسُلْطها على أفكار الناس ، وهي في أغلب مصاديق ترجمتها تتعارض مع العقيدة !؟

منطق الحد من الحريات التي تتجاوز حريات الآخرين فقط لا ينسجم مع مقررات الشريعة الإسلامية ، فقد تتجاوز حرياتهم حرمة الأحكام الإلهية دون أن يكون في ذلك ضربٌ أو تعرُّضٌ لأحد كالتجديف بحق الأنبياء والمعصومين أو ممارسة المعاشرة الجنسية بين الزوجين أمام الأنظار والخروج من الدار عارياً ، وفتح دارٍ للدعارة ، والزنا برضا الطرفين مع توافر الشهود ، وبالرغم من عدم وجود التعرُّض للآخرين تعتبر هذه الحالات تجاوزاً للقانون .

ولا يمكن الاعتماد على مقولة : إنَّ التعرُّض للأحكام الإلهية يعتبر تجاوزاً لحريات الآخرين ، من خلال عدم قانونية جرح مشاعرهم الدينية ، إذ يمكن أن تكون المعارضة لعقيدة خرافية سبباً لجرح مشاعر المتدينين بتلك الخرافة ، وبالرغم من ذلك ليس في الأمر ما يعد تجاوزاً للقانون .

إذن ... فجرح المشاعر ليس حجةً للقول بعدم قانونية التعرُّض للأحكام الإلهية ؛ فقد يعتبر البعض أن التكتف في الصلاة تشريعٌ إلهي ، والبعض الآخر يعتبر ذلك بدعة داخلية على الصلاة ، ولذلك ليس الحجة في هذه الحالة جرح المشاعر ، وإنما هي في عدم جواز التجاوز أصلاً لقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾<sup>(١)</sup> .

(١) الأحزاب : الآية ٣٦ .

ولذلك ، فلا قانونية في مجتمعنا الإسلامي للحرية التي لا حدود لها إلا حريات الآخرين ، التي تعني الحقوق المتبادلة بين الناس من حرمة السباب والشتم والإهانة المباشرة إلى القتل .

نعم ، هذه زاوية لا يمكن تجاهلها ، إلا إنه لا يمكن تجاهل حق الله على الناس وعلى النظام ، وكذلك حق النظام على الرعية كراع .

وعندما نعود إلى وحدة ومركزية التعريف للحرية في النظام الإسلامي فلاشك يتوجب علينا ألا نتجاوز تعريف الإمام الخميني لها ؛ كونه المؤسس للنظام الاجتماعي والسياسي الحالي في إيران ، ويؤكد ذلك أكثر فأكثر التزام كل التيارات السياسية الفاعلة في الساحة الإيرانية ، الحاكمة وغيرها بالفكر السياسي للإمام قدس .

وعندما نرجع إلى تعاطي الإمام الخميني غير المباشر مع التعريف السابق للحرية فإننا نلاحظ أنه وضع الحدود القانونية التي يؤمن بها النظام الإسلامي الذي تبناه ، وتلك الحدود هي :

١- رفض الحرية على الطراز الغربي .

٢- رفض حرية الصحافة والمجلات والخطابات والكتب المنافية للإسلام والذوق العام ومصالح البلد .

٣- الوقوف بوجه الحريات المدمرة .

وهذا يعني التزامه بنظام إسلامي محض ، تخضع كل قوانين الإدارة والسياسة والعلاقات الداخلية بين النظام والشعب والنظام والتيارات السياسية والخارجية ودول العالم فيه للنصوص القرآنية والنبوية والمولوية الثابتة .

وهذا لا يعني ضيق الفسحة في المشروع السياسي الديني ، وإنما يعني أن حركة المؤسسات السياسية والاجتماعية والثقافية والرسمية والعلنية خاضعة لقراءة الدين .

إنَّ القراءة للنصِّ الدِّينيِّ والفكر الدِّينيِّ ليست بلونٍ واحدٍ، واعتماد قراءة واحدة، وإلغاء القراءات الأخرى يعتبر إجحافاً بحقِّ الثاني .

إلا إن اعتماد واحدة وعدم تبنيِّ الأخرى لا يعني مصادرة حقِّ المؤمنين بها في الالتزام بما آمنوا به ، وإنما يعني حقَّ القراءة التي تبنتها الأَكثَرِيَّةُ الشَّعْبِيَّةُ في البلدان الديمقراطيَّةُ في التفعيل وتقديمها على القراءات الأخرى ، على أن الديمقراطيَّةُ تفعَّلُ في كلِّ بلدٍ بناءً على التزامات ذلك البلد الفكريَّةُ والثقافيَّةُ والدينيَّةُ ، وفي حال الحصول على الأَكثَرِيَّةُ الشَّعْبِيَّةُ من خلال اعتماد برنامجين :

**الأول :** برنامجٌ انتخابيٌّ ، يمارس من خلال الدَّعَاية الانتخابيَّةُ .

**والثاني :** برنامج المسلمات الفكريَّة والسياسيَّةُ .

وهذا ما يطعن في نزاهة نتائج الانتخابات والحصول على الأغلبيَّة الشَّعْبِيَّةُ إذا ما كانت الأغلبيَّةُ لصالح التيارات ذات الأيدلوجيات المخالفة للنظام ، وإن كانت ممارسة العمليَّة الانتخابيَّةُ في بطاقات التصويت نزيهة ، ومن هنا تحدث الإشكاليَّةُ والمواجهة .

بصريح العبارة يعتبر الإمام أنَّ خيار الشَّعب هو عقيدة التوحيد ، وهذا الخيار هو الذي ضحَّى مختاراً من أجله ، ومن قبل فَعَلَ الأنبياء والمعصومون عليهم السلام ، ولذلك يقول الإمام **تَدَكُّرُ :**

« أوصي الشعب الإيراني النَّبيلَ بأنَّ حجم تحمُّل الصُّعاب والآلام والتضحيات والفداء والحرمان يتناسب في العالم مع كبر الهدف وقيمه وسمو مرتبته ، والهدف الذي انتفضت من أجله - أيها الشعب النَّبيلَ المجاهد - وتواصل السير نحوه ، وبذلت وما زلت من أجله الأنفس والأموال هو أعظم وأرفع وأسمى هدفٍ عُرض منذ بدء العالم في الأزل أو سيُعرض بعد هذا العالم إلى الأبد ، وهو مدرسة الألوهية بمعناها الواسع ، وعقيدة التوحيد بأبعادها السامية ، وهو أساس الخلق

وغايته في عرصات الوجود»<sup>(١)</sup> .

هذا النظام الذي آمن الإمام به ، والتزم به وضحَى من أجله هو نفسه النظام الذي أَراده ويريده جميع الأنبياء والمعصومين عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إذ يقول :

«ولأجل تحقُّقه انصَبَتْ جهود الأنبياء العظام (عليهم سلام الله) والأولياء المعظمين (سلام الله عليهم)»<sup>(٢)</sup> .

وعلى ضوء ذلك تتبلور الحُرِّيَّةُ بحدودها ومساحاتها من خلال تعريف مدرسة الألوهيَّة ، بمعناها الواسع ، وعقيدة التوحيد بأبعادها السامية ، من خلال النظام الذي تنشده وينشده جميع الأنبياء والمعصومين عَلَيْهِ السَّلَامُ ، والذي سيسعى لإقامته خاتم الأوصياء (عج) ، والذي يرى الحُرِّيَّةَ مفتوحة الحدود إلا :

- ١- أن تنتعش الرذيلة والخطيئة الأخلاقية من خلالها .
- ٢- أو أن تنتعش قوى الضلال والتضليل بها .
- ٣- أو أن تغيب بسببها الألفة والوحدة بين أركان النظام وأبناء الشعب .
- ٤- أو أن ينشغل البعض بضرب البعض الآخر عن العدو الحقيقي .
- ٥- أو أن يشعر المتديُّنون المخلصون الواعون بالغرابة والنسيان .
- ٦- أو من خلالها ينمو ويتعش عملاء الاستكبار .
- ٧- أو من خلالها يتعرَّض الأمن القومي للخطر .
- ٨- أو من خلالها تضيع مبادئ وثوابت النظام والثورة .

(١) الوصيَّة . الفقرة (صاد) .

(٢) الوصيَّة . الفقرة (صاد) .

إلا إنَّ المستجدَّاتِ العالميَّةَ بعد وفاة الإمام الخمينيِّ تُدْخِلُ استطاعت أن تخلق إحياءات وتنويهات على كثير من مفردات الثقافة السياسيَّة والإداريَّة لبعض المجاميع التي ساهمت اندفاعاتها الأولى إلى وضع أهمِّ عناصر ثقافتها في دائرة المراجعة والنَّتائِجِ المحتملة ، مما جعل أبوابها مفتوحة لاستقبال إحياءات وتنويهات وتجارب الآخرين دون حدود .

ومن هنا دخلت في السَّاحة الإيرانيَّة عناوين جديدة ذات مردودٍ سلبيٍّ أكثر من الإفراس الإيجابيِّ الذي يُستحلبُ من جدِّها ما لم تتَّضح حدود ومعالم حركتها في الواقع ؛ فـ « مؤامرة الجناح المستبدِّ لإسقاط النُّظام الشَّعبيِّ » عنوان له مردوده ومفاده السلبيُّ لجديد الجديد ، و« ازدواجيَّة صلاحيَّات القائد ورئيس الجمهوريَّة » ، و« مراقبة القائد » ، و« شتم وإهانة قائد الثورة الإسلاميَّة ، واتِّهامه بالتحيز لطرف ضدَّ آخر » ، و« إهانة مراجع الدين ورئيس الجمهوريَّة ورئيس القضاء ومجلس الشُّورى » ، وشعارات « التَّصفية الحزبيَّة » ، و« الموت للطُّغيان » ، و« الموت لطلابان » ، كلُّها تدخل ضمن هذا الإطار .

فشعارات الدعوة بالموت المتبادلة من أجل تقزيم المنافس أو عزله جماهيريًّا أو القضاء عليه نهائياً من خلال القذف بتهم الانحراف عن مسيرة وأهداف الثورة والنُّظام الإسلاميِّ والمدنيَّة والتحضُّر والمعاصرة ، وإقامة التحالفات لإسقاط الآخر ، كلُّها لا تخدم الثورة والنُّظام الإسلاميِّ وأهدافه .

ولذلك يقول الإمام الخمينيُّ : « وإذا عمد شخصٌ أو مجموعة في هذا النُّظام إلى إسقاط أو تدمير الآخرين - لاسمح الله - وقدمت مصلحة جناحها أو خطُّها على مصلحة الثورة ، فإنَّها وقبل أن توجَّه ضربة لمنافسها أو منافسيها ستكون قد وجَّهت ضربة للإسلام والثورة »<sup>(١)</sup> .

(١) ريادة الفقه الإسلامي ، ص ٩٢ .

وما يحدث الآن<sup>(١)</sup> من فوضى المفاهيم في هذه الحقبة الحامية ، والتي يمكن أن نسميها مرحلة جديدة في قراءة بعض مفردات الحياة السياسيَّة والاجتماعيَّة - وإن كانت في الإطار القانونيِّ - إنما هي بسبب غياب التعريف الواضح ، ذي الحدود الجليَّة للحرِّيَّة ، وتقديم المصاديق الواقعيَّة لها ، ومواجهة الانفلاتات العمليَّة لتلك الحدود ، حتى يتمَّ تعامل الجميع من تيارات وأفراد مع الواقع على ضوئها .

ففوضى أن يقوم أفراد بمهاجمة وزير أو حافلة تحمل سيَّاحاً ، أو مظاهرات بإجازة جهة قانونيَّة تدعو إلى حلِّ مجلس الشورى لممارسته صلاحياته القانونية في مساءلة الوزراء أو المتخلفين عن أداء واجباتهم ، بناء على توجيه الآخرين لطريقة معالجة أعضاء المجلس ، أو المطالبة بإقالة رئيس القضاء ، أو... أو... كلها تدخل في إطار الفوضى المفاهيميَّة التي تسببت في خلق المشاحنات والمصادمات والتراشق اللامبرر بالاتهامات بالاستبداد أو الانقلاب أو الإقصاء والاستفراد بمؤسسات القرار ، ولذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام لملك الأشتر حيث ولاه مصرأ في شأن ما يمكن أن يأتي به كجديدٍ أو بديلٍ لواقع ألقوه : «ولا تنقض سنَّة صالحه عملاً بها صدور هذه الأمة ، واجتمعت بها الألفة ، وصلحت عليها الرعيَّة ، ولا تحدثن سنَّة تضر بشيء من ماضي تلك السنن ؛ فيكون الأجر لمن سنَّها ، والوزر عليك بما نقضت منها»<sup>(٢)</sup> . إذ إنَّ الألفة والصلاح السالف بمنطق النظام الإسلامي عند أمير المؤمنين هي أفضل من الجديد وإن كان صالحاً ، لأنه نقض صالحاً اجتمعت الأمة عليه ، وأوجد الفرقة بين الرعيَّة .

(١) يشير الاستاذ الكاتب في هذه المقاطع إلى الأجواء والأحداث السياسيَّة والاجتماعية التي أعقبت مجيء السيد محمد خاتمي لرئاسة الجمهوريَّة ، والشعارات التي رفعها في ولايته الأولى وأهمها شعار الحرية (الناشر) .

(٢) نهج البلاغة ج ٣ ، قسم الكتب والرسائل ، عهد الإمام عليه السلام لملك الأشتر (رض) حين ولاه مصرأ .

لست هنا في مجال تصنيف التيارات السائرة على نهج الإمام ، والخارجة عنه ، وإنما أنا في محاولة عرض مفهوم الحُرِّيَّة وفق فهم الإمام الخميني ، والحدود التي إذا تجاوزها - أي مُتمم لهذا الخطِّ - اعتُبرَ خارجاً عنه ، ومنحرفاً عن صراط الثورة القويم .  
فالحُرِّيَّة التي «تُؤدِّي إلى تدمير الشباب فتيات وفتية»<sup>(١)</sup> مدانة من قبل الإسلام والعقل .

والحُرِّيَّة المنافية للإسلام والذوق العام ومصالح البلد محرمة .

والحريات المدمرة - أيّاً كان بريقها - يجب منعها .

والحُرِّيَّة التي تتعرَّض مفرداتها للحوزة وعلماء الدِّين بالسوء وتستبطن استئصال علماء الثورة يجب مواجهتها .

والحُرِّيَّة التي تهَيِّئ الأجواء لبعض الحوزويين الموتورين أو المنحرفين أو المتحجِّرين بالعمل ضدَّ الثورة والإسلام المحمديّ الأصيل ويتسترون بظاهر القدسيَّة ويوجهون ضرباتهم القاسية للجذور الدينية والنُّظام والثورة إنما تهددُ النُّظام الإسلاميَّ والثورة الإسلاميَّة ، فيجب عدم السماح بها .

وبالتالي إذا لم تتضح معالم وحدود الحُرِّيَّة ، وتعاطي الجهات المعنية مع الأحداث والتيارات وفق فهم النُّظام الإسلاميَّ والثورة للحُرِّيَّة ، فستصرف كلُّ جهة وفق فهمها هي ، وهذا ما يهددُ النُّظام الإسلاميَّ والثورة ، حتى من أبناء الثورة نفسها .

(١) الوصيَّة . الفقرة (ميم) .

## الإمام والشعب

عندما نسمع بكلمة (الشعب) فإنه يتبادر إلى أذهاننا مجموع الأفراد الذين يعيشون في ناحية من نواحي الأرض ، ومن خلال عاداتهم وتقاليدهم وعقائدهم يتكوّن النظام الاجتماعي والسياسي لهم .

وإذا ما ألغى النظام السياسي خصوصيات هذا الشعب ، فإنه إما أن يسقط بفعل رفض الشعب له ، أو أن يكون معزولاً عنه ومرفوضاً من قبله ، وإما أن يستمرّ فيه من خلال ممارسة القهر والبطش والإرهاب .

وأي نظام سياسي - مهما مارس القهر والإرهاب - فإنه لن يستطيع أن يعيش إلى الأبد بالقهر والإرهاب ، ولذلك لا بد أن تمرّ لحظة صحو للشعب يرفض فيها ممارسة القهر والإرهاب ضده ، فإذا ما توفّرت له قيادة واعية وشجاعة فلا بد أن ينتفض ويصنع له النظام الذي يريده ، ليواكب به تطوّعاته ، ولذلك قال الشاعر أبو القاسم الشابي :

إذا الشعب يوماً أراد الحياةَ فلا بُدَّ أن يستجيبَ القدر

وهذا ما حصل تماماً للشعب الإيراني ، عندما توفّرت له القيادة الواعية والشجاعة ، وصاحبة المشروع السياسي البديل انتفض واستجاب لنداءاتها ولمشروعها السياسي ، وأسقط إمبراطورية الأتقين وخمس مئة عام ، وصوّت لمشروعها السياسي الذي تبنى المشروع الإسلامي من خلال الفقه الإمامي الاثني عشري .

هذا الشعب الذي كان جنباً إلى جنب قيادته منذ أكثر من ثمانية وثلاثين عاماً ، قبل الانتصار بثمانية عشر عاماً ، وما بعده بعشرين عاماً ، قد سطرّ أروع



الملاحم في تاريخ الإنسان المعاصر ، بل هو أفضل من شعب الحجاز أيام النبي الأعظم ﷺ كما يقول الإمام الخميني في وصيته :

«إنني أدعي وبجراحة إن شعب إيران بجماهيره المليونية في العصر الحاضر هو أفضل من شعب الحجاز في عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وشعب الكوفة والعراق على عهد أمير المؤمنين والحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهما ، فالحجاز الذي على عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حتى المسلمون لم يكونوا يطيعونه ، وكانوا يتخلفون عن الحرب بشتى الذرائع ، حتى إن الله تعالى ويُنْخِمْ في آيات من سورة التوبة ...

فيما نرى اليوم أي تضحيات يندفع لتقديمها بكل شوق ورغبة شعب إيران ، وأي ملاحم يسطرها هو وقواته المسلحة - جيشاً وحرساً وقوات أمن داخلي وتعبئة وقوى جماهيرية من عشائر ومتطوعين - في الجبهات ، والجماهير خلف الجبهات ، ونرى أي مساعدات قيّمة تقدمها الجماهير النبيلة في كافة أنحاء البلاد ، فيما يطل علينا وعليكم أهالي الشهداء والمتضرّرون بالحرب وذووهم بوجوه تبعث على الروح الملحمية ، ويقول وفعل مفعم بالشوق وباعث على الثقة ، ومنيع كل ذلك هو حبهم وعشقهم لله تعالى ، وإيمانهم المفعم به وبالإسلام والحياة الخالدة ، في حين أنهم لا يعاصرون الرسول الأكرم ﷺ ولا الإمام المعصوم صلوات الله عليه» (١) .

ولذلك أوصى الإمام تَدْتُمُّ الحكومة وكل المسؤولين بهذا الشعب الوفي ، وأن لا يألوا جهداً ووسع في خدمته : «وأوصي المجلس والحكومة والمسؤولين بأن يعرفوا قدر هذا الشعب ، وأن لا يألوا جهداً في خدمته» (٢) ، ويؤكد أكثر على

(١) الوصية . الفقرة (جيم) .

(٢) الوصية . الفقرة (جيم) .

شريحة المظلومين والمستضعفين ؛ لأنهم هم الذين انتفضوا منذ البداية وقدموا عشرات الآلاف من القرايين ، لم تستطع أية شريحة من أن تجود بمثل ما جادت به هذه الشريحة (والجود بالنفس أقصى غاية الجود) .

ولذلك أكد على العناية بهذه الشريحة التي لا تنتمي إلى أية طائفة أو عرق أو جهة ، وإنما هي شريحة تعيش في الحوزة والجامعة وبين الكسبة والفلاحين ، إذ قال : « خاصة المستضعفين والمحرومين والمظلومين ؛ فهم قرّة أعيننا وأولياء نعمة الجميع ، والجمهورية الإسلامية عطيتهم وثمرتها تضحياتهم »<sup>(١)</sup> .

وهذا ما جاءت به المادة السادسة من دستور الجمهورية الإسلامية : « يجب أن تدار شؤون البلاد في جمهورية إيران الإسلامية بالاعتماد على رأي الأمة الذي يتجلى بانتخاب رئيس الجمهورية ، وأعضاء مجلس الشورى الإسلامي ، وأعضاء ساير مجالس الشورى ونظائرها ، أو عن طريق الاستفتاء في المواد التي نص عليها الدستور » .

والذي يضمن للشعب أن تبقى الحكومة وفيّة وخدمته له ، بل ومن حقّه أن يحتج على أيّ تقصير متعمّد في أداء الجهات التنفيذية أو التشريعية أو القضائية في حقّه إذا ما شخص ذلك « العلماء الأتقياء من رجال الدين الملتزمين ، ممن تحسسوا حرمان المستضعفين والمحرومين وظلامتهم ، وممن يسعون إلى رفاهيتهم » - هو ما جاءت به المادة السابعة والعشرون من الدستور : « يجوز عقد الاجتماعات والمسيرات بدون حمل السلاح ، وبشرط أن لا تكون مخلّة بالأسس الإسلامية » .

وقد جاء مفاد هذه المادة في وصيّة الإمام الخمينيّ تشرّف عندما خاطب الشعب بقوله : « وصيّتي إلى الشبان الأعزّاء في المعاهد العلميّة والثانويّات

(١) الوصيّة . الفقرة (جيم) .

والجامعات هي أن يتفضوا بأنفسهم وبشجاعة أمام الانحرافات ليصان استقلالهم وحرّيتهم واستقلال وحرّية بلدهم وشعبهم»<sup>(١)</sup>.

هذا الحضور الفاعل للشعب الإيراني في تقرير مصيره ، ومحاسبة المقصّرين من المسؤولين تجعل المسؤولين لا يتقدّمون لمواقع المسؤوليّة إلا لخدمته وخدمة مبادئه وقيمه ، وليس من أجل أن ينالوا سمواً ورفعة من خلال التصديّ للمسؤوليّة في ذلك الموقع أو التلاعب بمكتسباته وإنجازاته ، وهذا ما جاء في بعض فقرات القسم الذي يقسم به رئيس الجمهوريّة قبل تصديّهِ للمسؤوليّة ، إذ تقول : «أقسم بالله القادر المتعال أمام القرآن الكريم وأمام الشعب الإيراني أن أكون حامياً للمذهب الرسمي ، ولنظام الجمهوريّة الإسلاميّة ، وللدستور ، وأن أستخدم مواهبى وإمكانياتي كافّة في سبيل أداء المسؤوليّات التي في عهدي ، وأن أجعل نفسي وقفاً على خدمة الشعب ورفعة الوطن ونشر الدّين والأخلاق»<sup>(٢)</sup>.

نعم كثيرون هم الذين يبذلون كل ما بوسعهم - بالوسائل المشروعة وغير المشروعة - من أجل الوصول إلى سدة الرّئاسة ، ويقسمون بالأيمان المغلّظة بالوفاء بما عاهدوا به شعبهم ، إلا إنهم يتنكّرون فيما بعد لشعبهم ، وينقضون تلك العهود التي تعهدوا بها ؛ لأنها مجرد فقرة روتينيّة تعودّ الرؤساء تلاوتها قبل تسلّم حقيبة سدة الرّئاسة .

إلا إنّ بلدأ يسوده التديّن في الأغليّة السّاحقة من شرائحه ، والتزامه بهويّته وبروحه التضحيّة للحفاظ على مكتسباته وهويّته واستقلاله وحرّيته ، وفي بلدٍ تكثّر فيه المؤسّسات الدستوريّة ، ويلتزم بتوجيهات المراجع العظام - يصعب على رئيس الجمهوريّة فيه أن ينقض عهده لشعبه أو لمراجع الدّين من الالتزام بالدّين

(١) الوصيّة . الفقرة (كاف) .

(٢) دستور الجمهوريّة الإسلاميّة .

والأخلاق والدفاع عن الإسلام ومذهب البلاد الرسمي، والسَّير بسيرة رسالية .

إنَّ هذا الوعي والروح التضحية للذين يتمتع بهما الشعب الإيراني ورجال النظام الإسلامي لن يتركا مجالاً للخوف على النظام من حوادث الزمان ، إلا إذا تغيَّرت ثقافة النظام والشعب ، وقلب العلماء والمراجع للنظام والإسلام ظهر المجن ، والعياذ بالله ، وهذا ما لن يحدث - إن شاء الله تعالى - ما دام الشعب يسير في طريق الأنبياء والأولياء الصالحين ، ولذلك نرى الإمام يتحدث إلى الشعب عن حقيقة نهجه بقوله :

«إنكم يا أبناء الشعب المجاهد تسرون في ظل راية تخفق في أرجاء العالمين - المادي والمعنوي - سواء عرفتم ذلك أم لم تعرفوه . وتسرون في درب هو وحده درب جميع الأنبياء عليهم سلام الله ، وهو وحده درب السعادة المطلقة ، ومن أجله يندفع كافة الأولياء لاحتضان الشهادة ، ويرون الموت الأحمر «أحلى من العسل» ، وقد احتسى فتيتكم في الجبهات جرة منه فهموا طرباً ، وظهرت تجلياته في أمهاتهم وأخواتهم وآبائهم وإخوانهم . فحق علينا أن نقول صدقاً : (ياليتنا كنا معكم ففوز فوزاً عظيماً) ، فهنيئاً لهم هذه النسمة التي تشغف القلوب ، وذلك التجلي المثير»<sup>(١)</sup> .

وما جاء هذا العشق بالمزاجية والعشوائية والصدفة ، وإنما لما يتمتع به الشعب من وعي ويقظة جعلت الإمام في غاية الاطمئنان إلى أن الشعب سيكون أميناً على تلك الودائع التي أودعها إياه ، لينقلها إلى الأجيال التي تعقبه ، وهي لإيمانه بها ليست ثقيلة عليه ، وكيف تكون كذلك ، وهي سبب عزته واستقلاله وحرته؟! ولذلك قال :

«إنني ومع ما أراه في الشعب العزيز من يقظة ووعي والتزام وتضحية ، وروح مقاومة وإصرار ، وصلابة في طريق الحق - ولدي أمل أن تتقل هذه القيم الإنسانية

(١) الوصية . الفقرة (صاد) .

إلى أعقاب هذا الشعب ، وتربو جيلاً بعد جيل ، بفضل الله تعالى - ..»<sup>(١)</sup> .

وقد كفل الدستور حقّ هذا الشعب الوفيّ أفراداً وجماعات وتيارات سياسيّة وفكريّة ، ويرفض كلّ تيارٍ أو نمط تفكيرٍ غير مبالٍ بهذا الشعب ويمكثباته وبقيمه .  
قد تجد بعض أفراد هذا الشعب مناصراً لبعض التيارات التي تتناقض مبادئه وقيم الثورة ، ولكن ليس لأنّ أولئك يمثلون الشعب أو لأنهم النخبة الناضجة فيه ، أو لأنّ الشعب قد ضجر من الثورة ويبحث عن البديل ؛ وإنما لانتهاج تلك التيارات وسائل وأساليب التفاوضية ، لا يلتفت إليها إلا من كان مدركاً لأهداف ذلك التيار على حقيقتها ، ومدى تعارضها مع أهداف وقيم الثورة .

هذا الشعب الوفيّ هو صانع ثورة الإنسان في قرن انتهاك حق الإنسان ، وهو الذي استعاد بثورته كرامته المهذورة والمصادرة ، وأطرها في إطار الإسلام المتحرّر من تحريفات المنتحلين ، وانحراف المبطلين الذين سمّاهم الإمام بـ (وعاظ البلاط ، أو وعاظ السلاطين) .

وهو أيضاً صانع نظامه الإسلامي بثوابته ومقرراته التي وفرت له ما كان يصبو إليه ، أو قلّ جلّ ما كان يصبو إليه ، أو قل هي في طريق تحقيقها إن شاء الله تعالى ، ولذلك دعا الإمام قدسُ الشعوب الإسلاميّة أن تتخذ من الشعب الإيراني القدوة التي لن يكون الاستقلال والحرّيّة إلا من خلال الالتزام بها ، إذ يقول في ذلك : «أما وصيتي للشعوب الإسلاميّة فهي : أن اتخذوا من حكومة الجمهوريّة الإسلاميّة والشعب الإيراني المجاهد نموذجاً لكم»<sup>(٢)</sup> .

هذا هو الشعب الإيراني وتلك هي حقوقه في تقرير مصيره ، وهذه هي مكانته عند قائده الكبير وباني مجده وصرح عزته واستقلاله وحرّيته .

(١) الوصيّة . الفقرة (صاد) .

(٢) الوصيّة . الفقرة (جيم) .

## خط الإمام أمثولة مترجمة إلى واقع

طُرح في الأوساط الثقافية معنىً دقيقاً حول فكرة «خط الرجل» ، وأُتبع بملاحظات مهمة ، لاشك أنها تثري الدراسة في هذا الموضوع ، مؤيداً في النتيجة فكرة «رجل الخط» ؛ لأنه يكون في صف الأمة في تحركها ، من خلال الخط الواحد ، ويرى أنه يجب أن تكون علاقة الأمة بالخط ، وليس علاقتها بالرجل ، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام : « لا تنظر إلى من قال ، وانظر إلى ما قال »<sup>(1)</sup> ، وهي دعوة تتغل بنا من الحركة مع الشخص القائل : (الذي يحتمل أن يكون بمستوى ما يقول ، ويحتمل العكس) إلى الحركة مع قيمة القول ومصداقيته .

هذا القول كفكرة دون ربطها بالواقع لا شك أنها قوية الدلالة ، إلا إنها كفكرة أمام تنوع الفهم للخط الواحد ، بل واختلافه ، وأكثر من ذلك تصادمه ببعض ، وما ينتج عن ذلك التنوع والاختلاف والتصادم يقول : إنه من الصعب بقاء الخط بنقاوته التي كان عليها حين رسمه صاحبه ، وبالتالي يفرض علينا الواقع الالتزام بمقولة : «خط الرجل» من خلال «رجل الخط» .

فعلى مستوى الذهن ؛ فإنّ الذهنية لا يمكن أن تسلم من تأثير الامتدادات المتصلة بها ، مما يعني أن تلك الامتدادات وذلك الواقع يفرضان على الذهن نوعاً خاصاً من التفاعل والانفعال مع الثوابت والمتغيرات ، تختلف عن نظير آخر له في امتداداته وواقعه ، وبالتالي ستكون الثوابت والمتغيرات في حالة اضطراب بين أصحاب المعتقد الواحد .

(1) مائة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام ، شرح ابن ميثم البحراني - الكلمة العاشرة .

ومن أجل أن يتوحد الجميع (المتفرقون) يقتضي ذلك وجود قاعدة واحدة ، يتم الانطلاق منها والثبات عليها .

يقول الرسول الأعظم ﷺ : « إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ ؛ كِتَابَ اللَّهِ وَعِترتي ، أَهْلَ بَيْتِي فَإِنِهما لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضِ »<sup>(١)</sup> .

في الحديث مفردتان تثري موضوعنا بقوة ، وهما :

**الأولى : الكتاب ، والثانية : العترة ، أي : البيان ، والمبيّن .**

والقرآن الكريم عندما يريد أن يربط الأمة بالبيان ، نجده يركز على أهمية ترجمة ذلك البيان إلى حقيقة واقعة ؛ لأنّ ذلك هو القدر الذي قدّر له ، وليس إلى مثلٍ منحصرة في الذهن ، أو في الكتب .

لنرّ القرآن ماذا يقول : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وذلك في إشارة إلى أهمية أن يكون البيان والمبيّن يليان الواقع الذي رسمه المشرّع تبارك وتعالى .

وقوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾<sup>(٣)</sup> يوضّح لنا هذين الأمرين (البيان والمبيّن) من خلال المبيّن والرّمز (محمد) ، وذلك من خلال وظيفته التي هي الرّسالة (رسول الله) ، ولذا قال : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ النُّهَى \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ ، ومن هنا قال : ﴿ وَلَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾<sup>(٤)</sup> .

ذلك الكلام حول البيان وارتباطه بالمبيّن ، ونفس العلاقة بالعكس .

(١) مرّ سرد بعض مصادر الحديث في بداية الفصل الثاني من هذا الكتاب .

(٢) النحل : الآية ٤٤ .

(٣) الفتح : الآية ٢٩ .

(٤) الأحزاب : الآية ٢٠ .

وهكذا أراد الله ورسوله أن يبقى ذلك إلى اللقاء عند الحوض ، يرافق البيان تراجمته الحقيقيون ، من خلال قوله : «إني تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» .

هناك التفاتة لطيفة في القرآن الكريم يشير فيها إلى أهمية المبيّن والمترجم الحقيقيّ لذلك البيان في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾<sup>(١)</sup> ، وفي آية أخرى يؤكد على أهمية ذلك بقوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾<sup>(٢)</sup> ، كل ذلك تأكيداً لمفهوم المبيّن والمترجم ، ليتحقق في شخصه مفهوم القدوة ، حتى تكون دعوته تعيش الإمكانية في الذهن أولاً (أي تنال التصديق) ، ومن ثمّ الانبساط والتمثل من قبلهم في الواقع ثانياً .

وكثيرة هي تلك الآيات التي هي حكاية عن لسان الأنبياء لأقوامهم ﴿إِن نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> . وعن لسان النبي يقول تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾<sup>(٤)</sup> .

وهذه الدعوة تدفع الناس بطلب الدليل والبيّنة على مدّعاها ، فيقولون له : ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾<sup>(٥)</sup> ، أي علامة للتمييز والارتباط بخالق كل شيء ، هل يستطيع أن يسخر لك أي شيء مادام هو خالق كل شيء ، وقادر على كل شيء ؟

(١) الأنعام : الآية ٩ .

(٢) الفرقان : الآية ٢٠ .

(٣) ابراهيم : الآية ١١ .

(٤) الكهف : الآية ١١٠ .

(٥) الشعراء : الآية ١٥٤ .



جاء كل ذلك لإثبات وترسيخ مفهوم القدوة والأسوة من خلال ارتباطهم بالمبني والمترجم وهو ما يمكن لنا أن نسميه بـ (الرمز) ؛ لأنه هو الذي يمثل ترجمة الرسالة التي جاء بها ، ليحولها من دائرة القول إلى دائرة الفعل .

### القدوة وموقعه في الترشيد

وفي ذلك كتب سماحة آية الله السيد محمد باقر الحكيم بما لا غنى عن الاستفادة منه ، ولذا سندرجه - مع بعض الاختصار - لإتمام المراد ، وتحقيق الاستفادة منه :

«اهتمَّ القرآن الكريم والإسلام العظيم برسم معالم المسيرة أمام الإنسان وهدايته نحو أهدافها ، وبعث الله الأنبياء والرسل لتحقيق هذه الهداية : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(١)</sup> .

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾<sup>(٢)</sup> .

### فلسفة القدوة في منهج التغيير الاجتماعي

ولكن بالرغم من ذلك تبقى أمام الإنسان مجموعة من المشاكل الدقيقة ، كانت بحاجة إلى التوضيح والإبانة ، حتى يكمل مسيرته :

**المشكلة الأولى :** عقلية : إذ قد يكون المفهوم الذي يريد أن يقدمه الإسلام واضحاً ، ولكن الموقف الذي ينسجم مع المفهوم قد يعتربه شيء من الغموض ، بحيث يكون بحاجة إلى التشخيص والوضوح ، من خلال ممارسة عملية خارجية

(١) الجمعة : الآية ٢ .

(٢) البقرة : الآية ٢١٣ .

تشخصه وتبينه ، وهنا يأتي دور القدوة الصالحة التي تجسّد الموقف الصحيح ، الذي يتناسب مع الظروف والشروط الموضوعية ، والمنسجم مع المفهوم الإسلامي :

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْتَمُونَ﴾  
النِّسَاءَ وَالضَّرَّاءَ وَزَلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿١﴾ .

**الثانية : روحية ونفسية :** فالإنسان قد يملك الوضوح الكامل في الطريق ومعالمه ، ولكنه يشعر بالضعف والعجز في كثير من الأحوال ، ويتلذذ ويسقط في الطريق نتيجة لذلك لولا العناية الإلهية . ومن هنا فهو يحتاج إلى من يشق الطريق أمامه ليكتسب الشجاعة اللازمة ، والمعنويات العالية في اقتحامه هذا الطريق الشائك ، ويأتي هنا دور القدوة الصالحة التي تشق الطريق وتفتح السبيل أمام كل أولئك الضعفاء على اختلاف مراتبهم .

**الثالثة :** إن الحقيقة قد تشبه بالادعاء ، والواقع بالرغبة ، والفعل بالقول ؛ فيصبح الادعاء مورداً للشك ، باعتبار قلة التجربة ، أو عدم الاطلاع على كل الظروف المحيطة بالادعاء وأبعادها ، بحيث يتخوف الإنسان من الخديعة أو التضليل والتغريب . ويأتي دور القدوة التي تقرن القول بالعمل ، وتجسّد الادعاء وتصدق الحقيقة . . . وبذلك يصبح القول المقرون بالعمل أكثر تأثيراً في النفس ، لما فيه من دلالة على قناعة حقيقية وإيمان حقيقي من قبل الآخرين ؛ لأن القناعة والإيمان يكون لهما تأثير في نفوس الآخرين ، لما فيهما من الدلالة على صدق التجربة ، وصحة الادعاء ، والاستعداد للمواساة ، وتحمل الأعباء والمشاكل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ \* كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ \*﴾ إن

اللَّهُ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بُنَيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴿١﴾ .

**الرابعة :** إنَّ المفهوم المطروح للمثال قد يتهم بأنه مفهومٌ مثاليٌّ ، ولا يمكن تحقيقه عملياً ، وإنما هو مجرد طموح نحو الكمال ، وتخيلٌ لدرجات السموِّ باعتبار اتِّجاه الإنسان إلى الخيال والطموح ، ويأتي دور القدوة من أجل أن يؤكِّد واقعيَّة المفهوم ، والقدرة على تطبيقه وتجسيده عملياً .

وبالإضافة إلى كلِّ ذلك يمكن أن يكون للقدوة دورٌ مهمٌّ في إيجاد القناعة واليقين بقضايا كثيرة ، لا يمكن الإقناع بها إلا من خلال القدوة الصالحة ، حيث إنَّ القناعة وحسن الظن بهذه القدوة من خلال السلوك المتكامل يفرضان قياساً طبيعياً وروحياً للمساواة بين تلك الممارسات الحسنة والسلوك الجيِّد الذي يلتزمه هذا الإنسان (القدوة) من جهة ، وبقية الممارسات الأخرى التي يقوم بها ، بحيث ينتهي الأمر إلى سريان الالتزام والإيمان إلى تلك الممارسات الأخرى .

وفي هذا المجال وردت الروايات التي تؤكِّد الدَّعوة إلى الله من خلال الالتزام والعمل ؛ فقد نصح الأئمة عليهم السلام شيعتهم أن يكونوا دعاة لهم بأعمالهم . وبذلك تصبح القدوة الصالحة دليلاً على الحقيقة قائماً بنفسه ، ومنهجاً للهداية ، يؤثر في الوقت نفسه على العقل والوجدان ، ويجمع - إلى جانب ذلك - الوضوح والشجاعة والثبات .

وبهذا الاستعراض القصير لبعض آثار القدوة على مسيرة الحياة التغييريَّة ، يمكن أن نعرف أنَّ القدوة تعبير عن أحد أفضل الأساليب التي يمكن أن يتم التخاطب بها مع العقل والوجدان معاً . ولعل هذا الدور هو أحد أهمِّ ما يفسِّر به اشتراط العصمة أو العدالة - بدرجة عالية - في القيادة الإسلاميَّة ؛ حيث يمكن أن يكون لهذه القيادة

المتَّصِّفة بهذه الصفة دور القدوة والهداية - إلى جانب دور المفاهيم والأفكار التي تطرحها الشريعة - في تحقيق التغيير .

### تأكيد القرآن لدور القدوة

ولذلك نجد القرآن الكريم يؤكد دور القدوة والتأسي في المنهج الذي التزمه في التغيير . وقد نهج القرآن لذلك خطين رئيسين :

**الأول :** الخط الذي يؤكد دور الاقتداء والتأسي ، ويأمر بهما بشكل مباشر ، حيث ورد في مجموعة من الآيات التأكيد أو الإشارة إلى ذلك ، مثل قوله تعالى :

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup> .

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾<sup>(٢)</sup> .

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾<sup>(٣)</sup> .

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾<sup>(٤)</sup> .

**الثاني :** القصص والأمثال التي ضربها القرآن الكريم . . . . كان الهدف منها الاعتبار والاقتداء والتأسي ، من خلال استنباط القوانين والسُّنن التاريخية ،

(١) الأحزاب : الآية ٢١ .

(٢) الأنعام : الآية ٩٠ .

(٣) الممتحنة : الآية ٤ .

(٤) الاحقاف : الآية ٣٥ .

كما هو واضح من خلال بيان أهداف هذه القصص :

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>(١)</sup> .

﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاعَلَكُ فِي هَذِهِ الْحَقِّ  
وَمَوْعِظَةً وَذِكْرَى لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup> .

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْتُمُ  
النَّاسَاءَ وَالضَّرَّاءَ وَزُلُزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ  
نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبًا﴾<sup>(٣)</sup> .

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ  
وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* وَمَرْيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ  
فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا الضَّمِيرُ ، تَوَثَّرَ فِيهِمُ الْقُوَّةُ﴾<sup>(٤)</sup> .

### القدوة الصالحة والقدوة الفاسدة

وكما أن القدوة الصالحة تمثل عنصراً أساساً في عملية بناء المجتمع الصالح ،  
كذلك نجد القدوة قد تتخذ بعداً تخریبياً للمجتمع عندما تكون العناصر التي  
يقتدي بها الأفراد في المجتمع عناصر فاسدة ، وبالتالي تؤثر فيهم تأثيراً معكوساً ،  
بحيث يتحوّلون إلى مجرد أتباع مسلوب الإرادة والعقل والضّمير ، تؤثر فيهم القوة  
والهيمنة المادية لهذه العناصر .

وهذا التأثير قد يعكس اتجاهاً فطرياً وحالة طبيعية يحس بها الإنسان وهو

(١) يوسف : الآية ١١١ .

(٢) هود : الآية ١٢٠ .

(٣) البقرة : الآية ٢١٤ .

(٤) التحريم : الآية ١١ - ١٢ .

الاتجاه للاقتداء واتباع الأشخاص المتميزين في المجتمع ، ويجسد الدور الخاص للقدوة في التأثير الاجتماعي .

ولذلك نجد القرآن الكريم يشير إلى بعض هذه النماذج الفاسدة والمؤثرة ، ويحذّر منها ، ويذكر النهاية السوداء التي تنتظر أولئك الأتباع في المستقبل :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ \* إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ \* وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّنَا كَرِهْنَا لَنَكْرَهُ فَتَتَّبِعُوا مِنهٖمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾<sup>(١)</sup> .

﴿وَبَرَّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءَ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾<sup>(٢)</sup> .

ولذلك يصنّف القرآن الكريم الأئمة الذين يقودون المجتمع ، ويمثلون العناصر المؤثرة فيه إلى قسمين :

- أئمة يهدون إلى الجنة والحقّ وأمر الله .

- أئمة يهدون إلى النار والضلال والفساد .

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup> .

(١) البقرة : الآية ١٦٥ - ١٦٧ .

(٢) ابراهيم : الآية ٢١ .

(٣) السجدة : الآية ٢٤ .

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾<sup>(١)</sup> .

وأمر الله سبحانه باتباع الهداة إليه ؛ لأنهم يدعون إلى الحق والصالح . .

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتَى تُؤَفِّكُونَ \* قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾<sup>(٢)</sup> .

وبهذه الطريقة يضع القرآن الكريم الموازين التي يجب أن يؤخذ بها مقياساً في القدوة الصالحة التي لا بد للإنسان من أن يربط مصيره بها . وأهم هذه الموازين هو الدعوة إلى الحق والعقيدة الصالحة والتقوى والصبر والثبات على الطريق المستقيم ، والسير في طريق الكمال الإنساني ، والابتعاد عن مزالق الهوى والعجب والظلم والاستكبار ، حيث نجد هذه المواصفات مبثوثة في القرآن الكريم ، كما أننا نلاحظ أن قوى الكفر والضلال تحاول أن تطرح في المجتمع العناصر الفاسدة كقدوة للناس ، وتحيطهم بهالة من الإعجاب والثناء والشهرة ، الأمر الذي يؤدي إلى الاقتداء بهم والتأسي بسلوكهم الفاسد وأعمالهم القبيحة .

### تأثير الحب والموقع الاجتماعي في القدوة الصالحة

وتزداد القدوة أهمية في التأثير والفاعلية عندما يمتاز الشخص القدوة

بميزتين رئيسيتين :

**الأولى : رابطة الحب والود مع الناس :**

حيث ينتقل العمل الصالح الذي يمارسه القدوة إلى هؤلاء الناس ليس من

(١) القصص : الآية ٤١ .

(٢) يونس : الآية ٣٤ - ٣٥ .

خلال عقولهم فحسب ، وإنما يأخذ طريقه إلى قلوبهم ووجدانهم من خلال هذه العاطفة المؤثرة والمحرّكة لإرادة الإنسان ، وينتقل هذا الحبُّ من شخص القدوة وصفاته إلى كلِّ تصرُّفاته وأعماله ، وبذلك تزداد مسؤولية الإنسان القدوة تجاه أعماله وأقواله عندما يكون محاطاً بهذا اللون من الحبِّ والودِّ بين الناس .

### الثانية : الموقع الاجتماعي :

كأن يكون الإنسان القدوة زعيماً في المجتمع ، أو ولياً لأمر المسلمين أو مرجعاً دينياً عاماً ، حيث يكون هذا الموقع الاجتماعي عاملاً طبيعياً في التأثير والاتباع حسب القاعدة المعروفة (الناس على دين ملوكهم) ؛ لأن موقع القدوة والقوة والاحترام يكون له تأثير في نفوس الكثير من العامة الذين يشعرون بالضعف تجاه المواقع الاجتماعية الكبيرة .

ولعلُّ هذا هو السبب الرئيس في احتلال الكثير من الملوك والمترفين والطغاة لموقع القدوة في المجتمع ، بالرغم من تفاهة شخصياتهم أحياناً ، وفسادهم وظلمهم وارتكابهم الكثير من الأعمال المشينة المنفرة لأفراد المجتمع أحياناً أخرى ، كما أُشيرَ إلى ذلك في بعض الآيات السابقة .

ولذلك عندما يصبح هذا الزعيم إنساناً صالحاً سوف يكون ذا تأثير بالغ في الأمة ، وتزداد أهمية القدوة فيه .

بالإضافة إلى بُعدٍ آخر في هذا الموقع الاجتماعي عندما يكون قدوةً سالحةً وهو ما يعبر عنه بالكمال الإنساني ، وحيث إنَّ الموقع الاجتماعي يمثل أسلوباً من أساليب الاختبار والامتحان ؛ فإنَّ الزعامة والولاية تتحول إلى معاناة قاسية على مستوى النفس والإرادة ، واختبارٍ للإرادة العالية ، والصبر على تحمُّل المشاكل ، والضبط للهوى ، والحذر والاحتياط من الانزلاق في مزلق الهوى أو التردّي في هاوية الشهوات ، الأمر الذي يعني ضرب أروع



الأمثلة في جهاد النفس من القدوة الصالحة .

وتزداد هذه الأهمية عندما تعيش القدوة بين هؤلاء الناس فعلاً ، حيث يمكنهم أن يدركوا كل الظروف التي أحاطت بالسلوك والمسيرة ، ويصبح التجسيد حقيقة قائمة دون أن تتحول القدوة إلى مجرد موقف تاريخي لا تتحسّس الناس ظروفه .

ولهذه الأهمية التي تتمتع بها القدوة الصالحة في عملية التغيير الاجتماعي والبناء الذاتي لأفراد المجتمع ، نجد أعداء الإسلام والحق يحاولون دائماً - عندما يعجزون عن محاربة الأفكار والمفاهيم والعقائد في الرسائل الإلهية والأعمال الإصلاحية التي يقوم بها الأنبياء والأوصياء والعلماء والصالحون - محاربة القدوة الصالحة في المجتمع ؛ وهي النبي أو الوصي أو الإنسان الصالح الذين يتحمّلون هذه المسؤوليات ، وتشويه صورتها ؛ لأنهم يدركون أن هدم القدوة الصالحة سوف يؤدي بالتالي إلى الضياع والتيه في مسيرة التغيير والبناء ، بعد أن تفقد المسيرة ربانها المجسد - ولو بدرجة معقولة - لمفاهيمها ومعالمها واقعياً وخارجياً<sup>(١)</sup> .

### مفهوم القدوة في عصر الغيبة الكبرى

كان مفهوم القدوة مفهوماً ثابتاً وواضح المعالم في سيرة الرّسل والأنبياء والمعصومين ، ولكن بعد غيبة الإمام الثاني عشر (عج) تغير الحال بالنسبة لمعاشرة القدوة التي يلتزم بها الآخرون ؛ فأصبحت المسألة اجتهاداً في قراءة الأحداث والمواقف ، وهي محبوسة في نطاق ضيق ، لضيق المساحة التي يتحرك فيها مجتهدو تلك المرحلة ، وبالتالي لم تقدم نماذج واضحة المعالم ومستوعبة لحياة المكلف ومستجداتها ، ولم نجد سوى نماذج قدوة في حقول محدودة ، وهي تلك التي كوّنت شخصيات فقهاء الغيبة الكبرى الورثة الكرام للأئمة العظام عليهم السلام ، وذلك نظراً للظروف

(١) الإمام الخميني قدوة ، لمجموعة من العلماء الأفاضل ، السيد محمد باقر الحكيم ، ص ٢٧ .

الاستثنائية التي رافقت حقبة العقود الأخيرة التي سبقت الغيبتين ، وتواصلت مدداً طويلة بعد ذلك ، حتى تمكنت بعض الولايات الإسلامية من الانشقاق عن الارتباط بمركز الخلافة ، كظهور الفاطميين والحمدانيين والبويهيين والصفويين .

ولذلك انحصرت القدوة في الحقول التي طبعت حياة أولئك الفقهاء الكرام ، كالتقوى والزهد والسعي في كسب العلم ، وهجران سلاطين الظلم والجور في عهودهم . وهذا المقدار من المفهوم عن القدوة لا يقدم سوى القدوة في مجال تهذيب النفس وفقه بناء الذات وتنزيهاها عن الذنوب وطلب العلم .

أما فيما يتعلق بالقدوة القادرة على ملء الواقع الذي يتحرك فيها المكلف من حيث اعتبار ذلك تكليفاً شرعياً ، وليس فسحةً أو خياراً مفتوحاً في الغيبة الكبرى ، فلم نجد لها مجتمعةً ومتكاملةً في شخص واحد ، على رغم الكثرة في مجالات الحياة المتنوعة ، وهذا لم يقدم النموذج الأمثل في جميع حقول الحياة الشخصية من الزاوية الدينية والأخلاقية والثقافية والاجتماعية والسياسية ، فمثلاً نجد القدوة في الزهد في بساطة العيش ولكننا لا نرى فيه القدوة في رعاية أمور المجتمع العادية بصورة صحيحة ، أو نرى فيه القدوة في ذلك ولكننا لا نرى فيه القدوة في الجمع بينهما ، أو قد نرى فيه ذلك ولكننا لا نرى فيه القدوة في بناء الدولة الإسلامية ورعايتها .

فإذن ، نحن لم نجد توفر تلك القدوة في كل حقول الحياة المتعلقة ببناء الفرد والمجتمع من زاوية دينية في البناء .

وهذا يعني أن القدوة تتكامل بتكامل المفهوم والمشروع للحياة الفردية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية .

فأين نجد تلك القدوة المتكاملة إذن ؟

في القرن الأخير برزت مرجعيات كبيرة ورائعة ورائدة فتحت آفاقاً جديدة ربطت الأمة بها في جميع حقول الحياة المهجورة من حياة الإنسان الملتزم.

هناك نموذجان من القدوة ، وقد مثلتا القمة في وعي الإنسان الشيعي المعاصر والقدوة في علم الوعي ذاك، وهما آية الله العظمى الإمام الخميني قدس سره ، وآية الله العظمى الشهيد السيد محمد باقر الصدر قدس سره .

ولكننا نجد أن الشهيد نفسه يتمسك بالإمام الخميني القدوة ، ويدعو الأمة إلى الالتفاف حول قيادته في الانطلاق والتحرك والرشد من خلال :

١- تمثّل المرجعية الرشيدة والصالحة (المشروع الذي طرحه الشهيد لتنظيم المرجعية) في شخص الإمام .

٢- كون الإمام حوّل الفكرة من عالم المثل إلى عالم الواقع بمميزات قيادية فريدة .

٣- انتصار الثورة الإسلامية وقيام الدولة الإسلامية وفق المنطق الشرعي الخالص ، وهذه أمنية الشهيد الصدر التي قدم من أجلها روحه الطاهرة قدس سره .

يقول الشهيد الصدر (رض) : « وقد عاش العالم المسلم الشيعي دائماً مع كل الصالحين وكل المستضعفين من أبناء الأمة الخيرة عيشة الرفض لكل ألوان الباطل ، والإصرار على التعلق بدولة الأنبياء والأئمة بدولة الحق والعدل ، وقد استطاع الشعب الإيراني أن يشكل القاعدة الكبرى لهذا الرفض البطولي والثبات الصامد على طريق دولة الأنبياء والأئمة والصديقين باعتباره الجزء الأكثر التحاماً مع المرجعية الدينية وأسسها الدينية والمذهبية ، وقد بلغت هذه القاعدة الرشيدة بفضل القيادة الحكيمة للمرجعية الصالحة التي جسدها الإمام الخميني (دام ظله) قمة وعيها الرسالي والسياسي الرشيد ، من خلال صراعها المرير مع طواغيت الكفر ومقاومتها الشجاعة لفرعون إيران .. »<sup>(١)</sup> .

(١) الإسلام يقود الحياة ، ص ٦ .

وفي مقولة له يقول فيها : «ويجب أن يكون واضحاً أن مرجعية السيد الخميني التي جسدت آمال الإسلام في اليوم لا بد من الالتفاف حولها والإخلاص لها وحماية مصالحها والذويان في وجودها العظيم بقدر ذوبانها في هدفها العظيم»<sup>(١)</sup>، وفي كلمة رائعة أخرى له : «لو أن السيد الخميني أمرني أن أسكن في قرية من قرى إيران ، أخدم فيها الإسلام ، لما ترددت في ذلك ، السيد الخميني حقق ما كنت أسعى إلى تحقيقه ...»<sup>(٢)</sup>.

وهذه المقولة تمثل قِمة الوعي في سبيل خدمة الهدف ، والقُدوة في الامتثال لما يأمر به الولي الفقيه .

وبذلك استطاع الإمام الخميني تثبُّت أن يقدم القدوة في كلِّ الحقول التي يتحرك فيها المسلم المؤمن للعمل الإسلامي ، وبما يحميه من مزالق الزلل ، وهي حقول أشبعت بما تضحج به من إثراء معرفي وإشارات هدي من حيث جانبها النظري ومن حيث جانبها العملي ، فيما حاجتها بعد وفاة الإمام إلى تحركين :

**الأول :** كشف محاولات الالتفاف عليها ، وممارسة أساليب القصد واللصق بحقها .

**الثاني :** الاستفادة من قراءتها للواقع والمستجد ، حيث تمتلك القدرة النافذة لقراءة أحداثٍ قد لا يلمس ملامح تحركها نحو الواقع أحدٌ غيره ، فيما نجده يضع كل الاحتمالات التي ستتعاطى معها ، ثم يقدم قراءته لها ، ويضع حلوله الناجعة لمواجهة إشكالياتها .

ولذا يقول الشهيد الصدر بأن جماهير الأمة بلغت قمة وعيها الرسالي من خلال القيادة الحكيمة والرشيذة والصالحة للإمام الخميني ، والتي كانت نتج

(١) الشهيد الصدر ( سنوات المحنة وأيام الحصار ) ، ص ١٦٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٦٤ .

القدوة من خلال الرشد في الموقف منذ بداية التأسيس لمشروع الانطلاقة، والمتمثلة في كتابه (كشف الأسرار)، وإلى أن ختم حياته بوصيته الإلهية المباركة .

قدّم القدوة في تأسيس المشروع الإسلامي وتكامله ، والقدوة في مقارعة الطغيان وهدم أسسه ، والقدوة في تحقيق الانتصار ، والقدوة في بناء دولة الجماهير والدين ، والقدوة في رعايتها ، والقدوة في أسلمة الدولة وأجهزتها .. في أسلمة الحياة اليومية للمواطن والمسؤول ، والقدوة في قيادتها ... قدّم القدوة في كلِّ حقلٍ تمتدُّ إليه حياة الإنسان المؤمن المعاصر في النضال وبناء الدولة ومؤسساتها القانونية الخاضعة لمنطق الدين ، وبذلك تكاملت القدوة في خط الإمام الخميني تَدْمُجًا ، ولا بد لذلك الخط أن يكون القدوة ؛ لأنه يمثل الأصالة والتجديد ، ويمثل الانفتاح والواقعية ، ويمثل المثل في واقعيته .

وأقصد بالقدوة في الجانب الرساليِّ والمبادر والخلاق ، وليس في خصوصية هذا العمل أو ذاك .

### الثابت والمتغير في خط الإمام

لا بد لكلِّ فكرٍ من ثوابتٍ يرتكز عليها في رؤاه لقضايا الإنسان ، تشير هذه الثوابت إلى المدرسة التي أنتجته ، حتى وإن كان علمانياً ، فأنت عندما تقرأه تستطيع تصنيفه ، ولا يمكنك فعل ذلك إلا لأن ثوابت هذا الفكر وهذه الثقافة هي التي صاغته .

وهذه الثوابت تعتمد حيناً على أسس العقيدة وعلى حمايتها ، وحيناً آخر على أسس بناء النظام السياسي والاجتماعي وحمايتهما .

وعندما تكون الثوابت جامعةً لأسس العقيدة والنظام السياسي والاجتماعي الذي تراه العقيدة ، فإنَّ تلك الثوابت بلغت مرحلة الرشد والنضج اللذين يصعب استباحتهما ،

وبنفس المقدار لا بد أن تكون لذلك الفكر مساحة وخطاباً ووعياً وفقهاً قادراً على الحركة مع الواقع المتغير والمتجدد ، لإشباعها بوعيه وخطابه وفقهه ، وخلق الحركة فيه بما يثريه وبما تحتاجه مسألة الزمان والمكان ومتطلباتهما .

وإذا قلنا ، إن خط الإمام قدّم يمثل القدوة المعاصرة للمؤمن العامل بدءاً من بناء ذاته إلى بناء كيان الأمة المستقل ، فأين يكمن الثابت ؟ وأين يكمن المتغير فيه ؟ .

ثابت الخط يتمحور في الحفاظ على الأصالة ، واعتبارها أساس الانطلاق والتغيير والتجديد ، وكنقطة فاصلة بين الإسلام المشوه بفعل الجانين من العملاء من العلماء والمثقفين ، وحكام السوء ، والذين صنّفهم الإمام بالأعداء والأصدقاء الجهلة ، وصنّف الإسلام الذي يقدمونه للناس بـ «الإسلام الأمريكي» ، فيما الإسلام الذي يعتمد في قراءته على الثوابت الإسلامية والنصوص والمساحات التي أعطيت للاجتهد ، والذي تحدّث عنه القرآن الكريم والمأثور الشريف الصادر عن النبي ﷺ والمعصومين عليهم السلام فقد أسماه بـ «الإسلام المحمدي الأصيل» .

خط الإمام من خلال وعيه لحركة التاريخ والواقع يتجلى على شكل مواد يمكن عرضها كالآتي :

**أولاً :** يتمحور في الحركة بالإسلام الأصيل ، واعتباره أساس الانطلاق والتغيير والتجديد، وكنقطة فاصلة بين الإسلام المشوه بفعل الجناة من علماء السوء والعلماء المتحجّرين والمثقفين العملاء، وحكّام الجور، والذين صنّفهم الإمام بالأعداء والأصدقاء الجهلة، وصنّف الإسلام الذي يقدمونه اليوم للناس بـ «الإسلام الأمريكي»، فيما صنّف الإسلام الذي يعتمد في قراءته على الثوابت الإسلامية والنصوص، والمساحات التي أعطاه الإسلام للاجتهد ، بالإسلام النقي الذي تصنعه مصادره ، وتحافظ على هويته وعلى خطابه ، وليس من خلال المداخلات السياسية والشرقية والغربية عليه لتعديل هذا

الموقف أو ذاك ، أو هذه الرؤية أو تلك . هذا الإسلام الذي يقرأ بعيداً عن أي عاملٍ خارجيٍ في كل أبعاده هو فقط ما يمكن أن نسميه بـ « الإسلام المحمّديّ الأصيل » .

ثانياً : سموّ الدافع ، وفي ذلك يقول : « الميزان في الأعمال هو دوافعها » .

فالإمام قدّم لا يعطي مظاهر التديّن نفس المقدار الذي يعطيه لسموّ الدافع لإقامة وإحياء تلك المظاهر والالتزام بها، ولذلك يقول : « ربّ عابدٍ وزاهدٍ يكون في شرك إبليس ، وذلك الصياد [إبليس] يلقي له ما يتناسب معه من قبيل الأنانية والغرور ، والعجب والتكبر ، وتحقير خلق الله والشرك الخفي ، وأمثال ذلك ، فيبعده عن الحق ويوقعه في الشرك .

وربّ متصدّ لشؤون الحكومة قد حظي بمعدن قرب الحق من خلال دوافعه الإلهية ، كداوود النبيّ وسليمان النبيّ عليهما السلام ، وأعلى منهما وأسمى كالنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وخليفته بالحقّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وكحضرة المهديّ (أرواحنا لمقدمه الفداء) في عصر حكومته العالمية .

إذن ميزان العرفان والحرمان هو الدافع ، وكلما كانت الدوافع أقرب إلى نور الفطرة ، وكلما كانت أكثر تحرراً من الحُجُب - حتى حُجُب النور - تكون أكثر ارتباطاً بمبدأ النور<sup>(١)</sup> .

وما دامت هوية الدافع إلهيةً ، فلا بد أن تكون مفردات الهوية وثقافتها إلهيةً ، وذلك ما جاء به الأنبياء والرّسل ، وهو الحنيفية الإبراهيمية ، والتي ختمت كمالها السماويّ بدين خاتم الأنبياء والرّسل وأفضلهم أبي القاسم محمّد (صلوات الله والملائكة عليه وعلى آله) ، ألا وهو الإسلام الحنيف .

(١) بلسم الروح ، ص ١٧ .

ثالثاً : اتخاذ نهج أهل البيت عليهم السلام منهجاً في السياسة والاجتماع والاقتصاد : « وأطلب بمتهى الجدية والتواضع من الشعوب الإسلامية ، أتباع الأئمة الأطهار - هداة البشرية العظماء - وتعاليمهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية ، كما يليق ومن عمق وجودهم ، والتضحية بالنفس والأعزة في هذا السبيل »<sup>(١)</sup>.

رابعاً : الالتزام بالنافذة الشرعية لإقامة النظام السياسي الإسلامي من خلال فقه أهل البيت عليهم السلام في الغيبة الكبرى، وذلك من خلال نيابة الإمام المعصوم في العمل السياسي ، وليس الاستقلال عنه ، واستمداد الشرعية منه ، وهذا ما التزم به من خلال ولاية الفقيه ، المستندة إلى القرآن الكريم وفقه أهل البيت عليهم السلام.

خامساً : الحفاظ على الاستقلال الكامل عن كل تبعية لأي جهة ، والاعتماد على الذات ، ويؤكد على أن أي علاقة مع أي جهة يجب ألا تمس الاستقلال ، وفي ذلك يقول : « وأن تهبوا لقطع دابر التبعيات ، بإرادتكم الصلبة ونشاطكم ومثابرتكم ، واعلموا أن الجنس الآري والعربي لا يقل عن جنس شعوب أوروبا وأمريكا والاتحاد السوفيتي ، وإذا اكتشف ذاته وأبعد اليأس عن نفسه ولم يتطلع إلى غير ذاته فإنه قادر على المدى البعيد على إنجاز أي عمل وصنع أي شيء ، وستصلون إلى ما وصل إليه أمثال هؤلاء شريطة التوكّل على الله تعالى والاعتماد على النفس وقطع أسباب التبعية للآخرين وتحمل الصعاب من أجل تحقيق حياة كريمة »<sup>(٢)</sup>.

سادساً : الانفتاح على الواقع والحركة معه ، ومراعاة تحولاته وفهم متغيراته للإحاطة بحاجات المجتمع المعاشة والمستقبلية : « على الحوزات الدينية والعلماء

(١) الوصية ، المقدمة .

(٢) الوصية ، الفقرة (هاء) .



أن يمسكوا دائماً بزمام حركة الفكر ، ويحيطوا باحتياجات المجتمع المستقبلية ، وأن يكونوا دائماً متقدمين عدة خطوات على الحوادث ، ليكونوا قادرين على اتخاذ ردود الفعل الصحيحة تجاهها ، وربما تتغير في السنين القادمة الأساليب المألوفة حالياً في إدارة المجتمع ، وتحتاج المجتمعات الإنسانية لحل مشاكلها إلى أحكام الإسلام الجديدة ، لذا يجب أن يضع علماء الإسلام العظام من الآن حلاً لهذا الأمر<sup>(١)</sup> .

سابعاً : الحرية في الأطر القانونية والإنسانية والعقدية للمجتمع الذي تمارس فيه : « يجب أن يظل باب الاجتهاد مفتوحاً ... في مختلف المجالات بحرية، حتى وإن كانت متعارضة » .

ثامناً : الانخراط سويةً مع الجماهير في النضال السياسي والعسكري والاجتماعي ، وتحمل المشقة مثلهم ، ويرفض مخاطبة الناس من برج عاجي ، أو أن تكون حياته وشخصه أسمى من الهدف ، وهذا يسهم في تقدير تضحياتهم واستشعار آلامهم ومعاناتهم بدقة ، ويقضي على منطق التعالي عليهم ، ويؤكد المعنى الذي يعتبرهم أولياء كل نعمة من الله بها على الأمة ، وعدم إعطاء خصوصية للعامل عليهم بحجة أنه ولي أمرهم ، وإنما خصوصيته تنبع من خلال الإخلاص لهم ، والذويان في العمل من أجلهم ، ومع ذلك يظلون أولياء النعمة كما يقول الإمام .

### خط الإمام وفهم الشعوب والمجاميع الحزبية له

كيف تفهم الشعوب الإسلامية والمجاميع الحزبية مع تعدد مرجعياتها وخصوصيتها  
خط الإمام الخميني ؟ ، وكيف تستفيد منه ؟

(١) مقطع من البيان التاريخي للإمام الخميني <sup>تقديراً</sup> ، الموجّه إلى العلماء ومراجع الدين وأساتذة الحوزات العلمية وطلابها ، والذي عرف ببيان الخامس عشر من رجب .

لا يمكن أن نتحدث عن الالتزام بخط الإمام من قبل النظام السياسي في نيكاراغوا أو في كوبا أو في فكر ووعي أسامة بن لادن ، أو أبي سيف في الفلبين ، فمراجعات تلك الخطوط معروفة ، ولا رابط لهم بالإمام الخميني إلا الجانب الإنساني ، والدين الإسلامي مع بعضها والإحساس بالذات ، والحساسية تجاه الآخر المستعمر والطاغوتي ، بالرغم من أن تلك الخطوط لها امتداد قديم أو حاضر لجهات استعمارية أو استثنائية .

ولكن يمكننا أن نتحدث عن خط الإمام في الأوساط الشعبية كفكر ووعي وحركة نابضة بالحياة وهذا ما يلاحظ من تأثير الشيعة في الخليج والعراق والشام بفكر الإمام ، والالتزام بخطه دون أن يُحدث ذلك خللاً في النسيج الاجتماعي والديمقراطي في البلدان التي يقطنونها ، وكنموذج يمكن فهم ذلك من خلال حزب الله اللبناني ، والذي استطاع أن يتعايش مع لبنانيته وخصوصيتها بخط الإمام الخميني قدس سره ، لما يتضمنه الخط من القابلية في أن يعيش ويتعايش في البلد الذي ينتمي إليه الملتزمون به ويتحركون به ؛ لأنه ليس وعياً أو منطقاً انفصالياً عن وعي ومنطق الأمة أو الدولة ، وإنما ميزته أنه المشروع الذي لا يتحرك وفق الخيارات المفروضة ، وإنما تكمن حركته وفق الخيارات التي يصنعها أو بصلابته وقابليته الأيدلوجية كمنطق يترسس به التواقون الحرية والعيش بعزة وكرامة ، فيما قوته وحضوره هما اللذان يصنعان ذلك المتاح ، وليس انفصاله ، وأحياناً تكمن قوته في منطقته ، وأحياناً إلى جانب ذلك حضوره الشعبي ، وإن كان لا ينمو ولا يتحرك بشكل بارز وملحوظ إلا في الوسط الشيعي .

### خاتمة

هذا هو خط الإمام بما يحمله من مشروع قادر على الحياة بتجددها من منظور ديني ، لما يحتويه من عناصر القوة ، مستوعباً لجميع مراحل البناء المعنوي

والأخلاقي والإداري لحياة الفرد والمجتمع والأمة ، وإدارة كل الشرائح والقوميات والأديان بواسطة الإسلام العالمي ، من خلال ارتباط الكل بالله ، ومن خلال الفهم الصحيح والواعي لمسائل التوحيد والفقہ وحركة الواقع .

وكل نشاط يخدم سيادة الإسلام وولايته في إدارة وتنظيم الحياة مهما كان ضئيلاً فهو على ذلك الصراط المستقيم ، فذلك سبيل الله والأنبياء والمرسلين والمعصومين المطهرين ، والذي وفق الإمام الخميني لأن يكون قدوة العاملين فيه ، بكل ما تحمله كلمة القدوة من معنى .

وهناك إشارة مهمة تتمثل في نقطة مهمة ، وهي فيما لو قام بعض المدعين بالسير على خط الإمام ، ولكنه في نفس الوقت يسعى لتدمير الآخرين أو لتدمير التزاماً لا يراه أو يحرض على معاداته ، فإنه يسعى - راعياً أو مرغماً - إلى تدمير البناء كله .

ولأولئك الذين يعاندون لإثبات استقلاليتهم مع تبنينهم الفكر ذاته ، فإنهم أيضاً يهدمون ذلك البناء الذي يزمعون إقامته ويزعمون الالتزام به، وذلك متروكاً لحقيقة الدافع ، وما قد يقوم به بعض العاملين من العمل في حقل وتجنب آخر ، فذلك متروكاً أيضاً لحقيقة الدافع والاستطاعة .

## ولاية الفقيه

إنّ موضوعاً بحجم إقامة نظام سياسي عالمي ، خاضع للشرعية الدينية يثير تساؤلاً يقول : هل نال هذا الموضوع ما يستحقه من بحث في موسوعات الفقه الشهيرة ؟

مراجعة سريعة لموسوعات الفقه تفضي إلى أنه لم يحظ بذلك الاهتمام الذي يتناسب وحجمه وأهميته وأثره .

نعم .. هناك بعض الدراسات المتناثرة هنا وهناك ، ولكنها لا تفي بما يستحقه الموضوع ، وذلك نتيجة لعدم الالتفات إلى مشروع الحكم الإسلامي البديل في الأساس ، فالقول بالولاية لا يعني المشروع ، وإنما يعني مشروعية المشروع ، وما كان ذلك إلا لعدم توفر الآليات العملية لإقامة ذلك النظام ، وهيمنة الحكام الطغاة القتلة على الحكم في كل العالم الإسلامي ، وكون المؤمنين بمذهب أهل البيت عليهم السلام تشكل أقلية في ذلك الوقت ، ووضعهم لا يمكنهم من إقامة نظام سياسي بناءً على فقه أهل البيت عليهم السلام ، ولو تحمّلت تلك الأقلية القليلة ضريبة النجاح ، فإن ضعف عامة الناس عن القيام بأعباء الضريبة يفسد أي إمكانية للنجاح .

إضافة إلى ذلك لا ندري عن بحث فقهاء ومُصلحي ذلك الزمان عن نسب النجاح ، خاصة وأن التشيع يتعرّض إلى هجومٍ عنيف من الحكام والنواصب .

فالفقهاء لم يتركوا الموضوع تماماً ، وإنما تناولوه بقدر ما تفيضه عليهم قراءاتهم المستمرة والمتكررة للواقع والنصوص الدينية ؛ ففي عهد الشهيد

الأول والشهيد الثاني إلى الشهيد الثالث إلى الشيخ أحمد النراقي إلى الشيخ محمد حسن النجفي (صاحب الجواهر) إلى الشيخ النائيني كانت قراءاتهم هي عبارة عن عودة إلى قراءة النص من جديد ، ومحاولة الاستفادة منه في معالجة انحراف الواقع السياسي والاجتماعي عن الالتزام بالإسلام وأحكامه الشريفة ، وذلك بسبب غياب الحكومة المسؤولة عن تطبيقه .

بالإضافة إلى اعتماد طبقة النخب الحاكمة في العالم الإسلامي على النظام الملكي الوراثي في الحكم ، ثم في عصر النهضة اعتمدهم على الحكم بالنموذج الموروث (الملكوي) ، ولكن هذه المرة ليس بثقافة المجتمع الإسلامي ، وإنما بثقافة القراءة الغربية أو الشرقية في موضوع الحكم والإدارة والاقتصاد ، وتسريبات قراءات تلك النظريات في العقيدة والدين ، مما أثر على مستوى اعتقاد المسلمين بدينهم .

وكان الدافع الأقوى لذلك التناول المتواضع هو اغتصاب الحكام لمنصب الولاية الشرعية ، وممارسة الإرهاب بكل صنوفه مما فعلت التقية بقوة ، فيما أبواب الفقه التي تتناول في طبيعتها السياسة والاجتماع كثيرة جداً ، ويصنفها آية الله الشيخ مرتضى بنى فضل بأنها أغلب أبواب الفقه ، وهذا ما حكته أبواب الفقه نفسها ، وعلى سبيل المثال لا الحصر : باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقضاء ، والجهاد ، ومصارف الحقوق الشرعية ، والأحكام التي يصدرها الفقيه في السياسة والاجتماع ، وما يتعلق بالهلال ، وما إلى ذلك .

ولذلك فإن الاستعمار عندما هيمن على مساحات شاسعة من بلدان العالم الإسلامي من احتلال شمال أفريقيا الإسلامي ، واحتلال فلسطين وتهديد إيران وتركيا وأكثر الدول الإسلامية ، كانت هناك مشاركات للعلماء بالقلم واللسان والمشاركة العملية في الجهاد ومقاومة الاستعمار ، أمثال آية الله

الميرزا حسن الشيرازي ، وآية الله الميرزا محمد تقي الشيرازي ، وآية الله الشيخ محمد كاظم الخراساني ، وآية الله السيد حسن المدرّس ، وآية الله الحكيم، والحبوبي ، وآية الله السيد أبو القاسم الكاشاني ، وآية الله الأمين ، وآية الله السيد شرف الدين .

فمثلاً ، انحرافات الشاه القاجاريّ وتعريض إيران لخطر الغزو الروسيّ جعلت علماء النجف وإيران يتحركون بالفتوى والمشاركة الفعلية لمواجهة ذلك الغزو ، مما جعلهم يشعرون بحاجة إلى مخوّل شرعيّ يجيز لهم أمر الناس وقيادتهم لمواجهة ذلك الغزو ، ومواجهته العسكرية ليست كافية ، خاصة بعد طرد الإنكليز من العراق ، وقبولهم بتنصيب الملك فيصل الذي أوعزت له عمالته بإبعاد قادة الثورة إلى إيران ، ولم يعودوا إلا بعد أن تعهدوا له بعدم التدخل في شؤون الحكومة والسياسة ، فوافقوا إلا الشيخ مهدي الخالصي الذي رفض أيّ تعهّد ، فمكث في المنفى حتى مات .

وهكذا كان فقد كان للمشروطة ودخول السيد حسن المدرّس في البرلمان الإيراني ، وتحرك السيد أبي القاسم الكاشانيّ أثر في تطوّر فهم الرؤية الدينية في موضوع الحكومة والولاية وفق الموازين الشرعية والنصوص الدينية بشكل أكبر .

وقد قال الشيخ محمد حسن النجفيّ صاحب الموسوعة الفقهية الشهيرة جواهر الكلام مشيراً إلى من لم يسلم بعموم ولاية الفقيه ، بالرغم من أنه كان قبل المشروطة وأحداثها : « فمن الغريب وسوسة بعض الناس في ذلك ، بل كأنه ما ذاق من طعم الفقه شيئاً ، ولا فهم من لحن قولهم ورموزهم أمراً<sup>(١)</sup> .

(١) الجواهر ، كتاب الأمر بالمعروف : ج ٢١ ، ص ٣٩٧ نشر دار احياء التراث العربي .

حتى جاء دور الإمام الخميني (رضوان الله تعالى عليه) الذي تناول موضوع الحكومة الإسلامية برعاية الفقيه في كتابه (كشف الأسرار).

وبالرغم من أن الكتاب يرجع تاريخ طباعته الأولى إلى عام ١٩٤١هـ، يوم كان عمره ٣٩ عاماً، أي قبل حركة السيد الكاشاني ومصدق، إلا أن القراءة الراشدة التي قدمها في كتابه منذ ذلك التاريخ جعلته يقرب الآخرين إلى وضع مشروع الحكومة الإسلامية وفق النصوص الدينية، بل إن المسافة التي تفصله عن قراءة الآخرين جعلته القائد الفقيه السياسي الأوحده بعد الأئمة المعصومين عليهم السلام.

وها هو النظام السياسي الديني الذي أقامه بفقهه ونضاله ووعيه المنقطع النظير يناهز الربع قرن وهو يقدم القواعد النظرية والعملية في الإدارة المثلى للنظام الإسلامي الخالص، الذي يستمد كل قوانينه من القرآن والسنة والفقه الملتزم.

إلا إن استقلالية النظام في سياساته وقوانينه الداخلية والخارجية، وفشل كل محاولات استئصاله وتحجيمه عالمياً أو إقليمياً بواسطة القوة والاقتصاد، ألجأ جهات الاستئصال الأجنبية إلى الجهات الراضية للنظرية الدينية في الإدارة والقيادة، وتحريضها للطعن في شرعية النظرية المؤسسة للنظام الديني (ولاية الفقيه)، والاستعانة والاستفادة من الجامعيين والحوزيين، ليقوموا بتحميل النظرية التي أعطت الشرعية الدينية للنظام الديني أي مشكلة إدارية أو فنية أو سياسية يواجهها النظام يقوم بها أفراد غير ملتزمين أو غير متدينين أو غير واعين.

وهذا ما جعل الإعلام الآن يعمل بجد وبكل الطرق، لتلقي أي انتقاد من داخل النظام لبعض الممارسات المحسوبة على الولي الفقيه ولو من الناحية الفنية، وتضخيمها واعتبارها تشكلاً وجهاً قبيحاً للدكتاتورية المؤدلجة.

إلا إنَّ فهم الإمام الخمينيِّ للواقع بدقة متناهية ، ولأساليب المكر التي تستعين بها الجهات المعارضة مكَّنُه من أن يضع النقاط على الحروف تجاه أيِّ إشكالٍ يمكن أن يشوش القناعة التي صنعت هذا النظام الإسلاميَّ الفريد الذي لم يشهد المسلمون له مثيلاً بعد حكومتي النبيِّ الأعظم ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام .

كما أنَّ هناك بعض الأفراد الذين لم يجتهدوا في فهم ولاية الفقيه ، وكان أكثر إصغائهم لمتقدي الولاية دون الرجوع إلى المنظرين لها ليتمكَّنوا جيداً من فهم الولاية التي يريدها الإمام ، وإنما كانت قراءتهم ل طرح الإمام الخميني في حدود ما يريدون نقضه من ذلك الطرح ، فيما يتجاهلون الواقع العملي الذي أسس له ذلك الطرح .

وقد تناول الإمام المسألة في حقلين وعلى مرحلتين :

**الحقل الأول :** حقل الاستدلال الفقهيِّ ، من حيث يتناولها الفقهاء .

**الحقل الثاني :** حقل المعالجة الفكرية، من حيث يتناولها المثقفون والمفكرون.

في المرحلة الأولى تناولها من حيث يتناولها الفقهاء قبل انتصار الثورة الإسلامية ، في دروسه الفقهية (بحوث الخارج) ، وقد كان ذلك في كتاب تهذيب الأصول تقرير أبحاثه لسماحة آية الله الشيخ سبحاني ، وكذلك في كتابي البيع والحكومة الإسلامية (أو ولاية الفقيه) ، وفي المرحلة الثانية من حيث يتناولها المثقفون ، وكان ذلك بعد انتصار الثورة في خطبه وبياناته ونداءاته .

وكان أداؤه في كلتا المرحلتين دقيقاً وموفقاً إلى درجة قلب الساحة من الرِّفْض والتردُّد إلى القبول والتسليم .



وأشار في بعض فقرات الحقل الأول أن أصل ولاية الفقيه يرجع إلى فهم الإسلام كدين ، وأحكامه كقوانين لتنظيم حياة البشر ، إلا إن تسلط الغاصبين على مقام الولاية ، وإقصاء المنصوص عليهم وورثتهم عن مقام الولاية سنين طويلة ، وخروج بعض الهاشميين دون إذن المعصوم عليه السلام ، بل إن بعضهم كان يدعو في حقيقة الأمر لنفسه وليس للمعصوم ، وإنما أراد أن يستفيد من تعاطف الناس مع المعصوم في رفع شعار الولاية له ، مما أدى إلى قيام الحكام المعاصرين لهم باستئصال الشيعة والتشيع وتعريض المعصوم المعاصر لذلك القيام لضغوط كبيرة غير مبررة أدّى بالمعصوم عليه السلام إلى تحريم الخروج قبل قيام القائم عليه السلام .

إلا إن ثورة زيد الشهيد ، وتأييد الإمام الصادق عليه السلام لأصل التحرك وليس لتوقيته ، ترك نافذةً للفقهاء الواعين للتنبه لذلك التأييد رغم صدور النهي من جهته ، مما يؤكد أن أهم أسباب معارضة المعصوم للخروج آنذاك هي :

١- التوقيت غير المدروس للتحرك والذي من الممكن أن يؤدي إلى استئصال الإمام والشيعة والتشيع .

٢- عدم التزام القيادات النائرة آنذاك بتوجيهات المعصوم وبقيادته الربانية.

ولذلك قال الإمام الصادق عليه السلام عن زيد ، وهو يصدر حكم الحرمة : «ولا تقولوا خرج زيد ، فإن زيدا كان عالماً وكان صدوقاً ، ولم يدعكم إلى نفسه ، وإنما دعاكم إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام ، ولو ظهر لوفى بما دعاكم إليه»<sup>(١)</sup> .

وبرغم أنه وردت روايات تحرم الخروج حتى بالدعوة إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام ، إلا إنها لم تكن مطلقة ، وإنما مقيدة بالإطار السابق : «الرضا من آل محمد» ، كالرواية الشريفة القائلة : «إن أتاكم منّا آتٍ ليدعوكم إلى الرضا منّا ، فنحن

(١) الوسائل : ج ١١ ، ص ٣٦ ، الباب ١٣ من أبواب جهاد العدو ، الحديث الأول .

نشهدكم أنا لا نرضى»<sup>(١)</sup>، وفي الرواية السابقة: «فالخارج من اليوم إلى أي شيء يدعوكم؟ إلى الرضا من آل محمد ﷺ؟ فنحن نشهدكم أنا لسنا نرضى به»<sup>(٢)</sup>، وما ذلك تراجعاً من الإمام عليه السلام عن موقفه السابق في دعم زيد الشهيد «العالم الصادق الوفي، الداعي إلى الرضا من آل محمد»، وإنما لأنه وكما يقول عليه السلام: «إنه لا يطيعنا اليوم وهو وحده، وكيف يطيعنا إذا ارتفعت الرايات والأعلام»<sup>(٣)</sup>، وقال عليه السلام: «وهو يعصنا اليوم وليس معه أحد، وهو إذا كانت الرايات والألوية أجدر أن لا يسمع مناً»<sup>(٤)</sup>، أي إن الخارجين إنما خرجوا دون إذن المعصوم أو دون رضاه، وإنما أرادوا الاستفادة السياسيّة من شعار الدّعوة إليه، وبالتالي فهم تجاوزوا المعصوم في الثورة وليس معهم أحد، فكيف غداً وكل شيء بأيديهم، والأعلام تخفق فوق رؤوسهم؟! أما زيد الشهيد فإنه:

أولاً: حاز على رضا المعصوم.

ثانياً: كان من أجل إقامة الحق، وتسليم ولاية الأمر إلى أهله، وهذا هو الملاك الذي به يرضى الأئمة عليهم السلام عن رايات الخروج والدعوة إليهم.

ثالثاً: بعد كثرة القيادات الثائرة التي فشلت في تحقيق أهدافها الصادقة، وتعريض المعصوم والشيعة والتشيع لأخطار حقيقيّة تبنى الإمام معارضة الثورات بشكل قاطع، لأن الواقع لا يسمح بكلّ المقاييس للتحرك والثورة.

رابعاً: تأييد الإمام الصادق عليه السلام لثورة زيد وبعض القيادات الثائرة ومعارضة أخرى يدل على أن بعضها التزم الأسس المنطقيّة والشرعيّة للقيام

(١) المصدر السابق: ج ١١، ص ٣٨، الباب ١٣ من أبواب جهاد العدو، الحديث ١٠.

(٢) المصدر السابق: ج ١١، ص ٣٦، الباب ١٣ من أبواب جهاد العدو، الحديث ١.

(٣) المصدر السابق: ج ١١، ص ٣٨، الباب ١٣ من أبواب جهاد العدو، الحديث ١٠.

(٤) المصدر السابق: ج ١١، ص ٣٦، الباب ١٣ من أبواب جهاد العدو، الحديث ١.

بالثورة ، وإن لم تلتفت إلى مراعاة حيثيات الواقع ، وبعضها الآخر لم يلتزم لا بالمنطق ولا بالشرعية .

وعلى كل حال ، ترك الأخذ والعطاء في الرخصة أثره في الموضوع ، مما أوحى بوجود ارتباط مباشر له بالفقه ، فحوّله ذلك التردّد من مبحث قانوني<sup>١</sup> عقائدي<sup>٢</sup> في وجود نظام ديني<sup>٣</sup> سياسي<sup>٤</sup> إلى مبحث استحقاق<sup>٥</sup> في المعنيين بتطبيق القانون الإسلامي<sup>٦</sup> .

وبرغم من أن البحث في شروط الاستحقاق مهم جداً ، إلا إنه لم يكن بقصد البحث عن الأقدر على الإدارة والحكم وفق الحدود الشرعية ، سواء كون الأقدر هو المعصوم ، أم أولى الناس بمقامه في غيبته ، وهم الفقهاء العدول ، وإنما بقصد البحث عن مشروعية قيام الفقهاء مقام المعصوم في منصب الإمامة في زمن غيبته .

وقد تناول الإمام الخميني<sup>٧</sup> قضيّة المسألة في الجانبين الفقهي<sup>٨</sup> والفكري<sup>٩</sup> من جميع أبعادها ، مع الإشارة ما سنحت له الفرصة إلى الأبعاد الأخرى ، وترك تفاصيل تلك الأبعاد إلى الفقهاء المتصدّين والمفكرين المؤمنين بالولاية .

وقد تناول ولاية الفقيه الكثير من الفقهاء ، وأصبحت محلاً للدراسة والبحث في جميع جوانبها وأبعادها الفقهية<sup>١٠</sup> والسياسية<sup>١١</sup> والتاريخية<sup>١٢</sup> والعقائدية<sup>١٣</sup> ؛ وساعدت ظاهرة التكتيف في إنتاج الكتب الفقهية<sup>١٤</sup> والفكرية<sup>١٥</sup> والكلامية<sup>١٦</sup> في ولاية الفقيه في تغيير الموقف اللامبالي بولاية الفقيه في الساحة العلمية ، وجعلها تحظى بموقعها المناسب في الدروس الحوزوية بعد إيمان الحوزات الدينية بضرورة إقامة حكم الله في أرضه ، وفي الإطار الشرعي من خلال ولاية الفقيه كنظرية شرعية لا يمكن لأحد ممارسة الحكم والإدارة والسياسة من دونها ، أو أقلّ من خلال «ولاية الأمور الحسينية» التي تؤدي في النهاية إلى نفس النتيجة .

ولذلك كلّه قال الإمام الخميني قدس سره : (ولاية الفقيه فكرة علمية واضحة ، قد لا تحتاج إلى برهان ، بمعنى أن من عرف الإسلام أحكاماً وعقائد يرى بدايتها ، ولكن وضع المجتمع الإسلامي ، ووضع مجامعنا العلميّة على وجه الخصوص ، يضع هذا الموضوع بعيداً عن الأذهان ، حتى لقد عاد اليوم بحاجة إلى برهان)<sup>(١)</sup> .

(ولكي نميّز بين واقع الإسلام ، وبين ما عرفه عامّة الناس عنه ، أحبّ أن أوجّه أنظاركم إلى التفاوت بين القرآن وكتب الحديث من جهة ، وبين الرسائل العمليّة من جهة أخرى .

القرآن وكتب الحديث - وهما من أهمّ مصادر التشريع - يمتازان عن الرسائل التي كتبها المجتهدون الفقهاء امتيازاً شديداً ، لما في القرآن وكتب الحديث من الشمول لجميع جوانب الحياة .

فالآيات ذات العلاقة بشؤون المجتمع تزيد أضعافاً مضاعفة عن الآيات ذات العلاقة بالعبادات خاصّة .

وفي أيّ كتاب من كتب الحديث الموسّعة لا تكاد تجد أكثر من ثلاثة أبواب ، أو أربعة ، تُعنى بتنظيم عبادات الإنسان ، وعلاقاته بربه ، وأبواباً يسيرة أخرى تدور في الأخلاق ، وما سوى ذلك فذو علاقة قويّة بالاجتماع والاقتصاد ، وحقوق الإنسان ، والتدبير وسياسة المجتمعات)<sup>(٢)</sup> .

ولنأخذ الآن أداءه في الحقل الأول في مقام الاستدلال على شرعية الولاية من النصوص ، حيث يقول قدس سره : (لزوم الحكومة لبسط العدالة والتعليم

(١) الحكومة الإسلامية ، ص ٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٩ .

والتربية وحفظ النظم ورفع الظلم وسد الثغور والمنع عن تجاوز الأجناب من أوضح أحكام العقول من غير فرق بين عصر وعصر أو مصر ومصر ، ومع ذلك فقد دل عليه الدليل الشرعي أيضاً<sup>(١)</sup> .

(وفي رواية العليل بسند جيد عن الفضل بن شاذان ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام في حديث قال : فإن قال : فلم جعل أولي الأمر وأمر بطاعتهم ؟ قيل : لعل كثيرة : منها : أن الخلق لما وقفوا على حدٍّ محدود ، وأمروا أن لا يتعدوا ذلك الحدَّ ، لما فيه من فسادهم ، لم يكن يثبت ذلك ولا يقوم إلا بأن يجعل عليهم فيه أميناً يمنعهم من التعدي والدخول فيما حظر عليهم ؛ لأنه إن لم يكن ذلك كذلك ، لكان أحدٌ لا يترك لذته ومنفعته لفساد غيره ، فجعل عليهم قيماً يمنعهم من الفساد ، ويقيم فيهم الحدود والأحكام .

ومنها : أنا لا نجد فرقة من الفرق ولا ملّة من الملل بقوا وعاشوا إلا بقيم ورئيس ، لما لا بدّ لهم من أمر الدّين والدنيا ، فلم يجز في حكمة الحكيم أن يترك الخلق مما يعلم أنه لا بدّ لهم منه ، ولا قوام لهم إلا به ، فيقاتلون به عدوهم ويقسمون به فيثهم ، ويقيم لهم جمعتهم وجماعتهم ، ويمنع ظالمهم من مظلومهم . ومنها : أنه لو لم يجعل لهم إماماً قيماً أميناً حافظاً مستودعاً لدرست الملة وذهب الدّين ، وغيّرت السّنة والأحكام ، ولزاد فيه المبتدعون ، ونقص منه الملحدون ، وشبهوا ذلك على المسلمين ؛ لأننا قد وجدنا الخلق متقوصين محتاجين غير كاملين ، مع اختلافهم واختلاف أهوائهم وتشتت أنحاثهم ، فلو لم يجعل لهم قيماً حافظاً لما جاء به الرّسول لفسدوا على نحو ما بيّنا ، وغيّرت الشرائع والسّنن والأحكام والإيمان ، وكان في ذلك فساد الخلق أجمعين)<sup>(٢)</sup> .

(١) كتاب البيع : ج ٢ ، ص ٤٦٢ .

(٢) كتاب البيع : ج ٢ ، ص ٤٦٣ .

وبعد نقل نصوص من النهج وخطبة السيِّدة الزهراء عليها السلام يقول : (إلى غير ذلك ممَّا يدلُّ على لزوم بقاء الولاية والرئاسة العامة .

ثمَّ بعد ما وضح ذلك يبقى الكلام في شخص الوالي ، ولا إشكال على المذهب الحق أن الأئمة والولاية بعد النبي صلى الله عليه وآله سيِّد الوصيِّين أمير المؤمنين وأولاده المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين خلفاً بعد سلف إلى زمان الغيبة ، فهم ولاة الأمر ولهم ما للنبي صلى الله عليه وآله من الولاية العامة والخلافة الكليَّة الإلهيَّة .

أما في زمان الغيبة فالولاية والحكومة وإن لم تُجعل لشخصٍ خاصٍّ ، لكن يجب بحسب العقل والنقل أن تبقىا بنحوٍ آخر ، لما تقدّم من عدم إمكان إهمال ذلك ؛ لأنهما مما تحتاج إليه الجامعة الإسلاميَّة .

وقد دلت الأدلة على عدم إهمال ما تحتاج إليه النَّاس كما تقدم بعضها ، ودلت على أن جعل الإمامة لأجل لَمَّ الفرقة ، ونظام الملة ، وحفظ الشريعة وغيرها ، والعلة متحقِّقة في زمن الغيبة ، ومطلوبيَّة النظام وحفظ الإسلام معلومة لا ينبغي للذي مسكة إنكارها .

فنقول : إنَّ الحكومة الإسلاميَّة لمَّا كانت حكومة قانونيَّة ، بل حكومة القانون الإلهيِّ فقط - وإنما جعلت لأجل إجراء القانون وبسط العدالة الإلهيَّة بين الناس - لابد في الوالي من صفتين هما أساس الحكومة القانونيَّة ، ولا يُعقل تحقُّقها إلا بهما : إحداهما : العلم بالقانون ، وثانيتها : العدالة ، ومسألة الكفاية داخلة في العلم بنطاقه الأوسع ، ولا شبهة في لزومها في الحاكم أيضاً ، وإن شئت قلت : هذه شرط ثالث من أسس الشُّروط .

وهذا مع وضوحه ، فإن الجاهل والظالم والفاسق لا يعقل أن يجعلهم الله تعالى والياً على المسلمين ، وحاكماً على مقدراتهم ، وعلى أموالهم ونفوسهم ،

مع شدته اهتمام الشارع الأقدس بذلك ، ولا يعقل تحقق إجراء القانون بما هو حقه إلا بيد الوالي العالم العادل ، دلت عليه الأدلة اللفظية ، ففي نهج البلاغة : «لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل ، فتكون في أموالهم نهمته ، ولا الجاهل فيضلمهم بجهله ، ولا الجافي فيقطعهم بجفاته ، ولا الحائف للدلول فيتخذ قوماً دون قوم ، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع ، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة»<sup>(١)</sup> ، فترى أن ما ذكره يرجع إلى أمرين : العلم بالأحكام ، والعدل .

وقد ورد في الأخبار اعتبار العلم والعدل للإمام عليه السلام ، وكان من المسلمات بين المسلمين منذ الصدر الأول لزوم علم الإمام والخليفة بالأحكام ، بل لزوم كونه أفضل من غيره ، وإنما الخلاف في الموضوع ، كما أنه لا خلاف بين المسلمين في لزوم الخلافة ، وإنما الخلاف في جهات أخر ، ولا زال طعن علمائنا على من تصدى للخلافة بأنه جهل حكماً كذاًياً .

وأما العدل فلا ينبغي الشك من أحد المسلمين في اعتباره ؛ فالعقل والنقل متوافقان في أن الوالي لا بد وأن يكون عالماً بالقوانين وعادلاً في الناس ، وفي إجراء الأحكام .

وعليه فيرجع أمر الولاية إلى الفقيه العادل ، وهو الذي يصلح لولاية المسلمين ؛ إذ يجب أن يكون الوالي متصفاً بالفقه والعدل ، فالقيام بالحكومة وتشكيل أساس الدولة الإسلامية من قبيل الواجب الكفائي على الفقهاء العدول .  
فإن وفق أحدهم بتشكيل الحكومة يجب على غيره الاتباع ، وإن لم

(١) نهج البلاغة ، ص ١٨٩ الخطبة ١٣١ ، تعليق صبحي الصالح .

يتيسر إلا باجتماعهم يجب عليهم القيام اجتماعاً ، ولو لم يمكن لهم ذلك أصلاً لم يسقط منصبهم ، وإن كانوا معذورين في تأسيس الحكومة ، ومع ذلك كان لكلٍ منهم الولاية على أمور المسلمين من بيت المال إلى إجراء الحدود ، بل على نفوس المسلمين إذا اقتضت الحكومة التصرف فيها ؛ فيجب عليهم إجراء الحدود مع الإمكان ، وأخذ الصدقات والخراج والأخماس ، والصرف في مصالح المسلمين وفقراء السادة وغيرهم وسائر حوائج المسلمين والإسلام ؛ فيكون لهم في الجهات المربوطة بالحكومة كل ما كان لرسول الله والأئمة من بعده «صلوات الله عليهم أجمعين» .

ولا يلزم من ذلك أن تكون رتبتهم كرتبة الأنبياء أو الأئمة عليهم السلام ؛ فإن الفضائل المعنوية أمر لا يشاركهم عليهم السلام فيه غيرهم .

والخلافة لها معنيان واصطلاحان : أحدهما : الخلافة الإلهية التكوينية ، وهي مختصة بالخلص من أوليائه كالأنبياء المرسلين والأئمة الطاهرين «سلام الله عليهم» ، وثانيهما : المعنى الاعتباري الجعلي ، كجعل رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام خليفة للمسلمين ، أو انتخاب فلان وفلان للخلافة .

فالرئاسة الظاهرية الصورية أمر لم يعتن بها الأئمة عليهم السلام إلا لإجراء الحق ، وهي التي أرادها علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله على ما حكى عنه : «والله لهي أحب إلي من إمرتكم» مشيراً إلى النعل التي لا قيمة لها .

وأما مقام الخلافة الكبرى الإلهية فليس هيناً عنده ، ولا قابلاً للرفض والإهمال وإلقاء الحبل على غاربه .

فللفقيه العادل جميع ما للرسول والأئمة عليهم السلام مما يرجع إلى الحكومة والسياسة، ولا يعقل الفرق ؛ لأن الوالي - أي شخص كان - هو مجري أحكام



الشريعة والمقيم للحدود الإلهية ، والأخذ للخراج وسائر المالبات والمتصرف فيها بما هو صلاح المسلمين ؛ فالنبي ﷺ يضرب الزاني مائة جلدة والإمام عليه السلام كذلك ، والفقهاء كذلك ، ويأخذون الصدقات بمنوال واحد ، ومع اقتضاء المصالح يأمر الناس بالأوامر التي للوالي ، ويجب إطاعتهم<sup>(١)</sup> .

وفي مقام الاستدلال على الولاية بالدليل اللفظي وبيان مفاد الدليل يقول : (ومنها : مقبولة عمر بن حنظلة قال : «سألت أبا عبدالله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا ، بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة ، أيحل ذلك ؟ قال : من تحاكم إليهم في حق أو باطل ، فإنما تحاكم إلى الطاغوت ، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتاً ، وإن كان حقاً ثابتاً له ؛ لأنه أخذه بحكم الطاغوت ، وقد أمر الله أن يكفر به ، قال تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَخَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ ، قلت : فكيف يصنعان ؟ قال : ينظران من كان منكم ممن قد روى حديثنا ، ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً ، فإنني قد جعلته عليكم حاكماً ، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه ، فإنما استخف بحكم الله ، وعلينا ردٌ ، والرادُّ علينا الرادُّ على الله ، وهو على حدِّ الشرك بالله» الحديث .

والرواية من المقبولات التي دار عليها رحي القضاء ، وعمِلَ الأصحاب بها حتى اتصفت بالمقبولة ، فَضَعَّفَهَا سَنَدًا بِعَمْرِ بْنِ حَنْظَلَةَ مُجْبُورًا ، مع أن الشواهد الكثيرة المذكورة في محله لو لم تدل على وثاقته ، فلا أقلُّ من دلالتها على حسنه ، فلا إشكال من جهة السند<sup>(٢)</sup> .

(١) كتاب البيع : ج ٢ ، ص ٤٦٧ .

(٢) وقد وثَّقه آية الله الشهيد السيد محمد باقر الصدر في (تعارض الأدلة الشرعية - تقرير السيد محمود الهاشمي ، ص ٣٧٠) ، وآية الله السيد علي الفاني في (لكل سؤال جواب ، ص ٣١) ، واعتبرا أن مروياته صحيحة ما لم تتضرر بوجود من لم تقبل له رواية في سند مروياته . وقد

وأما الدلالة فلاجل تمسك الإمام عليه السلام بالآية الشريفة لا بد من النظر إليها ومقدار دلالتها حتى يتبين الحال .

قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا، وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾<sup>(١)</sup> لا شبهة في شمول الحكم للقضاء الذي هو شأن القاضي والحكم من الولاية والأمراء - وفي المجمع [البيان] ، «أمر الله الولاية والحكام أن يحكموا بالعدل والنصفة» ، ونظيره قوله تعالى : ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾<sup>(٢)</sup> .

ثم قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾<sup>(٣)</sup> إلخ ، كما لا شبهة أيضاً في أن مطلق المنازعات داخلة فيه - سواء كانت في الاختلاف في ثبوت شيءٍ ولا ثبوته ، أو التنازع الحاصل في سلب حق معلوم من شخص أو أشخاص أو التنازع الحاصل بين طائفتين المنجر إلى قتل وغيره - الذي كان المرجع بحسب النوع فيها هو الوالي لا القاضي ، سيما بملاحظة ذكره عقيب وجوب إطاعة الرسول وأولي الأمر ، فإن إطاعتها بما هي إطاعتها هي الائتمار بأوامرهم المربوطة بالوالي ، وليس المراد بها إطاعتها في الأحكام الإلهية ، ضرورة أن إطاعة الأوامر الإلهية إطاعة الله لا إطاعتها ، فلو صلى

✎ ألف العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي كراساً في ولاية الفقيه وثيقة ابن حنظلة في (ولاية الفقيه في صحبة عمر بن حنظلة ، ص ١٧) ، توصل فيه إلى القول بوثاقته ورداً كل المآخذ التي تمسك بها القائلون بضعف ابن حنظلة بأسلوبٍ علميٍ راقٍ .

(١) النساء : الآية ٥٨ .

(٢) سورة ص : الآية ٢٦ .

(٣) النساء : الآية ٥٩ .

قاصداً إطاعة رسول الله ﷺ أو الإمام عليه السلام بطلت صلاته ، نعم إطاعة أوامرهم السلطانية إطاعة الله أيضاً ، لأمره تعالى بإطاعتهم .

ثم قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾<sup>(١)</sup> إلخ ، وهذه الآية أيضاً مفادها أعم من التحاكم إلى القضاة وإلى الولاة لو لم نقل بأن الطاغوت عبارة عن خصوص السلاطين والأمراء ؛ لأن الطغيان والمبالغة فيه مناسب لهم لا للقضاة ، ولو أطلق على القضاة يكون لضرب من التأويل أو بتبع السلاطين الذين هم الأصل في الطغيان ، ويظهر من انقبولة التعميم بالنسبة إليهما .

ثم إن قوله : «منازعة في دين أو ميراث» لا شبهة في شموله للمنازعات التي تقع بين الناس فيما يرجع فيه إلى القضاة ، كدعوى أن فلاناً مديون ، وإنكار الطرف ، ودعوى أنه وارث ونحو ذلك ، وفيما يرجع فيه إلى الولاة والأمراء ، كالتنازع الحاصل بينهما لأجل عدم أداء دينه أو إرثه بعد معلوميته ، وهذا النحو من المنازعات مرجعها الأمراء ، فإذا قتل ظالم شخصاً من طائفة ووقع النزاع بين الطائفتين لا مرجع لرفعه إلا الولاة ، ومعلوم أن قوله : «في دين أو ميراث» من باب المثال ، والمقصود استفادة التكليف في مطلق المنازعات ، واستفسار المرجع فيها ، ولهذا أكد الكلام لرفع الإبهام بقوله : «فتحاكموا إلى السلطان أو إلى القضاة» ، ومن الواضح عدم تدخل الخلفاء في ذلك العصر ، بل مطلقاً في المرافعات التي ترجع إلى القضاة ، وكذلك العكس ، فقوله عليه السلام : «من تحاكم إليهم في حق أو باطل ، فإنما تحاكم إلى الطاغوت» انطباقه على الولاة أوضح ، بل لولا القرائن لكان الظاهر منه خصوص الولاة .

وكيف كان لا إشكال في دخول الطغاة من الولاية فيه ، سيما مع مناسبات الحكم والموضوع ، ومع استشهاده بالآية التي هي ظاهرة فيهم في نفسها ، بل لولا ذلك يمكن أيضاً أن يقال بالتعميم ، للمناسبات المغروسة في الأذهان ، فيكون قوله بعد ذلك : «فكيف يصنعان؟» استفساراً عن المرجع في البابين ، واختصاصه بأحدهما ، سيما بالقضاة في غاية البعد لو لم نقل بأنه مقطوع الخلاف .

وقوله عليه السلام : «فليرضوا به حكماً» تعييناً للحاكم في النزاع ؛ فليس لصاحب الحق الرجوع إلى ولاية الجور ولا إلى القضاة ، ولو توهم من قوله عليه السلام : «فليرضوا» اختصاصه بمورد تعيين الحكم فلا شبهة في عدم إرادة خصوصه بل ذكر من باب المثال ، وإلا فالرجوع إلى القضاة الذي هو المراد جزماً لا يعتبر فيه الرضا من الطرفين .

فاتضح من جميع ذلك أنه يستفاد من قوله عليه السلام : «فإني قد جعلته حاكماً» أنه عليه السلام قد جعل الفقيه حاكماً فيما هو من شؤون القضاء وما هو من شؤون الولاية ، فالفقيه ولي الأمر في البابين ، وحاكم في القسمين ، سيما مع عدوله عليه السلام عن قوله «قاضياً» إلى قوله : «حاكماً» ، فإن الأوامر أحكام ، فأوامر الله ونواهيه أحكام الله تعالى ، بل لا يبعد أن يكون القضاء أعم من قضاء القاضي ، وأمر الوالي وحكمه ، قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾<sup>(١)</sup> .

وكيف كان لا ينبغي الإشكال في التعميم .

بل يمكن الاستشهاد بأن المراد من القضاء المربوط بالقضاة غير ما هو مربوط

(١) الأحزاب : الآية ٣٦ .

بالسلطان بمشهوره أبي خديجة قال : «بعثني أبو عبدالله عليه السلام إلى أصحابنا ، فقال : قل لهم : إياكم إذا وقعت بينكم خصومة أو تدارؤ في شيء من الأخذ والعطاء أن تحاكموا إلى أحد من هؤلاء الفساق ، اجعلوا بينكم رجلاً قد عرف حلالنا وحرامنا ، فإني قد جعلته عليكم قاضياً ، وإياكم أن يخاصم بعضكم بعضاً إلى السلطان الجائر» .

فإن الظاهر من صدرها إلى قوله عليه السلام : «قاضياً» هي المنازعات التي يرجع فيها إلى القضاة ، ومن تحذيره بعد ذلك من الإرجاع إلى السلطان الجائر وجعله مقابلاً للأول بقوله عليه السلام : «وإياكم» إلخ ، هي المنازعات التي يرجع فيها إلى السلطان لرفع التجاوز والتعدي ، لا لفصل الخصومة<sup>(١)</sup> .

ثم يتناول موضوع الولاية من حيث يتناولها الفقهاء القائلون بانحصارها في حدود القضاء والمنازعات والخصومة ، ويثبت الولاية المطلقة من هذه الزاوية ، فيقول : «ثم إن الأمور الحسينية - وهي التي غلِمَ بعدم رضا الشارع الأقدس بإهمالها - إن غلِمَ أن لها متصدياً خاصاً أو عاماً فلا كلام ، وإن ثبت أنها كانت منوطة بنظر الإمام عليه السلام ، فهي ثابتة للفقهاء بأدلة الولاية ، ومع الغض عنها لو احتمل أن إجرامها لا بد وأن يكون بنظر شخص كالفقيه العادل أو الشخص العادل أو الثقة فاللازم الأخذ بالمتيقن ، وهو الفقيه العادل الثقة ، وإن تردد بين المتباينين لا بد وأن يجري بنظرهما .

ولا يخفى أن حفظ النظام وسد ثغور المسلمين وحفظ شُبَّانهم من الانحراف عن الإسلام ومنع التبليغات المضادة للإسلام ونحوها من أوضح الحسيات ، ولا يمكن الوصول إليها إلا بتشكيل حكومة عادلة إسلامية ، فمع الغض عن أدلة الولاية لاشك في أن الفقهاء العدول هم القدر المتيقن ، فلا بد من

(١) كتاب البيع : ج ٢ ، ص ٤٧٦ - ٤٨٠ .

دخالة نظرهم ، ولزوم كون الحكومة بإذنهم ، ومع فقدهم أو عجزهم عن القيام بها يجب ذلك على المسلمين العدول ، ولا بد من استئذانهم الفقيه لو كان .

ثم إن ما ذكرنا من أن الحكومة للفقهاء العدول قد يتقدح في الأذهان الإشكال فيه : بأنهم عاجزون عن تمشية الأمور السياسية والعسكرية وغيرها ، لكن لا وقع لذلك بعدما نرى أن التدبير والإدارة في كل دولة بتشريك مساعي عدد كبير من المتخصصين وأرباب البصيرة ، والسلطين ورؤساء الجمهور من العهود البعيدة إلى زماننا إلا ما شذ منهم لم يكونوا عالمين بفنون السياسة والقيادة للجيش ، بل الأمور جرت على أيدي المتخصصين في كل فن ، لكن لو كان من يتأسس الحكومة شخصاً عادلاً فلا محالة ينتخب الوزراء والعمال العدول أو صحيح العمل، فيقلُّ الظلم والفساد والتعدي في بيت مال المسلمين وفي أعراضهم ونفوسهم .

كما أن في زمان ولاية أمير المؤمنين عليه السلام لم يجز جميع الأمور بيده الشريفة ، بل كان له ولاية وقضاة ورؤساء الجيش ونحوهم ، والآن ترى أن تمشية الأمور السياسية أو العسكرية وتنظيم البلاد وحفظ الثغور ، كل موكولة إلى شخص أو أشخاص ذوي الصلاحية بنظرهم<sup>(١)</sup> .

إن ما طرحه الإمام عليه السلام في هذا الحقل أكثر من هذا العرض بكثير إلا إننا فضلنا الإيجاز ، وعلينا الآن أن نجنح إلى الأداء في الحقل الفكري ، وهو في سياق الرد على شبهات المثقفين المتغربين أو المتشركين الذين اعتمدوا في التأسيس لثقافتهم على أصول الثقافة الغربية أو الشرقية .

وفي هذا السياق يقول : «الإسلام دين القانون ، ولم يك حتى النبي

(١) المصدر السابق ، ص ٤٩٧ - ٤٩٨ .

يستطيع مخالفة القانون ، وفعلاً لم يرتكب النبي مخالفة واحدة للقانون ؛ لأنه لا يتمكن من ذلك ، فلقد قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ \* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ \* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾<sup>(١)</sup> .

فالحكم للقانون ليس إلا ، ولا يمكن أن يحكم سوى القانون الإلهي ، وليس لأحد أن تكون بيده الحكومة (المطلقة) لا للفقهاء ولا لغير الفقيه ، وإنما الجميع يعملون طبقاً للقانون ، وهم مجرد منفيين له وحسب .

و(الفقيه) ليس فقط لا يريد ارتكاب مخالفة ، وليس فقط لا يريد فرض سيطرته على الحكومة ، وإنما يريد ألا يسمح لهذه الحكومات بأن تعود إلى ما كان عليه الوضع سابقاً وإلى الوضع الطاغوتي والدكتاتوري ، ويريد أن يمنع حصول ذلك ، وأن نبذل كل الجهود من أجل الإسلام وحسب<sup>(٢)</sup> .

وعن المواصفات الدقيقة التي يجب أن يتوفر عليها الفقيه يقول : «إن تلك الأوصاف التي توجد في الولي وفي الفقيه ، هي التي أدت إلى أن جعله الله ولياً للأمر ، ونصبه الإسلام ولياً للأمر، ومع وجود تلك الأوصاف لا يمكن له أن يخطو خطوة انحرافية واحدة .

فإن تفوه الفقيه بكلمة كذب واحدة أو أقدم على خطوة انحرافية واحدة تنسلب منه تلك الولاية بشكل ذاتي ، وإنما نريد أن نمنع الاستبداد بنفس هذه المادة الموجودة في الدستور ، والتي تتضمن قضية ولاية الفقيه فهي تحول دون ظهوره .

وإن أولئك الذين كانوا يعترضون على هذه المادة من الأساس يقولون إنها

(١) الحاقة : الآية ٤٤ - ٤٦ .

(٢) حديث الشمس ، ص ٥٥ .

تؤدي إلى ظهور الاستبداد ، فما الذي يوجد فيها بحيث يؤدي إلى ذلك؟ إن الاستبداد غير ممكن الحصول مع وجود ما تضمنه القانون وحدد أصوله ...

إن عدالته (أي الفقيه) هي غير تلك العدالة المتعارف عليها في المجتمع، بل هي أعلى منها إلى مستوى يجعل من قوله كلمة كذبٍ واحدةٍ كافياً لإسقاط عدالته ، وأن نظرة شهوانية واحدة إلى امرأة أجنبية تسقط عنه العدالة» .

وللردِّ على تحركات بعض المثقفين الجامعيين ، ووجوب الالتفات إلى خطورة انتشار الأفكار المعارضة التي يريد أولئك الترويج لها في أوساط المثقفين ، يقول تَدْتُّ: «إنكم سوف تبتلون فيما بعد بهذا الأمر، وهو أن أشخاصاً سوف يندسُّون في الجامعة بعد أن يتم فتحها ، ويتسترون - أحياناً - بمظاهر إسلامية ويطرحون مواضيع من قبيل ما يطرحونه الآن ، كالقول - مثلاً: إنه يجب ألا تكون للفقيه ولاية ؛ لأنها تؤدي إلى الدكتاتورية ، بينما المعروف أن الفقيه لو قام بعملٍ من أعمال الدكتاتورية تسقط عنه الولاية في نظر الإسلام .

فالإسلام لا يخلع لقب الولاية على أي فقيه كان ودون اختيار ، بل يعطي الولاية للفقيه الذي يحمل صفات العلم والعمل ، والذي سيرته سيرة إسلامية ، وسياسته مطابقة لسياسة الإسلام»<sup>(١)</sup> .

وعن الخوف المزعوم من إمكانية أن تكون ولاية الفقيه صورة مؤدلجة للدكتاتورية يقول : «لا تخافوا من ولاية الفقيه ، فالفقيه لا يريد السيطرة على الناس والتحكُّم في رقابهم وظلمهم ، وإذا حصل أن فقيهاً ما أراد أن يقوم بذلك فليس له ثمّة ولاية»<sup>(٢)</sup> .

(١) حديث الشمس ، ص ٥٣ - ٥٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٤ .



«فإن لم تكن ولاية الفقيه موجودة فستظهر الدكتاتورية ، وإن الذي يحول دون تحويل رئيس الجمهورية إلى دكتاتور ، والذي لا يسمح لقائد الجيش أو الشرطة ، أو الدرك أو رئيس الوزراء بأن يمارسوا الدكتاتورية إنما هو الفقيه»<sup>(١)</sup> .

ويكشف الزيّف الذي هم فيه ، وما هم فيه من ازدواجيّة في المعايير فيقول: «هؤلاء يظنون أنه حينما يقال إن وليّ الفقيه يجب أن يكون فقيهاً عادلاً عالماً مطلعاً على الموازين الإسلاميّة غير جائر ، وإنّ صلاحياته تعيين مسؤول للقضاء ، وعليه أن يمضي تعيين الشخص الذي ينتخبه الناس رئيساً للبلاد يظنون أن هذه هي الدكتاتورية !! .

ومن هنا يُصبح معلوماً أنّ الذين يعارضون حكم الفقيه إنما يعارضون العلم والعدالة ، مع أنّ الذين نظّموا الدُستور لم يهبوا شيئاً من عندهم للفقيه ، فليس في الإسلام شيء من هذا القبيل .

ليس في الإسلام حاكمٌ مثل هتلر أو مثل كارتر - الذي هو مثل هتلر - يقوم بقمع الجميع والتعدّي عليهم ، وهذه الأمور ليست مطروحة في الإسلام أساساً»<sup>(٢)</sup> .

وعن دستوريّة انتخاب الفقيه المنسجم مع الإرادة الشعبيّة يقول : «ليس في الإسلام أي نمطٍ من أنماط التسلّط والسيطرة السلطويّة ، علاوة على ذلك كلّهُ ، فإنّ السادة الذين دوّنوا الدُستور وضعوا بعض الإجراءات الاحتياطيّة في الحسبان ، بحيث إنّ الناس يشاركون في انتخابات عامّة دفعة واحدة ، ويعيّنون ممثليهم في مجلس خبراء القيادة ، فهل في هذا شيء من الدكتاتورية ؟ .

(١) المصدر السابق ، ص ٤٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٣ .

إن من غير الممكن أن يأتي شخصٌ ويفرض على الناس انتخاب شخص معين عن أهالي تلك المدينة ليمثلهم في مجلس الخبراء ، ولم يجر حتى الإعلام والدعاية لهم ، فالتأسي كانوا يعرفونهم من قبل ، وإذا أردنا أن نعيد تعيين أولئك الخبراء من خلال الانتخابات ، فإما أن يأتي أحد غيرهم وإما أن يتخب أشخاص مثلهم .

فالتأسي انتخبوهم انتخاباً حرّاً ، ولا أظنُّ أن مثل هذا يمكن أن يحدث في أيِّ بلدٍ من بلدان العالم ، ولا يمكن أن يدلي الناس بأرائهم هكذا بكلِّ حرّية ويكلُّ رغبة»<sup>(١)</sup> .

إذن، فانتخاب الوليِّ الفقيه من قبل مجلس الخبراء المعنيُّ بانتخاب القائد يعني انتخاب القائد ، والمواصفات التي يجب توفرها فيه ليست في حدود الكفاءة السياسيّة والإدارة والإيمان والإخلاص للشعب والبلد فحسب ، وإنما - أيضاً - الفقه ، والقدرة على الاستنباط الشرعيِّ في جميع أبواب الفقه ، وبالتالي لا بدُّ من أن يكون انتخاب القائد من قبل مجلسٍ متخصصٍ في كلّ المواصفات التي يجب توفرها في القائد أو المجلس القياديِّ المنتخب للقيادة .

ومن هنا فالقائد الذي قبلته الحوزات الدينيّة يقوم بترشيح ستّة من الفقهاء الخبراء ، فيما يقوم القضاء بترشيح ستّة من القانونيين يقدمهم إلى مجلس الشورى ليتم التصويت عليهم ، فإن لم ينتخبهم المجلس تعاد الأسماء التي لم تنل الثقة ليرشح بعدهم غيرهم ، ثم بعد أن يتم منحهم الثقة ينضم أولئك القانونيون الستة إلى الفقهاء الستة ليشكّلوا مجتمعين مجلس صيانة الدُستور ، والذي من وظائفه قبول ترشيح الفقهاء الذين تتمثل فيهم شروط

الانخراط في عضوية مجلس الخبراء .

وبالتالي فلا خوف من أن يدخل مجلس الخبراء فقيه غير عادل أو عادل غير فقيه ، ولا خوف من أن يأتي الولي الفقيه بطرق غير دستورية ، أو أن يمارس أي عمل تستشم منه رائحة الدكتاتورية .

أما بشأن الأقلام التي تكتب لرفض ولاية الفقيه بحجة أو بدون حجة لإسقاط النظام الإسلامي بعد أن استقر ، وبعد أن أصبح أفضل نظام عرفه المسلمون بعد النبي ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام وأشهر خلافة الإمام الحسن عليه السلام الزمنية يقول : «اعلموا أنه حتى لو جاء الإمام الحجة صاحب الزمان الآن فإن هذه الأقلام المعارضة سوف تستمر في معارضتها له»<sup>(١)</sup> .

أما عن الحدود التي تتحرك فيها ولاية الفقيه فالإمام يراها مفتوحة تتحرك في كل ما تحتاجه الحكومة لأداء وظائفها السياسية والإدارية ، ولكن هذه الحكومة ليست حكومة دكتاتورية كما مر الحديث ، ولا حكومة تتقلب ثوابتها بتقلب بعض النخب المثقفة الطامحة لمناصب الإدارة ، ولا حكومة يعتمد دستورها على الوضعية الغربية أو الشرقية ، وإنما هي حكومة مستمدة من القوانين الإسلامية في السياسة والإدارة والاقتصاد والاجتماع ، من أعلى سلطة قيادية في النظام إلى أصغر عمل فردي يخص الفرد .

وفي حدود الولاية بمفهومها الواسع والحقيقي يقول : «إن العبارة التي ذكرت عني بأنني قلت : إن الحكومة تمتلك صلاحيات محددة في إطار الأحكام الإلهية يخالف أقوالي كلياً .

فإذا كانت صلاحيات الحكومة في نطاق الأحكام الإلهية الفرعية ، فإن

جوهر الحكومة الإلهية والولاية المطلقة المفوضة لنبي الإسلام ﷺ سيكون شيئاً لا معنى له ولا مضمون له ، وسأشير إلى تبعات مثل هذه القضية التي لا يمكن أن يلتزم بها أحدٌ قط .

فعلى سبيل المثال :

- إن فتح الطرق بين البيوت ، وتخطيط الشوارع والسُّبل تستلزم التصرف في منزلٍ أو أكثر ، أو التجاوز على حريمه ، وهو أمر لا يدخل في نطاق الأحكام الفرعية .

- والتجنيد الإجباري ، والإرسال الالزامي إلى جبهات الحرب .

- ومنع إدخال العملات الصعبة وإخراجها .

- ومنع إدخال أي بضاعة أخرى وإخراجها .

- ومنع ممارسة الاحتكار إلا فيما عدا حالتين أو ثلاث حالات .

- ووضع الضرائب والمكوس .

- ومنع إغلاء الأسعار .

- وتحديد أسعار البيع .

- ومنع توزيع المخدرات ومكافحة الإدمان بأي شكلٍ وما شابه المشروبات الكحولية .

- ومنع حمل السلاح من أي نوع كان .

وغيرها المثات من الأمثلة التي هي من ضمن صلاحيات الحكومة تكون طبقاً لتفسيركم للأمر - خارج صلاحيات الحكومة .

وعلي أن أضيف أن الحكومة شعبة من الولاية المطلقة لرسول الله ﷺ

وهي أحد أحكام الإسلام الأوليّة ، ومقدّمة على جميع الأحكام الفرعيّة»<sup>(١)</sup> .  
وعن الضجيج الذي ملأ الدنيا حول الديمقراطية يقول : «إنهم يخافون  
الإسلام ، فهم يقولون : «ضعوا بدلاً من الإسلام لفظ : الديمقراطية» ليكون  
اسم البلد «الجمهورية الديمقراطية» .

هؤلاء لا يفهمون أين هي الديمقراطية التي ملئ العالم باسمها إلى هذا  
الحد؟ وأي البلدان تعمل وفق الديمقراطية؟ وهذه القوى الكبرى ، أيها يعمل  
بموجب الموازين الديمقراطية؟ فللديمقراطية معنى مختلف بين بلد وآخر .  
فلها معنى معيّن في الاتحاد السوفيتي ولها معنى آخر في أمريكا ، ولها معنى  
معيّن في رأي أرسطو ، وهي ذات معنى مختلف برأي غيره .

نحن نقول : إنها شيء مجهول ، ولها في كل مكان معنى معيّن ، ولا  
يمكننا أن نضمّنها في دستورنا ، بحيث أن كل واحد يستطيع أن يستفيد بأحد  
معانيها ، ويصوغها بشكل تبدو فيه لصالحه ، ولذلك فإننا نقول : الإسلام ،  
ونكتفي به»<sup>(٢)</sup> .

ويتحدث عن حقيقة فهمهم لولاية الفقيه فيقول : «هؤلاء لا يعرفون ما هي  
ولاية الفقيه ، وإنهم يجهلونّها من أولّها إلى آخرها ، ولكنهم في الوقت ذاته  
يجلسون ويقولون : إن ولاية الفقيه تؤدي إلى الدكتاتورية ، وإلى كذا وكذا ...»<sup>(٣)</sup> .

وأما عن القول إن ما أعطي للولي الفقيه من صلاحيّات لا تعطى إلا لمعصوم  
عن الخطأ ، فهو وهم يعيشه أولئك المثقّفون ، ساعدهم على تقوية هذه المعارضة  
بعض الحوزويين التقليديين والمتحجّرين والمعارضين للنظام الإسلاميّ .

(١) المصدر السابق ، ص ٥٠ - ٥١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٨٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٨١ .

فوجود المعصوم لا يعني أن يكون الناس في عهده معصومين ، ولا وجوده يمنع من وقوع الخطأ، فعلى رغم أن النبي الأعظم ﷺ قد أمر المسلمين بنحر الهدي ، إلا إنهم لم يفعلوا إلا بعد أن قام هو بذلك ، وحين أمر الرماة بالالتزام بالحراسة على الجبل وعدم التحرك من دون أمر ، إلا إنهم تركوا مواقعهم ، مما تسبب في تعرض المسلمين لهزيمة منكرة .

وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام آذوه كثيراً ، حتى قال: «لقد ملأتم قلبي قيحاً ، وشحتم صدري غيظاً» .

فالحكومة قائمة بالفقيه أو بدونه ، إلا إنها بالفقيه ستكون أكثر انسجاماً في كل تفاصيلها مع المنطق الشرعي ، وبالتالي ما البديل الذي يملكه الرافضون لولاية الفقيه؟ هل النظام الشيوعي؟ أم النظام الرأسمالي؟.

وهل هذه الأنظمة استطاعت أن تمنع الخطأ من الوقوع؟ وهل مشاكل العالم كله الآن إلا من أخطاء الشيوعية والرأسمالية؟! .

أما القول بأن هناك نظريات دينية كتنظريّة شورى المراجع وولاية الأمة على نفسها ، فإنّ هاتين النظريّتين وبرغم افتقارهما للدليل الناهض ، والدلالة المقبولة ، إلا إنهما في نفس الوقت قامتا على أساس ردّة فعل على ولاية الفقيه ، وثانيتهما كان الدافع الآخر لبلورتها قائماً على أساس مسألتين، وهما :

**الأولى :** أنّ صاحبها ينتمي لمدرسة لم تفهم من النصوص الواردة عن أهل البيت عليه السلام القول بولاية الفقيه المطلقة .

**والثانية :** عدم قدرة الواقع الذي يعيش فيه على التكيف معها .

**أما الأولى :** فهي نظرية تعطي الولاية للفقهاء المراجع مجتمعين ، وليس لأحد على الآخرين درجة ، وذلك لغرض الجمع بين الشورى وما تقوله النصوص

إنه لا ولاية لأحد على أحد إلا بنص، ولا ولاية لفقهاء على فقهاء إلا بنص، بالرغم أن أكثرهم لا يقلل من وقوع الأخطاء بقدر ما يزيدها .

ثم إن القول بأن لا ولاية لفقهاء على فقهاء مردود ؛ لإطلاق أدلة الولاية الذي يشمل الفقهاء وغيرهم ، كما يمكن النقض على هذا الرأي بالقول : من الذي أعطى الفقهاء المراجع الولاية على الفقهاء غير المراجع؟ فإن قيل من خلال مبايعة الناس لمراجعهم ، وبالتالي إحرازهم لأغلبية الناس، فرد ذلك : هو أن مجلس الخبراء الذي ينتخب الفقيه هو منتخب من قبل الشعب ، وحصول الفقيه الولي على أغلبية أصوات الفقهاء خبراء القيادة يعني إحرازه لأغلبية الشعب .

**وأما الثانية :** ولاية الأمة على نفسها ، وهي نظرية سياسية بحثت، انبعثت من الواقع السياسي والاجتماعي الذي يعيشه صاحب النظرية ، وإن سبقت لها بعض الأدلة التي تعطي الولاية للولي على الرعية فيما يسمّى في الشرع بالمبايعة، أي رضا الطرفين ، إلا إن ما هو معلوم لدى كل ذي بصيرة أن الإسلام (كدين طرح مشروعه السياسي وفق أحكامه والتزاماته) هو الذي يضع شروط الولي ، في حين أن نظرية ولاية الأمة على نفسها تكون الشروط من جهة الناس والتزاماتهم التي قد لا تكون وفق الشرع الإسلامي ، فكيف يشرع الإسلام ولاية تفرض أو تلتزم بقوانين ليست له أو قد تكون في صف واحد مع أنداده ؟ .

وبالتالي فهي نظرية هيمن فيها الحس السياسي على روح النص الشرعي ومفرداته ومفروضاته الشرعية .

وخلاصة الأمر لا يمكن القول - مهما كان لون السياق والاستدلال - بهذه الولاية التي تخضع في جوهرها وشكلها لآراء الناس الذين قد يقولون

بالشيوعية أو الرأسمالية أو اللادينية بشكل عام ، وهذا لا يرضي الله ولا النبي الأعظم ﷺ ولا إمام العصر (عج) ، وهذا كافٍ لعدم مشروعيتها مهما سبقت لها من أدلة .

يمكن أن يقال : بل يكون ذلك في الحدود الشرعية ، وهذا يُجَبَّه بالقول : من سيحدد الحدود الخاصة إذا ما اختارت الناس عواماً لا علم لهم بالفقه ولا بالشرع الإسلامي ، وكيف سيكون الحال فيما لو اختار الناس مرشحين لا يؤمنون بالإسلام دين سياسة وحكم ، ويرجحون العلمانية كمشروع جدير بالثقة ؟!! فهل الإسلام يرى تلك الولاية وتلك الحكومة شرعية ؟ وإذا كان الإجابة بالإيجاب ، إذن لماذا الإسلام حرّم التحاكم إلى من لم يحكم بما أنزل الله؟ وسماهم بالظالمين مرة وبالفاسقين مرة وبالكافرين مرة ، بغض النظر عن القانون الذي جعلهم ولاية للأمر ، ومئات من الأسئلة التي ستفرض القول في النهاية بصعوبة استجابتها بشكلها الحالي المقرر للإسلام وثوابته ، ولا يمكن أن تكون هناك حكومة ملتزمة بالإسلام ويشرع الله من دون الإمام المعصوم أو الفقيه العادل البصير بأمر الله وشؤون خلقه من خلال الولاية التي يحفظ بها الإسلام وشرع الله ، ولو كان في حدود النظارة التي تمنع انحراف الحكومة والأجهزة التابعة لها عن الحق والعدالة والإسلام ، وهذا يعني حصول الفقيه على حق الاعتراض على المقررات المنافية للحق والعدالة والإسلام ، وهذا الحق هو عين الولاية .

فالولاية - كما يقول الإمام - لا تعني الدكتاتورية ، وإنما هي حكومة القرآن والإسلام التي تخضع لمدرسة الفقه الإسلامي المنفتح على كل حقول الحياة، في حين أن هذه الولاية هي نفسها التي يمارسها رؤساء وملوك العالم إلى الآن ، غاية ما في الأمر أن ولاية الفقيه العادل ينبع القول بها من القرآن



الكريم والسنة الشريفة للنبي الأعظم ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام ، وأنها خاصة فقط في إطار الإسلام وتطبيق تشريعاته للحياة .

وما ينظر إليه في النصوص التي تحدد ولاية الفقيه في حدود الدّين والميراث والخصومات ، إنما لأنها كانت الولاية التي أتاح الواقع للمعصوم ممارستها ، ولذلك أعطى الإمام كلّ صلاحياته الولائية التي أتاحها الواقع له في ممارستها إلى معاصريه من الفقهاء . وهكذا كان ذلك بالنسبة لأمر المؤمنين عليهم السلام ؛ فقد أعطى عماله كلّ صلاحياته الولائية في البلدان التي تتصل بمركز خلافته ، من تنصيب للقضاة وقادة الجيش العاملون في ولايته وما شابه ، وهذا ما نصّ عليه عهده لمالك الأشتر حين وجهه إلى مصر .

ومن ذلك يتضح أن الفقيه يمارس دور المعصوم في الولاية في المصر الذي عينه عاملاً عليه ، ولم يستثنه إلا من عزل نفسه أو نظرائه من عمال الولايات الأخر ؛ لأن ذلك خاص بالخليفة نفسه ، وهكذا بالنسبة للقضاة الذين عينهم الإمام عليهم السلام ليمارسوا كامل الولاية التي يمارسها هو ، ولم يستثنهم إلا مما اختص به كولي للأمر .

قد يقال : إن ذلك تمّ بإشراف المعصوم ! .

وهذه حجة غير ناهضة ؛ لأنّ المعصوم لم يختره لأنه لا يخطئ ؛ فنهج البلاغة فيه الكثير من التويخ لبعض الولاة دون عزلهم ، وإنما اختاره عاملاً لعدالته عنده وإخلاصه لله ولولي أمره وفقاهته اللازمة لمعرفة ما يُسنّ لمواكبة الواقع وفق الأصول العامة للفقهاء الإسلامي ، أضف إلى ذلك الكفاءة التي تجعله يخلق الانسجام بين الحكم والموضوع وممارسة ذلك في الواقع بما يتناسب معه كإنسان غير معصوم .

ولدى العلامة آية الله السيّد أحمد البغدادي الحسني نكتتان لطيفتان في المقام :

**الأولى :** إن ما يتوقف على إذنه عليه السلام لا يسقط بغيبته ؛ لكونه مطلوباً على كل حال ، فلا بد من استخلاف من يقوم مقامه في إيجاده ، فإن كان المنصوب من قبله هو كل من يقدر عليه، فهذا ينافي ما دل على اعتبار إذنه ، وإن كان المنصوب من قبله هم غير الفقهاء فهو مقطوع البطلان ، فتعين أن يكونوا هم المنصوبين .

هذا فيما علم توقيفه على إذنه عليه السلام ، أما إذا شك في ذلك فالأصل قاضٍ بعدم تعيين الفقهاء ونصبهم ، فإن علم كونه مطلوباً مطلقاً وجب كفايةً على كل أحدٍ القيام به ، وإلا سقط من أصله .

وعلى الإجمال ما علم عدم توقيفه على إذنه ، فالولاية ثابتة للفقهاء في حال غيبته عليه السلام ..

وكل أمر كان مرجعه الرؤساء فهو الموقوف على الإذن ، وإلا فلا يتوقف عليه <sup>(١)</sup> .

**الثانية :** في سؤال وجه إليه عن الولاية العامة للفقهاء العادل هل له حق التصرف في حق الإمام؟ يقول : نقول بعمومها (الولاية) إلا ما خرج بالدليل ، ولكن في موضع كلامنا لا يجدي ؛ لأن أدلة الولاية العامة لا تعمّ ما كان ثابتاً للمعصوم عليه السلام بما هو راجع إلى أمواله ومختصاته ، بل تعم ما كان راجعاً للإمام عليه السلام بما هو إمام ... و يستفاد من بعض النصوص التشريعية أن حق الإمام عليه السلام من مختصات منصب الإمامة .. ويعبر عنه في مصطلحات العصر الحديث بـ (ملكية الدولة) وإذا مات لا يقسم بين ورثته ، بل يعطى للإمام الذي من بعده <sup>(٢)</sup> .

(١) حق الإمام في فكر السيد البغدادي : هامش ، ص ٦٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٧ - ٧٠ .

## ولاية الفقيه أم ولاية القانون؟

عندما نتحدث عن شرعية النظام السياسي والدولة لا نعني بالشرعية الدولية، وإنما بالشرعية الدينية، فالشرعية الدولية تتمثل في استقرار النظام السياسي في البلد، وتطبيعه العلاقة القانونية مع المجتمع الدولي والمنظمات الدولية، أما الشرعية الدينية، فيجب أن تخضع للمسوغ الديني للدولة.

والمسوغ الديني للدولة يرتكز على أساسين:

**الأول:** اعتماد الفقه الإسلامي من باب الواسع في جميع حقول الحياة:

١- في العلاقات الخارجية .

٢- في العمل الإداري .

٣- في القضاء .

٤- في القوانين التي تقننها الجهات القانونية .

**الثاني:** اعتماد المواصفات الدينية في الحاكم الشرعي، وهي:

١- الفقاهة .

٢- العدالة .

٣- الكفاءة والإدارة .

٤- الإرادة والحزم .

٥- الشجاعة .

٦- الواقعية .

وأياً كان الخلاف في ترتيب الأولويات، أو الإضافات، فإن نقطة مهمة أود الإشارة إليها، وهي أن الإسلام لا يرفض كل شيء لدى الآخرين، وإنما

يرفض من يريد أن يكون بديلاً عنه أو مخترقاً لثوابته .

وأي شريعة - أياً كانت - إذا وضعت قانوناً فإنها لن تترك لغيرها اختيار قانون التفعيل أو المفعلين ، فكيف إذا كانت الشريعة سماوية ﴿وَمَا يَغْلُمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾<sup>(١)</sup> .

ولذلك فإنها - الشريعة - كما تصدت لطرح التشريعات الدينية والدينية فإنها ستتصدى - أيضاً - لتعيين الولي ﴿النَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup> و﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> ، أو مواصفات الولي ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾<sup>(٤)</sup> ، ويأتي للذي مكَّنه الله نداء من الله يقول ﴿فَاخْتَمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾<sup>(٥)</sup> ، ويصف من يرفض حكمه بالكافر مرة وأخرى بالفاسق وثالثة بالظالم لسياقات حددتها ما سبق كل آية ، وبالنتيجة يكون عدم الحكم بما أنزل الله مرفوض من قبله سبحانه وتعالى : ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(٦)</sup> ، وفي أخرى ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ، وفي ثالثة ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ .

وعلى ضوء ذلك فالولاية جاءت بالنبى الأعظم ﷺ كحاكم عندما نزل عليه القانون الإلهي ليحكم به في الناس .

صحيح أن البداهة تقول : ما دام لدينا قانون تنفيذي وقضائي فلا بد أن

(١) آل عمران : الآية ٧ .

(٢) الأحزاب : الآية ٦ .

(٣) النساء : الآية ٥٩ .

(٤) الحج : الآية ٤١ .

(٥) المائدة : الآية ٤٨ .

(٦) المائدة : الآية ٤٤ .

تكون هناك جهة تنفيذية وقضائية تشرف على تنفيذهما ، إلا إن القرآن هو الذي شرع القانون وهو الذي تصدى لتعيين الولي، حتى لا يطلب الولاية من ليس أهلاً لها ، ويعمل في دين الله وعباده بالتحريف والظلم والجور .

ومن هنا فإن الولاية لها تشريع خاص بها كما أن للقانون التنفيذي والقضائي تشريعات خاصة بهما ، وكذلك الأحوال الشخصية ، ومن هنا فلا يمكن فصل الولاية عن التشريع الإلهي أبداً .

وبذلك نفهم أن ولاية القانون «الإلهي» على الناس تكمن في ذاته ، أي كونه تشريعاً من الله ، بغض النظر عن الجهة الأمرة به أو المتصدية للعمل به ، وكذلك الولي له ولاية ، إلا إنها بدعامتين أساسيتين لتصل إلى أقرب ما يمكن إلى واقع الشريعة وما فرضته من شرائع على الأمة وما حرمتها عليها .

الأولى : دعامة «القانون الإلهي» .

الثانية : دعامة «روح القانون الإلهي» .

وحتى الدولة الحديثة تقر منطق «روح القانون» بالرغم من كون هذا المنطق ذا مسحة أخلاقية ، إلا إنه أساسي في ترجمة القانون إلى حقيقة ، وتبرز هذه الحقيقة عندما يحاول البعض استخلاص بعض مواد لخلق واقع سياسي أو قانوني يتعارض مع المنطق السياسي والقانوني العام الذي تلتزم به تلك الدولة .

ومثال تجلي منطق القانون وروحه يبرز في مسألة التعزير الذي ترك القانون للحاكم الشرعي أمر تحديد العقوبة فيها بما يعالج ذلك الانفلات . ومثال آخر مسألة المناجم والآبار النفطية التي تكتشف في أراضٍ لملاك في الدولة .

وقد تحدث الإمام الخميني تعالى عن ذلك بقوله :

« ... فإذا كانت صلاحيات الحكومة في نطاق الأحكام الإلهية الفرعية ،

فإن جوهر الحكومة الإلهية والولاية المطلقة المفوضة لنبي الإسلام ﷺ سيكون شيئاً لا معنى له ولا مضمون له ، وسأشير إلى تبعات مثل هذه القضية التي لا يمكن أن يلتزم بها أحدٌ قط .

فعلى سبيل المثال :

إن فتح الطرق بين البيوت ، وتخطيط الشوارع والسبل تستلزم التصرف في منزل أو أكثر ، أو التجاوز على حريمه ، وهو أمر لا يدخل في نطاق الأحكام الفرعية .

- والتجنيد الإجباري ، والإرسال الإلزامي إلى جبهات الحرب .
- ومنع إدخال العملات الصعبة وإخراجها .
- ومنع إدخال أي بضاعة أخرى وإخراجها .
- ومنع ممارسة الاحتكار إلا فيما عدا حالتين أو ثلاث حالات .
- ووضع الضرائب والمكوس .
- ومنع إغلاء الأسعار .
- وتحديد أسعار البيع .
- ومنع توزيع المخدرات ومكافحة الإدمان بأي شكلٍ وما شاكل المشروبات الكحولية .
- ومنع حمل السلاح من أي نوع كان .
- وغيرها المثات من الأمثلة التي هي من ضمن صلاحيات الحكومة تكون
- طبقاً لتفسيركم للأمر - خارج صلاحيات الحكومة .

وعلياً أن أضيف أن الحكومة شعبة من الولاية المطلقة لرسول الله ﷺ وهي أحد أحكام الإسلام الأولية ، ومقدمة على جميع الأحكام الفرعية .

وأهم من ذلك كله تحدثت نصوص القرآن والمعصومين عليهم السلام عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والأحكام والقصاص والحدود والديات ، ولم تتحدث عن اسم الدولة أو طريقة إقامتها ... ولا هياكلها أو مؤسساتها أو وظائفها أو حتى مسميات العمل والوظائف ، وصلاحيات كل موظف ، والجمارك والمصارف والتبادل التجاري مع الدول المسلمة وغير المسلمة ، ولن يتمكن الولي الفقيه من ممارسة صلاحيات الحاكم الديني الحكومية في إطار القانون الإلهي «المدون» إلا بعد أن يفهم قبل ذلك جوهر الحكومية والولاية المطلقة كما قال الإمام الخميني قدس سره بغاياتها ووسائلها ، أما إذا كانت الولاية التي تُعطى للفقيه مؤطرة بذلك المدون - مع غضب النظر عن الواقع المعاش - فإن الفقيه لن يتمكن من مواجهة الالتفافيين المنحرفين الذين يتخذون من القانون منفذاً لممارسة وترويج الانحراف ، إضافة إلى أن وعي متطلبات الدولة القانونية ليس لها طبيعة واحدة في كل الظروف .

فعوامل إقامة الدولة والقانون الأجدى في عصر النص تختلف عن عوامل إقامتها الآن ، ومن يدري قد تختلف عوامل ذلك في الحاضر عن الطبيعة التي ستكون بعد مائة سنة ، وهكذا....

وعلى ضوء ذلك، فهذه المادة لا يمكن تأطيرها بذلك المعنى .

أما على الواقع العملي الآن فهناك نوعان من القوانين:

١- قوانين من القرآن والسنة ، وهي تتعلق بالحقوق والضمانات في القضاء والأحوال الشخصية ، والقضايا الاجتماعية أو مستنبطة منهما .

٢- قوانين تفرضها طبيعة الحياة الاجتماعية والقانونية والدولية ، وتسبب بطريقة ليس فقط لا تتعارض مع الإسلام أو تلتقي في طبيعتها معه ، وإنما يفترض فيها إلى ذلك خدمته وإظهار حقيقته الناصعة بالطهر والنقاء .

وفي كلا الحالتين في عصر الغيبة قد تكون قوانين مؤهلات المرشحين للعمل في مؤسسات الدولة « بكافة حقولها » قادرة على البقاء عاماً واحداً أو عشرة أعوام أو عشرين عاماً ، أو أكثر من ذلك أو أقل ، إلا إنها ليست إلى الأبد ، فالذي سنّها بشرٌ محدود خارج عن نطاق العصمة ، وبالتالي فإن فهم « روح القانون الإلهي » هو أقوى مساعد على تحديد الموقف الشرعي الحقيقي ويطلق وسائله غاياته النبيلة والغالية والعالية ، ومنها يفهم طبيعة كل ممارسة في أي عمل وإمكانية العمل بها عشرين أو ثلاثين عاماً ، لتصبح فيما بعد جزءاً من حياة مجتمع الدولة ، ولذلك ، فإذا ما أُطرّ الفقيه في إطار القانون المدوّن دون الالتفات إلى روح القانون ، فقد تصل الأمور إلى حالة صدامٍ مع بعض تناقضات المستجد ليصل الحال إلى تعطيل فاعلية ولاية الفقيه إذا لم يبلغها .

ومن هنا قال الإمام الخميني بولاية الولي الفقيه المطلقة ، وليس تحت سقف سياسيٍّ أو قانونيٍّ سياسيٍّ محدّدٍ إلا القانون الإلهي ومن خلال فهم جوهره وروحه التي تتجلى من خلالها وسائله وغاياته الشريفة .

وهل للفقيه مخالفة القانون؟

أو أن يعمل دون قانون؟

قد يفهم البعض أنني أريد القول بعدم ضرورة وجود قانون يضبط الولي الفقيه ليعمل في إطاره في إدارة الدولة والقانون ، وهذا خلاف ما أريده ، وإنما الذي أريده هو ما حواه الدستور الإسلامي للجمهورية الإسلامية في



- طرحه لولاية الفقيه ، في مقام ولاية الأمر وإمامة الأمة ، والتي تقضي :
- ١- تعيين السياسات العامة لنظام جمهورية إيران الإسلامية بعد التشاور مع مجمع تشخيص مصلحة النظام .
  - ٢- الإشراف على حسن إجراء السياسات العامة للنظام .
  - ٣- إصدار الأمر بالاستفتاء العام .
  - ٤- القيادة العامة للقوات المسلحة .
  - ٥- إعلان الحرب والسلام والنفير العام .
  - ٦- نصب وعزل وقبول استقالة كل من :
    - أ - فقهاء مجلس صيانة الدستور .
    - ب - أعلى مسؤول في السلطة القضائية .
    - ج - رئيس مؤسسة الإذاعة والتلفزيون في جمهورية إيران الإسلامية .
    - د - رئيس أركان القيادة المشتركة .
    - هـ - القائد العام لقوات حرس الثورة الإسلامية .
    - و - القيادات العليا للقوات المسلحة وقوى الأمن الداخلي .
    - ٧- حل الاختلافات وتنظيم العلاقات بين السلطات الثلاث .
    - ٨- حل مشكلات النظام التي لا يمكن حلها بالطرق العادية من خلال مجمع تشخيص مصلحة النظام .
    - ٩- إمضاء حكم تنصيب رئيس الجمهورية بعد انتخابه من قبل الشعب ،
- أما بالنسبة لصلاحية المرشحين لرئاسة الجمهورية من حيث توفر الشروط

المعينة في هذا الدستور فيجب أن تُنال قبل الانتخابات موافقة مجلس صيانة الدستور ، وفي الدورة الأولى تنال موافقة القيادة .

١٠- عزل رئيس الجمهورية مع ملاحظة مصالح البلاد وذلك بعد صدور حكم المحكمة العليا بتخلفه عن وظائفه القانونية أو بعد رأي مجلس الشورى الإسلامي بعدم كفاءته السياسية، على أساس من المادة التاسعة والثمانين .

١١- العفو أو التخفيف عن عقوبات المحكوم عليهم في إطار الموازين الإسلامية بعد اقتراح رئيس السلطة القضائية ، ويستطيع القائد أن يوكل شخصاً لأداء بعض وظائفه وصلاحيته .

وبالرغم من هذه الولاية التي تعني في ظاهرها ولاية في حدود ما بسط الفقيه يده عليه إلا إن مفردة (إمامة الأمة) لا تعني الإيرانية وإنما الأمة الإسلامية ، ومن ذلك إصداره للأحكام ذات المدى الذي يتجاوز حدود ما بسط يده عليه ، ولذلك يجب أن تحاكي هذه الولاية روح القانون الإلهي في أهدافه وحركته ، إنما على ذلك لا بد للولي الفقيه أن يلتفت إلى لونين في طبيعة القانون : أولاً : القانون الإلهي ، أي الأحكام الإلهية ، وثانياً : حركته من خلال تلك الأحكام في إطار الدولة الإسلامية ، وهذا يعني كما تقول المادة الدستورية السابقة في مسؤوليات القائد : الإشراف على حسن إجراء السياسات العامة للنظام ، وأن أهم القيادات تخضع لولايته كتعيين قيادات القوات المسلحة والقضاء ومجلس صيانة الدستور وإمضاء انتخاب رئيس الجمهورية ، وما إلى ذلك .

وعلى ضوء ذلك أقول بكل ثقة أنه لا يوجد أحد يؤمن بأنّ العمل السياسيّ بما فيه من تعقيدات يمكن أن يكون حضارياً وناجحاً إذا ما مورس دون قانون يضبط المسار باتجاه غاية محددة .

### الولاية وروح القانون :

ولذلك لا بد من القول : أن القانون وحده ليس بكافٍ لحراسة النظام الإسلامي دون وجود الدستور الناطق ، القائد الناطق بحقيقة الدستور .

إذ إن قراءة القانون من دون جهة معنية بفهمه كما هو لتطبيقه وفق معايير محددة ومخلصة في قراءتها يُعدُّ عملاً مبتوراً للقانون وللواقع والتاريخ ، ولنقرأ قبل ذلك القرآن الذي قال الله تعالى عنه : ﴿هدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان﴾<sup>(١)</sup> ، ولكنه كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام «حمالٌ ذو وجوه»<sup>(٢)</sup> ، قد استفاد منه الخارجي لتدعيم قناعته ، ومعاوية في تدعيم مواقفه وفهمه ، بل حتى الماركسيون استفادوا منه ، وذلك من خلال قراءة القرآن التفكيكية ، والاتقاطية في الفهم ، ولذلك قال تعالى : ﴿لتبين للناس ما نزل عليهم﴾ ومحصلة الأمر أنه : ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾<sup>(٣)</sup> .

ولذلك جاء في المأثور : «علي مع القرآن والقرآن مع علي»، وقول علي عليه السلام «أنا القرآن الناطق» .

هذا المعنى يفسر رفض الإمام علي عليه السلام صلح معاوية الذي رفع المصاحف مدعياً كذباً استعداداً للالتزام في الصلح بما تفضي به من التزامات عليه ، في حين أن الغرض من ذلك هو إعمال الشقاق في فريق الإمام علي عليه السلام ، ومن ثم تفعيل مخططه التدميري لتماسك ذلك الفريق لينتهي إلى النتيجة المرجوة التي فيها نجاته من غلبة معسكر الإمام عليه السلام

(١) سورة البقرة : آية ١٨٥ .

(٢) نهج البلاغة : ج ٣ ، ص ١٣٦ .

(٣) سورة آل عمران : آية ٧ .

عليه ، وتعامل الإمام علي عليه السلام لمواجهة عملية الإسقاط الأموية غير المنطقية على أساس قوله تعالى : ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ وعلى قوله تعالى : ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ وذلك من خلال العمل على أساس روح النص القرآني نفسه الذي يريد أن يقيم الحق والأمن والسلام ، ولا يكون ذلك إلا بمقاتلة أهل البغي ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ وعلى قوله تعالى : ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ ، والخوارج الذين تلهج ألسنتهم بذكر الله ويتلون القرآن ليل نهار ، ويحيون الليل بالذكر ، وقد خدعوا الكثيرين من الناس ، قاتلهم الإمام علي عليه السلام ولم يسلم من آفهم إلا عشرة أفراد أو أقل ؛ لأنهم تمسكوا بحرفية النص القرآني الذي أدى بهم أن كفروا أمير المؤمنين عليه السلام وقاموا بقتل كل من واجههم من محبيه ومواليه .

وبالتالي قد يوحى ظاهر بعض القرارات مخالفة لبعض الأحكام والفروض الدينية أساساً فيما هي تعالج واقعاً طارئاً على تلك الأحكام والفروض من خلال مواجهة المستجد بتعطيلها مؤقتاً .

فلو تعامل أهل صفين من فريق الإمام علي عليه السلام مع القرآن الناطق ما آل الأمر أن يقول معاوية فيما بعد : «إني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ، ولا لتزكوا ، إنكم لتفعلون ذلك ، إنما قاتلتكم لأتأمر عليكم»<sup>(١)</sup> .

وفي كربلاء حاول الأمويون استخدام مفردتين لضرب الإمام الحسين عليه السلام ؛ مفردة الخوارج في الشام ، وشق عصا المسلمين في خارج الشام ، في حين يقول الإمام الحسين عن الأولى : «لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً ، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ، أريد أن أمر بالمعروف

(١) بحار الأنوار : ج ٤٤ ، ص ٥٣ .

وأنهى عن المنكر ، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب»<sup>(١)</sup> ، وعن الثانية قال : «لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله عز وجل وعمل صالحاً وقال : إنني من المسلمين»<sup>(٢)</sup> .

فإذن الإمام الحسين تعامل مع روح الإسلام والقرآن الذي يصعب جداً أن تعبت بحقيقتهما تأويل المبطلين الذين يريدون الاستفادة من ذلك التأويل تمرير باطلهم وغاياتهم الذاتية وغير الشريفة في الأمة وعليها .

فإذن روح القانون أولاً تتنافى مع الفهم التجزيئي للقرآن ، وثانياً : مع الاقتطاع العازل للمعنى المتكامل من خلال النصوص في القضية الواحدة ، وثالثاً : إسقاط نص على معنى معين مخالف لمراد النص وحقيقته بهدف تسويق معنى بحد ذاته لا يمكن التسليم له إلا بذلك .

فالفقيه هو الذي يقرأ النص المتعارض ويفهم خاتمة العمل به ، ومتى ينتفي الأخذ به؟ ومن هنا لا يمكن الفرار من واقع قدرة الفقيه على قراءة النص وتحديد مفاداته ، أما قراءة النص بطريقة اقتطاعية أو إسقاطية وهي بالطبع ليست طريقة شريفة وترفيع الفقيه الإمامي عن ممارستها ، فإنها لا تؤمن المعنى الحقيقي المراد منها حين صدورها .

وهذه العملية (الإسقاط والاقتطاع) لو مارسها الفقيه لذهبت عدالته وأصبح العمل برأيه حراماً ، وهذه هي نفسها التي مارسها الخارجي والقاسط والناكث ، بل حتى الماركسي والعلماني والليبرالي ونظرائهم في بتر السياقات وعزلها عن بعضها .

(١) لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين ، ص ٣٠ .

(٢) مقتل الحسين ، بحر العلوم ، ص ١٧٥ .

وبالتالي فإننا نقول : إن فهم النصوص المتعلقة بالولاية مسؤولية الفقيه وبأليته المتمثلة في فهم وظيفة النص وغايته ، أما القراءة الحرفية فهي لا تسعف إلا من لا يرى ولاية الفقيه في تعزيز موقفه ، إلا إن هذه العملية كما قلنا ساعدت حتى العلماني والمجتهدين مقابل النص أن ينشطوا في هذا المجال ، وهم لا يستطيعون حل التناقض الناتج بين « ما لا يرضى الله بتركه » تحت عنوان الولاية الحسينية في حدود القضاء ، وبين « ما لم يرخص الإمام بفعله » من خلال فهمهم الحرفي للروايات .

والولاية في الدولة - أي دولة - ضرورة قانونية، وإن صيغت بعناوين مختلفة، وفي الدولة الإسلامية دور الولي أن يعمل بالقانون الإلهي ، وأن يحافظ عليه ، ويحتاج من شروط الولاية في الفقيه إلى الولاية المطلقة ليوافق مخاوف التعطيل والإلغاء بطرق التفافية معقدة .

فالحياة في تجدد مستمر ، وهذا يعني حاجة قوانين الدولة باستمرار إلى أن تكون في طبيعتها وحركتها في استجابتها لمستجدات الساحة أن تحافظ على جوهر النظام وحق الإمام والأمة .

والأحكام والقوانين التي تحتاجها الدولة الدينية تنقسم إلى قسمين :

**الأول :** قوانين تخصص السلطة التنفيذية (في الإدارة) ، والتشريعية (في سن القوانين) ، وجهة تقنينها أو تفعيلها هما السلطة التشريعية والتنفيذية ، وهذا النوع لا يحتاج في تسييره إلى فقيه ، إلا إن شرعيتها وضبطها في الإطار الإسلامي لا بد لها من فقيه له ولاية مطلقة تحدّد الحدود لممارسة تلك الصلاحيات القانونية التي عادة ما تفرضها طبيعة الواقع (متطلباته - منعطفاته) ، أي أن طبيعة وضعية القانون لا بد أن تُؤطر في الإطار الإسلامي .

إلا إنها قد تنفلت إذا ما كان المعنيون بتفعيلها يسيرون باتجاه العمل الفئويّ ، وعلى أساس المنافع الشخصية ، فحتاج عمليّة مواجهتهم إلى خطوات قانونية معقّدة قد تطول وتطول دون الوصول إلى الحكم الشرعي الذي يعالج تلك الإشكالية ، بالرغم من وجود ولاية دينيّة مطلقة للفقير ، تواجه الالتفافات اللاشعريّة على القوانين ، وصلاحيات الوليّ الفقير ، وتسعى إلى تقنين مخالفاتها الشرعيّة بأساليبها الالتفافيّة والملتوية ، مما قد ينتج عنها تعطيل جهاز بأكمله عن العمل أو سلة قوانين بأكملها .

**الثاني :** قوانين تخصّ الحاكم كفقير في مسألة إصدار الأحكام وتفويض الصلاحيات، والتي قد تعترضها بعض القوانين الوضعيّة التنظيميّة في بعض الحالات الاستثنائيّة ، أو حتى بعض القوانين الإسلاميّة في صورتها الأولى ، فإذا لم يتعاش ولم يفهم ولم يلتفت إلى روح قانون النظام الإسلاميّ ذاك في ظل تلك الظروف فإن النظام معرّضٌ للخطر من داخله في بناء العقائدية والفكرية والثقافية .

ولذلك فلا بد أن تكون للوليّ الفقير صلاحيات قانونية إلى الحد الذي تحيا فيه سنة حسنة وتموت فيه ظاهرة أو حالة سيئة ما دام يتوفر على الشروط المذكورة للولاية كالفقاهة والعدالة والكفاءة الإدارية والإرادة والحزم والشجاعة والواقعيّة في إطار المثل الإسلاميّة العالية وضابطة القانون التي تنتج في الأساس له ذلك ، وفي إطار إيجاد التوازن والوضوح والنظامية في الأداء لتتصرف كافة السلطات والأجهزة والمؤسسات وفق منطوق قانوني واحد .

ومثال ذلك مطالبة البعض بإلغاء أحكام القصاص ، ومساواة المرأة في الإرث مع الرجل ، أو التصويت للسماح لبعض التيارات السياسيّة للعمل بحريّة دون النظر إلى إمكانات تلك التيارات في التأثير على مواقف عامة الناس من خلال الدعاية ، ومن خلال حشد الدعم العالمي لها لموافقة إرادتها ورؤاها

السياسية والفكرية لمصالح الدول العالمية الداعمة لها، ونظير ذلك كثير .

فإذا ما انحسب الولي الفقيه في إطار حرفية تلك النصوص التي يتوسل بها دعاة التقييد دون النظر إلى روح تلك النصوص ومدى ما تفضيه من صلاحيات لم ينص عليها الدستور ، أو لم يقننها، فإنه فعلاً لن يتمكن من مواجهة انفلات المندفعين باتجاه تلك الخطوات من خلال التفاهم على بعض القوانين .

فإذن الحاجة مسيسة في الدولة والنظام الاسلامي إلى الفقيه العادل والمطلع البصير بحياة اليوم ، ومطالبها الضرورية لضمان أسلمة الدولة ومؤسساتها ، والحاجة أشد إلى أن تكون ولايته مطلقة بذلك المعنى ، لتواجه التفافات النفعيين على القانون من خلال ولايته وصلاحياته التي ثبتت له وفقاً للعرض الفقهي الذي تصدق له الإمام الخميني قدس الله سره قائد الثورة الإسلامية ومؤسس الجمهورية الإسلامية ، والذي لا ينكر أحد أنه فهم بحق إمكانيات الدستور - مع إسلاميته وعصرنته - في إطار النظام الإسلامي ، وأعطى الصلاحية المطلقة للولي الفقيه ، لمواجهة الكثير من القضايا التي قد يتعرض لها النظام ، ولا يقوى على مواجهتها إلا الولي الفقيه ، وبتلك الصلاحية المطلقة .

ولذلك قال الإمام الخميني قدس الله سره : « فللفقيه العادل جميع ما للرسول ، والأئمة عليهم السلام مما يرجع إلى الحكومة والسياسة ، ولا يعقل الفرق ؛ لأن الوالي - أي شخص كان - هو مجري أحكام الشريعة والمقيم للحدود الإلهية ، والأخذ للخراج وسائر الماليات ، والمتصرف فيها بما هو صلاح المسلمين ، فالنبي ﷺ يضرب الزاني مائة جلدة والإمام عليه السلام كذلك ، والفقيه كذلك ، ويأخذون الصدقات بمئال واحد ، ومع اقتضاء المصالح يأمر الناس بالأوامر التي للوالي ، ويجب إطاعتهم »<sup>(١)</sup> .

(١) كتاب البيع : ج ٢ ، ص ٤٦٧ .



### الولي الفقيه ممثل عن الشعب أم عن الله ؟

إن مقولة : « إن الولي الفقيه يمثل الشعب » مقولة مبتورة إذا ما فصلت عن طبيعة الوظيفة الشرعية للفقيه ؛ لأنه منضبط في وعي سابق للدستور والعمل السياسي والشعبي ، وما تلك الجهات إلا خانات قانونية يمارس الولي الفقيه وظائفه الشرعية من خلالها ، ومن هنا لا يمكن القول عن ممثليته للشعب إلا لجهة كون الشعب شعباً عقائدياً متديناً ، وهو كإمام الناس في الصلاة ومرجع التقليد في كونه زعيم وفدهم إلى الله ، فيطيعونه باعتباره سلطة القانون الإلهي وولايته على الأمة ، أما أن يمثله على نحو الإطلاق ، ولو طالب بما يخالف الإسلام أو بإلغاء العمل بالشرعية الإسلامية ، أو بفرض تنفيذيين غير متدينين أو التفاضيين بعد شعوره بنقل الالتزام بقوانين الإسلام ، كما كان ذلك على أحد الملتزمين بولاية أمير المؤمنين عليه السلام «طارق النهدي» ، وكما فعل مثله الكثيرون من أهل العراق والحجاز عندما وجدوا الإمام علياً عليه السلام ذلك الأخيشن في ذات الله (كما وصفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) ، والإنسان الذي لم يتراجع عن التزاماته التي أعلن عنها قبل أن يبايعوه بالخلافة بشروطه ؛ فليس ممكناً قبول ذلك، وليس ممكناً أن يقوم الفقيه بالاستجابة لتلك المطالب .

وبالتالي فالفقيه يمثل قناة الوصل بين الناس والفقه ، وهو ممثل لكليهما في مقام الولاية ؛ إذ يمثل الفقه في كونه فقيهاً ملتزماً بمفرداته والتزاماته ، ويمثل الشعب المؤمن بنظام ولاية الفقيه الذي انتخبه ممثلوه في مجلس الخبراء . وعلى ضوء ذلك نجد أنه يستمد شرعيته في مقام الولاية من خلال الفقه والتزامات الفقه الشرعية ، والشعب صوت للإسلام من خلال فقه أهل البيت عليهم السلام ، وبالتالي لا يمكن للفقيه الاستجابة للمطالب الشعبية القاضية بإلغاء حكم إلهي أو بإلغاء العمل بالشرعية الإسلامية أو إلغاء العمل بما يمكنها أو يحميها إلا وفق الرخص الشرعية

والأحكام الولائية التي أعطاها الشرع للفقيه الولي عملاً بروح القانون وليس لمطالب الناس .

فالولي الفقيه سيظل ممثلاً لتلك الشرعيّة «الدينيّة»، وستكون طبيعة عمله تكريس الشرعيّة تلك ؛ فقد يلغي العمل ببعض القوانين الحكومية إذا أعاقت حكماً إلهياً ، وقد يحرمّ العمل ببعض الأحكام الإلهيّة الثابتة - كالمتمتع مثلاً - إذا عدت الوسائل لتنظيمها في الإطار الإسلامي الصحيح ، وخروجها تماماً عن الغاية من تشريعها .

نعم، الشعب ينتخب الفقيه ، ولكن ليس ليكون ممثلاً عنه بمعزلٍ عن هوية ولايته ، أو أن ممثليته للشعب تشابه ممثلية النائب البرلماني ، أو أن يفرض الشعب شروط انتخابه الخاصة أو غير الملتزمة بالشروط الشرعيّة الدينيّة للفقيه الولي ، وإنما الفقه هو الذي يضع شروطه في انتخابه وطبيعة تمثيله ومساحتها للشعب .

فلو أصرّ الشعب - مثلاً - على أن يكون الولي الفقيه صاحب منصبٍ فخريٍّ، وليس له إلا أن يبارك أعمال السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية ، وإن خالفت الأحكام الإلهيّة ، أو أن يبيح للمسؤولين العمل بمقتضى البرتكول الدولي للضيافة ، كوضع المشروبات الكحولية ، أو أن يشترط - الشعب - أن يخلع الفقيه زيّة ويلبس زي الأفندية وربطة العنق أو أن يحلق لحيته ، فليس ممكناً أن يستجيب الفقيه لتلك الشروط، ولا شرعية لها .

ثم إن الشعب لا يختار الفقيه مباشرة ؛ لأن تعقيدات انتخابه تمنع إنزال مسألة انتخابه مباشرة إلى الشارع ، فاشتراط الفقاها والخبرة والعدالة ... وفي الولي الفقيه تلزم أن ينتخبه أهل الخبرة في موضوع الفقاها والعدالة .

وانتخاب أهل الحل والعقد يحتاج إلى جهة خبيرة في مناقشة ملفات المؤهلين للدخول في مجلس «أهل الحل والعقد = الفقهاء الخبراء» لانتخابات

أعضاء مجلس الخبراء ، وتلك الجهة هي مجلس صيانة الدستور، والتي يتكفل الولي الفقيه « وهو بكامل مؤهلاته القيادية » باختيار ستة فقهاء لمجلس صيانة الدستور ، ويختار القضاء ستة قانونيين يصوت على أهليتهم مجلس الشورى .

ومن هنا فالولي الفقيه هو ممثل عن الشرعية الدينية ، وموقعه العقائدي هو نيابة الإمام المعصوم الغائب (عج) ، والإمام المعصوم ممثل عن النبي ، والنبي يمثل الله في الأرض ، وانتخابه من قبل مجلس الخبراء يمثل الاتجاه الذي اختاره الشعب .

وبعبارة أخرى ، الولي الفقيه نائب الإمام المعصوم يقوم مقامه في الجهات التي ترتبط بالحكومة وإدارة أمور المسلمين وله كل ما كان لرسول الله ﷺ والأئمة عليهم السلام من بعده .

وليس معنى ذلك أن تكون رتبته كرتبتهم من حيث الفضائل المعنوية فإن ذلك مما لا يشاركهم فيه غيرهم .

وقد يقال : كيف يكون للفقهاء العادل ما للمعصوم من الولاية مع فارق العصمة والعلم بالأحكام الإلهية الواقعية في جانب المعصوم أما الفقيه فأحكامه وآراؤه معرضة للصواب والخطأ؟ .

والجواب : إن الحكومة ضرورة واقعية وعقلية تحتاج إلى الحاكم الذي لديه صلاحية الحكومة والولاية ، ومع غيبة المعصوم لا ريب في أن تكون الولاية للفقهاء العادل ، إذ من غير المعقول أن تكون الولاية للجاهل أو الفاسق.

ومثال ذلك عندما بعث الإمام علي عليه السلام مالك الأشتر إلى مصر قال : « قد بعثت إليكم عبداً من عباد الله ، لا ينام أيام الخوف ، ولا ينكل عن الأعداء ،... حسام صارم ، لا نابي الضريبة ، ولا كليل الحد ، حكيم في السلم ، رزين في الحرب ، ذو رأي

أصيل ، وصبر جميل ، فاسمعوا له وأطيعوا...»<sup>(١)</sup> .

وقال أيضاً : « وقد أمرتُ عليكما ، وعلى من في حيزكما مالك بن الحارث الأشر ، فاسمعا له وأطيعا ، واجعلاه درعاً ومجنناً ، فإنه ممن لا يخاف وهنه ولا سقطته ، ولا بطؤه عما الإسراع إليه أحزم ، ولا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل »<sup>(٢)</sup> .

وهذه مواصفات القائد الإسلامي بالدقة ، وقد توفرت في مالك الأشر غير المعصوم وهو على ذلك الحال في معرض أن يصيب وأن يخطئ كما حدث أن أدلى مالك مرة برأي في شأن الممتنعين عن بيعة الإمام علي عليه السلام ، فقال له الإمام عليه السلام : « يا مالك جدي ورأيي ، فإني أعلم بالناس منك » .

ومثله ابن عباس على ما عرّف عنه من فطنة ودهاء إلا إنه لا يمثل الواقع كله ، وإنما هو قادر على إصابته في كثير من أدائه ، ولا يتعد عنه كثيراً إن لم يوافق ، إلا إن الإمام علي عليه السلام كونه يمثل الحق قال له مرة حين ألحّ عليه في رأي : « يا بن عباس لك أن تشير علي ، فإذا عصيتك فأطعني » .

فالفقيه إذن مهما علت رتبته العلميّة ، فإنه كمالك الأشر وابن عباس لن يكون في رأيه وفتواه كالمعصوم في مطابقة الواقع ، إلا إنه يمارس صلاحية المعصوم في الحكم والفتوى ؛ لأنه القدر المتيقن في تمثيل المعصوم في غيبته وحاجة الواقع إلى الفصل في القضايا المعاصرة وليس إلى تعليقها أو إتاحة المجال لـ « اللاديينين » للبتّ فيها ، وقد قال الإمام علي عليه السلام عن مالك : « فإنه لا يُقدّم ولا يُحجم إلا بأمر » ، وقول الإمام الحجة عليه السلام عن الفقهاء « فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله » .

(١) الغدير : ج ٩ ، ص ٣٩ . شرح نهج البلاغة : ج ٦ ، ص ٧٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٩ . بحار الأنوار: ج ٣٢ ، ص ٤١٤ ، وج ٤٢ ، ص ١٧٦ ، وشرح نهج

البلاغة : ج ١٥ ، ص ٩٨ .

وعلى ضوء ذلك يقول الإمام الخميني قدس سره : «ونفس هذه الولاية والحاكمية التي جعلها الله للنبي الأكرم ﷺ، وللإمام عليّ في مجال تشكيل الحكومة والتنفيذ والتصدي للإدارة موجودة في الفقيه»<sup>(١)</sup>.

فإذن هذا الموقع لم يصنعه الفقيه لنفسه ، وإنما هو من قبل الإمام الحجة ابن الحسن عليّ ، ومن قبله آباؤه العظام عليّ ..

(١) حديث الشمس ، ص ٧١ .

## الإمام وقضيّة فلسطين

بعد تحرير الخليفة الثاني عمر بن الخطاب للقدس تعرضت فلسطين لاحتلالين شرسيين :

**الأول : الاحتلال الصليبي المسيحي .**

**والثاني : الاحتلال الصهيوني اليهودي .**

وقد تجاوز المسلمون الاحتلال الأول بالمواجهات المستمرة آنذاك في عدّة معارك ، وعلى رأسها حطين ، بقيادة صلاح الدّين الأيوبيّ وكذلك نتيجة لوفاة الملك ريتشارد قلب الأسد ، ولا زال الثاني يحتاج إلى حملة متناسب وشراسة الاحتلال الحاليّ .

قبل تحرير القدس من قبل قوات الخليفة عمر بن الخطاب كان السكان الأصليّون هم السكان الذين كانوا فيها قبل التحرير ، ولا زالوا فيها بعد التحرير ، ولا زال أعقابهم إلى الآن هم السكان الأصليّون ، وما كان هجوم الصليبيين من أجل إرجاع المسيحيين إلى موطنهم فلسطين ، وإنما هو مشروع استعماريّ مسيحيّ ، وما اصطبغ به بالصبغة الدينيّة ، إلا لأنّ الجهة التي يراد استعمارها متديّنة بدين سماويّ ، وتلتزم به كثيراً في مثل هذه الأمور ، ولذلك فهم يريدون شحذ همم المسيحيين من أجل إنجاح مشروعهم الاستعماريّ ، وما تخلّي المسيحيين في زمن الاستعمار الثاني عن فلسطين لليهود أعدائهم إلا دليل دامغ على حقيقة هذه المسألة .

طبعاً لا ننس العناوين التي جاء بها الصليبيون عندما توجّهوا إلى فلسطين

لغزوها ، والتي في مجملها السيطرة على المواقع المسيحية المقدسة ، وادعاء اضطهاد المسيحيين ، فيما هناك دوافع داخلية ، من بينها أو قل أهمها التبشير بدينهم في العالم الإسلامي ، والقضاء على الوجود الإسلامي ، وكذلك الدافع الاقتصادي ، ودافع التخلص من الحروب الداخلية .

وكذلك الهجوم اليهودي بمعاونة الدعم - بالقوة والسلاح - المسيحي الإنجلو أمريكي ، إلا إن الادعاء اليهودي هنا جاء بزعم مختلف وهو أن فلسطين هي وطن إلهي لليهود ، ولا وطنية لأحد غيرهم فيها ، ولذلك فهم يعتبرون فلسطين وتراثها وفقاً إلهياً لليهود ، وعودتها لهم تعني لهم التمكين في الأرض ، وبشكل عام تعني لهم - مهما تلونت الدوافع - أكثر مما تعني للمسيحيين .

إلا إن ذلك لا يمكن القبول به ، فالقدس هي القبلة الأولى للمسلمين ، وشعبها أسلم مختاراً دون أن يتعرض لضغطٍ من قبل المسلمين ، وكانوا من قبل إما على اليهودية وإما على المسيحية ، واختيارهم للإسلام واختيار الآخرين البقاء على دينهم لا يعطي يهود الشرق والغرب الحق في إخراج المسلمين - الذين كانوا من قبل على اليهودية أو المسيحية - والمجيء بيهود العالم إلى فلسطين .

ولو جاز القبول بذلك لجاز للأقباط في مصر أن يستعينوا بأمريكا لطرد المسلمين من مصر ، ولجاز للزرادشتيين في إيران أن يتحالفوا مع الغرب أو الشرق لطرد المسلمين من إيران ، ولجاز لليهود الحجاز واليمن ونصاراها ما أن يستعينوا بأمريكا وإسرائيل لطرد المسلمين من الحجاز ، بالرغم من أن المسلمين في كل تلك البلدان كانوا في السابق على دين اليهود أو النصارى أو المجوس!! أي سكان البلد الأصليين ، ولجاز أيضاً للهنود الحمر أن يطردوا البيض من أمريكا لأنهم هم السكان الأصليون .

فإذن هذه النظرية لا يقبلها أحدٌ أبداً ، فيكف أن تفرض على الشعب الفلسطيني الذي هو صاحب الأرض ، وليس ذلك الهولندي ، أو الأوكراني ، أو الروسي .

والعقيدة الإسلامية تحتم على المسلمين الاعتراف بحق السكان الأصليين في المواطنة حتى وإن كانوا غير مسلمين ما لم يخونوا وطنيتهم .

وكذلك تحتم عليهم الدفاع - حتى الموت - عن أوطانهم ، والتنازل عن أوطانهم للمعتدين والغاصبين يُعدُّ خيانةً عظيمةً يستحقُّ المُقَدَّم عليها القتلَ في الشريعة الإسلامية .

وهذا الاعتقاد فوق أنه ثابت وطني هو من ثوابت المعتقدات الإسلامية ، وهذا ما آلم الغرب والصهاينة من أن يظل هذا الثابت هو الحاكم الفعلي لموقف المسلمين من قضية فلسطين .

ولذلك حاول الصهاينة وداعموهم أن يطرحوا القضية القومية على قضية فلسطين ليسهل فصل المسلمين عن القضية وحصرها في العرب ، وإذا ما وقَّعوا إلى ذلك ، فإنهم لن يواجهوا مشاكل حقيقية .

وهذا ما حدث بالفعل ، إذ طرحت القومية العربية في ملف القضية ، حتى إن العرب أبدوا امتعاضاً - غير مبرر ولا مشروع - من التزام المسلمين بقضية فلسطين ، بل ظل الضرب على هذا الوتر حتى فرَّغت القضية من جانبها العربي وانحصرت في إطار الشأن الفلسطيني الصَّرف .

إلا إن ما ظلُّ هاجساً مخيفاً هو المشروع العمليُّ الأنجع في قضية تحرير فلسطين ، والذي أحياه من جديد وطوره وفق القراءة الدينية في وقت المساومة والخذلان الإمام الخميني قدسُ منذ بداية النهضة ، وهو المشروع الذي نهض به قدسُ في وقت اشتداد النضال العربي الإسلامي للصهيونية ، وازداد حضوراً في وقت الهزيمة والانكسار العربي الإسلامي في نكبة ١٩٦٧م ، وفي ذلك قال :

«إن الفكر الإسلامي يقضي أن الشهادة خير من هذه الحياة المخزية ، فلا



سبيل لنا إذ ذاك إلا مواصلة النضال بكافة الطاقات والإمكانات لنكسب العزَّ والشرف لأجيالنا القادمة»<sup>(١)</sup>.

إلا إن موقفه آنذاك كان محسوباً بشكلٍ عام على المؤسسة الدينية التي كانت مغيبّة تماماً عن الساحة الفعلية والتأثير على مسار القضية الفلسطينية بفعل عنف الحكام آنذاك (وإلى الآن) مع الإسلاميين ، وإقصائهم عن أيِّ نشاطٍ سياسيٍّ أو فكريٍّ ينظر لمشروع الحكم في بلدانهم ولتحرير فلسطين .

ولكن بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران أمر الإمام الخميني قتلُ بطرد الصهاينة من إيران وإعطاء مفاتيح السفارة الإسرائيلية إلى منظمة التحرير الفلسطينية التي كانت آنذاك تعيش النضال ضدَّ الاحتلال الصهيوني لفلسطين .

وفي الإطار ذاته تقدم بطرح فكرة يوم القدس العالمي في آخر جمعة من شهر رمضان المبارك ، ولازال محتفظاً بموقفه ، وهو موقف النظام الإسلامي الرسميِّ والثابت في قضية تحرير فلسطين والقدس .

ففي إحدى نداءاته إلى الحجاج يقول : «اليوم وقعت قبلة المسلمين الأولى بيد إسرائيل هذه الغدة السرطانية في الشرق الأوسط ، فكروا بطريقة ما لأجل تحرير الأراضي الإسلامية الفلسطينية من مخالب الصهيونية العدوِّ اللثيمة للإسلام والإنسانية ، لا تغفلوا عن مساعدة ومعاونة أولئك الأبطال المضحّين الذين يجاهدون ويقاومون في سبيل تحرير فلسطين»<sup>(٢)</sup>.

ويشأن المساومات والصُّلح مع الصهاينة يقول : «يجب على الشعوب الإسلامية أن تفكر بتحرير فلسطين ، وتبرز غضبها واستياءها من المساومة والمصالحة التي

(١) دروس في الجهاد والرفض ، ص ١٢٧.

(٢) الحجِّ في كلام الإمام ، ص ٥٨.

يقوم بها زعماء العار الذين باعوا أنفسهم وأهدروا أهداف شعوب الأرض المحتلة والمسلمين في المنطقة باسم فلسطين ، وأن لا يُسمح لهؤلاء الخونة بالجلوس على طاولة المفاوضات والقيام بالجولات المكوكية التي تهدف إلى النيل من شرف وكرامة الشعب الفلسطيني البطل»<sup>(١)</sup> .

ويتناول أولئك الذين يدعون أنهم يمثلون الشعب الفلسطيني ، ويتظاهرون بالثورية فيقول : «إن هؤلاء الثوار الظاهريين - ضعاف النفوس - الذين باعوا أنفسهم باسم تحرير القدس يتوسلون بإسرائيل وأمريكا ؛ لا يظن هؤلاء أنه مع مرور الزمن قد تغيرت سيرة وصوره جرائم العدو الصهيوني ، وأن الذئاب مصاصي الدماء والصهاينة قد رفعوا أيديهم عن التفكير بالتوسع ، واغتصاب الأراضي من النيل إلى الفرات»<sup>(٢)</sup> .

ويؤكد الموقف الرسمي والثابت لإيران وقياداتها وشعبها تجاه القضية الفلسطينية فيقول : «سوف لن يتوانى أحد من المسؤولين المحترمين في إيران وشعبنا والشعوب الإسلامية عن مقاومة هذه الشجرة الخبيثة لاجتثاثها من الوجود ، ويعون الله تعالى ويفضل أتباع الإسلام والقدرات المعنوية لأمة محمد ﷺ وبالإستفادة من إمكانات الدول الإسلامية ، وتشكيل قوى حزب الله في العالم سيتمكنون من إخراج فلسطين والأراضي المغتصبة من مخالبا الصهيونية ، وسيجعلونها تندم على كل جرائمها التي ارتكبتها في الماضي .

وأنا - كما قلت وحذرت مراراً في السنوات الماضية قبل وبعد الثورة - أؤحذر مجدداً من خطر انتشار هذه الغدة السرطانية الصهيونية في قلب وجسد العالم

(١) المصدر السابق ، ص ٥٨ - ٥٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٩ .

الإسلامي ، وأعلن دعمنا وتأييدنا شعباً وحكومة ومسؤولين في إيران للشعوب الإسلامية المقاومة ، وللشباب المسلم الغيور في سبيل تحرير القدس<sup>(١)</sup> .

وقد أدّى اعتماد ذلك الموقف - ككتاب من ثوابت النظام الإسلامي - إلى شحن الساحة الإسلامية ، وتبنيها إياه كمشروع لا بديل عنه لتحرير فلسطين ، وإن تطورت مشاريع المساومة والاتفاقيات مع الصهاينة ، إلا أن انتصار الثورة ، واعتمادها مشروع التحرير ككتاب من ثوابتها ، واستمراريتها إلى الآن في دعم الحركات المناضلة لتحرير فلسطين هذا من جانب ، ومن جانب آخر فشل المفاوضات في التوصل إلى حلٍّ ، وإلى مشروع الدول العربية في تدجين الكيان الصهيوني - دون شعورهم بخطورة هذه الخطوة - ليكون مقبولاً في الحضيرة العربية ، وهو يسعى من خلال ذلك لترجمة مشروع إسرائيل الكبرى إلى واقع - ولو على المدى البعيد اعتماداً على سياسة (فرق تسد) وعلى حالة الضعف الفاضحة التي تعيشها الدول العربية ، كل ذلك جعل مشروع التحرير الأنجع هو ما طرحه الإمام الخميني قدس سره ، والمعتمد حالياً في فكر النظام الإسلامي .

وهكذا كان مشروع (يوم القدس العالمي) محاولة لتذكير المسلمين والمفاوضين في كل عام أن التحرير لا يكون إلا بالقوة ، بناءً على القاعدة المعروفة : «ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة» .

ويوم القدس مشروع يُبقي فلسطين في أذهان المسلمين على أنها ملك للمسلمين ، ولن يكون تحريرها رهن نتائج المفاوضات التي تفتقر إلى أبسط عناصر المعقولية والتكافؤ ، وهو - أيضاً - لمواجهة أي مصادرة لحق الشعوب في بلدانهم .

(١) المصدر السابق ، ص ٥٩.

ولذلك يقول تَنْتَبُحُ : « إنَّ يومَ القدس يومٌ عالميٌّ ، وليس يوماً يخصُّ القدس فقط بل هو يومٌ مواجهة المستضعفين للمستكبرين »<sup>(١)</sup> .

ويحضرُ المسلمون على المحافظة على يوم القدس والاحتفاء به فيقول :  
 « يجب أن يحافظ المسلمون على إحياء يوم القدس ... وأمل أن يعظم المسلمون يوم القدس ، وأن يتظاهروا في يوم القدس - يوم الجمعة الأخير من شهر رمضان المبارك - ، وأن يقيموا المجالس والاحتفالات ، ويحتشدوا في المساجد ويهتفوا فيها ، في الوقت الذي يهتف فيه مليار إنسان فلن تقدر عليهم إسرائيل ، وسوف تخاف من هتافاتهم »<sup>(٢)</sup> .

ويقول أيضاً : « لو أن جميع البلدان الإسلاميَّة والشعوب كلها تنهض وتهتف - لا من أجل القدس فقط ، بل من أجل جميع الدول الإسلاميَّة - فسوف يتصرون حينئذٍ »<sup>(٣)</sup> .

(١) الاستقامة والثبات ، ص ١٩٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .



## الإمام وموقفه الحكيم في الحرب

من الأحداث التاريخية في حياة المسلمين والتشيع ، والثورة الإسلامية في إيران ، هي الحرب ... فالحرب اتخذت بُعداً دينياً موازياً للبعد السياسي ، وكان الباعث الحقيقي لها استهداف تيارٍ دينيٍّ يحمل مشروعاً سياسياً دينياً للإدارة والحكم ، يريد أن يمارس حقه في إدارة الشعب الذي صوت له ، وذو رؤية - مجرد رؤية - لأسلمة منطقة الشرق الأوسط والأدنى للمسلمين من خلال الحديث - فقط - عن تلك الرؤية كفكرٍ ، إلا إن ذلك وبالرغم من أنه ممارسة متاحة للجميع هدّد ثلاث جهات لها مصلحة في القضاء عليه ، وهي :

**الأولى :** الحكام الذين فرضوا شرعيةً حاكميتهم عن طريق القهر والمصادرة في بلدان الشرق الأوسط والأدنى للمسلمين .

**الثانية :** الغرب وأمريكا .

**الثالثة :** إسرائيل .

وطبيعة التهديد هنا تكمن في أن هذا التيار الديني قادر على تحريك قناعات المجتمعات والشعوب المضطهدة لنيل كرامتها واستعادة هويتها ، فيما تلك الجهات ستفقد بريقها القائم أساساً على اضطهاد الشعوب .

وهذا يعني أنّ مشروع الحرب أبعد مما أعلن عن غايته ؛ حيث هذا ما استفدناه من خلال عمر الحرب وما استجد بعده من مستجدات ، لم تبق لسرّ خفاءً .

ولنبداً باتفاقية الجزائر ومن ثم ما تلاها من أحداث من قبل النظام الصدامي ، حيث أعلن في أول الأمر أن اتفاقية الجزائر الموقعة بين إيران والعراق (وذلك

بامضاء صدام نفسه) عام ١٩٧٥م بشأن الخلاف الحدودي بين البلدين مُلغاة ، ولا تلزم العراق ؛ لأنه وقعها يوم كانت موازين القوى ليست لصالحه ، أو ما أسماها مختلّة ، أي هي لصالح إيران ، أما اليوم فالحال مختلف جداً ، وذلك أنّ الموازين مختلّة لصالحه ، ولذلك توهم أنّ ذلك مسوّغ أن يرفض ما ألزم به حال ضعفه ، وفقاً لتصوره لطبيعة الإلزامات الدوليّة التي وافق عليها في وقت سابقٍ ، فيما الواقع يشي بأنه تصرفٌ استجابة لطيشه ومدفوعاً بتحريضات القوى الكبرى .

وقبل الاسترسال في الموضوع نستعرض بعض بنود اتفاقية الجزائر ، والتي تعالج التطورات الطارئة على حالة الاستقرار بعد توقيع الاتفاقية :

« وقّعت الاتفاقية في ٦ آذار ١٩٧٥م في الجزائر ، وتقول المادة السادسة في الاتفاقية :

١- في حالة حصول خلاف يتعلق بتفسير أو تطبيق هذه المعاهدة أو البروتوكولات الثلاثة ، أو ملاحقتها يحلُّ هذا الخلاف وفق المراعاة الدقيقة لخط الحدود العراقية الإيرانية المشار إليه في المادتين الأولى والثانية في أعلاه ، ووفق مراعاة المحافظة على أمن الحدود العراقية الإيرانية طبقاً للمادة (٣) في أعلاه .

٢- يحلُّ هذا الخلاف من جانب الطرفين الساميين المتعاقدين أولاً عن طريق المفاوضات الثنائية المباشرة خلال فترة شهرين اعتباراً من تاريخ طلب أحد الطرفين .

٣- وفي حالة عدم الاتفاق يلجأ الطرفان الساميان المتعاقدان خلال مدة ثلاثة أشهر إلى طلب المساعي الحميدة لدولةٍ ثالثةٍ صديقة .

٤- في حالة رفض أحد الطرفين اللجوء إلى المساعي الحميدة أو فشل إجراءاتها ، يُصار إلى تسوية الخلاف عن طريق التحكيم خلال مدة لا تزيد على الشهر اعتباراً من تاريخ الرفض أو الفشل .

٥- في حالة عدم اتفاق الطرفين الساميين المتعاقدين بصدد إجراءات التحكيم يحق لأحد الطرفين الساميين المتعاقدين أن يلجأ خلال خمسة عشر يوماً التي تلي عدم الاتفاق إلى محكمة تحكيم . ولغرض تشكيل محكمة التحكيم ، ولكل خلاف يراد حلّه يعيّن كلٌّ من الطرفين الساميين المتعاقدين أحدَ رعاياه محكِّماً ، ويختار المحكِّمان محكِّماً أعلى ، وفي حالة عدم تعيين الطرفين المتعاقدين الساميين محكِّمهما خلال فترة شهر ابتداءً من تاريخ تسلُّم أحد الطرفين من الطرف الآخر طلب التحكيم أو في حالة عدم توصل المحكِّمين إلى اتفاقٍ بصدد اختيار المحكِّم الأعلى قبل نفاذ نفس المدة ، فإنَّ للطرف السامي المتعاقد الذي كان قد طلب التحكيم الحقَّ في أن يطلب إلى رئيس محكمة العدل الدوليَّة أن يعين المحكِّمين أو المحكِّم الأعلى لإجراءات محكمة التحكيم الدائمة .

٦- لقرار محكمة التحكيم صفة الإلزام ، والتنفيذ بالنسبة للطرفين الساميين المتعاقدين .

٧- يتحمَّل كلٌّ من الطرفين الساميين المتعاقدين نفقات التحكيم مناصفةً<sup>(١)</sup> .

هذه البنود من الاتفاقية ، تصادر أيَّ ذريعةٍ يمكنها أن تؤدِّي إلى الجنوح للحلول العسكرية لفضِّ الخلافات الحدودية بين الطرفين المتعاقدين ، ولا يوجد فيها أية إشارة إلى استضعاف أحد الطرفين المتنازعين ، وتمزيق صدام لهذه الاتفاقية مع وجود هذه البنود يوضح مدى العدوانية والمؤامرة الدولية على إيران من خلال تجاهل المطالبة الإيرانية بالالتزام باتفاقية الجزائر ، ولكن بعد أن قام صدام نفسه بغزو الكويت أعلن بأنّه لم يدخل الحرب مع إيران بذلك العنوان الذي ادعاه يوم بدء الحرب ، وإنما هي في حقيقتها «نيابةً عن الغرب والدول العربية» . وهذا يعني أنّ الحرب ذات دوافع دينية بكل

(١) رأي الإسلام في السلام المفروض ، ص ٣٧ - ٣٨ .



المقاييس والأعراف ، خاصة وأن العقيدة البعثية نقيضة العقيدة الإسلامية ، وهي في واقعها استثنائية للآخر ، إلا إن المجاهرة بذلك يجعل من العسير جداً تجييش الشعب العراقي لأن يكن وقوداً لتلك الحرب ، ولذلك بُهّرت بالعاوين الأخرى ، كالتائفية والعرقية والقومية .

وهذا النوع من الحرب يفرض موقفاً مختلفاً على الطرف المعتدى عليه في مواجهة هذا العدوان ، ولذلك فستطرق لموقف الحقول الأربعة الخاصة بالحرب التي تخول للإمام الإصرار على مواصلة الحرب ، ومن ثمّ نتناول حقيقة النظام البعثي العقيدية ، ثم ما قيل عن السلبية التي فرضتها فقدان التجربة الناضجة في الوقوع في الحرب ، ثم بعد ذلك مناقشة موضوع «كربلاء : الطريق إلى القدس» ، ثم بعد ذلك العائد الإيجابي على الثورة من الحرب .

### موقف الحقول الأربعة :

- ١- الموقف الشرعي<sup>١</sup> .
- ٢- الموقف السياسي<sup>٢</sup> .
- ٣- الموقف العسكري<sup>٣</sup> .
- ٤- الموقف القانوني<sup>٤</sup> .

### الموقف الشرعي

قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup> .

نتناول الآية خمسة عناوين رئيسة ، وهي :

(١) الحجرات : الآية ٩ .

١- ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾ .

٢- ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ .

٣- ﴿ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى ﴾ .

٤- ﴿ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي ﴾ .

٥- ﴿ حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ .

وحتى نفهم الموقف الشرعي نحن بحاجة إلى فهم هذه العناوين من خلال الكشف عن مضامينها .

الأول : قال : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

هناك طوائف ، وهناك إيمانٌ يجمعهم ، ولكن هل الطوائف المقصودة بالطائفية المؤدلجة أم المُسيّسة ؟

القرآن لا يرى نسيئة في الحق ، أو الباطل ، وإنما يرى اختلافاً في الأجر من طاعة إلى أخرى ، واختلافاً في العقاب من معصية إلى أخرى ، واختلافاً في الوجوب والحرمة ، واختلافاً في الحدود من تركٍ إلى تركٍ آخر ، وفي الوقت ذاته لا يمكن أن يكون حقاً وفي الوقت ذاته لا يرضى الله بالأتیان به إلا إذا تعارض مع ما هو أوجب في التقديم عليه ، لأن الحق هو الحق ، وإن اختلف الأمر بالعمل به من تكليف إلى آخر كما هو الأمر ببرِّ الوالدين يختلف عن الأمر بطاعة المعصوم ، وكذلك الباطل هو الباطل ، وإن اختلف النهي عنه من نهْي إلى آخر ، كما هو النهي عن الغيبة يختلف عن النهي عن شرب الخمر ، ولذلك فهـ (الطائفتان) هنا ليس الطائفتين المؤدلجتين ، وبافتراض أن تكون طائفة مع الإمام والأخرى ضده ، فإن هذه الطائفة باغية بمقاييس القرآن ، ومن هنا فإن الآية تتحدث عن الخلافات ذات الأبعاد السياسية والاجتماعية والقبلية .

نعم .. في حال غياب الإمام ( المعصوم ) ، ولا أظن أن الآية لا تفترض مطلقاً غياب الإمام ، وقد قال تعالى : ﴿ أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾ .

تبقى مفردة (من المؤمنين) . كيف يتقاتل المؤمنون ، وقد علمنا أن المؤمنين لا يتقاتلون وهم بعصمة الإمام !؟ . نعم .. قد يكون ذلك في حال عدم وجود الإمام ، وفي إطار الفهم المتباين والمتطرف والمتجزئ والمجتزئ للإسلام .

هناك آيات في القرآن الكريم كالتي تقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ ﴾<sup>(١)</sup> .

والآية التي تقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، في حين أنه تعالى يقول في آياتٍ أُخَرَ غير هاتين الآيتين : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ \* الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ \* وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتُ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾<sup>(٣)</sup> .

ومفاد تلك الآيات أن الإيمان درجات ، فمثلاً قوله تعالى : ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾<sup>(٤)</sup> ، ثم بعد ذلك تحدث عن انقلاب ذلك الذي هو من شيعته ليفضحه ، فتقول الآية : ﴿ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُّبِينٌ \* فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا

(١) النساء : الآية ٤٣ .

(٢) الصف : الآية ٢ .

(٣) الأنفال : الآية ٢ - ٤ .

(٤) القصص : الآية ١٥ .

بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١﴾ .

تستوقفنا في الآية أربع جُمَل ، وهي :

١- ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ .

٢- ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ .

٣- ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ .

٤- ﴿وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ .

الأولى اتهام موسى ﷺ لذلك الرجل ، وما يليها اتهام الرجل لموسى ﷺ ، وهذا ما يؤكد صحّة اتهام موسى ﷺ له .

من ملاحظة موسى ﷺ لذلك الرجل الذي اعترك بالأمس أيضاً ، بيّن أن الرجل منفلتاً ولذلك اتهمه موسى ﷺ بالغواية ، والملاحظة الأخرى المهمة أنه قال : ﴿مُبِينٌ﴾ ، أي أن ذلك واضحٌ وجليٌّ في سلوكه وطبيعته .

ومع أن موسى ﷺ أراد أن يتصرّ لذلك الرجل الذي هو من شيعته ، إلا أن الرجل تصور أن موسى يهّم بضربه ، فلم يمهّل موسى ﷺ ، فعاجله بالصراخ والضجيج متهمكماً على موسى ، وقال بصوته المرتفع : ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ ، ثم صورّ موسى ﷺ بالجبار والمفسد ، والعياذ بالله .

ومن هنا يتضح أن الإسرائيلي لم يكن يملك اعتقاداً صحيحاً بموسى ﷺ ، مضافاً إلى نزعته العدوانية من خلال إثارته للمشاكل وحبّه للمشاكسة مع الآخرين ، كل ذلك لم يمنع القرآن من أن يصفه بالمتشيع لموسى ﷺ .

وأولئك الذين طالما خاطبهم القرآن بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ تحدّث عن

نواياهم مرة بقوله : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

وهناك في المؤمنين - أيضاً - ذوو الفهم الخاطئ للإسلام ، والذين لهم اعتبارهم الخاص في الإسلام كما ورد ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله : «ليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه» .

إذن ، فالمؤمنون في : ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ﴾ لا تقصد فحسب ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ \* الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ ، وإنما أيضاً الذين تحدت الآيه عنهم ، بقولها مخاطبة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله : ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكَوْكَ قَائِمًا﴾ والذين طلبوا الحق فأخطأوه ، كل ما في الأمر أن ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ والمؤمن الكيس الفطن ، أرفع درجة ، وأعظم شأناً عند الله ، والذين لا يعصون الله ما أمرهم لا تمسهم النار ، أما الذين ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا﴾ فأولئك ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ .

وبذلك نلاحظ أن مفردة ﴿المؤمنين﴾ تشمل من هم في أعلى مراتب الإيمان ومن هم في أدنى مراتبه ، ومن هم في أعلى مراتب الوعي وأشد الناس حمقاً .

وقد تبني هذا المنحى الفخر الرازي في تفسيره لآية ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ﴾ ، إذ يقول : «هذا دليل على أن المؤمن بالكبيرة لا يخرج عن كونه مؤمناً ؛ لأن الباغي جعله من إحدى الطائفتين ، وسماهما مؤمنين»<sup>(٢)</sup> .

ورغم أن الشيخ الطوسي قال : «لا يدل على أنهما إذا اقتتلا بقيا على

(١) آل عمران : الآية ١٤٤ .

(٢) التفسير الكبير : ج ٢٧ ، ص ١١٠ .

الإيمان ، ويطلق عليهما هذا الاسم ، بل لا يمتنع أن يفسق أحد الطائفتين ، أو يفسقا جميعاً<sup>(١)</sup> .

وقال بهذا - أيضاً - الشيخ الطبرسي في مجمع البيان في صفحة ٢٠٠ ، في الجزء التاسع .

ولكن العرض القرآني هنا يتناول الطائفتين في الإطار العام ؛ لأن المفهوم الخاص لمفردة « مؤمن » من حيث أنهما يؤمنان بدين واحد وبنبي واحد ، وهو النبي محمد ﷺ ، وبرسالة واحدة وخاتمة لكل الرسالات وهي الإسلام ، ولكن بغياً أحدهما على الآخر يلغي حرمة ، كما يلغي قتل العمدة حرمة القتال ، وإن كان مؤمناً .

وفي هذا المورد المقصود بالإيمان ، الإيمان - كما قلنا - في الإطار العام الذي يقابله الكفر .

ومع أن القرآن الكريم وسَّع من مساحة مفردة ﴿المؤمنين﴾ المتعلقة بالصلح لتشمل كل المراتب ، إلا أن القرآن لا يعمم السعي للمصالحة في كل الحالات التي يحمل أصحابها مفردة ﴿المؤمنين﴾ ، وإنما ذلك في حالات ما دون البغي ، فإذا وصل الأمر إلى درجة البغي فإن دور المؤمنين - الطرف الثالث - هنا وتكليفهم هو القضاء على البغي ومصدره ، وإرجاع الباغي إلى أمر الله .

يقول الفخر الرازي في تفسيره «﴿حَتَّىٰ نَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ : إشارة إلى أن القتال ليس جزاءً للباغي كحد الشرب الذي يقام وإن ترك الشرب ، بل القتال ، فإن فاءت الفئة الباغية حرم قتالهم»<sup>(٢)</sup> .

(١) التبيان للشيخ الطوسي : ج ٩ ، ص ٣٤٦ .

(٢) التفسير الكبير : ج ٢٧ ، ص ١١٠ .

ويقول القرطبي : « فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى ﴾ تعدت ، ولم تجب إلى حكم الله وكتابه ، والبغي : التطاول والفساد ، ﴿ حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ أي ترجع إلى كتابه ، ﴿ فَإِنْ فَاتَتْ ﴾ : رجعت ، ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ بالعدل : أي احملوهما على الإنصاف .

الثاني : قال العلماء : إن كان الثاني ، وهو أن تكون إحداهما باغية على الأخرى ، فالواجب أن تُقاتل فئة البغي إلى أن تكف وتتب .

الثالث : في هذه الآية دليلٌ على وجوب قتال الفئة الباغية المعلوم بغيتها على الإمام أو على أحدٍ من المسلمين<sup>(١)</sup> .

إلا إن تفسير الأمثل يقول : « ما أشارته الآية الآتفة موضوع آخر ، وهو النزاع بين الطائفتين المؤمتين ، وليس في هذا النزاع نهوض بوجه إمام المسلمين العادل ، ولا نهوض بوجه الحكومة الإسلامية الصالحة ، وقد أراد بعض الفقهاء أو المفسرين أن يستفيدوا من هذه الآية «في المسألة السابقة» ، إلا إن هذا الاستدلال - كما يقول الفاضل «المقداد» في «كنز العرفان» - خطأ بيِّن ؛ لأنَّ القيام والنهوض بوجه الإمام العادل موجبٌ للكفر في حين أن النزاع بين المؤمنين موجبٌ للفسق فحسب لا الكفر ، ولذلك فإنَّ القرآن المجيد عبَّر عن الطائفتين بالمؤمنين ، وسماهم أخوة ، فلا يصحُّ تعميم أحكام أهل البغي على أمثال هؤلاء<sup>(٢)</sup> .

وبعد ذلك العرض القرآني يأتي دور الصلح والتوفيق بين الطرفين .

الرابع : أما مسؤولية تعويض الخسائر : القرآن يقول : ﴿ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ حيث تتحمل «الفئة

(١) تفسير القرطبي : ج ١٦ ، ص ٢٠٨ .

(٢) تفسير الأمثل : ج ١٦ ، ص ٤٩٦ .

الباغية» مسؤوليّة الضمانات التي أشار إليها المفسّرون ، وفي ذلك يقول السيّد محمّد حسين الطباطبائي في تفسير الميزان : «وقوله ﴿فَإِنْ فَاتَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ بالعدل : أيْ فإن رجعت الطائفة المعتدية إلى أمر الله ، فأصلحوا بينهما ، لكن لا إصلاحاً بوضع السلاح وترك القتال ، بل إصلاحاً متلبساً بالعدل ، بإجراء أحكام الله فيما تعدت به المتعدية من دمٍ أو عرضٍ أو مالٍ ، أو أيّ حقٍ آخر ضيعته»<sup>(١)</sup> .

وكذلك الشيخ الطبرسي يقول : «﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ أي بينهما (بين الطائفة الباغية) وبين الطائفة التي هي على الإيمان (بالعدل) : أي بالقسط ، حتى يكونوا سواءً ، لا يكون من أحدهما على الآخر جوراً ولا شطط فيما يتعلق بالضمانات من الأروش»<sup>(٢)</sup> (٣) .

ويقول الرازي : «والإصلاح ههنا بإزالة آثار القتل بعد اندفاعه من ضمان المتلفات»<sup>(٤)</sup> .

وفي الأمثل : «في حالة ما لو سفّكت الطائفة الباغية والظالمة دماً من الجماعة المصلحة ، أو نهبت أموالاً منها ، فهي ضامنة بحكم الشرع ، ويجري «القصاص منها» في صورة وقوع قتل العمد ، وكذلك في مورد تسفك فيه دماء من الطائفة المظلومة ، أو تلتف أموالها ، تتحمّل الطائفة الباغية مسؤوليّة الدماء المسفوكة ، والأموال المهذورة»<sup>(٥)</sup> .

(١) تفسير الميزان : ج ٣ ، ص ٣١٩ .

(٢) الأروش جمع الأرش: هو التفاوت ما بين الصحيح والمعيب ، فيؤخذ النسبة بينهما ، ويُنقّص مقدارها من الثمن . معجم الفقه الجعفري ، ص ٤١ .

(٣) مجمع البيان : ج ٩ ، ص ٢٠٠ .

(٤) التفسير الكبير : ج ٢٧ ، ص ١١١ .

(٥) التفسير الأمثل : ج ١٦ ، ص ٤٩٦ .



وبالتحريض القرآني على قتال الفئة الباغية يوضح مسألة مهمة هنا ، وهي أن القتلى الذين قتلتهم الفئة الباغية شهداء ، وأن المقتولين من جانبها معتدون ، حتى وإن دخل البغاة تحت عنوان ﴿المؤمنين﴾ ؛ لأن الله أمر بقتال البغاة ، ومكافأة الاستجابة لهذا الأمر الإلهي أن ينال القتل مقام الشهيد ، وهذا ما أشار إليه الرسول الأعظم ﷺ حين قال لأمر المؤمنين عليه السلام : «أنا أقاتل على التنزيل ، وأنت تقاتل على التأويل» ، ويعني أنهما يناضلان من أجل قضية واحدة ، وبأمر جهة واحدة ، ولكن كلاً منهما يواجه طرفاً مختلفاً عن الآخر من الذين أمر الله بقتالهم ، وقول النبي الأعظم ﷺ لعمار بن ياسر : «تقتلك الفئة الباغية» يؤكد هذا المعنى .

وعلى الطرف الثالث الذي يقاتل الفئة الباغية أن يكون عزمه أساساً القضاء على البغي ، وتنفيذ أمر الله في موضوع المصالحة ، وهو إرغام الباغية على الرجوع عن البغي لقوله تعالى : ﴿حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ ، ومهما قلنا في تأويل ﴿أمر الله﴾ ، فإن أدنى درجاته هو إرغام الباغية على ترك بغيه والقضاء على البغي ؛ لأن البغي ومصدره إذا بقيا يعني بقاء وتضخم العدوان ، وهذا ما يشير إليه تفسير الأمل في قوله : «لا ينبغي أن يقنع المسلمون بأن تفيء الطائفة الباغية الظالمة إلى أمر الله ، وتدمير قوتها ، بل ينبغي أن يعقب ذلك الصلح ، وأن يكون مقدمة لقلع جذور عوامل النزاع ، وإلا فإنه بمرور الزمن القصير أو الطويل ما أن يحس الظالم من نفسه القدرة حتى ينهض ثانية ، ويشير النزاع»<sup>(١)</sup> .

وأما بشأن ﴿أمر الله﴾ فيحتمل الفخر الرازي وجوهاً :

«أحدها : إلى طاعة الرسول وأولي الأمر ، لقوله تعالى : ﴿أطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ﴾ .

(١) تفسير الأمل : ج ١٦ ، ص ٤٩٤ .

ثانيها : إلى أمر الله أي الصلح ، فإنه مأمورٌ به ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿فَأَصْلِحُوا﴾ .

ثالثها : إلى أمر الله بالتقوى ، فإن من خاف الله حق الخوف لا يبقى له عداوة ، إلا مع الشيطان<sup>(١)</sup> .

إلا أن قتال أهل البغي حتى يتقوا الله لا يتناسب مع ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ ؛ لأن الباغي إذا فاء إلى أمر الله بالتقوى لا يحتاج إلى الإصلاح ، بل بتقواه الله سيؤدي ما عليه من حقوقٍ وضماناتٍ بعنوان الخوف من الله ، ولا عداوة لها إلا مع الشيطان كما يقول هو .

وفي الميزان : «تنقاد لحكمه»<sup>(٢)</sup> أي تنقاد لحكم الله في مسألة الحقوق والضمانات ، كما مرَّ عرض رأيه في الإصلاح سلفاً .

وفي التبيان : «﴿حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي رجعت وتابت ، وأقلعت وأنابت إلى طاعة الله ... ولم تخرج عنه بالقول»<sup>(٣)</sup> .

وفي مجمع البيان «﴿حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ ، أي حتى ترجع إلى طاعة الله وتترك قتال الطائفة المؤمنة ، ﴿فَإِنْ فَاسَتْ﴾ : أي رجعت وتابت وأقلعت وأنابت إلى طاعة الله ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ بالعدل» .

وعلى كل حال ، لا يتعدَّى ما يقال أمرين :

الأول : مجرد القضاء على البغي ومصدره ، ثم الإصلاح بالعدل .

والثاني : وهو القضاء على البغي ومصدره ، وتطبيق شرع الله على الفئة الباغية .

(١) التفسير الكبير : ج ٢٧ ، ص ١١٠ .

(٢) الميزان : ج ١٣ ، ص ٣١٩ .

(٣) التبيان : ج ٩ ، ص ٣٤٦ .

وفي مثل ما تعرّضت له الجمهوريّة الإسلاميّة من عدوانٍ - بعد أن تمّ الصلح بينهما في ١٩٧٥م ، ووقع الطرفان اتفريقيّة تتعلق بكلّ أمور النزاع بينهما ومعالجة احتمالات أيّ تطوّر يمكن أن يؤدي إلى حربٍ شاملة ، وإلغاء صدام لها بعنوان أنّ العراق وقّع عليها يوم كان ضعيفاً - فإنّ الحقّ الذي تطالب به الجمهوريّة الإسلاميّة مشروعٌ ، ولا عذر لأيّ طرفٍ في عدوانه على الآخر بحجّة أنه وقّع اتفاقه مع الآخر يوم كان ضعيفاً .

ولذلك فإن شكل العدوان وحجم الخسائر الفادحة والضحايا الهائلة في المدنيين ، والعاهات المستديمة فيهم ، لا يكون لها حدٌّ شرعي إلا :

١- معاقبة المعتدي .

٢- تعويض الخسائر الناجمة عن الحرب .

٣- إعادة الغزاة إلى حدود ما اعترفت به الجهات الرسميّة عام ١٩٧٥م (الأمم المتحدة ومجلس الأمن) .

### الحقيقة البعثية

كان حديثنا يدور حول مفردة ﴿المؤمنين﴾ في أعلى مراتبها وأدناها ، أما المسألة البعثية فهي تختلف تماماً عن ذلك العرض ، وهذا ما سيؤكدّه العرض التالي .

إنّ أدنى المراتب هي الفرقة التي تبقى على إيمانها بالله ، وانحرافها الذي يخرجها من دائرة المفردة ليس بناءً على فهمها الخاطيء للإسلام ، أو بناءً على وقوعها في الاشتباه ، وإنما لتبنيها عقائد هي في ذاتها كفر بالله أو ببعض ما جاء به الإسلام ، وتحارب التديّن والمتديّنين ، وتتهمهم لاعتقادهم بالإسلام كشيعة دينٍ ودنيا بالرجعية والتخلف والظلامية وما شابه ذلك من مفردات

تنفّر المرء من الإسلام ، فماذا بقي في الإسلام أو منه إذاً في هذه الحالة ؟

والقرآن يقول ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾<sup>(١)</sup> ، وصدام التكريتي يقول : «إن عقيدتنا البعثية لا تطابق أيّ تفكير أو تحليل ديني»<sup>(٢)</sup> ، ثم يصبُّ صدام هذه العقيدة في الإسلام بالرغم من أنّ باعثها والمبشر بها مسيحي<sup>٣</sup> ، وتلميذٌ للصليبية والماسونية الحاقدتين على الإسلام والأديان السماوية مطلقاً .

ذلك هو ميشيل عفلق الأمين العام ، وإلى جانبه مساعده شبلي شميل العيسمي ، وناصيف عواد مسؤول المكتب الطلابي ، وطارق عزيز مسؤول مكتب الإعلام في الحزب ، وكلهم من المسيحيين .

كيف يفهم هؤلاء المسيحيون الصليبيون الإسلام ، ليقوموا بتصحيح النظرة إلى الإسلام ، ويجعلوا من قراءتهم تلك عقيدة جديدة « لا تطابق أيّ تفكير أو تحليل ديني »؟؟

وتجتهد العقيدة البعثية في تحديد المجال الذي يتحرك فيه الإسلام ، فتقول : « نحن نستوحي من قيم السماء دروسها المركزية وجوهرها الأساس ، ونترك للشعب فيما عدا ذلك حرية ممارسة الطقوس الدينية »<sup>(٣)</sup> .

والنصُّ لا يحتاج إلى اجتهاد ، فهناك استيحاء من قيم السماء دروسها المركزية وجوهرها الأساس ، أي الحرية والاستقلال عن الانتساب إلى أيّ دين مع تقبُّل المسألة الأخلاقية التي كانت سائدة في كثير من العرب يلتزمون بها ، وهناك من جانب آخر طقوس دينية ، وهذه خياراتها مفتوحة لمن يريد

(١) آل عمران : الآية ٨٥ .

(٢) السلام المفروض ، ص ١٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢١ .

أن يمارسها أو يتركها ، لتجد أول من يدعها هم البعثيون ليؤكدوا التزامهم بمبدأ الحرية في عقيدتهم ، وليتهم التزموا بما قالوا وتركوا الناس يمارسون الشعائر الدينية ، بدل أن تُجتثَّ الشعائر في أماكن الشعائر... في كربلاء والنجف الأشرف .

إذن .. فالعقيدة البعثية خليطاً من القيم الأخلاقية التي يؤمن بها الإسلام - كشعارات حزبية لا غير - والقوانين الوضعية التي نظر لها المسيحي ميشيل عفلق ورفاقه ، وبالتالي يرجع صدام إلى الجاهلية في حديثه : «وهكذا مرة أخرى يعود التاريخ لحاضر الأمة ، ومرة أخرى تعود الروح التي شرعت أعظم القوانين الإنسانية في وقتها... وقت جدكم حمورابي إلى العراق ... تعود اليوم روح نبوخذ نصر كذلك فينا في النضال والعمل»<sup>(١)</sup> .

وأكثر وضوحاً من ذلك هو أن هذه العقيدة مزيجٌ من أشلاء متناثرة لا يجمعها إلا القاموس الصدامي ، فيقول صدام : «فنحن إذن أمة ، ولكي لا تبدو هذه الأمة وكأنها خلقت بالإسلام بما يقوِّي منطق الرجعية الدينية المتخلفة ، وبما يعني أننا يجب أن نكون حزباً دينياً ، ونحن لسنا كذلك ، فيجب أن ندعم نظريتنا بالتاريخ القديم ، مؤكدين أن تاريخ الأمة العربية يمتد إلى عصور سحيقة في القدم ، وأن كل الحضارات الأساسية التي نشأت في الوطن العربي ، إنما هي تعبير عن شخصية أبناء الأمة الذين نبعوا من أصل المنيع الواحد»<sup>(٢)</sup> .

هذه هي العقيدة البعثية التي تعتبر الدين رجعية متخلفة ، وتجد تقدّميتها !! بديلاً لرجعية الإسلام !! ، وهذا يعني بذل غاية المجهود في تجفيف منابع المنطق

(١) المصدر السابق ، ص ٢٣ .

(٢) المصدر السابق ، ٢٣ .

الدينيِّ ومحاربتَه ، وهذا ما تجسَّد في حرب النِّظام البعثيِّ لإيران الإسلام ، والحركة الإسلاميَّة في العراق . ومن جانب آخر يوضح (النصُّ الأنف) أنَّ البعثية إنما هي عبارة عن خليطٍ من جاهليَّة العرب والإسلام وحمورابي ونبوخذ نصر والفراعنة ، في حين أنَّ المنبع الحقيقي لا الحضارة العربيَّة ولا الآشورية ولا غيرها ، وإنما هي العقيدة الشيوعية من خلال ميشيل عفلق ، وترك البعثيون للمتدينين - من المسلمين والمسيحيين أو أي دين سماوي - التعبد بالطقوس الفرديَّة ، وما يتعلق بالأحوال الشخصيَّة .

**والسؤال الأول :** لماذا لم يمانع البعثيون من ممارسة بعض الطقوس الدينيَّة ؟ .

والجواب : لأنها أولاً لم تأتِ بطقوسٍ عباديَّة ، بل هي في صميم فكرها ضدَّ الدين والطقوس الدينيَّة ، والمجتمع الذي تُروِّج فيه البعثية مؤمنٌ بالإسلام ، فلا ضير من ممارسة ذلك ما دام مشروعهم السياسة والحكم ، وفي نفس الوقت مداراة للناس ، واللعب بورقة سماحهم تلك لصالح قضايا أهم .

**ثانياً :** لأنها مسائل فرديَّة تخصُّ الأفراد وليس المجتمع ، كالصلاة (والصلاة فقط) وليس ما تحويه ، والزواج برعاية المأذون ونظير ذلك .

**والسؤال الثاني :** ولماذا لم تأتِ بطقوسٍ عباديَّة ؟

والجواب : لأنها لا تؤمن بمثل هذه الأمور ، فهي عقيدة مستنسخة من العقيدة الشيوعيَّة التي لا تؤمن لا بدينٍ ولا بطقوسٍ دينيَّة ، وكم حاربت المتدينين من أيِّ دينٍ كانوا ، وبالأخصَّ المسلمين .

ولأنها لو أتت بطقوسٍ دينيَّة مخالفة للدين لاعتبر ذلك ارتداداً صريحاً عن الإسلام ، وهذا ما لا يتحمَّله الشعب العراقي ولا المرجعيَّة الدينيَّة في العراق .

هذه هي العقيدة البعثية التي واجهت الإسلام بالفاشيَّة الوقحة ، كالهجوم

الشامل على الأراضي الإيرانية والحرب الشرسة على الإسلام والحوزة في العراق ، كإعدام الشهيد المظلوم آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر <sup>تث</sup> ، وتشريد الآلاف من طلاب الحوزة العلمية في النجف الأشرف ، أو زجهم في المعتقلات الرهيبة ، ومحاربة الشعائر الدينية بكل الصور المعهودة للنازيين .

ولهؤلاء يقول الله تعالى : ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا لِلَّهِ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ \* أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾<sup>(١)</sup>

أما أولئك المقصرون ، فيقول الله عنهم : ﴿وَأَخْرَجُوا عِزَّةَ رَبِّهِمْ وَخَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> .

والمسألة واضحة ، فلا مقارنة بين الاثنين ، بين من خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، وقد اعترفوا بذنوبهم ، وبين من يؤمنون ببعض القرآن ويكفرون ببعضه الآخر .

وطبيعة العقيدة البعثية ليست من الاثنين تماماً ، وإنما هي هجينٌ من عقائد شتى ، بعضٌ من الإسلام ، وبعضٌ من الجاهلية ، وبعضٌ من الحمورانية ، والبناء الأساس هو العقيدة الشيعية واختلاقات عفلق ، ليقول صدام فيما بعد : « إن عقيدتنا لا تطابق أي تفكير أو تحليل ديني »<sup>(٣)</sup> .

ولذلك أصدر الفقهاء فتاوى بكفر هذه العقيدة ، وهكذا كان «السيد محسن

(١) البقرة : الآية ٨٥ - ٨٦ .

(٢) التوبة : الآية ١٠٢ .

(٣) السلام المفروض ، ص ١٧ .

الحكيم عليه السلام عندما تصدى للمد الأحمر ، وأصدر فتواه الشهيرة (الشيوعية كفر والحاد) التي خسرت الشيوعية بسببها كثيراً من مواقعها في العراق ، وقف إلى جانبه معظم المراجع والفقهاء ، وأصدروا فتاوى التأييد للسيد الحكيم ، وتكفير الشيوعية<sup>(١)</sup> .

وعلى ضوء ذلك فالموقف الشرعي في المسألة مختلف تماماً ؛ فالبعثية مظهر من مظاهر الكفر والفتنة ، وتحريم العلماء الانتماء إلى الحزب البعثي إنما لايدلوجيته الإلحادية .

وهنا يتبادر للمرء سؤال مفاده : كون العقيدة البعثية كذلك ، فهل لإيران الإسلامية ما يعنيها لكي تجعلها مبرراً للحرب ضد البعثيين ؟

طبعاً الجواب : كلا ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾<sup>(٢)</sup> .

بالرغم من أن ليس كل متسبب للبعث هو مرتد عن الإسلام ، فهناك من التزم بها من أجل لقمة عيشه ، بل حتى الاستفادة منها في بعض القضايا الاجتماعية والسياسية التي فهم أصحابها أن الإسلام لم يحسم فيها برأي ، فهنا يصعب اتهام ذلك المرء بالارتداد عن الإسلام ، أما من تبناها عقيدة بديلة عن الإسلام أو مكتملة له فإن موقف الإسلام منه مختلف .

إلا إن النظام البعثي الصدامي ابتدأ بالحرب ضد إيران في الدين وأخرج أهل الحدود من ديارهم ، بل حتى من كانوا في العمق ، وفي ذلك يقول الله

(١) الإمام الشهيد الصدر ، ص ٢٨٥ .

(٢) الممتحنة : الآية ٨ .



سبحانه وتعالى : ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْنَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ \* وَأَقْلُواهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُواكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

وفيما لو عاهدوا يقول تعالى : ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهكذا كان الاتفاق مع النظام البعثي - كما مر - في عام ١٩٧٥م ، ولما تبين للبعثيين الصداميين أنهم قادرون على الحسم لصالحهم شنوا الحرب في الثاني والعشرين من أيلول ١٩٨٠م ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا نِمْةَ يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾<sup>(٣)</sup> ، ثم يقول تعالى : ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا نِمْةَ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وهاهي وثيقتهم تؤكد مشروع عدوانهم ، والتي تقول في بعض ما جاء فيها : «..إِنَّ الظَّاهِرَةَ الدِّينِيَّةَ - السِّيَاسِيَّةَ - لَنْ تَنْتَهِيَ ، وَسَتَبْقَى تَحْتَفِظُ بِنِسْبَةِ مَعِينَةٍ مِنَ الْقُوَّةِ ، مَعَ اسْتِمْرَارِ النُّظَامِ الْإِيرَانِيِّ الْحَالِيِّ - الْجُمْهُورِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ - ، وَمَعَ فَشْلِ التَّجْرِبَةِ الدِّينِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ فِي إِيرَانِ ، وَافْتِضَاحِ حَقَائِقِ النُّظَامِ وَتَفَكُّكِهِ قَدْ سَاعَدَ فِي إِضْعَافِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ ، إِلَّا إِنَّهَا لَنْ تَصَابُ بِنَكْسَةٍ قَاضِيَةٍ إِلَّا مَعَ سَقُوطِ هَذِهِ التَّجْرِبَةِ الَّتِي سَتَقْصِمُ ظَهَرَ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ الدِّينِيَّةِ - السِّيَاسِيَّةِ - لَيْسَ فِي الْعِرَاقِ وَحْدَهُ ، وَإِنَّمَا فِي كُلِّ بِلْدَانِ الْمَنْطِقَةِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) البقرة : الآية ١٩٠ - ١٩١.

(٢) التوبة : الآية ٧ .

(٣) التوبة : الآية ٨ .

(٤) التوبة : الآية ١٥ .

(٥) الإمام الشهيد الصدر ، ص ٢٩٩ .

فإذن .. لطبيعة النظام البعثي الصدامي وعقيدته في مسألة ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ وضعية خاصة ، لخروجها عن نطاق ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ ودخولها في دائرة محذور ﴿أَفْتَوْمِنُونَ بِنِعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ ، بل وتتجاوز بطبيعتها العدوانية ضد الدين وشعائره في دائرة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> .

ومن هنا يأتي الحكم من الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٢)</sup> .

### الموقف السياسي

أي دولة يحتاج قادتها ومنظروها إلى قراءة واقعية للموقف والواقع السياسي ، حتى ينسجم أي قانون أو قرار يلتزمون به أو يقرؤنه مع الواقع المحلي فيما إذا كان محلياً ، والإقليمي فيما إذا كان إقليمياً ، والدولي فيما إذا كان دولياً . وكل ذلك يجب أن يكون في خدمة الوطن والسيادة الوطنية ، والمبادئ القانونية لنظام البلد ، ودون ذلك ستكون القراءة قاصرة ومعممة ، ستخلق بدورها تناقضاً بين الدستور والسيادة الوطنية من جهة وبين مظاهر المحاباة السياسية الدولية التي تنظرها دول الاستقطاب الدولي ، أو قل الدول المنظرة للنظام العالمي الجديد من جهة أخرى ، لسيادة القاعدة القائمة على وجود دولة واحدة هي التي لها الحق في التنظير والرعاية لذلك النظام .

ومن هنا نقول : ما هو الموقف السياسي الصحيح لمواجهة العدوان العراقي ؟

(١) آل عمران : الآية ٢١ .

(٢) التوبة : الآية ١٢٣ .

انتصرت الثورة الإسلاميّة في شباط عام ١٩٧٩م ، وقامت الحرب في أيلول عام ١٩٨٠م ، أي بعد عام وثمانية أشهر تقريباً من انتصار الثورة الإسلاميّة .

وقد سبق ذلك الانشغال بإثارة القلاقل وتهريب السلاح للعلماء المنشقين والانفصاليين الإيرانيين في المحافظات الحدودية المحاذية للحدود العراقيّة في الشمال والجنوب ، مضافاً إلى دعم المنافقين في اغتيال المسؤولين والقادة الكبار للنظام الإسلامي هناك .

الثورة الإسلاميّة أظهرت هويتها ، ونهجها السياسي والإيديولوجي ، وهو مشروع استقلالي يصطدم بمشروع الهيمنة الاستعماري للدول الكبرى والعدوانية الصداميّة .

وهذا يعني أنّ الحرب لم تحدث أساساً بسبب تعثر الحلول السلمية للخلاف بين الطرفين حول السيادة على بعض الأراضي الحدودية - كما اعترف بذلك صدام نفسه بعد غزوه للكويت - وإنما لإسقاط ذلك المشروع الاستقلالي الذي قدّم الإسلام منهجاً حركياً لقيادة الأمة ، مما جعل الإسلاميين يتوقون إلى تكرار التجربة في بلدانهم من خلال الاستفادة من تلك التجربة التي سبقتهم ، بعد أن كانوا كالشعب الإيراني في حكومة الشاه المقبور . وهذا يعني أنّ كل قانون أو سياسة واقعية ملغاة إلى حين تحقيق هدف الحرب .

بعد هذا ، ما المفترض على إيران أن تتخذه لمعالجة الحالة ؟

على المستوى السياسي يجب أن تتحرك إقليمياً ودولياً لمواجهة العدوان وصدّه ، وهذا ما حدث من خلال تحرك وزارة الخارجية الإسلاميّة ورئاسة الجمهوريّة ، والقطاعات السياسية من أجل أن يتحرك مجلس الأمن والأمم المتحدة في مواجهة العدوان .

إلا إن الأمم المتحدة ومجلس الأمن لم يبديا حماساً لذلك ، وكلُّ الذي قَدِرَتْ عليه الأمم المتحدة ومجلس الأمن هو إصدار قراراتٍ لا تلتزم العراق بشيء ، ولو مجرد إلزامه بالعودة إلى الحدود الدوليَّة المعترف بها ، لم يكن هناك من قرارٍ من هذا النوع ، والأسوأ من ذلك دون أن تُشير إلى القوات العراقيَّة بالاسم كونها هي التي داخل الأراضي الإيرانيَّة .

طبعاً لم يكن صدأً وحيداً في اعتدائه ؛ فالقرار الدولي يصدر من مجلس الأمن ، وشحنات الأسلحة الضخمة وذات الدمار الشامل تتدفَّق عليه من دول مجلس الأمن أو حلفائها ، مضافاً إلى خلوِّ القرار من أية ضمانات للطرف المعتدى عليه ، حتى لا يتكرر العدوان بعد إنهائه مرة أخرى ، ولا على أية قواعد قانونية سيتم التفاوض على ضوئها ، ولا ملاحظة طبيعة العدوان .

كل ذلك يُعطي القيادة الإسلامية المبرِّر الكافي للتصدِّي للعدوان ، واسترداد الحقوق المشروعة ، وفرض السلام العادل ، ومعاقبة المعتدي .

وهذا ما دعا الإمام الخميني تَقَدُّمًا إلى إعلان قرار مواصلة الحرب حتى الحصول على الحقوق المشروعة (قانونياً وإسلامياً) ، بعدما عجزت الدبلوماسية من صنع أي شيء في سبيل استرداد الحقوق ، ومواجهة العدوان.

وأوضح الإمام الخميني (رض) أنه بالرغم من أن مسألة إسقاط النظام الصدامي سيضمن لإيران حقوقها المشروعة التي اغتصبها أو صادرها العدوان الصدامي ، وستكون إيران في نفس الوقت قوة فاعلة ومصيرية في خدمة المشروع الإسلامي سواء في العراق أو الأقطار الإسلامية ، إلا إنَّ التغيير هو مسؤولية الشعب العراقي والشعوب الإسلامية الأخرى ، كلُّ في بلده ، وليس التغيير من مسؤولية إيران لقوله تَقَدُّمًا مخاطباً الشعوب الإسلامية - ومنهم الشعب العراقي - : «لا تنتظروا أن يعينكم أحدٌ من الخارج على الوصول إلى

الهدف وهو الإسلام وتطبيق أحكامه»<sup>(١)</sup> ، مع ملاحظة تاريخ إعداد الوصية في عام ١٤٠٣هـ ، أي قبل وقف الحرب بخمس سنوات .

وهذا ما شعر به كل الذين يعينهم إسقاط النظام الإسلامي في إيران ، فقاموا بتزويد صدام بما يلزم ، حتى السماح له بالقيام بالمخالفات القانونية ، واستخدام الأسلحة المحرمة دولياً ، وقصف المدنيين وما شابه ذلك .

كان النظام العراقي وحلفاؤه يعتقدون أن الماكينة العسكرية العراقية بتفوقها وخبرتها قادرة على القضاء على النظام الإسلامي الجديد في إيران في مدة قصيرة لا تتجاوز الشهر ، ولكن فداية الشعب الإيراني ، وتضحياته الجسام قلبت ميزان القوى ، فاندحر الجيش العراقي الصدامي داخل الأراضي العراقية ، ليستقبل مسلسل الهزائم - الواحدة تلو الأخرى - على أراضيه .

في عام ١٩٨٢م أرغم الجيش الصدامي على الانسحاب من أغلب الأراضي الإيرانية ، عدا جيوب متفرقة هنا أو هناك ، بقي النظام البعثي الصدامي يساوم بها في مفاوضات السلام فيما لو قبلت إيران بالعرض الدولي والصدامي للسلام ، والذي يؤمن لصدام أرضية تكرار العدوان مرة أخرى .

طالت مدة الحرب ، ويش الكفار من المؤمنين ، ومن إمكانية العميل صدام من تحقيق الهدف من الحرب ، فقاموا بالتدخل المباشر والسافر في الحرب من خلال رفع العلم الأمريكي على سفن بعض الدول الحليفة لصدام آنذاك ، بعد أن قررت إيران تفتيش السفن الأجنبية التي تمر بمضيق هرمز ، ومصادرة السلاح المتوجه للعراق لتدعيم جبهته ضدها ، وهذا قانونياً من حقها مادامت الدول المجاورة وحلفاؤها لا تقف موقف الحياد من الحرب ، مضافاً إلى التحرشات

(١) الوصية السياسية الإلهية ، الفقرة (باء) .

الأمريكية بين الحين والآخر بالبحرية الإيرانية من أجل حشرها في حرب أخرى وتفتيت جهودها في دعم المجهود الحربي على جبهة العراق .

وقد طالبت إيران الأمم المتحدة ومجلس الأمن بصيغة تُخرج من بين بنودها ادعاءات صدام في الأراضي الإيرانية ، وينحصر الحديث في موضوع العدوان والخسائر ومعاقبة المعتدي ، وهذا وحده ما يضمن لها حقها ، وذلك بإبقاء اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥م على حالها ، ودون ذلك سيُسمح للنظام البعثي الصدامي والذي لازال إلى حين إعلان وقف إطلاق النار عام ١٩٨٨م يدعي ملكيته لشط العرب ، ومحافظة خوزستان ، وتعميم ذلك في مدارسه وخرائطه الرسمية . وإيران قد تعرضت قبل عهد الثورة لعدة حروب كانت في كل منها تُقتطع أجزاء منها ويفرض عليها واقعٌ جديد بعد ذلك .

ولذلك كان إلحاح إيران على الضمانة الدولية واتفاقية الجزائر لاختبار جدية الدول المطالبة بوقف الحرب ، وفي نفس الوقت يضمن لإيران مطالباتها المشروعة في إطار وقف الحرب .

وفي عام ١٩٨٧م عندما توجه رئيس الجمهورية آنذاك آية الله السيد الخامنئي ليخاطب الأمم المتحدة ومجلس الأمن بمطالب إيران وظلامتها ، ومطالبتهما بأن يتخذا موقفاً جدياً وحاسماً إذا كانت لهما الرغبة الحقيقية في إيقاف نزيف الدماء ، وإصدار قرارٍ موضوعيٍ يراعي حقوق الطرف المعتدى عليه ، فكانت المطالب الإيرانية هكذا :

١- على أيّ قانون يصدر لابد أن يأخذ بالاعتبار اتفاقية الجزائر .

٢- تحديد هوية المعتدي .

٣- معاقبة المعتدي قانونياً كمجرم حرب .

٤- تحميله مسؤولية تعويض الخسائر الناجمة عن الحرب .

لأنّ إيران لا يمكن أن تقبل بوقف إطلاق النار دون وجود أيّ قاعدة أو التزامات يُلزم بها الطرف المعتدي مهما تحمّلت من خسائر ومشاق ؛ لأنّ ذلك أهون من أن تكون دولة تُنتهب وتقتطع أراضيها بحجّة أنّ الواقع ضد استرداد حقّها ، ففتتح حدودها لتغذي أطماع الآخرين .

ولكن في عام ١٩٨٧ م صدر قرار (٥٩٨) ، ويتضمّن :

١- وقف إطلاق النار .

٢- عودة قوات الطرفين إلى الحدود المعترف بها دولياً .

٣- إجراء المفاوضات لحل الخلافات بين الطرفين سلمياً .

٤- تبادل أسرى الحرب بين الطرفين .

٥- تشكيل لجنة لتحديد هويّة المعتدي .

وظلت إيران بعد إصدار القرار تبحث عن ضمانات لتطبيق القرار ، مضافاً إلى ضغطها على الجبهة العسكرية لإعطاء مزيدٍ من الضمانات الجدّية في تطبيق القرار ؛ لأنّ القبول به مغامرة قد تكون مقدمة لتنازلاتٍ جديدةٍ تخشى إيران أن تفرضها عليها المفاوضات .

في ١٤٠٨/١٢/٥هـ الموافق ١٩٨٨/٧/٢٩م وافقت إيران على القبول بقرار مجلس الأمن المتعلق بوقف النار رقم (٥٩٨) بعد ضماناتٍ إقليميةٍ ودوليةٍ بتطبيقه ، وذلك بتصور أنها إذا كسبت الشرعية الدولية والضمانات بواسطة الضغط العسكري ، فإنها تستطيع أن تحصل على حقوقها تحت المظلة والشرعية الدوليتين .

وأوقفت الحرب العسكرية ، وبدأت حرب السلام كما وصفها الإمام... حرب المفاوضات... حرب سلام!! دامت سنتين دون أن تتضح أيُّ بارقة يمكن أن يتم من خلالها التوصلُ إلى حلٍّ موضوع واحدٍ من الموضوعات الكثيرة التي امتلأت بها حقيقة مفاوضات البلدين... حرب سلامٍ كانت ستستمرُّ عشرات السنين دون نتيجةٍ لولا مشيئة الله تعالى في أن تحصل إيران على حقوقها بعد غزو صدام لحليفته السابقة (الكويت) وتحالف العالم ضده ، فاضطر - ونظراً لحاجته لتمتين جبهته بدعمٍ إقليميٍ - أن يغازل إيران من خلال إعلانهِ القبول المطلق باتفاقيات الجزائر ، واعترافه بالابتداء بالحرب ، واستعداده الكامل للقبول بالشروط الإيرانية والتوقيع عليها .

كما أن الغزو العراقي للكويت كان السبب الرئيس في اعتراف دول العالم باعتداء صدام على إيران ، ودعم تلك الدول له ، وخطئها في دعمها له ، وقد تمَّ إصدار قرار دوليٍّ يحدِّد هوية المعتدي ، ويلزمه بتعويض الخسائر الناجمة عن الحرب بمقدارٍ رمزيٍّ يبلغ ٩٤ مليار دولار .

وبالتالي فإن إيران باتخاذها قرار مواصلة الحرب تكون قد اتخذت قراراً سليماً لمعرفة عدم مصداقية المنظمات الدوليَّة والإقليمية لاسترداد الحقوق ، ما دامت الأمم المتحدة ومجلس الأمن يخضعان لمصالح الدول الكبرى (أصحاب الفيتو) ، وكان قبولها بقرار ٥٩٨ ، إنما حصل بعد تلك الاعتبارات التي ستعرض لها لاحقاً ووضع المصداقية الدوليَّة أمام الاختبار الحقيقي لها .

وقد أثبتت إيران مصداقيتها عندما أعلنت قبولها بوقف إطلاق النار ؛ إذ قام صدام بإعادة الكرة في عدوانه بعد نشوته ببعض المكاسب العسكرية التي حصل عليها بفضل التدخل المباشر لأمريكا في الحرب ، واستخدامهما للأسلحة الكيماوية ضد الجيش الإيراني ، وفتح جبهةٍ للمنافقين ، وقول صدام علناً للمراسلين : «بعد



أسبوعين ستجدوني في طهران .

فإذن ، يجب أن يؤمّن الموقف السياسي للوطن السيادة الوطنيّة والاستقلال السياسي والوطني .

وذلك الموقف هو المنطقية التي تفرضها الهوية الأصيلة للنظام ، والواقعية السياسية الإقليمية والعالمية .

### الموقف العسكري

تعتمد الكيانات السياسية في بقائها على ذراعها العسكري ، خاصة إذا كانت تلك الكيانات تتمتع بثروات طبيعية هائلة ، وموقع استراتيجي في غاية الأهمية ، وبقرار وطني مستقل ، فإذا لم تلتفت إلى ذلك الواقع فإنها لن تأمن على كياناتها من الإغارات المتتالية من هنا وهناك ، خاصة من جانب الكيانات التي تعيش روحاً عدوانية ، وطمعاً شراً فيما عند الغير ، فكيف إذا كان إلى جانب ذلك فكراً تعبويّاً تنشده كل الشعوب المظلومة والمستضعفة والتواقة للحرية في تأمين حياة كريمة وحرّة ، يغريها بتكرار تجربة ذلك النجاح من خلال تبني فكرة القدوة والاستلهام منه ؟

وهكذا كان لإيران ، وعند هجوم كهجوم صدام عليها فإنها تحتاج إلى قاعدة وذراع عسكرية رادعة تناضل من أجلها ، حتى تتمكن من حفظ وصيانة كياناتها وثغورها ، وموقف جدّي لعدم الابتداء أو تكرار العدوان عليها .

فعدوان صدام عدوانٌ يستهدف القضاء على كياناتها واستقلاليتها ، مستغلاً في ذلك الدعم الدولي له والأوضاع المضطربة في إيران آنذاك ، فلا بدّ من موقف يُحرك الشارع الإيراني ، ويرد العدوان العراقي ، ويقضي عليه .

فأصبحت القاعدة من ثلاثة أقسام :

١- النصر النهائي أو الشهادة .

٢- معاقبة المعتدي .

٣- أن ذلك الدفاع هو واجبٌ وطنيٌ ودينيٌ وإنسانيٌ .

وبهذا العنوان تلقى الجيش العراقي الصدامي أقسى الهزائم ، أما لو كان الهدف إعادة الصداميين إلى الحدود ، فإن الجيش الصدامي وباسم التكتيك العسكري (ولطالما كانت هذه حجته في الانسحابات) يرجع إلى الحدود ، وفي كل حينٍ وعلى حين غرة يعاود الكرة في عدوانه ، ليشغل إيران بحروب استنفار حدوديةٍ مزمنةٍ ، يُنهكها اقتصادياً إلى أن يحقق أمله وأمل حلفائه الإقليميين والدوليين (السابقين) بإسقاط الثورة والدولة الإسلامية .

أما بذلك العنوان ، وبذلك الاستراتيجية العسكرية ، فإنه لن يقوى على حربٍ مع دولةٍ بحجم إيران ، وبحجم ذراعها العسكرية ، وهذا ما حدث فعلاً من جهته ومن أي جهةٍ تريد أن تحلُّ خلافاتها مع إيران عسكرياً ، فالمشاكل التي تثار ضدَّ إيران كانت واحدةٍ منها كافية لأن تتدخل فيها أمريكا أو إسرائيل لضرب إيران لولا الخوف من ذراعها العسكرية ، والتمن الباهض الذي سيدفعه أولئك المعتدون عند عدوانهم عليها .

إذن فملاحظة توازن القوى نظرية عسكرية ذات مردودٍ إيجابيٍّ بالنسبة لإيران إذا أخذته بعين الاعتبار ، وهذه قاعدةٌ عسكرية حديثة وقديمة ، لا يمكن لأحدٍ اعتبارها منطقاً قديماً أو رجعياً ، مادامت القوى الكبرى والعدوانية إلى الآن تعوّل عليها ، ولم تغير من نظرتها للدول الصغيرة أو الضعيفة .

أما بالنسبة للموقف العسكري حين إعلان وقف إطلاق النار ، فهو يتلخص

فيما يلي :

١- تدخل أمريكا مباشرةً في الحرب من خلال الآتي :

أ - إسقاط الطائرة المدنية الإيرانية (أيرباص) واستشهاد جميع ركبها البالغ عددهم ٢٩٨ راكباً .

ب - ضرب المنصات النفطية الإيرانية ، والقيام باعتراض السفن الإيرانية ، واختطاف بعضها بحججٍ واهيةٍ .

ج - التحرش المستمر بالقوات البحرية الإيرانية من أجل التدخل المباشر في الحرب ، وتغيير الموقف العسكري لصالح العراق .

د - الدخول المباشر في الحرب مع العراق في الأيام الأخيرة من عمر الحرب ، واستخدام السلاح الكيماوي من قبل الطرف الداعم والمدعوم لإجلاء الجيش الإيراني عن الفاو والبصرة .

٢- استخدام السلاح الكيماوي ضدَّ المدنيين ، واستخدام أسلوب الإبادة الجماعية ضدَّ المدنيين ، ووضع ذلك من خلال مذبحه حلبجة الرهيبة ، وضرب المدن الإيرانية بالمثلثات من الصواريخ بعيدة المدى ، مضافاً إلى استخدام السلاح الكيماوي المحرّم في تلك الغارات .

٣- إمتار صدام كل منطقةٍ تُطرد قواته منها بوابلٍ كثيفٍ من الصواريخ المدمّرة والسلاح الكيماوي لتدميرها .

٤- ورغم كل الجرائم التي تزداد وحشيةً ودمويةً فإنَّ المحافل الدوليّة تزداد صمتاً وخبثاً .

أما الموقف العسكري الذي شجّع إيران على اعتمادها على نفسها في الحصول على حقوقها القانونية المشروعة فكان كالآتي :

- ١- سرعة الإيرانيين في حسم أي معركة لصالحهم عسكرياً .
  - ٢- سهولة تجاوز السواتر العراقية مع عالمية تصميمها .
  - ٣- كون صدام اعتدى على شعبين (الإيراني والعراقي) ، وارتكب أشنع الجرائم وأقذرها بحق الإنسان والحيوان والبيئة .
  - ٤- اقتراب إيران من الحسم العسكري في أكثر من مرة ، لولا بعض الاعتبارات الإنسانية التي تفرض عليها الأخذ بها ، وإلا لاستطاعت القوات الإيرانية إسقاط النظام البعثي ، ولكن برغم أن الحملة التي اقتربت من الحسم لم تنه المعركة ، ولكنها نجحت في إضعاف النظام البعثي وتقريب المسافة إلى نقطة الحسم ، إلى درجة أنه يحتاج هو وحلفاؤه إلى إعداد يصعب أن يتحمل بعد مدة وجيزة معركة بحجم الأولى ، فكانت المعارك الكبرى تلك بمثابة استنزاف للقوات العراقية ، عسكرياً ومعنوياً ، بالرغم من أن تلك المعركة أيضاً لم تنجو إيران من استنزافاتها ، إلا إنها لم تكن تعتمد على الآلة العسكرية البحتة بقدر اعتمادها على المعنويات التي يتمتع بها الجيش والحرس والمتطوعون الإيرانيون وفي المقابل تدهور معنويات الجيش العراقي الصدامي .
- ومعركة كربلاء الخامسة عام ١٩٨٧م أكبر شاهد على ذلك ، إذ اقتربت القوات الإسلامية الإيرانية من الحسم ، حتى قيل دولياً إنه إذا سقطت البصرة سقط صدام ، ولم يكن يفصل بين القوات الإيرانية والبصرة إلا (١١ كم) . أي أن الوصول إلى نقطة الصفر إلى (قاب قوسين أو أدنى) ، ولكن ذلك تعذر عندما علمت المصادر العسكرية الإيرانية أن صداماً أعدّ مئات الصواريخ على مشارف البصرة للقضاء عليها وعلى فاتحها وعلى ساكنيها ، ولاشك أن البصرة بما تحويه ستكون كارثة إنسانية وبيئية لو تمّ دخولها ، وشاهد ذلك مدينة حلبجة ، بالرغم من أنها ليست كالبصرة من حيث الموقع الاستراتيجي والمعنوي .

### الموقف القانوني

لن أطيل الحديث حول هذا العنوان ، وسوف أكتفي بعرضه فقط .  
 في مادة اعتداء من القاموس السياسي تقول مقررات الأمم المتحدة  
 القانونية : «منع كل حرب يكون الغرض منها الاعتداء على استقلال الدول ، أو  
 على ميثاق هيئة الأمم المتحدة على إقليمها .. وأن كل استعمال للقوة لتسوية  
 المنازعات الدوليّة - ولو لم يأخذ شكل المحرّم من الناحية القانونية - محرّم ،  
 ومخالف للقانون» ، و «أن الحرب ممكنة في حالة الحرب الدفاعية» ، وأباح  
 ميثاق الأمم المتحدة «استعمال القوة للدفاع إذا كانت الدولة ضحية اعتداء ، حتى  
 يتخذ مجلس الأمن التدابير اللازمة لحفظ السلم والأمن الدولي»<sup>(١)</sup> .

«والمقصود بالاعتداء هو حدوث هجوم مسلح بالفعل على إقليم دولة ،  
 ولا تعتبر التدابير السياسية أو الاقتصادية مهما بلغت شدتها ، من قبيل  
 الاعتداء الذي يبيح الحرب الدفاعية»<sup>(٢)</sup> .

وأخيراً وإذا لم يتخذ مجلس الأمن التدابير اللازمة لحفظ السلم والأمن  
 الدولي ، فما هو موقف الدولة المعتدى عليها ؟

أليس هو اتخاذها قرار استرداد حقوقها بنفسها ؟

ماذا لو أوقفت الحرب مبكراً ؟

ما يثار بين المثقفين وغيرهم بين الحين والآخر ، هو التساؤل التالي : مادامت  
 إيران تعلم أن الاستكبار العالمي لن يسمح لإيران بالانتصار ، وسوف يقوم بكل  
 الإجراءات الكفيلة بتأمين هذا الوضع ، فلماذا تُصرّ إيران على مواصلة الحرب ؟

(١) القاموس السياسي ، ص ١٠٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

وللجواب على ذلك يلزم التذكير بأنَّ الإمام الخميني تَمَثَّلَ اجتمع بالقادة العسكريين في إيران عام ١٤٠٣هـ وتحدَّثَ معهم حول إمكانية إيقاف الحرب ، وعن النتائج المترتبة على ذلك .

فاستعرض العسكريون سلبيات القبول بوقف إطلاق النار ، وهي تتضمن الآتي :

١- لا توجد قاعدة يتم التفاوض عليها مع النظام العراقي بعد إلغائه اتفاقية الجزائر من طرف واحد (من طرف العراق) .

٢- لا تزال الماكنة العسكرية العراقية في عنفوانها ، وإن لم تكن كذلك فجرعات تضميدها مستمرة ، وهذا يعني معاودة صدام الكرَّة في الهجوم بعد تعافيه من آثار الحرب .

٣- لا توجد ضمانات دولية لحلِّ الخلافات بين الطرفين بصورة عادلة عن طريق المفاوضات .

٤- أثبت صدام وحلفاؤه والمنظَّمات الدوليَّة عدم مصداقيتهم عند أيِّ تعهُّد يعطونه من خلال مواصلة صدام قصف المدنيين ، وصمت المحافل الدوليَّة إزاء كل تلك الجرائم الفظيعة ضد الأبرياء والبيئة .

٥- بعد استفاد الدبلوماسية إمكانياتها في فضِّ النزاع على أسس السلام العادل والشامل ، لم تستنفذ الذراع العسكرية إمكانياتها في حسم الموقف لصالحها بعد .

٦- إن القبول بالتفاوض على أساس غير اتفاقية الجزائر سيفتح ملفات جديدة حول الحديث عن ادعاءات صدام في الأراضي الإيرانية .

٧- إنَّ الخسائر الفادحة التي تعرضت لها إيران لن تستطيع المفاوضات ضمان تعويضها .

فإذن .. كلُّ السبل التي طُرقت لوقف الحرب لم تكن تضمن استرداد أي حقٍ لإيران ، وبالتالي فوقها سوف يضيِّع كل مطالب إيران ، بل وحتى الحدَّ الأدنى منها ، وهو الاعتراف بحدودها الدوليَّة قبل العدوان ، والاعتراف باتفاقية الجزائر كأساسٍ لأيِّ تفاوض .

وما الحرب الثانية التي تورَّط فيها صدام مع حلفائه السابقين إلا ليأس أولئك الحلفاء من إمكانية تحمُّل العراق القدرة على الدخول في حربٍ أخرى مع إيران ، فدبَّروا له تلك الحرب من خلال تحريك أطماعه في الكويت ، وإغرائه بغزوها ، وذلك ليتم تدمير الترسانة العسكرية الضخمة التي ترسَّوه بها ، إعداداً لإقحامه في حربٍ أخرى مع إيران ، وهكذا تمَّ لهم ما أرادوا ، وجعل الله بأسهم بينهم .

### كربلاء الطريق إلى القدس

مفردة من المفردات التي كثر استخدامها لدى المقاتلين الإيرانيين وكذلك الإعلام الإيراني ، بالرغم من أن هذه المفردة أو هذا الشعار لم يكن أولياً ، ولم يكن الباعث للحرب ، إلا إنه أصبح شعاراً يدفع المقاتلين نحو الجبهات بشوقٍ وولِّه قلَّ نظيره .

شعار : الطريق إلى القدس يمر عبر كربلاء ، ليس مشروعاً استراتيجياً في ثقافة القادة والمسؤولين الإيرانيين ، مادام المشروع الاستراتيجي هو تحرير القدس ، وليس الطريق إليها ؛ لأنهم لو وجدوا طريقاً سالكاً غير كربلاء فلن يتعمدوا تركه إلا إذا كان شعار تحرير القدس شعاراً دعائياً ، وهذا ما لا تقول به معطيات الواقع ؛ إذ إنَّ الحرب مع العراق انتهت ، ولا زال الإيرانيون يحملون بعد وقفها أكثر من عشر سنوات شعار : (الصهاينة غاصبو فلسطين كلها) ، وليس القدس ، وقد دفعت ضريبة هذا الشعار الكثيرَ الكثير أيام الحصار العسكري وأيام الحصار الاقتصادي .

فالحرب التي خاضتها إيران مع النظام البعثي لم تكن أساساً مشروع تحرير القدس لأنها لم تبدأ بها ، وإنما هي حربٌ عدوانية من قبل النظام البعثي الصدامي ، ولذلك لن يكون مشروعها الاستراتيجي تحرير القدس ، وإنما صد العدوان والاقتصاص من المعتدي ، وإن كانت تلك الاستراتيجية تخدم مشروع تحرير القدس ، بحيث لو تحققت أهداف الحرب من معاقبة المعتدي ، فإنها ستكون أقرب إلى فلسطين من ذي قبل وأكثر تهديداً للوجود الصهيوني الغاصب في فلسطين . وانبعث هذا الشعار في ذهنية القادة والمقاتلين ؛ إنما لأن مشروع إنهاء الحرب يوصل إلى كربلاء ، والوصول إلى كربلاء يقربهم أكثر فأكثر إلى القدس ، إضافةً إلى رمزية وتعبوية كربلاء في الجهاد والنضال والمقاومة وكل ما يحتاجه مشروع تحرير القدس ، وقد حمل الشعار نقطة اللقاء بين مشروع إنهاء الحرب الصدامية وبين مشروع تحرير القدس .

من الجدير بالذكر هو أن الشعار جاء أساساً بعد أن زُجَّت إيران في الحرب بالقوة مع النظام البعثي ، ولكل حربٍ استراتيجيتها ، وهي تتعاطى مع المسألة من ناحية تكتيكية ، وفقاً لمتطلبات المشروع الأساس في الحرب . إضافةً إلى ذلك فإن شعار تحرير القدس بالمرور بكربلاء له امتداد إيديولوجي في ثقافة القيادة والمقاتل .

فالتوابون انطلقوا في حربهم للنظام الأموي من عند قبر الإمام الحسين عليه السلام ، بل تذكر الروايات أن الإمام المهدي (عج) سيبدأ مواجهته من كربلاء .

يبقى العنوان الأهم لهذه الإثارة ، وهو :

ألا تعرف القيادة الإيرانية أن النظام البعثي مدعومٌ من قبل الغرب ، وأن الغرب لن يترك صداماً وحده في معركة تهمة أن يكسبها النظام الصدامي ، وفقاً لما خُطِّط لها أن تكون .



فلماذا إذن رفعت القيادة الإيرانية شعار : حرباً ... حرباً حتى النصر ؟  
ولماذا لم تقبل بدعوة النظام البعثي الصدامي للسلام لتلزمه بالحجة ؟  
وماذا كسبت من الحرب ؟ ولماذا قبلت بوقفها فيما بعد ؟  
جزءاً من الإجابة على هذه الأسئلة الثلاثة مرّت تحت عناوين سابقة .

فكونها لم تقبل مبكراً لعدم وجود أساسيات ولا ضمانات ولا ثقة يتمّ القبول بها ، ولكن بعد إيجاد أساسيات تتمحور حول قرار ٥٩٨ ، و ضمانات دولية تمّ القبول بوقف إطلاق النار ، وإن كانت الثقة غير موجودة ، فمنطق القوة جدير بأن يفرضها ، وبالنسبة لأساسيات التفاوض فهي موجودة ، وهذا ما كانت إيران تسعى إليه عبر دبلوماسيتها الخارجية وتصريحات المسؤولين .

أما لماذا لم تقبل بدعوات صدام لإيقاف الحرب ؟ فأساساً لم يكن هناك دوافع قانونية أو وطنية تعطي صدام المسوغ القانوني والشرعي أن يلغي اتفاقياته مع إيران ليبدأ بحرب دفعه الغرب إليها ، من هنا فالقبول بوقف إطلاق النار دون الالتفات إلى دوافع صدام لشنّه الحرب عليها يعني إعطائه الفرصة لاسترداد أنفاسه ليعلن عن مشروع الحرب الجديد بوقف الحرب بعد مشروعه السابق في شنها ، ودون شروط مسبقة ، في حين كان هو يحتلّ أجزاء كبيرة من أراضي الجمهورية الإسلامية ، ثم إنه جعل بلورة مشروع إيقاف الحرب وبنوده من خلال المفاوضات المباشرة بين الطرفين أو من خلال الوسيط وليس بناءً على اتفاقية الجزائر .

وهذا هراء ، فمن المسؤول عن الخسائر الجسيمة التي حلّت بإيران لمدة عامين مضت من الحرب ؟ ومن المسؤول عن تأجيلها ؟ وما هي الضمانة التي تضمن عدم تكرارها مرة أخرى بعد تعافي النظام البعثي الغادر ؟ ومن المعني بمعاينة المعتدي إذا ثبت ذلك على أحدهما ؟ ومشروع صدام لإيقاف الحرب لا

يتضمن ذلك أبداً ، فكيف يقبل الطرف المعتدى عليه بدعوات السلام التي ستفرض عليه كما فرضت الحرب من قبل ، والتأمر الدولي لضياح حقوقه قد تمّ وأُبرم !!؟

أما ماذا كسبت من الحرب ؟

فقد تمت الإجابة على ذلك ، ولا بأس بالتذكير والإضافة كالاتي :

**أولاً :** إسقاط مشروع الإسقاط (فقد كان مشروع الحرب إسقاط النظام الإسلامي) وهذا ما أعلنه صدام بنفسه .

**ثانياً :** استعادة وتقوية هيئة النظام الإسلامي ، وتحذير الطامعين من التورط في حربٍ معه .

**ثالثاً :** لأول مرةٍ تدخلُ إيران في حربٍ ولم تُقتطع منها أراضٍ كما كان ذلك في السابق ، مع أنّ مشروع ضمّ خوزستان وشط العرب إلى العراق غير خافٍ على أحد .

**رابعاً :** بثت اليأس في قلب كلِّ من يراهن على إسقاط النظام الإسلامي بالحرب .

**خامساً :** أثبتت للعالم تفاني إيران وطول نفسها في الدفاع عن نفسها ، وعن استقلالها ، واستقلال قرارها ، وعن حقوقها الشرعية .

**سادساً :** إجبار مجلس الأمن على تغيير موقف اللامبالاة التي اعتمدها طيلة سبع سنوات من عمر الحرب ، حتى أصدر قراراً يمكن لإيران أن تعتبره أساساً للتفاوض مع العراق بشأن الخلاف بينهما ، والبادئ بالحرب ، ومن ثمّ المسؤول عن تعويض الخسائر .

**سابعاً :** مشروع التدخل المباشر لأمريكا لصالح صدام الذي كان بهدف إضعاف موقف إيران العسكري والسياسي ، ووضع شروط جديدة تستطيع

أمريكا أن تقوم بدور الوصاية والحرب المفتوحة مع إيران لتدميرها ، كما هو الحال مع صدام نفسه الآن .

وأما لماذا قبلت ؟ فلأنها أُجبرت مجلس الأمن بتعديل موقفه - كما مرّ - وقبول النظام البعثي به ، وظهور بوادر جديدة ومنتالية بالتدخل الأجنبي في الحرب ، وفقدان الأمل في إصدار قرار أفضل من هذا القرار من قبل مجلس الأمن ، خاصة وأنّ إيران لاحظت - ومن خلال تلك البوادر - أن مشروع التدخل المباشر أصبح المشروع البديل لإجبار إيران على وقف الحرب بعدما فشلت حملة الصواريخ العملاقة والحرب الكيماوية في إجبار النظام الإسلامي على القبول بوقف الحرب .

طبعاً إذا ما دار الأمر بين تعرض بيضة الإسلام المتمثلة في وجود واستقلال النظام الإسلامي وبين القبول بالقرار ، فالقبول به مقدّم على الأمر الأول .

وقبل التدخل الأمريكي عندما زار رئيس الجمهورية آنذاك (آية الله السيد الخامنئي) الأمم المتحدة كان هناك مشروع قبول لدى إيران بقرار مجلس الأمن ٥٩٨ المتعلق بوقف إطلاق النار ، إلا إنّ عدم وجود ضمان برعاية تطبيق القرار منَع إيران من المجازفة بالقبول ، حتى حصلت على ضمانات بالقبول وتطبيق المواد القانونية التي تبنت حق أحدهما على الآخر مع دراسة وضع الجبهات ، الذي تطور بالتدخل المباشر ، واستخدام صدام سياسة الأرض المحروقة من الأراضي التي طردت قواته منها ، وما وراء التدخل الأمريكي المباشر .

إنّ الحرب لا يُنظر إليها من خلال تكاليفها البشرية والمادية فقط ، وإنما إلى قيمة المكاسب الناجمة عنها ، فالحرب لا بد لها من تكاليف مادية وبشرية - هجوماً أم دفاعاً - ولكن إذا ما كان التقدير جيداً بين ملاحظة تكاليفها ومكاسبها ، فستكون النتائج إيجابية جداً ؛ فحرب صفين كلّفت أمير

المؤمنين أكثر من أربعين ألف شهيد ، عدا الجرحى ، وكلفت معاوية أكثر من سبعين ألف قتيل ، عدا الجرحى ، ولكن عندما يلاحظ المتابع مشروع مكاسبها ، فإنها تستحق أكثر من ذلك بكثير .

فمشروعها استئصال رأس الفتنة ، وإسقاط مشروع الانفصال عن جسم الدولة الإسلامية ، إضافة إلى ذلك مواجهة الثقافة الهشة والخاطئة والتحريفية لمعالم الإسلام ورموزه ، والتي إن تركت ستأتي على ثقافة الأمة الحقبة التي ضحى من أجلها رسول الله ﷺ وأصحابه النجباء ، وهذا ما حدث بالفعل الآن ولاحقاً .

وقد أثبت الميزان العسكري أن بإمكان إيران إنهاء الحرب بالمشروع الذي وضعته لإنهاء الحرب ، رغم الدعم اللامحدود للشرق والغرب للنظام البعثي ، ولذلك قرّر التدخل المباشر لصالح النظام البعثي ، وليس بالأسلحة التقليدية فقط ، وإنما بالأسلحة الكيماوية والجرثومية التي يجوع العراق اليوم - ومنذ ثمانية أعوام - لامتلاكها ، بالرغم من أنهم هم الذين زودوه بها . حتى أن الشرق والغرب بدأ يبحث عن بديل لصدام يضمن عدم مجيء نظام ديني ، نتيجة انتصار الموقف الإسلامي في الحرب ، إلا إنَّ البديل لم يكن جاهزاً ، فأصرَّ الغرب على عدم إنهاء إيران للحرب بالحسم العسكري لصالحها .

في ذلك الوقت كان يدور في أروقة النظام الإسلامي (على مستوى القيادات) الحديث عن وقف الحرب ، وكيف سيتم القبول بالقرار ٥٩٨ ؟ وكيف سيتم إبلاغ الشعب الإيراني بالقرار دون أن يؤثر ذلك على معنويات الشعب ، أو ثقته بالقيادة ؟ وما نوع الضمانات التي يمكن من خلالها القبول بقرار وقف الحرب ؟ لأنَّ الموضوع بدأ التعاطي معه بجدٍّ منذ قيام النظام البعثي بمذبحة حلبجة ، والتي راح ضحيتها عشرات الآلاف من القتلى والجرحى .

وعرفت أنّ مشروع الإبادة الشاملة ، وما يسمى بالأرض المحروقة على كافة الجبهات داخل العراق وفي إيران ، ومشروع التدخل المباشر في الحرب ، والتهديد بتوسيع رقعة الحرب هي خطوات جادّة وعملية لإجبار إيران على القبول بوقف الحرب .

فمعطى الواقع على الجبهات والمسرح السياسي يتحدث عن اهتزاز الجبهات الصدامية ، وأكثر من مرة اقتربت إيران من الحسم العسكري على خطوط جبهات البصرة والشمال ، ولما عجزت عن البديل ، تكفلت بنفسها بمشروع الحسم .

أيّ بلد يتعرض للعدوان فإن قرار القيادة لا ينحس في حدود طرد المعتدي إلى الحدود عندما يكون العدو ذا طبيعة عدوانية ، مضافاً إلى كونه آلة تستخدمها جهات استكبارية لمصالحها ؛ لأنه في مثل هذه الحالة لا تأمن من عودته مرة أخرى سواء من خلال نزعته أم من خلال تحريكه بمخطط استكباري جديد . إضافة إلى ذلك لا بد أن تسقط الذرائع التي ادعى المعتدي أنها سبب شن العدوان ، والضمانات التي تمنع تكراره .

اتفاقية الجزائر ، تتحدث بالتفصيل عن معالجة أي خلاف بين البلدين ، بالطرق السلمية ، وتقطع الطريق أمام كل الذرائع التي تنتج حرباً ، أو الاستعانة بالقوة لمعالجة القضايا العالقة ، وعندما ألغاه صدام قال : إنها فرضت عليه بالقوة ، أو أنه قبل بها حين كان ضعيفاً ، وبعد إعلان العراق قبوله بوقف إطلاق النار مع الحلفاء الذين تصدوا لعدوانه على الكويت ، وبشروط وقف الحرب أعلن قبوله باتفاقية الجزائر كأساس لحل كل القضايا العالقة بينه وبين إيران . وهذا يعني أن النظام قد يعود مرة أخرى عندما يكون قوياً للحرب . وهذا ما حدث بالفعل بعد إعلان إيران قبولها بوقف إطلاق النار ، وبالتالي فهو كما هاجم إيران بغتةً ، فإنه هاجم الكويت بغتةً ، ذلك لأنه ضمن الغلبة في

الأولى على إيران ، وفي الثانية على الكويت .

إن الدولة صاحبة الحق والسيادة لا تنظر إلى من يقف وراء المعتدي ، وإنما تدرس خياراتها المتاحة في استرداد حقها ، ومنع تكرار العدوان عليها . بالنسبة لإيران لاضمانات لها إلا بإسقاط النظام البعثي ؛ لأنَّ أجواء إلغاء الاتفاقية يمكن أن تتكرر ، وهذا ما أوضحه بجلاء العدوان الصدامي على الكويت وضم الكويت إلى أراضيه بحجة سرقة الكويت لنفطه ، ثم تردده في الاعتراف باستقلالها بعد طرده منها .

أما القبول بوقف إطلاق النار لمجرد إلقاء الحجة فهذه سذاجة بالغة للغاية ؛ وذلك لعدة أسباب :

**الأول :** لأنَّ الحرب مشروع إسقاط للنظام ، وليس خلافاً على شط العرب ، ومعالجة الخلاف في هذا الشط أو النزاع الحدودي بشكل عام قد تكفلت به اتفاقية الجزائر ، وليس عن طريق الحرب .

**الثاني :** ما دام مشروع الحرب قائماً بوجود النظام الإسلامي ، فإنَّ التحرشات الحدودية لن تتوقف ، والتي قد يصل بعضها إلى معركة كبرى ، تحت عنوان الرد على مصادر النيران ، إضافةً إلى ذلك تهديد أمن البلاد الداخلي عن طريق تسليح المعارضة وتسريبها في الداخل الذي سيستمر بوتيرة متصاعدة ، مستفيداً في ذلك من الدعم الغربي والشرقي أصحاب النفوذ والمصلحة في إسقاط النظام الإسلامي أو احتوائه .

من هنا فإنَّ وقف الحرب تعني إعطاء الطرف المعتدي فرصة استرداد أنفاسه ، ودراسة كل احتمالات المعركة الجديدة التي قد يخوض الطرف الآخر بها المعركة ، وذلك من خلال تطوير الماكنة العسكرية العراقية ، وتدريب حاملها عليها .

**الثالث :** عدم وجود قرار دولي متوازن ، يتم التفاوض على أساسه لوقف الحرب يعني استمرار الحرب بأي أسلوب يخدم مشروع الحرب .

**الرابع :** بالنسبة إلى الإعلان عن هوية المعتدي ، وتحميله خسائر الحرب ، ومعاقبته وفق القانون الدولي هو الضمانة الوحيدة لاسترداد الحقوق المشروعة للطرف المعتدى عليه .

هناك شعارات كثيرة أطلقت أيام الحرب ، منها : «كربلاء الطريق إلى القدس» ، و«حرباً حرباً حتى النصر» ، و«إسقاط النظام البعثي المعتدي» ، و«إسقاط النظام البعثي لإقامة نظام ينسجم مع التوجه الإسلامي للعراقيين» .

نعم هذه شعارات مختلفة أطلقت في سنوات الحرب ، وكلها من نتاج مشروع إنهاء الحرب ، سواء مباشرة أو نتيجة حتمية لذلك .

لاشك أن هذه القراءة ستأتي بنتائج إيجابية على النظام عندما يقرر هكذا قرار .

**أولاً :** لأنه اعتمد سياسة ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة .

**ثانياً :** منع أي محاولة عدوانية من أي جهة ؛ لأنه شاهد أن النظام لا يمكن الاستهانة به كقوة يحسب لها ألف حساب .

**ثالثاً :** أخذ الحقوق كاملة دون انتقاص ، وهذا خلاف التفاوض عبر المنظمات الدولية التي تطالب الطرفين بالتنازل من أجل التوصل إلى حل ، بالرغم من أن تنازل المعتدي بعد مفاوضات شاقة لقناعته بأن ما تنازل عنه المعتدى عليه مكسب له عندما أصبح ذلك الذي ناله بالعدوان حقاً مشروعاً له ، وهكذا سيكرر عدوانه ليكسب في كل جولة ما خطط له حتى يلتهم الذراع كله ، كما يقولون .

**رابعاً :** إن لدول مجلس الأمن (آنذاك) مصالح استراتيجية من الحرب الصدامية ، والدعم المطلق لصدام ، وذلك يعني أن المعتدى عليه لن يحصل

على حقٍ واحدٍ أبداً .

وهذا ما حدث ويحدث ، فالمفاوضات التي استمرت عامين لم تسفر عن شيء ، والعدوان الصهيوني على لبنان ، الذي أصدر مجلس الأمن قراراً بشأنه ، مفاده أن على إسرائيل أن تخرج من لبنان دون قيدٍ أو شرط ، نجد إسرائيل ترفض ذلك ومجلس الأمن والأمم المتحدة لا تملك سوى الضغط على لبنان للموافقة على الشروط الإسرائيلية للخروج من لبنان .

لماذا هذه الازدواجية ؟ يُسلح النظام البعثي ويُعطى الضوء الأخضر لضرب المدنيين ، وعندما انقلب عليهم يُضرب العراق ؛ لأنه يحتاج على التنسيق بين منظمة التفتيش وإسرائيل والمخابرات الأمريكية .

يُرفض إعادة الترشيح للأمين العام للأمم المتحدة (بطرس غالي) عندما توصل في تقريره إلى أن إسرائيل متعمدة في قصف اللاجئين في ثكنات الأمم المتحدة في لبنان مما أدى إلى قتل ما يربو على تسعين أعزل ، وتبقى المنظمات المناضلة المقاومة للاحتلال الصهيوني لأرضها منظمات إرهابية ، لن يحل السلام إلا بالقضاء عليها .

وهكذا بالنسبة لإيران فالأمم المتحدة تضغط على إيران للتقدم في المفاوضات مع النظام العراقي ؛ لأن النظام العراقي متصلبٌ في موقفه ، ولن تتحرك المفاوضات إلا بتخلي إيران عن تصليبها ؛ لتخسر بذلك ما قاتلت من أجله .

خامساً : إن الإزماء الطرف الآخر لا يأتي لمجرد مطالبته بالسلام ؛ فقد تكون تلك الدعوة نتيجة للضغط الكبير على قواته ، فيتخلص من أزمته تلك بالدعوة للمصالحة ، وأمثلة ذلك لا تحصى ، وعلى سبيل المثال - لا الحصر - رفع المصاحف في صفين ، وفي الوقت الحاضر تطالب إسرائيل بالسلام مع لبنان ،



وتعلن استعدادها للانسحاب من جنوبه ، مع أنّ مشروع إسرائيل الكبرى يمتد من النيل إلى الفرات .

ولولا ضربات حزب الله لما أعلنت إسرائيل ذلك ، وكذلك حرب أكتوبر (١٩٧٣م) عندما تعرضت إسرائيل إلى هزة عسكرية كبرى ، وطالبت بالهدنة ، ها هم العرب الآن لا يجروون حتى على الدفاع عن أنفسهم أمام استهتار إسرائيل بهم وبما يملكون من أسلحة يمكن أن تقضي على إسرائيل .

وهكذا فعل صدام ، ففي كل مرة يتعرض فيها لهزيمة منكرة تجبره على الانسحاب من مواقعه إلى الورا مساحات شاسعة ، يعلن بأنّ انسحابه تكتيكي ، بل حتى انسحابه من الأراضي العراقية أسماها انسحاباً تكتيكياً ، وأثبت ذلك بعد إعلان إيران موافقتها لوقف إطلاق النار ، وتراجع الموقف الإيراني في الجبهات عندما دخل بقواته الأراضي الإيرانية وقال للصحافة حينها : ستجدوني بعد أسبوعين في طهران .

وما ذلك إلا لأن صدام يبحث عن هدنة يسترد فيها أنفاسه ليعود مرة أخرى بخططٍ أوفر حظاً في النجاح ، بل حتى إعلانه للسلام هو مشروع حربٍ كما قال الإمام الخميني قدس سره ، وما أثبتته الوقائع .

سادساً : إنّ الأمم المتحدة ومجلس الأمن لا ينتظر من إيران إتمام الحجّة على صدام ليتأكد من عدوانية صدام لمعاقبته ؛ لأنّ أعضاء مجلس الأمن هم أصحاب مشروع الحرب كما قال صدام (بعد أن ورطوه حلفاء الأمس في الكويت) .

سابعاً : إنّ طول أمد الحرب جعل مسألة الدخول في حربٍ مع إيران مسألة معقدة ، بل مغامرة ، وخاسراً من يتورط فيها .

ومن هنا ، فإنَّ من الضروري إلزام المعتدي الحجة بقرارٍ دولي ، تلتزم مفرداته الوضوح ومراعاة حقوق الطرف المعتدى عليه ، والتحقيق في صحة ادعاء المعتدي والمعتدى عليه في الحدود ، وإلزام البادئ بالحرب تعويض خسائر الحرب ، أما أنَّ يقبل بسلام يفرضه من فرض الحرب عليه بعنوان إلزامه بالحجة ، فلا يمكن أن يقال عن هذا الشخص الذي تخالجه هذه الفكرة إلا إنه كمن يريد أن يأتَمَن الذئب على النعجة ، أو يمدُّ عنقه لطالب رأسه .

من خلال ما مرَّ ، هل استطاعت إيران استرداد حقها بالقوة ؟ .

كما قلنا إنَّ القيادات الفطنة والذكية والأمانة لا تنظر إلى إمكانات عدوها ، ومن يقف وراءه وإلى إمكاناتها إن كانت تقوى على الاقتصاص منه أم لا ، عندما تتعرض لعدوان بحجم العدوان البعثي ، لتقتص منه أو تسلِّم له أو لمن يدعمه ، وإنما تنظر إلى حجم الخسائر المادية والمعنوية ، التي ستكون أضعاف مضاعفة إذا قبلت بدعوات الهدنة والمفاوضات ، خاصة - كما قلنا - إذا كان الراعي للمفاوضات هو صاحب مشروع الحرب ، وهذا ما أثبتته مفاوضات السلطة الفلسطينية مع الكيان الصهيوني برعاية أمريكا ، حيث إن أمريكا هي صاحبة مشروع تقوية إسرائيل .

ومن هنا لا بد من إلزام صاحب مشروع الحرب بتغيير موقفه من الحرب نحو الإيجابية لصالح المعتدى عليه ، للقبول بقرار التفاوض .

وهكذا غيَّر أعضاء مجلس الأمن - أصحاب مشروع الحرب - مواقفهم من الحرب ، بعد يأسهم من حسم النظام البعثي الحرب لصالحه ، وبدأت تتعرض مصالحهم الأكثر أهمية من إسقاط النظام الإسلامي أو احتوائه للخطر ، فأصدروا قراراً أكثر اتزاناً من ذي قبل ، وفيه فرصة أكبر لإيران لكي تسترد حقوقها عن طريق المفاوضات ، وقد تكفَّل صدام بالمماطلة في التقدم من

مادة القرار الأولى ، لتضطر إيران فيما بعد إلى القبول بما دون معاقبة المعتدي ومطالبته بتعويض الخسائر ، ولكنّ أُلطاف الله تبارك وتعالى ، وحماقة النظام البعثي أدت إلى أن يقرّ صدام بعدوانيته على إيران ، وأنّه كان مدفوعاً لخوض تلك الحرب ، بالرغم من رغبته في أن يكون وارث الشرطي المقبور (الشاه) للمنطقة ، وأطماعه دفعاه مع ذلك الدفع الغربي للاعتداء على إيران ، فهامم الغرب ، وأمريكا والدول التي تدافع عن صدام بالأمس تطالب اليوم علناً بإسقاطه ، وتتعهد بدعم أي تحركٍ يخدم مشروع إسقاطه .

وبالرغم من الدعوات الصريحة والعلنية لإسقاطه لم تأت ساعة الاعتراف بعد اكتشاف الخطأ في دعمه ، وندمهم في عدم السماح لإيران بالقيام بذلك العمل ، ولن تأتي ؛ لأنّ الغرب استنفد ما يريده من النظام البعثي الصدامي ، وبقاؤه يضرُّ بمصالحه ، فقرر التخلص منه بعد أن حقق له ما لم يستطع تحقيقه من حربه للنظام الإسلامي .

ولم يقصد الغرب إثبات مصداقية الموقف الإيراني من النظام البعثي ، إلا أنّ مشيئة الله تبارك وتعالى وحماقة النظام البعثي أثبتا للعالم ذلك ، والله في خلقه شؤون .

### المرود الإيجابي للحرب على الثورة والدولة

الحرب العسكرية أو الاقتصادية لها سيفٌ ذو حدين ، إما إيجاباً أو سلباً ، وإذا ما توفرت البلاد على قياداتٍ واعيةٍ وقويةٍ ، وذات إرادةٍ صلبةٍ ، فإنها ستستثمر خلفيات الواقع المفروض لصالح بلدها ، وعلى حدّ قول الحكمة القائلة : «الضربة التي لا تقصم ظهرك تفريك» .

وإيران الثورة تعرضت لثلاثة حروب ... الحرب الداخلية في مواجهة حرب العصابات والاغتيالات والتفجيرات الضخمة والمفجعة ، والحرب

الصدّامية ، والحرب الاقتصادية العالمية التي تقودها أمريكا ، فإذاً هي إما أن تركز إلى دعوات الاستسلام ، وترجع لشروط الذل والاستكانة للغرب أو الشرق ، وإما أن تسعى لتتعافى بنفسها ، ودون أن تكون لأحدٍ عليها منةٍ يخنقها بها ، أو يهدد كيانها بحرمانها مما لديه .

وهكذا كانت إيران ، فلقد اشتغلت العقول والسواعد ، فأثمرت في بناء وترميم الماكنة الحربية الإيرانية المعطوبة من جراء الحرب أو المدخنة منذ عهد الشاه المقبور ، وتطوير الصناعات المحلية لسدّ الحاجات الملحة ، وما فعله شعار (الاكتفاء الذاتي) يحتاج إلى كتابٍ ، يوضع خصيصاً لذلك ، وليس هنا محله .

أما على المستوى العسكري ، فلقد أحييت إيران فاعلية المعنويات وتأثيرها في تحديد مصير الحرب ، فالرشاشات في تلك الحرب أعطبت الدبابات المتطورة والمدافع الحديثة ، كلُّ ذلك بسلاح المعنويات ، والتي هي الجهاد الأكبر ، وما العمليات الاستشهادية التي أرعبت كل يهوديٍّ يعيش في أرض فلسطين أو يزورها إلا الشاهد الأمثل لحقيقة وعظمة المعنويات ، وحجارة أطفال فلسطين الذين أرعبوا وأجبروا - لا بحجارتهم وإنما بصلابتهم - الدويلة اللقيطة إسرائيل على الجلوس على مائدة المفاوضات مع من أسموه من قبل بالإرهابي بعد أن باع قضيته لئسكت أولئك الثائرين باسم التعايش مع أبناء العم اليهود! كلُّ ذلك من فعل المعنويات ، والعالم الآن لا يخشى من أعتى الأسلحة دماراً كخشيته من المستميتين ، كل ذلك ببركة الثورة الإسلامية في إيران ، وما أبدته من صمودٍ معجزٍ بالمعنويات على جبهات القتال .

ولذلك خبّر العالم من خلال ما أبدته إيران في سني الحرب من صلابةٍ أنه ليس بالسهل الدخول معها في مواجهات أخرى ؛ لأنهم يعرفون أن إيران بإمكانها تحمّل دفع ضريبة موافقها ، بينما هم (دول العالم) لا يملكون القدرة

على ذلك ، أو تحمّل النتائج التي ستسفر عنها اعتداءاتهم .

ولقد قال الإمام الخميني في ذلك :

«لقد كانت لنا الحرب ، في كل يومٍ من أيام الحرب ثمرةً مباركةً ، انتفعنا بآثارها في جميع المجالات ؛ ففي الحرب صدرنا ثورتنا للعالم ... وفي الحرب أثبتنا مظلوميتنا وبشاعة الظلم لدى المعتدين ... في الحرب أزلنا القناع عن أوجه ناهبي العالم ، وكشفنا حقيقتهم التضليلية ... وفي الحرب عرفنا من هم أصدقاؤنا ومن هم أعداؤنا ... وفي الحرب توصلنا إلى ضرورة أن نعتمد على أنفسنا ونقف على أقدامنا ... نحن في الحرب حطّمنا هيبة كلتا القوتين الكبّيرتين (الشرقية والغربية) ... نحن في الحرب عززنا دعائم وجذور ثورتنا الإسلامية المباركة ... نحن في الحرب عمّقنا شعور الأخوة وحب الوطن في وجدان كل فردٍ من جماهيرنا ... نحن في الحرب أثبتنا لشعوب العالم عامةً والمنطقة خاصةً إمكانية الصمود والاستمرار لسنين متتاليةٍ في مواجهة ومقارعة جميع القوى السلطوية والقوى الكبرى .

حربنا هي التي ساهمت في انتصار أفغانستان ، وستساهم في انتصار فلسطين المغتصبة وفتحها ... حربنا هي التي جعلت كافة أقطاب الأنظمة الفاسدة يعيشون الذلّة أمام الإسلام ... حربنا هي التي أوجدت الصحوة ، وبعثتها في باكستان والهند ... وفي الحرب وحدها حققت صناعاتنا العسكرية كل هذا التطور ... والأهم من كل ذلك ، ففي الحرب بقيت اندفاعة روح الإسلام الثوري حيّةً ... كل تلك هي ثمرة جهود الأمهات والآباء وجماهير إيران الأبية خلال عشرة أعوام من مقارعة أمريكا والغرب وروسيا والشرق .

إنّ حربنا كانت حرب الحق ضدّ الباطل فلا نهاية لها ... حربنا كانت حرب الفقر ضدّ الغنى ... حربنا كانت حرب الإيمان ضدّ الخسة ... وهذه الحرب مستمرة منذ آدم عليه السلام إلى نهاية الحياة .

ما أضيق أفق ونظر أولئك الذين يتوهمون أن عدم وصولنا إلى الهدف النهائي في الجبهات ، يعني أن لا فائدة من درع الشهادة والبسالة والتضحية والقداء ، في حين أن صوت التوجه إلى الإسلام في أفريقيا هو من نتائج حربنا في الأعوام الثمانية ، وأن تطلّع شعوب أوروبا وأمريكا وآسيا وأفريقيا ، وكل شعوب المعمورة إلى الإسلام ومعرفته هو من ثمار حربنا في الأعوام الثمانية .

إنني هنا أعتذر من أمهات الشهداء والجرحى ومن آبائهم وأخواتهم وزوجاتهم بسبب التحليلات الخاطئة التي تصدر هذه الأيام ، وأسأله تعالى أن يقبلني إلى جوار شهداء الحرب المفروضة .

نحن لسنا نادمين ولا للحظة واحدة على مواقفنا خلال الحرب ، أو ترانا نسينا أننا حاربنا قياماً بواجبنا الشرعي أساساً ، والنتيجة أمر فرعي<sup>١٢</sup> . إن شعبنا عندما رأى توفر الاستطاعة لديه على الحرب نهض بواجبها ، فطوبى لأولئك الذين لم يرتابوا حتى النهاية .

وعندما رأى أن مصلحة ديمومة الثورة هي في الموافقة على القرار الدولي أذعن لهذه الموافقة ، وعمل بتكليفه أيضاً ، فهل يقلق لكونه عملاً وفق ما يقتضيه واجب الشرعي<sup>١٣</sup> .

يلاحظ من قول الإمام تدلّ : « قياماً بواجبنا الشرعي أساساً ، والنتيجة أمر فرعي<sup>١٤</sup> » الإشارة إلى أن نتائج التكليف الشرعي ليس تكليفاً شرعياً ، وإنما الأساس هو القيام بالتكليف نفسه ، وموضوع النتائج هو مسألة فرعية ، هذا في الأساس .

ولكن ذلك لا يعني أن تغمض العيون عن النتائج ؛ فقد يكون العمل تكليفاً عندما يكون فيه خدمة لواجب شرعي أو هو التكليف نفسه ، ولكن قد

يسقط هذا التكليف عندما تكون نتيجة القيام به لا تخدم التكليف أو تعرّض المكلفين إلى أذى لا يطاق .

ولكن الإمام قال : «إن شعبنا عندما رأى توفر الاستطاعة لديه على الحرب ، نهض بواجبها» ، وفي هذا الحال لا يسقط التكليف ، ولكنه عندما لاحظ تعرّض الاستطاعة في بلوغ الأهداف ، التزم بتكليفه في المتعلق بعدم الاستطاعة «وعندما رأى أن مصلحة ديمومة الثورة هي الموافقة على القرار الدولي ، أذعن لهذه الموافقة ، عملاً بتكليفه أيضاً» .

هناك فقرة للإمام قدّلت تشير إلى خطورة الموقف تقول : «مصلحة ديمومة الثورة» . وذلك إشارة إلى التدخل الأمريكي المباشر في الحرب في الأيام الأخيرة من عمرها ، وما يستهدف من دعم صدام المباشر في غزوه لإيران من جديد وإسقاط الثورة الإسلامية من خلال استخدام الأسلحة المحرّمة دولياً ، والإبادة الجماعية ، وضمنان التغطية الجوية والعسكرية له بشكل عام ، مضافاً إلى ذلك التغطية السياسية ، وزد على ذلك حرب الصواريخ المدمّرة التي أمطرت إيران بها ، وقد أمطر طهران وحدها بما يناهز المائتين ، وأسباب أخرى بحجم الأولى يعرفها المسؤولون لقربهم والتصاقهم بتطورات وحيثيات الجبهة الداخلية والحدودية والخارجية .

## ملف الخليفة المهزول الشيخ المنتظري

تعتبر قضية الشيخ المنتظري من القضايا الحساسة والمثيرة في تاريخ الثورة الإسلامية والإمام الخميني قدس سره ، حيث أثارت جدلاً واسعاً في الأوساط السياسية والثقافية في إيران ، وذلك لمفاجأتها وتلوناتها الكثيرة ، ولصورها التي ظهرت بها للناس ، واصطدامها بظاهر المسلمات الثورية والثقافية والإدارية في ذهنية مفكري وإداريي النظام الإسلامي والشعب الإيراني المسلم .

من هنا فهي بحاجة إلى إمامة شاملة وعميقة بمكوناتها النفسية والفكرية والإدارية .

إنّ القراءة المتأنية والموضوعية في ملف القضية تفضي إلى مفادٍ خالٍ من التشوهات التي تخلفها إشكالية التعامل الساذج مع الحالة ، وهي أنّ الشيخ المنتظري ليس لأنه ذو ذهنية لا تسعفه على تحمّل طبيعة وظيفة القيادة فحسب ، وإنما لأنه أيضاً يعيش ذهنية مشوشة ومضطربة في عمق قراءتها للوقائع والأحداث ، وتفقدته التموقع في موقع التوازن والنضج لمواجهة التباينات الفكرية والإدارية للتيارات الفاعلة في المجتمع المعاصر .

بطبيعة الحال كلُّ موقعٍ أو وظيفة يحتاجان إلى نفسية خاصة تتناسب وحجم الموقع والوظيفة ، وكذلك إلى وعي وثقافة وسياسة وتعاطٍ بنفس الدرجة ، ويحدد ذلك كله ثقافة الانتماء إلى المنتج الديني للأمة والمجتمع الذي ستثار فيه مسألة القيادة ، بعيداً عن مسألة التأثير الخارجي على الشخص المرشح لمقام القيادة ، هل يملك استعداداً ذاتياً متكاملأ ينسجم مع متطلبات العمل القيادي في الأمة ، الخاضعة لثقافة المنتج الديني الذي تؤمن به تلك الأمة أم لا؟



هذا ما هو جدير بالتناول .

لنحاول عرض بعض ما ورد في الملف ، وندرسه ، ونقرّر على ضوء ذلك نتيجة الدراسة .

أشمل ملف استوعب القضية هو كتاب آية الله الشيخ محمد محمدي ري شهري (وزير الاستخبارات السابق ، والمسؤول عن متابعة الملف حينها) ، والكتاب هو (المذكرات السياسية) .

وقد تناول المسألة - من وجهة نظري - بنزاهة متناهية ، فضلاً عن كونه المسؤول عن التحقيق في الملف .

وهناك رسالة إلى أعضاء مجلس الشورى والخبراء في نفس الموضوع ، وهي (رسالة اللوعة) لحجة الإسلام السيد أحمد الخميني تتّكئ ، وقبل القيام بالعرض والقراءة في الملف ، ينبغي طرح الخصائص التي قررها الفكر الديني الذي تبناه الشيخ المنتظري في القيادة ، ثم الخلاصة التي تبناها الدستور فيما يتعلق بالشروط الأساسية لانتخاب المرشح للقيادة .

نبدأ بالشيخ المنتظري ، حيث يقول في كتابه (دراسات في ولاية الفقيه) :  
«والولاية ، وإدارة شؤون الأمة من أهم الأمور وأعضلها وأدقها ، فلا محالة يشترط في الوالي بحكم العقل والفترة أن يكون عاقلاً عالماً بالعمل ، قادراً عليه ، أميناً يُعتمد عليه»<sup>(١)</sup> .

وخلاصة ما يراه في القائد :

١ - العقل الوافي (بمعنى الرشد) .

(١) دراسات في ولاية الفقيه : ج ١ ، ص ٢٧٥ .

٢ - الإسلام والإيمان (بمعنى الإقرار باللسان والاعتقاد بالجنان ، والعمل بالأركان) .

٣ - العدالة .

٤ - الفقهة والعلم بالإسلام .

٥ - القوة وحسن الولاية .

٦ - ألا يكون من أهل البخل والطمع والمصانعة .

٧ - الذكورة .

٨ - طهارة المولد (بمعنى أن يكون متولداً من طريق شرعي) .

« وقد تلخص مما ذكرنا أن العقل يحكم باعتبار العقل ، والقدرة والإسلام والعلم ، بل الأعلمية ، والعدالة في حاكم الإسلام وواليه ، والمعرفة بالإدارة والتدبير أيضاً يدخلان بعناية ما في مفهوم العلم ، لاحتمال أن ما يراد به ما هو الأعم من العلم بالكليات ، والعلم بطرق التطبيق وعواقب الأمور ونحو ذلك ، كما يحتمل دخولهما في عنوان القدرة»<sup>(١)</sup> .

ويقول في تفصيل «القدرة وحسن الولاية» :

«وقدرة الشخص على ذلك تتوقف :

أولاً : على استعداده لذلك بالذات ، ويسمى ذلك بالشَّم السياسي ، فإنَّ الناس مختلفون في الانسجام مع الأعمال والأشغال المختلفة .

ثانياً : على الإحاطة بكيفية العمل وفنونه ، والاطلاع على نفسيات أمته وحاجاتهم ، وشرائط الزمان والبيئة .

(١) المصدر السابق : ج ١ ، ص ٢٧٧ .

ثالثاً : مع الشجاعة النفسية والقاطعية في التصميم وقوة الإرادة ، حتى يتمكن من اتخاذ القرار في المسائل المهمة ، ولا يضعف ، إذ كم من سائسٍ مطلعٍ يضعف عن الإدارة والتصميم لضعفه روحاً .

رابعاً : على سلامة الحواس والأعضاء من السمع والبصر واللسان ونحوها بمقدار ما يرتبط بعمله المفوض إليه ، أو يوجب شيئاً يسبب نفرة الناس منه ، وعدم تأثير حكمه فيهم<sup>(١)</sup> .

أما ما يتعلق بالدستور فتقول المادة المتعلقة بالقائد قبل التعديل :

«١- الصلاحية العلمية ، والتقوى اللازمتان للإفتاء والمرجعية .

٢- الكفاءة السياسية والاجتماعية ، والشجاعة والقدرة ، والإدارة الكافية للقيادة»<sup>(٢)</sup> .

وتقول المادة المتعلقة بوظيفة مجلس الخبراء في مواصفات القائد :

«إنَّ الخبراء المنتخبين من قبل الشعب يبحثون ويتشاورون حول كافة الأشخاص الذين لهم صلاحية المرجعية والقيادة ، فإذا وجدوا مرجعاً واحداً يملك امتيازاً خاصاً للقيادة ، فإنهم يعرفونه للشعب باعتباره قائداً ، وإلا فإنهم يعينون ثلاثة أو خمسة مراجع من جامعي شرائط القيادة ، ويعرّفونهم إلى الشعب باعتبارهم أعضاء مجلس القيادة»<sup>(٣)</sup>

إلا إنَّ هذه المادة - على المدى غير البعيد - يتعذر التوفر على المصداق الذي يساعد على تطبيقها ، وقد ظهر ذلك بشكل جلي بعد عزل الإمام الخميني قسراً

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) للدستور غير المعدل ، المادة ١٠٩ .

(٣) للدستور غير المعدل ، المادة ١٠٧ .

سماحتكم ... وفضحت وأخرجت من الساحة أعداء كثيرين ، مثل المتأففين  
عُمي القلوب ... وسائر التيارات المعارضة والمعادية للثورة ، والمساومة والبرالية  
المنحرفة»<sup>(١)</sup> .

إلا أنه في نصٍ أشد اشتمزازاً من غيره يقول فيه : «... سمعنا أنكم قلتُم إن  
فلاناً [ويعني نفسه] يفترضني وكأنني الشاه ، وجهاز الأمن كأنه سافاك الشاه ،  
طبعاً أنا لا أفترض أن سماحتكم شاهاً ، ولكن جرائم جهاز أمنكم وسجونكم  
بيضت وجه الشاه وسافاك الشاه»<sup>(٢)</sup> .

ويكرر في نصٍ آخر راجعاً عن قوله الآنف فيقول : «مع السلام والشكر  
لمواقفكم المدبّرة وتعاملكم الحازم مع القضايا المنحرفة ، يرجى أن تأمروا  
بمتابعة جرائم السيد مهدي الهاشمي والأشخاص المرتبطين به»<sup>(٣)</sup> . إلا أنه  
ينكص - أيضاً - عن موقفه الأخير هذا ويطلب بعدم تطبيق الأحكام المتعلقة  
بتلك الجرائم التي قام بها ، واعترف هو بها ، وبالرغم من ذلك يقول عن مهدي  
الهاشمي : «إنه ليس مرتدّاً ولا محارباً ولا مفسداً ، وبالتالي لديه اعتقادٌ كاملٌ  
بالثورة والإسلام .

إن إعدامه يؤدي إلى تلوّث سمعة وانعزال أشخاص جيدين في مدن مختلفة  
بتهمة الارتباط معه .

إن الإعدام وسفك الدماء ستبعتها كُدورةٌ ودم . إن الإعدام سهلٌ دائماً ، ولكن  
المقتول لا يمكن إحياءه»<sup>(٤)</sup> .

(١) المذكرات ، ص ٣٥٠ .

(٢) المذكرات ، ص ٩٣ .

(٣) المذكرات ، ص ٩١ .

(٤) المذكرات ، ص ٣٤٤ .

هذا العرض - السالف - يوضح مدى الاضطراب الكبير في نفسية الشيخ المتظري ، وتلوّن مواقفه في القضية الواحدة ، لا يناسب موقع القيادة ، ومن المؤكد أن ذلك يهدد النظام كله إذا ما وصل إلى القيادة وهو على هذه الحالة .  
وهنا نسأل : هل من الممكن انتشاله من هذا الوحل القاتل الذي أوقعته بساطته فيه؟

لا أظن أن هناك داءً ليس له دواء ، إلا أن تحديد نوع الداء والدواء المناسب له والقابلية الكافية لدى المريض في استقبال الدواء عناصر ضرورية يساهم في توفيرها الطبيب والمريض .

وهذه الحالة التي لدى الشيخ من الممكن القضاء عليها كحالة مزمنة فيه وتحويلها إلى حالة عرضية ، لو التفت هو إلى الجهود المتوالية التي بذلها الإمام في مساعدته للخروج منها . إلا أن الداء في أول أمره كان منصباً على قتل الثمالة الباقية من القابلية التي لديه ، وبالتالي لن تجدي تلك الجهود نفعاً ، مادامت أول ما قتلت فيه قابلية العلاج .

لذلك قال الإمام يائساً من إخراجه مما هو فيه : «إن حاشية الشيخ المتظري سوف تقضي عليه فور أن تستفيد منه الاستفادة اللازمة»<sup>(١)</sup> .

ولكن أطاف الله تبارك وتعالى وحكمة الإمام الخميني قدس سره حرماً تلك الحاشية من الاستفادة من أي شيء ، إلا أن استفحال خبثها في القضاء على الشيخ المتظري أخذ مجراه الطبيعي .

إن ذلك الداء المزمن الذي لم توفق كل الجهود في معالجته هو البساطة

والسذاجة التي تجعل الإنسان أسرع ما يحسن الظن في الآخرين دون القدرة على كشف المخادع ، أو قل سريعاً ما يقع في حبال الكيد ، مهما كانت واهنة .

هذه السذاجة ليست داءً يرتفع بالعلم أو مرضاً محسوساً يرتفع بوصفة طبية من الأعشاب أو المحاليل الكيميائية ، وإنما هي مرض نفسي يرتفع من خلال الاستفادة من قراءة حقائق من حوله من الناس ، وقراءة أثر تلك الحقائق على الواقع العملي .

وأهم ما في الدواء الجرأة على مواجهة الآخرين والتعرف عليهم قبل الوثوق بهم ، وبالطريقة التي لا تشعره بأنه يضعهم في مختبر ثقته ، فلا يقوم بالتحقيق مع أناس ويستثني آخرين ، بل عليه أن يكون شديد الحساسية تجاه أي خطأ يراه ، ويتهم أي مخطئ في أول الأمر على أنه متعمد ، ومن أجل الإيقاع به . فلا يبرر خطأ بحجة صدور ذلك دون قصد ، ويجاهر بالامتعاض من آخرين لأقوال فيهم بحجة أنه لا يمكن أن يكون كل ما يقال عنهم لا صلة له بالحقيقة . لا يمكن أن يصل إلى الحقيقة إذا صدق من يحتمل كذبه وكذب من يصعب صدور الكذبة منه .

والأمر الآخر الاستعانة بأناس فطنين لا يتحاملون على أحد بالسوء أو باتهامه بالسوء ، ويحسن ذلك الاستفادة من مشورة الأصدقاء .

هذا ما أتصوره علاج الحالة إذا ما أريد لها العلاج حقاً .

وبالنسبة لمسألة الشيخ المنتظري فهو يعلم أن أخلص أصدقائه وأشفقهم عليه هو الإمام الخميني قدس سره وباعترافه هو أن الثورة لم تكن لتتحقق شيئاً لولا ما يتمتع به من حكمة وذكاء مذهلين ، فكيف يريد أن يخرج مما هو فيه وهو يتهم الإمام بالإساءة إليه بحجة وقوعه في شرك بعض الأجنحة المتآمرة

الأولى - مشكلة الشيخ المنتظري في حياة الإمام الراحل قدس .

الثانية - وضعه في عهد خليفة الإمام الخميني قدس الإمام الخامنئي حفظه الله تعالى .

الثالثة - مذكراته والادعاءات المشوشة التي أطلقها فيها .

الرابعة - ردود الفعل على الصعيد الشعبي والنخبة في المجتمع .

### الحلقة الأولى :

عندما كان الشيخ المنتظري مرشحاً سابقاً ، ثم أقيـل عن ذلك ، هل كان حينها هو المصداق لتلك الشروط؟ أم كان التصور بذلك سارياً حتى تبين الخلاف ، فتم عزله؟

هذا ما ستقرره هذه الدراسة إن شاء الله تعالى .

عندما نرجع إلى حيثيات القراءة التي على ضوئها قرر مجلس الخبراء انتخاب الشيخ المنتظري لمقام نائب القائد يتضح لنا أن الشيخ المنتظري هو الأقرب إلى تنجـز مواصفات القائد فيه من غيره قبل التعديل في تصور مجلس الخبراء ، وأن ما فيه من قصور يمكن جبره بالمراقبة والمتابعة والمناصحة والمشورة من خلال الجهات القانونية المعنية بمساعدة القيادة في صنع القرار .

في حين أن الإمام الخميني قدس كان يرى أن المشكلة لا تعالجها المراقبة والمتابعة والاستشارة من خلال الطرق القانونية ، وإنما المشكلة تكمن في القصور الذاتي الذي لا يمكن معالجته بالمؤثرات الخارجية ؛ إذ إن القائد هو الذي يختار المساعدين والمستشارين وليس جهة غيره ، وهنا تكمن المشكلة ، إلا إن الإمام قدس لم يكن يرى من الصالح التدخل في صلاحيات مجلس الخبراء القانونية في أول

تجربة لهم في اختيار خليفة القائد ، وعلى ضوء ذلك تمّ انتخاب الشيخ المنتظري لمقام نائب القائد .

ما تقصّر عنه ذاتية الشيخ المنتظري لمقام القيادة - حسب رأي الإمام تقيّد - يوافق رأي الكثيرين ، ولذلك منهم من أبدى رأيه وفق ما يتيح له القانون ، ومنهم من تجاوز الأطر القانونية المتاحة في إبداء الرأي ، فأهان مشاعر الكثيرين ، ودون مراعاة أحد ، وهتك حيثيات محترمة لا يمكن لأحد أن يقبل بذلك بحجة الإدلاء بالرأي .

يقول الإمام الخميني في خطاب العزل للشيخ المنتظري :

« إن قيادة نظام الجمهورية الإسلامية أمرٌ صعب ، ومسؤولية ثقيلة وخطيرة ، وتحملها لا تسعها طاقتكم »<sup>(١)</sup> .

وواضحٌ من خلال قراءة الإمام تقيّد أنه يفرق بين الإدراك المعرفي والطاقة على محاكاة ذلك الإدراك عملياً على مسرح الواقع ، وهو - أيضاً - يفرق بين العلم بالشيء والإيمان به .

وهذه النتيجة لدى الإمام لم تكن وليدة نتاجات موقف الشيخ المنتظري من قضية مهدي الهاشمي ، وإنما هو ملتفتٌ لها قبل تعيينه خليفة له ، تأكيداً منه على أنّ قصور القابلية والاستعداد ليس عرضياً وإنما هو حالة ذاتية كامنة في بساطته ، ولذلك قال : « كنتُ أنا وأنتم معارضين لهذا الانتخاب منذ البداية »<sup>(٢)</sup> .

بالطبع إن قول الشيخ المنتظري للإمام في رسالة إليه : « أنا كنت أتوقع أن سماحتكم سوف تنقطعون في يومٍ من الأيام عن أكثر محبيكم ، ولكن لم أكن

(١) المذكرات ، ص ٣٥٣ .

(٢) المذكرات ، ص ٣٥٣ .



أتوقع أن يتحقق ذلك بمثل هذه السرعة»<sup>(١)</sup> يعطي مفاداً مؤداه أن عدم موافقته لأن يكون خليفة القائد ليس شعوراً منه بعدم تحمُّل طاقته للقيادة ، وإنما لشعوره حسب اعتقاده وجود تيارٍ في النظام لا يرغب في توليه مهام القيادة بعد رحيل الإمام قَدْئُل ، وهذا ما يفهم من قوله للإمام : « . . . يبدو أن هناك مؤامرة عظيمة على وشك التكوين ، هدفها من ناحيةٍ طرح تضادٍ بين سماحتكم وبينني والعياذ بالله ، ومن ناحيةٍ أخرى هتك حرمة بيتي ، وما يرتبط بي»<sup>(٢)</sup> .

وفي رسالة أخرى يقول فيها : « . . . أخاف أن يكون في جهاز الأمن جناحٌ يريد أن يقوم بأعمالٍ باسم سماحتكم لا تكون عاقبتها إلا ضرب الثورة وسماحتكم ، وتصفية الحساب معي»<sup>(٣)</sup> ، وما قوله : « وبالنظر للمشاكل الكثيرة ، ونقل المسؤولية كسبتٌ في ذلك الوقت إلى مجلس الخبراء بأنَّ تعييني ليس فيه مصلحة»<sup>(٤)</sup> ، إلا من خلال شعوره بعدم تحمُّس الإمام لتعيينه ، ورغبته هو في ممارسة دوره كأستاذٍ في الحوزة ، وأنَّ ما لديه من مؤاخذات على النظام والمسؤولين هي عينها التي أدت إلى عزله ؛ لأنه يشعر أن هذه المؤاخذات إذا ما باح بها ستفضي به إلى مواجهة من يحب ، وهذا ما يؤكد قوله للإمام في رسالته : «أنا كنت أتوقع أن سماحتكم سوف تنقطعون في يومٍ من الأيام عن أكثر محبيكم» ، وإلا لا يمكن أن ينسجم قوله : « . . . أطلب من سماحتكم أن تأمروا مجلس الخبراء بأن يأخذ في نظر الاعتبار مصلحة مستقبل الإسلام والثورة والبلاد بشكلٍ قاطع» مع قوله : «أنا كنت أتوقع أن سماحتكم سوف تنقطعون في يومٍ من الأيام

(١) المذكرات ، ص ٩٢ .

(٢) المذكرات ، ص ٦٧ .

(٣) المذكرات ، ص ٦٧ .

(٤) المذكرات ، ص ٣٥٠ .

عن أكثر محبيكم» خاصة وأنه يعتبر نفسه مع الإمام والثورة كما يقول : «اطمئنا - كما كنت - منذ بداية الكفاح حتى الآن في جميع المراحل كجندي مُضْحٍ ومطيع إلى جانب سماحتكم على مسار الإسلام والثورة»<sup>(١)</sup> ، بمعنى أن الإمام هو الذي تغير وليس هو .

هذا المد والجزر الحاصل في داخل الشيخ المنتظري أفرز شواهد عملية بحجم الإعداد لانقلابٍ يمس عمق النظام وجوهره ، مما جعل تسليم أمر القيادة إليه وهو بتلك الحالة غير مثمر ، بل وسيولّد مشاكل على النظام أضعاف ما سيقوم بها (منافقو خلق)<sup>(٢)</sup> أو يتسببون فيها هم ومن نهج نهجهم .

هذا على المستوى النظري مع الاستعانة ببعض الشواهد العملية ، وهي تحتاج إلى مصاديق تؤكد واقعيتها .

نحن لن نستعرض كل ملف القضية ، والمشاكل التي حصلت للنظام بسببها ، وإنما سنعمل على عرض المصاديق الدالة على آنف ما قلناه ، وإن طالت ، لتضح الأمور كما يجب .

### اضطرابات المنتظري في قراءة الأحداث والشخصيات

من رسالة للشيخ المنتظري إلى الإمام تُقَدِّمُ يقول فيها : « . . . مع السلام والشكر لمواقفكم المدبّرة ، وتعاملكم الحازم مع القضايا المنحرفة ، يُرجى أن تأمروا بمتابعة جرائم السيد مهدي الهاشمي ، والأشخاص المرتبطين به ، والاتهامات الموجهة إليهم ، دون غضٍ النظر ، وبدقة كاملة ، وطبقاً لموازن العدل الإسلامي ،

(١) المذكرات ، ص ٣٥٠ .

(٢) مجاهدو خلق الفئة المنحرفة ذات التوجهات الماركسية التي يعبر عنها الشعب الإيراني بمنافقي

ولو بلغ ما بلغ ، وألا يمنع ارتباطه السببي ، أو ارتباط الآخرين معي ، أو أي شخصٍ أو مراعاة حرمة هذا وذاك ، من التحقيق والمتابعة ؛ لأن حفظ حرمة الإسلام ودرء الانحرافات عن الإسلام الحبيب والثورة المقدسة ، والعلماء مقدمة على كلِّ النواحي»<sup>(١)</sup> .

إلا أن الشيخ المنتظري لم يلتزم بما دعا إليه في رسالته ، وطالب بأن يكون التحقيق مع صهره السيد هادي - شقيق السيد مهدي - بشكلٍ مختلفٍ عن الآخرين عندما قال : « لا يجلب السيد هادي للتحقيق إلى طهران ؛ لأنَّ ذلك يعرض سمعتي لضربة ، وليأتِ أفراد الأمن إلى هنا ليحققوا معي»<sup>(٢)</sup> ، مع أنه قال في رسالته الآتفة إلى الإمام : « يُرجى أن تأمروا بمتابعة جرائم السيد مهدي ... دون غضٍّ النظر ، وبدقة كاملة ، وطبقاً لموازن العدل الإسلامي ، ولو بلغ ما بلغ ، وألا يمنع ارتباطه السببي ، أو ارتباط الآخرين معي ، أو أي شخصٍ أو مراعاة حرمة هذا وذاك ، من التحقيق والمتابعة ؛ لأن حفظ حرمة الإسلام ودرء الانحرافات عن الإسلام الحبيب والثورة المقدسة ، والعلماء مقدمة على كلِّ النواحي»<sup>(٣)</sup> . حتى لقد قال الإمام عنه في ذلك : «إن حبر قلمه الذي كتبه لي وطلبه أن يتم التعامل معهم طبق المقررات لم يجفَّ بعدُ حتى الآن»<sup>(٤)</sup> .

وفي الملف الكثير مما يصلح عرضه كشواهد عملية لما قلناه في تقلبات مواقفه ، ومن ذلك رسالته التي أعلن طاعته للقيادة ، واعتبار الإمام هو القائد الذي أوصل النظام والثورة إلى ما وصلنا إليه من النجاحات والإنجازات المعجزة :

(١) المذكرات ، ص ٩١ .

(٢) المذكرات ، ص ٩٧ .

(٣) المذكرات ، ص ٩١ .

(٤) المذكرات ، ص ٩٩ .

« اطمئنا - كما كنت - في بداية الكفاح وحتى الآن في جميع المراحل كجندي مضح ومطيع إلى جانب سماحتكم على مسار الإسلام ، أنا الآن - أيضاً - أعتبر نفسي ملتزماً بإطاعة وتنفيذ أوامر سماحتكم ؛ لأن بقاء وثبات النظام الإسلامي مرهونٌ بالإطاعة للقيادة»<sup>(١)</sup> . إلا أنه في نص آخر يتحدث فيه عن عقوق الإمام له ، ويستهجن طريقة الإمام في التعامل معه : « في أي مكان في العالم يتصرف صديقٌ وأبٌ مع ابنه وصديقه وحامل نفس أفكاره هكذا » . ويعني استهجاناً لطريقة تعامل الإمام معه باجراء أحكام الله في المقربين إليه .

ويذهب إلى أبعد من ذلك - وفي نفس الرسالة - حين يقول : « إن سماحتكم جراتم بهذا العمل المعارضين الذين يخافون أو يخجلون من التظاهر ، وأعطيتهم إمكانية توجيه ضربة » .

وفي موقع آخر يمسح ما قاله من كلام جارح بقوله : « لا يشك أي شخص بأن هذه الثورة العظيمة تجاوزت حتى الآن في ظل قيادة وإرشادات سماحتكم أخطاراً عظيمة»<sup>(٢)</sup> .

وفي الملف - أيضاً - نص آخر له يقول فيه : « لا أعلم إلى أي درجة أنتم مطلعون على استفادة أعداء الثورة والمخالفين من هذه القضية ، وتحاليل الإذاعات والجرائد الأجنبية لها ، وسرورهم بها»<sup>(٣)</sup> .

وفي نص آخر له ينسخ قوله الآنف يقول : « . . . وفضحت وأخرجت - إرشاداتكم - من الساحة أعداء كثيرين ، مثل المناققين غمي القلوب ، الملطخة أيديهم بدماء آلاف الأشخاص من الناس والشخصيات الحبيبة ، ومنها ولدي

(١) المذكرات ، ص ٣٥٠ .

(٢) المذكرات ، ص ٣٥٠ .

(٣) المذكرات ، ص ٩٣ .

الحبيب»<sup>(١)</sup> .

وفي نصٍ مثيرٍ يتقد فيه ملاحظة أولئك المحاربين الدمويين - حسب قوله السابق - بالسلاح ويقول : «إن مجاهدي الشعب ليسوا بأشخاصٍ ، بل هم أسلوب تفكيرٍ وطريقة تحليلٍ ، نوعٌ من الفكر ، والفكر غير الصحيح يُواجه بالصحيح . لا تحلُّ المسألة بالقتل ، بل بالعكس ، يُعدُّ هذا الأمر نوعاً من الترويج»<sup>(٢)</sup> . ويقصد بذلك أن مجاهدي خلق فريقٌ معارضٌ بالفكر ، والقضاء على هذا الفريق كمعارضة فكرية بالسلاح إنما يؤدي إلى الدعاية والترويج لهذا الفكر !! .

وفي نصٍ جريحٍ ومقززٍ يقول فيه : «أنا كنتُ أتوقع أن سماحتكم سوف تنقطعون في يومٍ من الأيام عن أكثر محبيكم ، ولكن لم أكن أظن أن يتحقق ذلك بمثل هذه السرعة»<sup>(٣)</sup> .

وفي نصٍ مختلفٍ تماماً يقول فيه : «وإذا حصلت أخطاء ونقاط ضعف - وهي من لوازم طبيعة الإنسان - فإن شاء الله ترتفع بقيادة سماحتكم . . . أمل أن يستفيد هذا التلميذ المخلص [ويعني نفسه] دائماً من توجيهاتكم»<sup>(٤)</sup> ، ويقول أيضاً : « . . . وأطلب من جميع الأخوة والأخوات الأعزاء والمحبين أن لا يقوموا بأي عملٍ ، ولا يتكلموا بكلمة ، بحجة الدفاع عني فيما يخص قرار القائد والخبراء المحترمين ؛ لأنَّ القائد والخبراء لا يريدون غير مصلحة الإسلام والثورة»<sup>(٥)</sup> ، وما ذلك إلا لأنَّ : «الثورة العظيمة تجاوزت حتى الآن في ظل قيادة وإرشادات

(١) المذكرات ، ص ٣٥٠ .

(٢) رسالة اللوعة ، ص ٩٣ .

(٣) المذكرات ، ص ٩٣ .

(٤) المذكرات ، ص ٣٥٠ - ٣٥١ .

(٥) المذكرات ، ص ٣٥٠ - ٣٥١ .

سماحتكم ... وفضحت وأخرجت من الساحة أعداء كثيرين ، مثل المنافقين  
 غمي القلوب ... وسائر التيارات المعارضة والمعادية للثورة ، والمساومة والبرالية  
 المنحرفة»<sup>(١)</sup> .

إلا أنه في نصٍ أشد اشمئزاً من غيره يقول فيه : «... سمعنا أنكم قلتُم إن  
 فلاناً [ويعني نفسه] يفترضني وكأنني الشاه ، وجهاز الأمن كأنه سافاك الشاه ،  
 طبعاً أنا لا أفترض أن سماحتكم شاهاً ، ولكن جرائم جهاز أمنكم وسجونكم  
 بيضت وجه الشاه وسافاك الشاه»<sup>(٢)</sup> .

ويكرر في نصٍ آخر راجعاً عن قوله الأنف فيقول : «مع السلام والشكر  
 لمواقفكم المدبّرة وتعاملكم الحازم مع القضايا المنحرفة ، يرجى أن تأمروا  
 بمتابعة جرائم السيد مهدي الهاشمي والأشخاص المرتبطين به»<sup>(٣)</sup> . إلا أنه  
 ينكص - أيضاً - عن موقفه الأخير هذا ويطلب بعدم تطبيق الأحكام المتعلقة  
 بتلك الجرائم التي قام بها ، واعترف هو بها ، وبالرغم من ذلك يقول عن مهدي  
 الهاشمي : «إنه ليس مرتدّاً ولا محارباً ولا مفسداً ، وبالتالي لديه اعتقادٌ كاملٌ  
 بالثورة والإسلام .

إن إعدامه يؤدي إلى تلويث سمعة وانعزال أشخاص جيدين في مدن مختلفة  
 بتهمة الارتباط معه .

إن الإعدام وسفك الدماء ستبعتها كدورة دم . إن الإعدام سهلٌ دائماً ، ولكن  
 المقتول لا يمكن إحيائه»<sup>(٤)</sup> .

(١) المذكرات ، ص ٣٥٠ .

(٢) المذكرات ، ص ٩٣ .

(٣) المذكرات ، ص ٩١ .

(٤) المذكرات ، ص ٣٤٤ .

هذا العرض - السالف - يوضح مدى الاضطراب الكبير في نفسية الشيخ المنتظري ، وتلوّن مواقفه في القضية الواحدة ، لا يناسب موقع القيادة ، ومن المؤكد أن ذلك يهدد النظام كله إذا ما وصل إلى القيادة وهو على هذه الحالة .  
وهنا نسأل : هل من الممكن انتشاره من هذا الوحل القاتل الذي أوقعته بساطته فيه؟

لا أظن أن هناك داءً ليس له دواء ، إلا أن تحديد نوع الداء والدواء المناسب له والقابلية الكافية لدى المريض في استقبال الدواء عناصر ضرورية يساهم في توفيرها الطبيب والمريض .

وهذه الحالة التي لدى الشيخ من الممكن القضاء عليها كحالة مزمنة فيه وتحولها إلى حالة عرضية ، لو التفت هو إلى الجهود المتوالية التي بذلها الإمام في مساعدته للخروج منها . إلا أن الداء في أول أمره كان منصباً على قتل الثمالة الباقية من القابلية التي لديه ، وبالتالي لن تجدي تلك الجهود نفعاً ، مادامت أول ما قتلت فيه قابلية العلاج .

لذلك قال الإمام يائساً من إخراجه مما هو فيه : «إن حاشية الشيخ المنتظري سوف تقضي عليه فور أن تستفيد منه الاستفادة اللازمة»<sup>(١)</sup> .

ولكن أطاف الله تبارك وتعالى وحكمة الإمام الخميني قدس سره حرماً تلك الحاشية من الاستفادة من أي شيء ، إلا أن استفحال خبثها في القضاء على الشيخ المنتظري أخذ مجراه الطبيعي .

إن ذلك الداء المزمن الذي لم توفق كل الجهود في معالجته هو البساطة

والسذاجة التي تجعل الإنسان أسرع ما يحسن الظن في الآخرين دون القدرة على كشف المخادع ، أو قل سريعاً ما يقع في حبال الكيد ، مهما كانت واهنة .

هذه السذاجة ليست داءً يرتفع بالعلم أو مرضاً محسوساً يرتفع بوصفة طبيّة من الأعشاب أو المحاليل الكيميائية ، وإنما هي مرض نفسي يرتفع من خلال الاستفادة من قراءة حقائق من حوله من الناس ، وقراءة أثر تلك الحقائق على الواقع العملي .

وأهم ما في الدواء الجرأة على مواجهة الآخرين والتعرف عليهم قبل الوثوق بهم ، وبالطريقة التي لا تشعره بأنه يضعهم في مختبر ثقته ، فلا يقوم بالتحقيق مع أناس ويستثني آخرين ، بل عليه أن يكون شديد الحساسية تجاه أي خطأ يراه ، ويتهم أي مخطئ في أول الأمر على أنه متعمد ، ومن أجل الإيقاع به . فلا يبرر خطأ بحجة صدور ذلك دون قصد ، ويجاهر بالامتعاض من آخرين لأقوال فيهم بحجة أنه لا يمكن أن يكون كل ما يقال عنهم لا صلة له بالحقيقة . لا يمكن أن يصل إلى الحقيقة إذا صدق من يحتمل كذبه وكذب من يصعب صدور الكذبة منه .

والأمر الآخر الاستعانة بأناس فطنين لا يتحاملون على أحد بالسوء أو باتهامه بالسوء ، ويحسن ذلك الاستفادة من مشورة الأصدقاء .

هذا ما أتصوره علاج الحالة إذا ما أريد لها العلاج حقاً .

وبالنسبة لمسألة الشيخ المنتظري فهو يعلم أن أخلص أصدقائه وأشفقهم عليه هو الإمام الخميني قدس سره وباعترافه هو أن الثورة لم تكن لتحقق شيئاً لولا ما يتمتع به من حكمة وذكاء مذهلين ، فكيف يريد أن يخرج مما هو فيه وهو يتهم الإمام بالإساءة إليه بحجة وقوعه في شرك بعض الأجنحة المتآمرة



عليه ، ويعمل بكل نصائح صهره وأخيه بعنوان أنهما أخلص من يستشير ، رغم تحذيرات الإمام المتكررة من خطرهما عليه؟ .

كيف يريد الخروج مما هو فيه وهو لا يثق بنصائح صديقه؟ مع أنه ليس من الصعب تجربة علاج المؤامرة التي تحاك ضده من خلال نصائح الإمام الخميني قدس بعد فشل علاجها طويلاً من خلال تسويلات مستشاريه .

خلاصة ما في الأمر أن هذه الحالة تتنافى مع شرط (القوة وحسن الولاية) بنقاطها الأربع التي ذكرها الشيخ نفسه ، في تأهيل المرشح للقيادة .

### ملف اقتراحات مهدي الهاشمي

وعلى ضوء ذلك - ولكي نفهم التفاصيل في المؤامرة - سنقوم باستعراض أهم ما جاء في ملف مهدي الهاشمي ، وسنستنطق الهاشمي نفسه من خلال اعترافاته ، وتطور السلبية في مواقف الشيخ المنتظري إلى أن وصل الأمر إلى نقطة الالعودة ، والنتيجة الحتمية لتلك السلبية ، والتي هي قرار الإقالة .

### لقاء مع المسؤول المباشر عن الملف

وأول بدايتنا هو السؤال التالي الذي سنوجهه إلى المعني بمتابعة ملف مهدي الهاشمي عن : ماذا كان يقوم به السيد مهدي الهاشمي بشأن حركته المشبوهة؟ ولماذا فعل ذلك؟ ولماذا دافع الشيخ المنتظري عنه؟ وكيف استطاع السيد الهاشمي الاستحواذ على الشيخ المنتظري؟ وكيف كان الإمام الخميني قدس ينظر إلى السيد مهدي الهاشمي؟ ثم بعد ذلك نتناول تطور موقف الشيخ المنتظري ، إلى أن أدى به إلى الإقالة .

يجيب الشيخ محمد محمدي ري شهري - المعني بمتابعة الملف - عن

السؤال الأول ، وفي ثناياه إجابات لأكثر الأسئلة ، وسوف نقوم بتلخيص الإجابة ، والإشارة إلى مصدرها لطلب التفصيل .

يجيب الشيخ الري شهري :

« . . . لم يبق إلا وقت قصير لحلول الذكرى السادسة على الحرب المفروضة ، وكان من المقرر أن يتم هجوم كاسح على الجبهات ، بنحو يمكن عده من أجراً الخطط التي دُبّرت على أيدي الحرس والقوات الشعبية . . . ورغم الجهود التي بذلها العدو كان بالإمكان التنبؤ بأن الجبهة الخلفية وداخل المدن سيكون عاملاً مساعداً لإنجاح هذا المخطط ، وببركة وجود الإمام تُثبِّتُ . . . ففي تلك الأيام إذ كانت الحرب قائمة . . . وبسبب طبيعة عملي [في جهاز أمن الدولة] كنت أبصرُ معضلات كثيرة ، وبحكم وظيفتي كنت أبحث في الأمور ومظاهرها المختلفة من الجهة التي تشكل خطراً احتمالياً على نظام الجمهورية الإسلامية . . . وكان احتلال العدو أجزاءً من أراضي الوطن الإسلامي جزءاً من مشاكل الدولة ، وهو جزءٌ بارزٌ بين المشاكل الكثيرة التي كان أغلبها ثمرة تحركات المخالفين التي يقومون بها في الخفاء .

دق جرس الهاتف ، وكان المتكلم هو ( . . . ) ، المدير الأعلى لمكافحة التجسس ، في وزارة المخابرات - آنذاك - يخبر عن كشف وكر . . . قرأيتُ أماناً مسألتين أساسيتين :

الأولى : وجود بيت حزبي سري ، كُشِفَ بواسطة دائرة مكافحة التجسس ، ومشاهدة تلك الأشياء الخطيرة .

والثانية : في صدد هذه المسألة ، وهي ما قيل عن ارتباط مهدي الهاشمي بهذا المنزل . . . وماعلاقته بالأسلحة والعتاد ؟

... العقل يحكم بأن يوضع المنزل تحت تصرفنا ومراقبتنا بأسرع وقت .

إنّ اتخاذ هذا القرار ( . . . ) لم يكن بالأمر الصعب ، وربما كان لا يعدُّ سوى إجراء أولي ، وإنما المهم كان هو الموقف غير المتوقع الذي كان سيتخذه الشيخ المتظري من هذه المسألة ، وانعكاس ذلك وأثره على الجو الداخلي في البلاد ، ووضع جبهات القتال وغير ذلك . إذ كان هناك اطمئنان إلى أنّ الشيخ المتظري يحمي هذا الإجراء ، أو يسكت ويصبر على الأقل ، أو كان يُحتمل أنه سيتخذ موقفاً غير عاطفي كانت المشكلة الثانية ترتفع بنفس السهولة التي في المشكلة الأولى .

قبل الثورة الإسلامية كان مهدي الهاشمي يُعرف فقط بتهمة قتل المرحوم شمس آبادي ، ولم تكن عندي معلومات أكثر حوله وحول أعوانه ، وفي السنوات الأولى بعد انتصار الثورة رأيتُه مرة أو مرتين في مكتب سماحة الإمام .

وبعد تأسيس وزارة المخابرات عام ١٣٦٣ (هـ . ش) ، كلفت وحدات مختلفة تقوم بمهام متنوعة وأنشطة استخبارية من أجل المحافظة على أمن البلاد بنقل تجارها ووثائقها إلى وزارة المخابرات ، وواحدة من هذه المراكز كانت : (مؤسسة استخبارات حرس الثورة الإسلامية) ، حيث كان لديها معلومات مهمة وقيمة ، من بينها معلومات بشأن مهدي الهاشمي ، فكُلِّفت هذه المؤسسة من قبل الإمام مباشرة بمراقبة مهدي الهاشمي ، وتفصيل هذه المهمة على ما نقله مسؤول المؤسسة آنذاك ، كالآتي :

(بعد عزل بني صدر من قيادة القوات المسلحة تغيير أيضاً قائد الحرس عام ١٣٦١ (هـ . ش) ، فشكَّلت أول جلسة لشورى الحرس العليا بتركيبتها الجديدة بحضور السيد الإمام ، وحضر الجلسة أشخاص ... اشترك فيها أيضاً مهدي الهاشمي ، الذي كان يشغل منصب مسؤول وحدة الحركات في الحرس ، بدعم من الشيخ المتظري .

وقام كل مسؤول بتقديم تقرير عن مهام وحدته وطرق عملها ، وكان الإمام يُصغي إلى التقارير ، ويدلي بما لديه ، وأشار مهدي الهاشمي ضمن تقريره إلى سبل تصدير الثورة ، وبعد أن أتم مهدي الهاشمي كلامه ، تكلم الإمام بما يفند في معظمه آراء مهدي الهاشمي .

وكانت لهجة الإمام في عدم دعمه أو عدم الارتياح منه واضحة ، الأمر الذي أدهش الجميع ، وأثار مهدي الهاشمي .

وبعد انتهاء الجلسة بقي عددٌ من الحاضرين عند الإمام بُغية اطلاعه على تقرير سري عن أوضاع البلاد ، وكنتُ أنا منهم ، بوصفي مسؤولاً في مركز استخبارات الحرس ، فقال الإمام : (راقبوا مهدي الهاشمي) .

إن تغلغل مهدي الهاشمي وأنصاره في الأجهزة المختلفة ، وتحت مظلة دعم الشيخ المنتظري ، وحتى بعد التصويت على نظام الحرس في مجلس الشورى ثم عزله ، لم يكف عن نشاطاته ، وأخذ يمارس أعماله عن طريق مؤسساته السرية ، وكان يعمد هو وأنصاره إلى إخراج الوثائق والأجهزة والأسلحة وجميع إمكانات قسم الحركات التحريرية من وزارة الحرس ، وتنقل إلى مراكزهم ، ثم رفع تقرير بهذا العمل غير الشرعي إلى الإمام .

كانت طهران وقم وأصفهان المراكز الأساسية لأنشطة مهدي الهاشمي .

وبعد اللقاء الذي تم - بعد ثلاثة أشهر من توجُّهنا إلى أصفهان - مع الإمام عرضنا تقريراً عن وضع الحوادث التي جرت في أصفهان ، ومن بينها أنشطة تيار مهدي الهاشمي ، فقال الإمام : هل يتردد الهاشمي على الشيخ المنتظري وبيته؟ ثم أمر في أثناء الجلسة بما يلي : راقبوا أنشطة هؤلاء (مهدي الهاشمي وتياره) ، يجب تشتيتهم .

كان الإمام يبدو لدى تلفظه بهذه الكلمات حاداً ومتألماً . . . وكان يستشعر خطراً شديداً على الثورة من قبل هذا التيار .

وبعد هذا اللقاء ، ورغم المشاكل والموانع الكثيرة أعدت تقارير عن أنشطة مهدي الهاشمي وأنصاره غير الشرعية والمنحرفة ، المتعلقة بما قبل الثورة وبعد الثورة . . . وأرسلت إلى الإمام ) .

ثم نقلت هذه الوثائق المشتملة على (٩٢) ملفاً بأمر من الإمام بتاريخ ١٣٦٥ / ٧ / ٢٨ هـ . ش إلى وزارة المخابرات .

ولأجل اكتشاف جلية الأمر طلبتُ ملف مهدي الهاشمي من إدارة مخابرات إصفهان العليا ، فكانت هناك ثلاثة أمور ظاهرة للعيان في هذا الملف ، وهي :

- ١ - مسؤولية مهدي الهاشمي القطعية عن مقتل المرحوم الشمس آبادي .
- ٢ - تعاونه مع السافاك .
- ٣ - رسالته إلى رئيس السافاك .

فوجدتُ أن من واجبي الشرعي متابعة القضية ، فأعددت صوراً تدل على صدق الأمور المتقدمة ، وأرسلتها إلى السيد الإمام والشيخ المنتظري .

توهمتُ بعد إظهار هذه الوثائق أن الشيخ المنتظري سيكف عن الدفاع عن مهدي الهاشمي . . . إلا إنه - ومع الأسف - برر ارتباط مهدي الهاشمي بالسافاك بأنه لا بد أن يكون تحت وطأة الضغط والإكراه»<sup>(١)</sup> .

«لقد ألجانا الشعور بالمسؤولية لمتابعة الحدث إلى الاستمداد من الإمام ، فتناهى الخبر إلى سمع الإمام عن طريق مكتبه بعد اتصال هاتفي ، قال الإمام

في جوابه : « اذهبوا واجلبوا كل الوثائق غير القانونية من هذا الوكر » .

وفي الأثناء - تفتيش الوكر - انهمر علينا سيل من الاتصالات من بيت الشيخ المنتظري يطلب إيقاف العمل ! .

اقترحتُ على الإمام لقاء الشيخ المنتظري بشأن مهدي الهاشمي فوافق ، ولكنه رجع فيما بعد - وقرر - أن يرسل رأيه بصورة رسالة إليه .

كان الإمام قد طلب من الشيخ المنتظري إذا لم يُسَلِّم مهدي الهاشمي إلى وزارة الأمن بسبب عُذرٍ شرعيٍّ فعلى الأقل يسكت ، وللأسف كان عمل الشيخ المنتظري يتعارض علانية مع رأي الإمام .

مضت عدة أيامٍ من المراسلة الأولى لسماحة الإمام مع الشيخ المنتظري بشأن مهدي الهاشمي ، ولكن لم تحصل أية مبادرة من قبل الشيخ المنتظري لتسليم أو إرجاع أمر مهدي الهاشمي إلى وزارة الأمن ، ولم يتنه انتظارنا إلى نتيجة .

فصدر أمرٌ إلى مديرية أمن قم بإخبار السيد مهدي الهاشمي بوجوب تسليم نفسه إلى مقر وزارة الأمن في طهران ، وحصل هذا الأمر ، فقد سلم مهدي الهاشمي نفسه بعد تأخير يومين أو ثلاثة أيام .

وبعد أن أصبح اعتقاله لا مفر منه تصاعدت الضغوط لمنع التحقيق معه ، ومن بين هذه الضغوط كان إضراب الشيخ المنتظري الذي قال للإمام : ( يرجى متابعة جرائم السيد مهدي الهاشمي والأشخاص المرتبطين به . . . وأن لا يمنع ارتباطه السببي معي من التحقيق والمتابعة ) .

والسؤال الآخر موجهٌ - أيضاً - للشيخ الري شهري ، وهو : ما نوع الجرائم التي اتُّهمَ بها السيد مهدي الهاشمي ؟

يجيب الشيخ الري شهري بقوله :

١- تنظيم وقيادة مجاميع متعددة إرهابية واختطاف قبل وبعد الثورة .

قبل الثورة وقعت عمليات قتل وجرائم مشكوكة في منطقة قهدريجان وإصفهان وضواحيها ، وكلّ منها تُنسب إلى مهدي الهاشمي ومجموعته بشكل من الأشكال ، ولكن ما حصل عن طريق مجموعته على أساس محتويات الملف واعترافاته الشخصية الصريحة هي كما يلي (ونعرض الملخص) :

أ - عمليات قتل قبل الثورة حسب ترتيب وقوع الحادثة :

١ - قتل جهان سلطان آقائي .

٢ - قتل رمضان مهدي زاده .

٣ - قتل الشيخ قنبر علي صفر زاده .

٤ - قتل السيد أبو الحسن الموسوي شمس آبادي .

ب - عمليات قتل بعد الثورة :

١ - قتل المهندس أمير عباس بحرنيان .

٢ ، ٣ ، ٤ - قتل عباس قلي حشمت وولديه همايون وسعيد .

ج - محاولة تأسيس وإدارة حرس مستقل في (لنجان السفلى) ، وتزويدهم بالمواد والسلاح .

د - افتعال مواجهة مع لجنة الثورة الإسلامية في المنطقة ، حيث انجر إلى قتل وجرح عشرات الأشخاص .

و- أخذ أكثر من مائتين وثمانين قطعة سلاح وعتاد ومتفجرات وأموال كثيرة من قوات حرس الثورة الإسلامية وإخفائها .

ز- إيجاد شبكة نفوذ في المؤسسات والدوائر ، وسرقة وثائق سرية ، وكسب أخبار ومعلومات .

ح- العمل على إضلال الشباب ، وجمع وتنظيم أشخاص ذوي سوابق ومتطرفين ومطرودين من مؤسسات ودوائر الثورة الإسلامية .

السؤال الثالث - أيضاً - إلى الشيخ ري شهري : هل اطلع الشيخ المنتظري على ملف جرائم السيد مهدي الهاشمي ؟

يجيب الشيخ الري شهري :

«بعد أن ثبتت جميع التهم الموجهة إلى مهدي الهاشمي احتملت أن تقديم الوثائق ربما يستطيع أن يرفع استعداد الشيخ المنتظري لسماع الحقائق . . . وللأسف كانت نتيجة التقييم لأرائه تشير إلى عدم تأثير الحقائق الصريحة ، بسبب اعتماده المطلق على تيار مهدي الهاشمي وأخيه .

لم يهتم الشيخ المنتظري بشكلٍ جاد ببعض المسائل ، كجرائم مهدي الهاشمي وزمرته . وبملاحظة ما جاء في المقابلة يبدو أن الشيخ المنتظري اضطر إلى كتابة رسالة موجهة إلى سماحة الإمام [يقول في بعضها]:

«يرجى أن تأمروا بمتابعة جرائم السيد مهدي الهاشمي والأشخاص المرتبطين به ، والاتهامات الموجهة إليهم من دون غض النظر ، وبدقة كاملة ، وطبقاً لموازن العدل الإسلامي ، ولو بلغ ما بلغ ، وألا يمنع ارتباطه السببي أو ارتباط الآخرين معي أو أي شخصٍ أو مراعاة حرمة هذا أو ذاك من التحقيق والمتابعة»<sup>(١)</sup> .

[ولكن] يبدو أن كتابة هذه الرسالة كانت تحت ضغط مراعاة المصلحة بصورة قاطعة ، وأفضل سندٍ على هذا الادعاء هو رسالة الشيخ المنتظري إلى الإمام - والتي تظاهر فيها بتعاونٍ بسيطٍ مع سماحة الإمام - موجهاً فيها أسئلة استهجانٍ وتعريضٍ بالإمام :



- لماذا سمحتكم بيث المقابلة التي كانت تضرُّ بي وبيتي ومدارسي؟  
 - إنَّ سماحتكم جرأتكم بهذا العمل [بيث المقابلة] المعارضين الذين كانوا يخافون أو يخجلون من التظاهر ، وأعطيتموهم إمكانية توجيه ضربة .  
 - إنَّ الضربة التي وُجِّهتْ لي وبيتي باسم سماحتكم وتحت غطاء الدفاع عني وبيتي كانت أكبر من جميع الضربات التي وجهها المعارضون في النظام السابق وحالياً .

- لا أعلم إلى أي درجة أنتم مطلعون على استفادة أعداء الثورة والمخالفين من هذه القضية وتحاليل الإذاعات والجرائد الأجنبية لها ، وسرورهم بها .  
 - في أي مكانٍ من العالم يتصرف صديقٌ وأبٌ مع ابنه وصديقه وحامل نفس فكرته هكذا؟

- سمعنا أنكم قلتُم : إنَّ فلاناً يفترضني وكأنني الشاه ، واستخباراتي كأنها سافاك الشاه . طبعاً لا افترض أنَّ سماحتكم شاهاً ، ولكن جرائم جهاز أمنكم وسجونكم بيّضت وجه الشاه وسافاك الشاه .

- أنا كنت أتوقع أنَّ سماحتكم سوف تنقطعون في يومٍ من الأيام عن أكثر محبيكم ، ولكن لم أكن أظن أن يتحقق ذلك بمثل هذه السرعة .  
 خطوات الإمام اللاحقة أثبتت أنَّ أبا الثورة الكبير السن قرر بعد اتضاح وإثبات التهم الموجهة إلى مهدي الهاشمي أن يهيم موجبات هدوء خاطر الشيخ المنتظري وتسكينه<sup>(١)</sup> .

وبرغم العرض الموجز الذي عرضناه لجرائم السيد مهدي الهاشمي إلا إنَّ الشيخ المنتظري يطالب الإمام بعدم معاقبته ويقول في رسالة له : «إنه - أي

(١) المذكرات ، ص ١٢١ .

السيد مهدي - ليس بأسوأ من كثير من الذين عفا عنهم الإمام<sup>(١)</sup> ، وهذا يعني أن هناك تسامحاً مفرطاً مع من هم أسوأ من السيد مهدي الهاشمي من قبل الإمام وجهازه الأمني ، إلا إنَّ الشيخ المنتظري ورغم ذلك التسامح يتهم جهاز الأمن بجرائم لم يستطع أمن الشاه بكل طغيانه ودمويته أن يتجرأ ليرتكبها ، فيقول للسيد مهدي الهاشمي عن جهاز الأمن : « هؤلاء جماعة خاصة يذهبون إلى الإمام ويفتعلون أجواء ضدك ، وهذه الحساسيات ستتحلُّ بمرور الزمن »<sup>(٢)</sup> .

طبعاً من المفترض ، وبناءً على تلك الحساسيات التي لدى جهاز الأمن وافتعالاته أن يتهم السيد مهدي الهاشمي بجرائم تفوق الذين عفا عنهم الإمام ، وليس بجرائم دون جرائمهم لتسوِّغَ عندئذٍ محاكمته وإعدامه .

ولا أدري ما حجم الجرائم التي عفا الإمام عن مرتكبيها وهي تفوق التأمير على النظام وبث التفرقة بين المسؤولين والعمالة للأجانب ، والتدخل في شؤون وزارة الخارجية وتخريب علاقة النظام بالآخرين ، وتوريطة في قضايا ضخمة مع الدول الأخرى ، وممارسة القتل والتصفية !!؟ .

### لقاء مع المتهم (مهدي الهاشمي)

والآن لنوجه السؤال إلى السيد مهدي الهاشمي على النحو التالي : ما الذي كنت تقوم به لتحاكم<sup>(٣)</sup>؟ .

من خلال التحقيق معه يجيبنا السيد مهدي بالآتي :

«إنَّ دافعي من هذه المقابلة التي حصلت باقتراحي ورضاي هو :

(١) المذكرات ، ص ١٧٢ .

(٢) المذكرات ، ص ٥٨ .

(٣) اللقاء كان مع التلفزيون الإيراني .

أولاً: توضيح أعمالى وأعمال مجموعتى المخالفة .

وثانياً: رفع الستار عن السير التصاعدي للانحرافات والأخطاء التى كانت فى كيانى للأسف بعد الثورة حتى لحظة الاعتقال .

أكبر أخطائى فى ذلك الوقت - قبل الثورة - كانت شيئين ، أذكرهما بصدق :

الأول : هو العلاقة مع السافاك . . . وهذا المسير المتنامى الخاطى بلغ درجة أننى عندما اعتقلتُ كتبتُ رسالة إلى السافاك ، وعرضتُ عليهم التعاون معهم .

الثانى : هو عمليات القتل . . . فيما يتعلق بمكافحة المنكرات والفحشاء ، حيث قتل امرأة ورجلٌ ، وقُتلَ المرحوم السيد شمس أبادى ، فقد تمَّ قتل السيد شمس أبادى بسبب الاستتاج العجول الذى كان لى عن الإسلام ، حيث اعتبرتُ ذلك مسوئاً لقتل عالم دينى .

أما بعد انتصار الثورة ، فمع أنه حصل لى انتباهٌ أثناء تواجدى فى السجن (الشاهنشاهى) ، إلا إنَّ تلك الذهنيات والأفكار التى تجذرت فى وجودى استمرت فى كيانى . . .

ظهرت أخطائى عندما بدأ النظام والقانون يحكم هذه الثورة شيئاً فشيئاً ، فكنت أعارض كل استقرار للنظام والإدارة والتقنين ، ولذا لم اعتقد بهذه النظم وعمليات الإدارة أيضاً ، وظهر نوعٌ من الاستقلالية والفردية فى أعمالى وتصرفاتى .

إننى لا أنسى عندما كنت عضواً فى شورى قيادة الحرس فى السنوات الأولى لانتصار الثورة كيف كنتُ أقرر أحياناً ما يخالف رأى الشورى ورأى القيادة ، وكان لذلك نتائج مرهقة جداً .

التقطه الثالثة : إخراج مقادير كثيرة من الأسلحة والعتاد والمتفجرات والمستندات من الحرس عندما فصلتُ وحدة حركات التحرر من الحرس ...

المحور الآخر هو محور المنشورات . بدأت المنشورات تحت عنوان النقد ، وكانت هذه المنشورات تحمل تواقع مختلفة ، أحياناً باسم الحوزة العلمية ، أو حزب الله الشاهد .

هناك منشور ضد وزارة الخارجية وزُغ بتأييدنا ، هذه المجموعة من الأوراق كان لها صفة النقد كما كان لها صفة الفضح وكشف النقاب . . . وكنا نظن أن هذا الفكر بدأ يتشر بين الناس على إثر هذه المنشورات ، غافلين عن أن هنا انحرافين كبيرين يكمنان في هذا العمل :

الأول : هو أننا أوجدنا بعملنا هذا تفرقة بين المسؤولين .

والآخر : أننا كنا ندفع الناس إلى إساءة الظن بالمسؤولين . . . كانت هذه انحرافات كامنة فينا ، ولكن لم نفهمها بسبب الانغماس في العمل والذوبان في الذات .

والآخر (ثالثاً) : أننا لم نكن نفهم إلى أين سيتهي بنا تيار الانعزال عن الحكومة والنظام إذا استتب له الأمر في الجمهورية الإسلامية ونما .. واقعاً لم نكن نفكر .

كان لدينا ارتباطاً بالدول الأجنبية عن طريق قناة قسم حركات التحرر ، وكنا ضمن هذه العلاقات نقوم بنقل المسائل الداخلية أيضاً إليهم إلى ليبيا وسوريا أكثر من غيرهما .

فيما يتعلق بقتل عباس قلي : في سنة ١٣٦٣هـ . ش ؛ كانت تصلني تقارير من طرقٍ مختلفة بأمر عباس قلي وعدد من عناصره اجتمعوا وخططوا لاغتيال ، وشاهدنا أنهم بدأوا بخطواتهم العملية أيضاً . . . وكانت هناك شواهد على أن تصميمهم تصميمٌ جديٌ .

أرسلتُ رسالةً إلى رضا المرادي وقلت : إنَّ هذه مؤامرة ، ومحورها عباس قلبي ، ويجب أن يُقتل .

وقد نُفِّذَ هذا العمل بواسطة رضا المرادي ومحمد كاظم زاده .

ويتحدث رضا المرادي عن مجريات قتل عباس قلبي وولديه فيقول : كان أخونا كاظم زاده قد هباً قطعة حبلٍ ، فوضعتها في رقبة عباس قلبي وسحبناه نحن الاثنين حتى اختنق ، وبعد ذلك ذهبنا إلى همايون ، وبعد ذلك إلى سعيد .

ألقينا همايون داخل قناة ثم رجعنا وأخذنا سعيد إلى نفس المكان<sup>(١)</sup> .

وعن سبب قتل الولدين (همايون وسعيد) يقول كاظم زاده : «في البداية ما كنا نريد أن نقتلهم ، ثم خفنا أن يفضحونا ، ولذلك خوفاً من الفضح اضطررنا إلى قتلهم»<sup>(٢)</sup> .

وعن سبب إخفاء هذه المسألة في الاعتراف قال مهدي الهاشمي : «كانت براءة وكدي عباس قلبي قد أوجدت في شعوراً مرّاً . . . وأنَّ هذا العمل مدانٌ ، وكنتُ أظنُّ بأنني إذا قلتُ المسائل يتقل ملفي أكثر ، وهذه الأسباب منعتني من ذكر الحقائق»<sup>(٣)</sup> .

وعن أخيه السيد هادي يقول السيد مهدي : «كان السيد هادي أكثر حرارةً مني في أنَّ سماحة الإمام سوف يموت في هذه الأيام . . . وتحلُّ المسألة»<sup>(٤)</sup> .

وعن محاولة إيجاد الهزيمة في جبهات القتال يقول : «كنتُ والسيد هادي

(١) المذكرات ، ص ١٧٤ .

(٢) المذكرات ، ص ١٧٤ .

(٣) المذكرات ، ص ١٧٥ .

(٤) المذكرات ، ص ٢٩٤ .

ويقية الأصدقاء نعتقد أن استمرار هذه الحرب ينطوي على ضرر ، ويجب أن نتوقف بشكل ما ، أو مثلاً كنا نقول في بعض الفترات بأنه يجب أن تنتهي بهزيمة جبهتنا ، ولكن معظم رأينا كان حول توقف الحرب ، لأنني كنت أقول : إن هذه الحرب أثّرت بهدف تحريف الأذهان»<sup>(١)</sup> .

وتنظيم عريضة طويلة مزورة ، وتوقيعها من قبل أئمة الجمعة وإرسالها إلى الإمام لإضعاف موقع الشيخ الهاشمي والسيد الخامنئي .

وعن قتل جهان سلطان : «أمرت أشخاصاً بالتحقيق - وما إن شعرتُ بخطر جدّي ، قلتُ للأصدقاء : إن قلع وجمع هذا الفساد لا إشكال فيه شرعاً»<sup>(٢)</sup> .

وعن قتل رمضان مهدي زاده : «قلت لبعض الأصدقاء : إذا كان لديكم استطاعة فإنه لا إشكال في إعدامه من الناحية الشرعية»<sup>(٣)</sup> .

وعن قتل الشيخ قنبر علي صفر زاده : قلتُ : «أنهوه ، أي افضوا عليه ، فقتلوه بعد مدة من الملاحقة والمراقبة»<sup>(٤)</sup> .

وعن قتل المهندس أمير عباس بحرنيان قال : «عندما اشتدت الخلافات بين الحرس ولجنة الثورة في إصفهان وتحولت إلى قضية عامة ، قلتُ لجعفر زاده ونحن في الطريق إلى دزفول ليلاً : إن المهندس بحرنيان هو المحور الأساسي في هذا الاختلاف ، وإذا ضرب فسوف تنتهي القضية . اذهب إلى إصفهان وتعاون مع أصدقاء آخرين أيضاً ، وربّوا عملية ضربه .

(١) المذكرات ، ص ٢٩٩ .

(٢) المذكرات ، ص ١٢٩ .

(٣) المذكرات ، ص ١٢٩ .

(٤) المذكرات ، ص ١٢٩ .

ذهب مع حسن ساطع ، وهياً حسن ساطع مع السيد أميد - الذي كان حاكم الشرع في إصفهان - المقدمات ، وقاموا بواسطة عدة أشخاص ، اثنان منهم هما مهدي زاده ، وجعفر زاده ، وكانا يعملان في وحدة استخبارات حرس لنجان بقتل بحرنيان»<sup>(١)</sup> .

هذا ملخص ما اعترف به السيد مهدي الهاشمي ، أما كيف انجرَّ إلى ذلك الجوِّ التأمري على الثورة التي آمن بشرعيتها وبحقيقتها ؟

فيجيب : « قبل الثورة ترسخت لدي جذور اتجاهٍ ثقافيٍّ إسلاميٍّ انتقائيٍّ ؛ لأنَّ نشاطاتي السياسية بدأت بالضبط منذ أواسط الأربعينات بسبب قلة التجربة ، وعدم النضج ، والتسرع والاستنتاج من الإسلام والعقيدة والقرآن ، ولأجل أنَّ نهج الإمام لم تتضح معالمه إلى ذلك الزمان بعد .

وبعد ذلك وصل الأمر إلى أن خلعتُ حتى زي رجال الدين النزبه والمقدس ، ومن ناحية أخرى قلَّت لديُّ منذ عهد الخدمة العسكرية روح التقوى والمعنوية ، وقلَّة المعنوية هذه في ذلك الجوِّ النضاليِّ أدخلتني في جوٍّ متطرف ، أدَّى بي إلى أن أتعرض لمجموعة أخطاءٍ ، انتهت بي إلى الانحراف .

في السنوات الأولى للثورة كان هناك حماسٌ غريبٌ ، ومشاعرٌ عجيبةٌ في المجتمع . لقد كان الحماس شديداً ، والمشاعر كثيرة إلى درجة ذابت تطرفاتي وانحرافاتي في تلك الأمواج السريعة جداً للثورة . . . وظهرت أخطائي عندما بدأ النظام والقانون يحكم هذه الثورة شيئاً فشيئاً . . . فكنتُ أعارض كل استقرارٍ للنظام والإدارة والتقنين»<sup>(٢)</sup> .

(١) المذكرات ، ص ١٣١ .

(٢) المذكرات ، ص ٢٢٥ .

« هذه الانحرافات وهذه الأخطار كانت موجودة في عمق عملنا هذا ، ولكن لسوء الحظ أوقعتنا تلك الحالة من الذوبان في الذات والتكبر ، وغلبة النفسيات والابتعاد عن محور خط الإمام ، وتلك الاستنتاجات الخاطئة في حصار ذهني ، فلم نستطع أن نفهم عيوب العمل»<sup>(١)</sup> .

وأما لماذا دافع عنه الشيخ المنتظري ؟ فيجيب بقوله : « لم أصرح آية الله المنتظري بنقاط ضعفي الفكري ، والعمل قبل وبعد الثورة كي تتوفر أرضية إصلاحها ، أو لأجل ألا يثق بي سماحته إلى هذه الدرجة على الأقل ، بل بالعكس من ذلك ، فإني كنت أحاول في أية قضية أن أظاهر بالمظلومية في حضوره واستثير عطفه .

سعتُ من خلال كتابة تقارير للشيخ المنتظري أن أطرح تحليلات خاطئة ومنحرفة لكسب رأيه ، وانتقاد المسؤولين ، وأن منشأ هذه الأقوال - من المسؤولين - هو حسدهم ، وعدم ارتياحهم لي ، حتى أعزز دعمه لي ، وكان لأخي سهم مؤثر أيضاً ، وكان يطرح هذه التحليلات على الشيخ حضورياً»<sup>(٢)</sup> .

ولكن بالرغم من أن حيل السيد مهدي الهاشمي ليست من ذلك النوع السهل الذي يمكن اكتشافه ، إلا إنَّ الشيخ المنتظري كان بإمكانه بالاستماع إلى نصائح المشفقين المخلصين البصيرين كالإمام أن يتلافى آثار تلك الحيل عليه ، إلا أنَّ سداخته ساعدت في تغلغل تلك القنوات المريضة إلى بيته ، وتمكُّنها منه .

والذي زاد الطين بلَّةً هو تظاهرها بالمعافاة الدينية والتقوائية ، إلى درجة أدت إلى تفاقم السلبية لديه ، حتى بلغ به الأمر أن فقد الثقة بالكامل في عمل وإدارة الإمام والمسؤولين ، بل وأكثر من ذلك قاطع النظام بإضرابه اللامسؤول.

(١) المذكرات ، ص ٢٤٧ .

(٢) المذكرات ، ص ١٤٧ .



وقد كان الإمام أشد الملاحظين لهذه السلبية التي دثرتها شخصية الإمام الخميني من خلال تبني الشيخ المنتظري لمرجعية الإمام وقيادته . بمعنى أن نظرة الناس إليه من خلال الإمام وليس مباشرة إلى شخصه ، يقول فهمي هويدي في كتابه (إيران من الداخل) : «... وإذا كان الجميع يجلبون الرجل - أي المنتظري - ويحترمونه ، فإن نسبة غير قليلة تؤيده اقتناعاً به من ناحية ، وامثالاً لرغبة الإمام الخميني من ناحية ثانية ، والباقون يؤيدونه من باب الامتثال والالتزام ، ولكن بينهم من يرى في «طيبة» الشيخ منتظري ضعفاً لا يمكنه من التمتع بصلاحيات ونفوذ أكبر في ساحة السلطة»<sup>(١)</sup> .

والإمام نفسه يقول في هذا الشأن - أيضاً - للسيد جلال الدين الطاهري : «أذهبوا وقولوا له : إنه كان أملي ، ولو شاهد الروحانيين لا يقفون بوجهه ، فمرجع هذا إلى وجودي ، ولو قُدِّر في يومٍ لا أكون بينكم فإنهم سيقفون بوجهه ، ولذا عليه ألا يكون في وضع ضعيف»<sup>(٢)</sup> .

بل تجاوز ذلك إلى ابنه الشهيد محمد (رض) ، حيث لاحظ ذلك ، رغم أن شهادته كانت في أول أيام الثورة (أي عام ١٩٨١م) إذ كان يقول : «إن منزل والدي هو مأمّن وملاذ المنافقين ، وسوف لن أَدْعَهُم يستولون على ذلك المكان»<sup>(٣)</sup> .

وفي رسالة للإمام تتكلّم إلى مجلس الخبراء قال فيها : « اعلموا أن الطغاة والمجرمين مدّوا عيون الطمع إليكم أكثر من غيركم ، ومن الممكن - لا سمح الله ، ومن خلال أشخاص منحرفين ذوي ظاهر إسلامي وثوري في حواشيكم -

(١) إيران من الداخل ، ص ١٤٨ .

(٢) المذكرات ، ص ٣٠ .

(٣) رسالة اللوعة ، ص ٧٥ .

أن يُحدِثَ هؤلاء الطغاة كارثةً ، ومن خلال ممارسات منحرفة يقودون النظام إلى الانحراف ، وبواسطةكم يوجهون الضربة للإسلام والجمهورية الإسلامية .

الله . . . الله في انتخاب الأصحاب ، الله . . . الله في اتخاذ القرارات وبسرعة ، وخصوصاً في الأمور الهامة ، كونوا على علمٍ - وهذا مالا يخفى عليكم - أن الإنسان غير مصونٍ من الخطأ .

إن ارتكبتم خطأ اعترفوا وأقرُّوا به ، فذلك كمال وسمو الإنسانية ، والإصرار على الأخطاء وتوجيه الأمور نقصٌ ، ومن الأعيب الشيطان . . . شاوروا المختصين في الأمور المهمة ، واتخذوا جانب الاحتياط»<sup>(١)</sup> .

وهي إشارة واضحة إلى المشاكل التي يعاني منها الشيخ المنتظري ، والتي من أهمها مشكلة انتخاب الأصحاب ، والمشاورة التي تناسب موقع خليفة القائد ، وبذل مساعيه في توجيه الأمور ليخرج هو من أي ملامة أو توبيخ ، وكانت تلك محاولة الإمام لرتق الأمور قبل استفحالها ، كي لا تؤدي فيما بعد إلى (كارثة) .

ولكن تلك الجهات المريضة والمهيمنة على البيت لم تكن مستعدة لأن تدع الشيخ المنتظري ، ومشروعها الانفصالي يقتضي خلق مواجهة علنية بين الإمام والشيخ المنتظري . وهذا المشروع يحتاج إلى جهود مكثفة ، وأساليب متنوعة ، وخطط مرحلية ، وأخرى استراتيجية ، وهذا ما نجح السيد مهدي الهاشمي وتياره في تحقيقه من طرف واحد ، وهو طرف الشيخ المنتظري .

يقول السيد مهدي الهاشمي عن ذلك : «مع مرور الزمان انتقلت حالات الاستياء المتفرقة التي حصلت لدى الشخصيات والأشخاص والمؤسسات تجاه

مسائل البلد إلى بيت الشيخ بالتدرج تزامناً مع نمو المعارضات والمواجهات الفتوية مع الحرس ، وغير الحرس ، وكنا والسيد هادي والآخرين نساعد على هذا الانتقال من أجل تعزيز مواقفنا التي كنا نتصور أنها مواقف حقّة ، وكان دور أخي في هذا الأمر أكثر جديةً من دور الآخرين .

كان هذا الأمر يتفاقم بالتدرج ، ففي الأيام الأولى كانت المعارضة للحزب الجمهوري وجماعة المدرسين ، وبعد ذلك للحرس ، وفي الفترة الأخيرة مع المسؤولين في البلاد»<sup>(١)</sup> .

وساعد على ذلك أيضاً منع الناس من الاتصال بالشيخ المنتظري : «كثيراً من عباد الله كانوا يأتون للمراجعة مرات ، ويحرمون من اللقاء تحت عنوان : أن الشيخ ليس لديه وقت ، أو أن حال الشيخ غير مساعد للقاء ، وغيرها»<sup>(٢)</sup> .

إضافة إلى ذلك « . . . كل شخص في أي مؤسسة يتعرض إلى غضب مسؤوليه ، لم يكن لديه ملجأ غير المكتب المذكور ، وهذا راجع إلى جهودنا المستمرة ، خاصة السيد هادي ، علاوة على جاذبية شخصية آية الله المنتظري»<sup>(٣)</sup> .

ولتعزيز سلبية الشيخ المنتظري تجاه النظام والمسؤولين : «كان يحصل دعم وترحيب أكثر بالأشخاص الذين كانت لديهم آراء انتقادية ، مثل مجموعة : نهضة الحرية ، ميشي ، بيمان ، أو شخصيات البلاد ، أو أئمة الجمعة ، وكان أخي يلعب دوراً رئيسياً في ذلك . وكان الدعم والترحيب ، مثل التسهيلات في اللقاء مع الشيخ ، وإعطاء وقت أكثر ، ومتابعة المسائل المطروحة من قبلهم ، وكلها كانت

(١) المذكرات ، ص ٣١٢ .

(٢) المذكرات ، ص ٣١٣ .

(٣) المذكرات ، ص ٣١٣ .

مؤثرة في تشجيعهم وترغيبهم في آرائهم ، وحتى إسنادها إلى الشيخ ، ونماذج هذا المحور هي اللقاءات المتكررة لأشخاصٍ من نهضة الحرية، بازركان ، سحلي ، ميثمي ، بيمن ، النواب اليساريون في المجلس ، الوزراء اليساريون<sup>(١)</sup> . «<sup>(٢)</sup> .

هذه الأساليب ، وهذه اللقاءات جعلت الشيخ المنتظري يردّد أقاويل المعارضة ، وسوّغت له أن يقول للإمام ما لا يقوله خصمٌ شريف فضلاً عن نائب الإمام والذي لا يكمل عن الحديث عن التزامه بطاعة الإمام وبخط الإمام، ناهيك عن أنه المرشح الذي سيكون الولي الفقيه وقائد البلاد في المستقبل بعد رحيل الإمام الخميني ليحافظ على ودائع الإمام .

ولكنّ الإمام قال رداً على بعض أقاويل منتظري مرةً : «إنها نفس أقاويل السيد مهدي الهاشمي» .

ولذلك سوّغت له نفسه أن يقول للإمام : «جرائم جهازكم الأمني وسجونكم بيّضت وجه الشاه والسافاك»<sup>(٣)</sup> .

وسوّغت له أن يقول للإمام : «في أي مكان في العالم يتصرف صديق وأبٌ مع ابنه وصديقه وحامل نفس فكرته هكذا؟»<sup>(٤)</sup> .

رغم أنّ الإمام قال له في رسالته التي سبقت قوله هذا :

« سماحة حجة الإسلام والمسلمين ، الفقيه الجليل الشيخ المنتظري (دامت أيام

بركاته) :

(١) المقصود من اليساريين اتباع الجناح المتشدد وليس المقصود باليسارية هنا ما يرجع إلى الفكر الماركسي ، إذ لم يكن النظام الإسلامي يسمح في داخله بمن يحمل هذه الأفكار .

(٢) المذكرات ، ص ٣١٣ .

(٣) رسالة اللوعة ، ص ٦٤ .

(٤) المذكرات ، ص ٩٣ .

بعد إهداء السلام والتحية ، إن علاقتي بجنابكم أوضح لديكم من الآخرين ، وإن هذه العلاقة أبرمت بسبب طول المعرفة الصميمية والعشرة عن قرب ، وإن منزلتكم العلمية والعملية المحترمة ، ومجاهدتكُم للظالمين والمستكبرين ، وأتعابكم التي لا تُنسى في سنواتٍ طويلة من أجل الأهداف الإسلامية وقدسيتكم ووجاهتكم وصلاحكم الذي قلّ نظيره ، وفوق هذا الحيثية الرفيعة<sup>(١)</sup> التي حصلت لكم على إثر هذه الأمور حالياً بمشيئة الله تعالى ، وحاجة الجمهورية الإسلامية والإسلام الملحة إلى مثل جنابكم ، كل ذلك يوجب أن تكون هذه الحيثية المقدسة محفوظة ومصانة من كل الجوانب .

إن حفظ هذه الحيثية واجب عليكم ، وعلينا جميعاً لأسباب عديدة ، واحتمال تعرضها للخدش ينجّز حفظها ، لأهميتها الكبيرة ، ونظراً لهذه المقدمة يجب أن أقول : إن هذه الحيثية الواجبة المراعاة هي في معرض خطر ، باحتمال قوي ، بل بظنٍ قريبٍ من الجزم ، خاصةً مع وجود معارضين مؤثرين في حوزة قم ، همهم أن يبحثوا عن الحجج .

هذا الخطر المهم جداً ينشأ من انتساب السيد مهدي الهاشمي لكم . . . .

إن الدفاع عن مثل هذا الشخص ، حتى في المجالس الخاصة سمّ قاتل ، وهو خطرٌ على شأنكم ، ومظنة لوقوع فسادٍ وإراقة لدماء أبرياء .

يجب أن تقطع جميع النشاطات باسم مساعدة حركات التحرر ، ويحاكم جميع الأشخاص الذين كان لهم دخلٌ في هذه الأمور . . . أنا أؤكد أن تطهروا أنفسكم من الارتباط بالسيد مهدي ، وهذا الطريق هو أفضل ، وإلا فلا تطهروا أي ردّ فعلٍ عند متابعة أمره . إن متابعة أمر جريمة المتهم حتمية . أتمنى

(١) أي المكانة المعنوية العالية .

لسماحتكم السلامة والتوفيق»<sup>(١)</sup>.

هذا هو التعامل الذي أغضب الشيخ المنتظري ، وزعيق الشيخ المنتظري من سوء معاملة الإمام له ليس إلا لمطالبة الإمام بمتابعة ملف السيد مهدي الهاشمي ، وهو بذلك يضع نفسه في موقع السيد مهدي ، وبعد ذلك يعاتب الإمام !! .

وسوَّغت تلك الأساليب للشيخ أن يقول للإمام : «إن سماحتكم جرأتكم بهذا العمل - بالأمر بمتابعة ملف السيد مهدي - المعارضين الذين كانوا يخافون أو يخجلون من التظاهر ، وأعطيتموهم إمكانية توجيه ضربة»<sup>(٢)</sup>.

رغم أن الإمام أكد له أكثر من مرة وقال له بأن : «حفظ هذه الحيثية واجب عليكم ، وعلينا جميعاً لأسباب عديدة ، واحتمال تعرضها للخدش ينجُز حفظها ، لأهميتها الكبيرة ، ونظراً لهذه المقدمة يجب أن أقول : إن هذه الحيثية الواجبة المراعاة هي في معرض خطر».

هذا الخطر المهم جداً ينشأ من انتساب السيد مهدي الهاشمي لكم»<sup>(٣)</sup>.

وسوَّغت له أن يقول : «إن الضربة التي وُجِّهت لي وبيتي باسم سماحتكم ، وتحت غطاء الدفاع عني وبيتي كانت أكبر من جميع الضربات التي وجهها المعارضون في النظام السابق وحالياً»<sup>(٤)</sup>.

أي منطق هذا الذي سوَّغ له أن يمنع التحقيق في ملف متهم بالتآمر على القيادة الإسلامية ، وبالارتباط بالخارج ، وبإثارة الفتنة بين مؤسسات النظام

(١) المذكرات ، ص ٤٧ - ٤٩ .

(٢) المذكرات ، ص ٩٣ .

(٣) المذكرات ، ص ٩٣ .

(٤) المذكرات ، ص ٩٣ .

وبجرائم قتل ویتهم الإمام بتوجيه ضربة له !! وأي قسوة يقسو صديق وابن فيها على صديقه وأبيه لأجل متهم بالتأمر وإثارة الفتنة والارتباط بالخارج ، ويقول له : «أنا كنت أتوقع أن سماحتكم سوف تنقطعون في يومٍ من الأيام عن أكثر محبيكم ، ولكن لم أكن أظن أن يتحقق ذلك بمثل هذه السرعة»<sup>(١)</sup> .

ثم تحرضه . . . وتحرضه ليذهب إلى القول بأنه : «إذا ضغط علي الإمام سأفصل حسابي عن النظام»<sup>(٢)</sup> .

وما نوع الضغط الذي يمارسه الإمام على الصديق والابن؟ . . الجواب : قول الإمام في موضوع التحقيق مع مهدي الهاشمي : «إذا لم يساعد علي إجراء التحقيق فلا يثير بلبلة من خلال الدفاع عن مهدي الهاشمي وجماعته فقط» .

وبالرغم من أن هذا المطلب لا توجد فيه أية صعوبة ، وهو قد تعهد للإمام بالمساعدة عند قوله : «يرجى أن تأمروا بمتابعة جرائم السيد مهدي الهاشمي والأشخاص المرتبطين به ، والاتهامات الموجهة إليهم من دون غض النظر ، وبدقة كاملة ، وطبقاً لموازين العدل الإسلامي ، ولو بلغ ما بلغ ، وألا يمنع ارتباطه السببي أو ارتباط الآخرين معي أو أي شخصٍ أو مراعاة حرمة هذا أو ذلك من التحقيق والمتابعة»<sup>(٣)</sup> ، ولكنه سرعان ما يتراجع عن تعهده ، ويبدأ بإثارة قلق الإمام بأسلوبه اللامنطقي .

ولم يقف الأمر به إلى حد اتهام (أبيه وصديقه) بتدميره ، بل تجاوز إلى حد اعتبار القتلة ، والسفاحين الذين قتلوا كبار رجال النظام الإسلامي ، وانغمسوا في وحل العمالة للدول الأجنبية ، وقتل مئات الأبرياء في أماكن

(١) المذكرات ، ص ٩٣ .

(٢) المذكرات ، ص ٩٣ .

(٣) المذكرات ، ص ٩١ .

العبادة والزهد أصحاب فكر ومنطق !! فيقول : «إن مجاهدي الشعب - مجاهدي خلق المنافقين - ليسوا بأشخاص، بل هم أسلوب تفكير، وطريقة تحليل، نوع من الفكر غير الصحيح يواجه بالصحيح، لا تحل المسألة بالقتل، بل بالعكس، يعد هذا الأمر نوعاً من الترويح»<sup>(١)</sup>.

أي منطق أقنع الشيخ المنتظري بأن قتل المطهري ورجائي وباهنر، والسيد البهشتي وابنه الشيخ محمد والآلاف من الأبرياء أسلوب تفكير، وأن مواجهة عمليات الاغتيال، والاحتراز منها، ومعاقبة مرتكبي جرائم العنف والقتل دعاية للقتلة وترويح لهم وإن كان استشهاد مجموعة من القيادات لم تكن على أيديهم، ولكن ما فعلوه لا يقل ظلماً وبشاعة عن ذلك، بل يزيد عنه بكثير!! .

وعندما هم بكتابة رسالة التنحي عن منصب نائب الولي الفقيه بدأت ذاكرته بالتذكر من جديد ما صنع أولئك من جرائم، فيقول للإمام: «وفضحت وأخرجت - إرشاداتكم - من الساحة أعداء كثيرين، مثل المنافقين عمي القلوب، الملطخة أيديهم بدماء آلاف الأشخاص من الناس والشخصيات الحبيبة، ومنها ولدي الحبيب»<sup>(٢)</sup>.

ولكن المرحوم السيد أحمد الخميني (رض) يتأوه لهذه الحالة، ويتصدى للرد على إثارة التصور بأن منافقي خلق أصحاب فكر وأن ممارساتهم أسلوب تفكير، فيقول:

«ماذا حصل كي يصبح المنافقون - وبعد عشر سنين من الثورة - مجاهدين؟ بحيث لو صححوا فكرهم فهم أرجح من النظام الإسلامي! [ويتساءل بتعجب قائلاً:] كيف يكونون كذلك؟ : هل من خلال الفكر والمنطق قتل مجاهدو الشعب شهداء المحراب؟ .

(١) رسالة اللوعة، ص ٩٣.

(٢) المذكرات، ص ٣٥٠.



- هل من خلال الفكر والمنطق فجّر مجاهدو الشعب مقرّ الحزب الجمهوري ، وقتلوا (٧٢) من أصحاب الإمام الأوفياء؟ .
- هل من خلال الفكر والمنطق وضع مجاهدو الشعب المتفجرات في الشوارع والإدارات؟ .
- هل من خلال الفكر والمنطق قتل مجاهدو الشعب رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وغيرهم؟ .
- هل من خلال الفكر والمنطق قتل مجاهدو الشعب الكثير من الأعداء في النظام كالشهيد قدوسي وهاشمي نجاد و...؟ .
- هل من خلال الفكر والمنطق أشعل مجاهدو الشعب النار في صلوات الجمعة؟.
- هل من خلال الفكر والمنطق يقوم مجاهدو الشعب بالتجسس في إيران؟.
- هل من خلال الفكر والمنطق خطف مجاهدو الشعب طائرات هذا الشعب وباعوها للعراق؟ .
- هل من خلال الفكر والمنطق رصد مجاهدو الشعب وحددوا هوية الطائرة التي كانت تحمل الشهيد محلاتي والبقية من الشخصيات القضائية والعسكرية والأناس العاديين ، ثم أخبروا النظام العراقي كي يسقطها؟
- مجاهدوا الشعب من خلال فكرهم جعلوكم تعتبرون أفراد الإطلاعات أسوأ من السافاكينين!«<sup>(١)</sup> .

إنَّ انتقاداته اللاذعة ، وغير المنطقية ، واللامسؤولة لمؤسسات النظام ومسؤوليه تجاوزت حد التوجيه والتصحيح ، لتصل إلى حدّ السعي إلى إيذائه وتهديده ؛ لأن وصول تلك الاتهامات وليس الانتقادات إلى الرأي العام سيخلق الإحباط في قلوب المؤمنين بالنظام إذا ما وجدوا كلام الخليفة يتهم القائد بالرضوخ لضغوط تيار المتآمرين على العاملين المخلصين للنظام والثورة ، وتقوي تأثير المعارضة في إيذاء النظام ، وتهديد وجوده .

ولأن تلك الاتهامات هي بتلك الصفة المذكورة آنفاً ولأولئك الرجال ، نجده يصرخ إزاء اقتطاع أي كلمة من حديثه ، ولو أدى إلى إيذاء الإمام والنظام ، فيقول : «إما يذاع كلامي بأكمله أو سوف أصرخ أن هناك رقابة»<sup>(١)</sup> .

ومع ذلك فإنه عندما بُثَّتْ المقابلة التي اعترف فيها السيد مهدي الهاشمي بجرائمه يصرخ من جديد ، ولكن هذه المرة على العكس ، فهو يريد تفعيل تلك الرقابة ؛ لأنها وافقت رغبته ، ولكنها عندما خالفت ذلك قال : «لماذا سمحتم بنشر مقابلة تضرُّ بي وبيتي ومدارسي»<sup>(٢)</sup> . مع أن المقابلة لم تُجرمه ، وإنما فضحت استفادة المتآمرين من نزاهته وإخلاصه وطيبة قلبه ، وليس فيها ما يحمله مسؤولية ما جرى أو يجري ، إلا إنه يتطلَّب منه مساعدة المسؤولين عن الملف بالطرق القانونية ، وليس في ذلك كُلفةً عليه ، إضافة إلى ذلك أنه طالبَ بنفسه الإمامَ بمتابعة التحقيق ، ولكنه - للأسف - سريعاً ما تراجع عن موقفه ، ووسَّطَ أحد المسؤولين ، وطلب أن لا يُجلب السيد هادي للتحقيق ؛ لأنَّ ذلك يعرض سمعته لضربة<sup>(٣)</sup> .

(١) رسالة اللوعة ، ص ١٥ - ١٦ .

(٢) رسالة اللوعة ، ص ٤٩ .

(٣) المذكرات ، ص ٩٧ .

ويتلك الكيفية ، انتهت الحالة إلى توتر علاقة الشيخ المنتظري بكل مؤسسات النظام ، وتحامل على الجميع واتهمهم بالتآمر ضده ، أو الرضوخ لتلك المؤامرة . وبدل أن يستجيب لنداء أبيه المشفق وصديقه المخلص يصمم على الهروب إلى الأمام فيقول للإمام الخميني **تَبَيَّنْتُ** : «إني أعرف السيد مهدي منذ الصغر ، حيث كان يتباحث مع المرحوم محمد ، ويحضر عندي كتاب " المكاسب " ، . . وأنا على علم بتمام خصوصياته .

هو رجلٌ مخلصٌ للإسلام وللثورة ، ولشخص جنابكم أيضاً ، إنه يتمتع بقابليات حسنة . . . يدرك الأمور ، ويتحدث بشكل جيد ، وهو في عقله وتدييره وإدارته أفضل بكثير من قائد الحرس ووزير الإطلاعات - مع ما يتمتعون به من كمالات - أمّا فيما يتعلق بالتزامه وتقواه فهو لا يقلُّ عنهما ، كل ما هنالك لا يريد أن يكون ألعوبة بأيدي الآخرين»<sup>(١)</sup> .

إزاء كل ذلك لم يجد الإمام بُدّاً من مواجهة الأمر الواقع بما يقتضيه الحزم لحماية النظام والثورة ، لينهي المخاوف التي تفاقمت لديه ولدى العارفين بالشيخ المنتظري على مستقبل الثورة الإسلامية والنظام ، وإن ظلّ موقع القيادة شاغراً ، فمن الممكن تلافى ذلك بتلميحاته إلى شخصية قيادية يرى فيها المؤهلات العلمية والقيادية لتحمل مسؤولية القيادة ، وهكذا فعَل ، رغم اهتمامه بتلميذه ورفيق دربه ، حيث يقول : «إني لا أغفل عن الشيخ المنتظري ، ولو للحظة ، ولكن ما أصنع؟ فإنّ مصلحة النظام الإسلامي تستوجب أن يتعد عن الساحة»<sup>(٢)</sup> .

وكذلك الشيخ المنتظري بعد جهود التحريض ضد الإمام والمسؤولين لم يتحمل أن يُحاكم السيد مهدي الهاشمي وجماعته ، وأنّ الإمام لن يرضى له

(١) رسالة اللوعة ، ص ٣٣ .

(٢) رسالة اللوعة ، ص ١٠ .

ولا به في حال استمراره في الدفاع عن مهدي الهاشمي ، فقرر الاعتزال عن النظام - كما وعد - وأظن أنه الشيء الوحيد الذي استطاع الوفاء به ، حيث بعث برسالة إلى الإمام أعلن فيها عدم استعداده لتحمل أعباء مسؤولية القيادة ، وكان ذلك رأي الإمام - أيضاً - منذ البداية ، إلا إنه لم يكن يريد التدخل في صلاحيات الجهة المعنية بتعيين القائد (مجلس الخبراء) ، يقول في بعضها :

«... وحول تعييني كخليفة للقائد ، فإنني كنت منذ البداية معارضاً لذلك جداً ، وبالنظر للمشاكل الكثيرة ، ونقل المسؤولية كُتبت في ذلك الوقت إلى مجلس الخبراء بأن تعييني ليس فيه مصلحة ، والآن أيضاً أعلن بصراحة عدم استعدادي ، وأطلب من سماحتكم أن تأمروا مجلس الخبراء بأن يأخذ بنظر الاعتبار مصلحة مستقبل الإسلام والثورة والبلاد بشكل قاطع ، واسمحوا لي أن اشتغل - كما في السابق - كطالب صغير بالتدريس في الحوزة العلمية ، والنشاطات العلمية ، وخدمة الإسلام والثورة تحت ظل قيادة سماحتكم الحكيمة»<sup>(١)</sup> .

وقد كان الإمام متحفظاً للقيام بإجراءات الإقالة بعد أن نَفَدَت كل أساليب التوجيه والإصلاح ، فبعث إليه برسالة جوابية يوضح له موقفه النهائي من مسألة قيادته ، فيقول : «... كما كتبتم إن قيادة نظام الجمهورية الإسلامية هو أمرٌ صعبٌ ، ومسؤولية ثقيلة وخطيرة ، وتحملها لا يسعه طاقتكم ، ولهذا كنت أنا وأنتم معارضين لهذا الانتخاب منذ البداية ، وكنا نفكرُ مثل بعضنا في هذا المجال ، ولكن الخبراء كانوا قد وصلوا إلى هذه النتيجة ، ولم أرغب في أن أتدخل في حدودهم القانونية ، وبعد القبول بإعلانكم بعدم استعدادكم لمنصب خليفة القائد ، أشكركم من الصميم»<sup>(٢)</sup> .

(١) المذكرات ، ص ٣٥٠ .

(٢) المذكرات ، ص ٣٥٣ .

وبرغم ذلك يتحدث عن مشاعره تجاهه بقوله : « إن الجميع يعرف أنكم كتمت حصيلة عمري وأنا أحبكم حباً شديداً »<sup>(١)</sup> ، ويرسم له ما ينبغي عليه مستقبلاً : « من أجل أن لا تتكرر أخطاء الماضي أنصحكم أن تطهروا بيتكم من الأشخاص غير الصالحين ، وأن تمنعوا مجيء المعارضين للنظام الذين يعرفون أنفسهم بأنهم محبو الإسلام والجمهورية الإسلامية ، وهذا التنبيه قلته لكم في قضية مهدي الهاشمي »<sup>(٢)</sup> .

وهكذا انتهت أصعب قضية قانونية واجهت النظام الإسلامي في العقد الأول من عمره ، ولكن طبيعة الشيخ المنتظري جعلت ما تقدم حلقة أولى ، تلتها حلقات حكمت وضعه في عهد خليفة الإمام الخميني تترئ الآخر .

### الحلقة الثانية :

بعد إعدام مهدي الهاشمي وتفكيك وفضح عصابته لازالت أفكار تلك العصابة قابلة للعودة لوجود محور القضية حياً وهو الشيخ المنتظري وموضوعها (معارضة الثورة الإسلامية ومحاولة إسقاطها ، ومحاولات الثأر لمهدي الهاشمي) ، وما تحتاج له تلك العصابة هو الوقت للملمتها من جديد في ظروف الغفلة عنها .

إن جهود السيد مهدي وعصابته حولت تلك الأفكار والآراء الانقلابية إلى تيار يتمركز في إصفهان ، وبالذقة في نجف آباد ، مسقط رأس الشيخ المنتظري ولذلك ستعود للواجهة حيثما وجدت متنفساً .

وحدثت بعض الوقائع خلال السنوات الثمان السابقة ، إلا إنها كانت محدودة لعدم وجود موقف رسمي للشيخ المنتظري من الأحداث ، وإن كان هنالك موقف

(١) المذكرات ، ص ٣٥٣ .

(٢) المذكرات ، ص ٣٥٣ .

فإنه لا يتجاوز بيته ، وإن كانت بعض الصحف اللامبالية أو الساذجة أو المعادية تستغل تلك التصريحات وتنشرها إلا أنها عديمة التأثير في الداخل والخارج .

بعد رحيل الإمام الخميني أصدر مجلس الخبراء قراراً بتعيين آية الله العظمى السيد الخامني قائداً للثورة الإسلامية ، وبادر الشيخ المنتظري إلى تأييد القرار من خلال برقيته إلى القائد الخامني والتي يقول في بعضها : « أسأل الله تعالى أن يعينكم على تحمّل مسؤولية القيادة الحساسة التي منحكم إياها مجلس الخبراء ؛ لأن سماحتكم شخص جدير وملتزم ومخلص ، وقد استفدتم من تجارب أيام الجهاد والثورة ، وتحظون دائماً بدعم قائد الثورة العظيم»<sup>(١)</sup> .

إلا أنه بفوز السيد محمد خاتمي في انتخابات الرئاسة عام ٩٧م بنسبة ٧٠٪ من أصوات الناخبين ، والذي طرح فيها شعارات رئاسته عن الحرية والمرأة تخيّل له أنّ الشعب يتبنى أفكاره عندما وجد متنفساً من خلال الانتخابات ، وأن الوقت قد حان ليعود من جديد إلى واجهة الأحداث ، وفي تصوره أنّ في عودته تُرسم له صورة جديدة في صورة الغيور والمنقذ ، وغاب عنه أن عناوين جديدة دخلت الحياة السياسية ، لا يمكن تأطيرها في حقل نتاج المنافع ؛ فعمر الثورة العشرون في شعب مليء بالمفكرين والأساتذة والعلماء والمراجع والفلاسفة وغير ذلك ، لا بد أن تتنوع فيه القراءات الثقافية والسياسية .

فالمثقف الحوزوي ينظر إلى الأمور من زاويته المؤطرة بثقافة الحوزة ، والمثقف الأكاديمي ينظر إلى الأمور من زاويته المؤطرة بثقافة الجامعة ، والفيلسوف كذلك ، والمفكر، . . . وهكذا ، ولا يجمع هؤلاء إلا العناوين الكبيرة التي يرونها - جميعاً - قوام ثقافتهم ، وهويتهم الأيديولوجية والوطنية .

(١) لماذا الخامني ، ص ٥٧ - ٥٨ .

لأنّ التيارات الثقافيّة والسياسية التي تعيش المنافسة على ممارسة دور الصانع لقرار الأمة الإيرانية ولثقافتها وللون تفاعلها مع الجار الثقافي والجغرافي والعقائدي، واللغة التي تعطي العالم قدرة أكبر على فهم الحقيقة الثقافيّة والسياسية والعقائدية للنظام والشعب في إيران قد شاركت بطريقة أو أخرى في تأسيس وديمومة النظام، فمن الأكيد أنها ستبقى دائماً طامحة إلى أن تكون المنظومة التي يتعاطف معها الشعب، ويرضى لها بممارسة دور الصانع للقرار.

وكل حقبة تمرّ بالشعب الإيراني ستفرض لونها من الواقعية قد تتناغم وطبيعة البرنامج السابق والشخصية السابقة، وقد تستنفد مرحلته طاقته وبرنامجه في ممارسة دور فاعل في الحقبة الجديدة، وبالتالي ستظهر شخصيات لم تكن معروفة في السابق، حتى كأنها أعدت لهذه المرحلة بالذات، وستغيب أخرى، وكأنها أعدت للمرحلة السابقة فقط، وذلك وفق متطلبات المرحلة التي تكيف معها، وعالج قضاياها بما يناسبها من حلول، وكل ذلك لا يمكن الجزم بواقعيته حتى تتجلى حقيقته وحقيقة الطرف الآخر، وهذه المسألة بالغة في الدقة.

ولا يعني أن الشعب الإيراني قد أدار ظهره لذلك الخدم الذي قدّم غيره عليه، إلا إنّ تفضيله للجديد إنما لأنه جديد من نفس الرحم، ويملك ما يعطي حياته في الحقبة الجديدة طابعاً جديداً ومقبولاً، كما فعل سابقه.

قد ينفلت الزمام بهذا أو ذاك في فهمه للواقع الجديد، إلا إن ذلك لا يعدّ انقلاباً ما دام أنّ ذلك الانقلابات ينحصر في دائرة سوء فهم الجديد، وليس سوءاً ذاتياً في الجديد نفسه، وحتى وإن كان الجديد سيئاً في ذاته، فإنّ انقلابات ردود الأفعال لا يمكنها أن تقوم بفرزه كجديد سيء.

وعلى ضوء ذلك لم يفهم الشيخ المنتظري أنّ ما حدث في الانتخابات هو تفاعل شعبيّ مشروع من خلال القنوات الشرعية مع برنامج سياسي مشروع،

وإنما الذي فهمه مما حصل أنه اكتشافٌ لواقعية وصواب ما آمن به ، وتعرض للمؤامرات من أجله كما يعتقد . ولذلك بعث برسالة إلى السيد محمد خاتمي يدعوه فيها إلى الاستقلال ، والوفاء بوعوده التي وعد بها ناخبه في أيام الانتخابات ، وأن يواجه بحزم تدخلات الآخرين ، ولو كان ذلك القائد .

إلا إنَّ السيد خاتمي لم يكن في حاجة إلى توصياته ؛ لأنَّ مشروعه مقبول من قبل قطاعٍ كبير من الشعب ، وكذلك من قبل القائد - الذي قال عن علاقته به أنها علاقة تنسيق وتشاورٍ دائم ، وإنَّ معالجاته وتناوله بشكلٍ عامٍ للقضايا تتسم بالحكمة والبصيرة - وكذلك مجلس الشورى الذي ساعده في قبول جميع مرشحيه لوزارات حكومته .

وما اعتراضات بعض أعضاء مجلس الشورى على ترشيح بعض الوزراء ، إلا تحفظات على قراءة أولئك الوزراء لبرنامج السيد خاتمي ، والتي يراها النواب المعارضون أنها لا تترجم حقيقة برنامج السيد خاتمي ، وإنما هي ترجمة لرؤاهم السياسية الخاصة بهم ، والتي يرون فيها من السلبية ما يجعلهم يتراجعون عن تقفهم في هذا الوزير أو ذاك ، بناءً على نشاطاتهم السياسية والفكرية التي كوَّنت ثقافتهم وفهمهم للواقع . وهذا حقٌ للنواب ، وليس لأحدٍ أن يحمل عليهم لممارسة حقهم في المجلس ، إلا إذا وضحَ أنهم مرتبطون بجهاتٍ أجنبية ، أو أن مواقفهم تلك مبنية لتدمير الطرف الآخر على أساس شخصيٍّ . وهذا - برغم الدعايات الإعلامية الشرسة - لا يمكن لأحدٍ أن يأخذ بها ، أو يتخذ موقفاً على ضوئها ، خاصة وأنَّ جلسات المؤاخذة على هذا الوزير أو ذاك أو حجب الثقة عن هذا أو ذاك علنية ، وعناوين المؤاخذة أو حجب الثقة علنية وواضحة وإن كانت لدى الوزير أو حكومته ليست كافية أو مبررةً لحجب الثقة عنه ؛ لأنَّ ما على الوزير إلا أن يطرح قناعته ، ومن ثمَّ يقبل بثقة النواب فيه أو حججها عنه بناءً على



ما استطاع الوزير أن يقنعهم به ؛ لأنه كوزير هو خيارٌ لرئيس الجمهورية ، والذي هو بدوره خيار الشعب ، والنائب هو خيار الشعب لمتابعة أعمال الحكومة والوزراء ، وبالتالي فالشعب اختار رئيس الجمهورية ، واختار الرقيب عليه .

وهذا الدور الذي يمارسه النواب لم يكن جديد عهدٍ ، وإنما الجديد هو في تطوُّر الممارسة السياسية بشكلٍ عامٍ في إيران ، وتطورها لهذا التيار أو ذاك ، وفي فهم هذا لذاك ، وإذا ما انفلت الزمام بهذا أو ذاك - كما قلنا - فإنما ذلك ناتجٌ عن الزاوية الحادة التي قست طبيعتها على فهمه .

ولأجل ذلك كله حاول الشيخ المنتظري أن يطلُّ برأسه على الأحداث ليشير بإصبعه - وفق ذائقته السياسية ، ورصيده من المعلومات عن الواقع - إلى سلبية هذا ، وانحراف ذلك ، وصلاح هذا ، وفسق ذلك .

وهذه الحالة تُعني تيار مهدي الهاشمي بالعودة من جديد ، من خلال الشيخ المنتظري ، وتناغم شعارات حكومة السيد خاتمي مع ظاهر ما أعلنوا عن الإيمان به والعمل من أجله ، في قضية السيد مهدي الهاشمي ، وإن ظهرت بصورتها الإرهابية التي رسمها السيد مهدي بأساليبه وخطه المنحرفة .

إلا أن مشكلة ذلك التيار أنه يواجه ثلاث عُقد .

**الأولى :** عقده من المسؤولين الحاليين كلهم .

**الثانية :** النظر إليه على أنه تيار انقلابي ، يستعين بالمؤامرات ، والوسائل الخفية ، والأساليب الملتوية لتحقيق طموحاته .

**الثالثة :** ولأنه تيارٌ انقلابيٌّ ، فلن يستطيع أن يعمل تحت قيادة السيد الخامنئي ، وهم الذين بذلوا أقصى جهودهم من أجل تشويه سمعته ، وبشكلٍ عام بناءً على تلك العقدة من جميع المسؤولين ، فإنه يريد العودة بعد إخراج المسؤولين الحاليين

من الساحة ، وبالأحرى أن يكون القائد هو الشيخ المنتظري . وحتى يتخلص من تلك العُقَد ، كان عليه أن يقوم بخطوتين :

**الأولى :** عدم ظهور الشخصيات التي ظهرت في ملف السيد مهدي الهاشمي ، أو التي اشتهرت بتعاطفها معه .

**الثانية :** الاستفادة من دعم وتحرك شخصية ذات تاريخٍ نضاليٍّ وخدمٍ للثورة الإسلامية .

وهذا ما خططوا لأجله ، وسعوا إلى تنفيذه ، إلا أنهم - وكعادتهم - فشلوا في اختيار ذلك الرافد الذي يساعدهم على تحقيق ما يصبون إليه .

في الساحة لا يوجد بديلٌ يتعاطف معهم ، ويملك جرأة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفق خططهم وبرنامجهم إلا حليف الأُمس ، وهو الشيخ المنتظري .

وما شجعهم للعودة مرةً أخرى إلا خمسة أسباب ، تطرقنا لأحدها سلفاً ، ونوجز الأربعة الأخرى :

**الأول :** استفادتهم من غياب المرجعيات الكبيرة - بحجم الإمام الخميني قدسُ - عن الساحة ، واعتقادهم أن المراجع الحاليين هم زملاء للشيخ المنتظري وهم يعتقدون فيه أنه يفوقهم علماً ومنزلةً .

**الثاني :** فوز السيد محمد خاتمي بنسبة عالية بشعارات يمكنهم الاستفادة من خلالها لترتيب أوراقهم من جديد والعودة إلى الساحة بها .

**الثالث :** دغدغة شعور الشيخ المنتظري ، كونه المرشح الأول للقيادة بعد الإمام ، وشعوره بأنه كفوء ، وأن إقصاءه جاء نتيجة مؤامرة ، وليس ضعفاً فيه ، وكذلك عدم تراجعهم عن مواقفه التي اتخذها أيام الإمام تجاه وزارة الأمن ، والقائد

الذي كان آنذاك رئيساً للجمهورية ، ورئيس مجمع تشخيص المصلحة الحالي (الشيخ الرفسنجاني) الذي كان آنذاك رئيس مجلس الشورى ، وتفاقم موقفه تجاه القضاء ، وبشكل عام تجاه كل المؤسسات المرتبطة بشكل أو بآخر بالقائد .

الرابع : تصورهم أن هذه النسبة العالية التي فاز بها السيد خاتمي دليل على تذمر الناس من الروتين المريض الذي عبّر الشعب عن سخطه عليه بواسطة الانتخابات ، وهذا يعني استعداد الشعب لتقبل نقد النظام ومؤسساته ، بل وحتى القيادة .

وكان أول المشروع إرسال أسئلة بريئة - ظاهراً - للشيخ المنتظري يجب عنها ، لتعتبر عناوين كبيرة في إطار النقد والأمر بالمعروف ، ومن ثم العمل على ضوء تلك الانتقادات إذا لم تكن نتائجها مختلفة عما كانوا يأملون من تلك الخطوة .

إلا إن الشيخ المنتظري خيَّب آمالهم بأساليبه الانفعالية ، وفقدانه لدبلوماسية الخطاب السياسي المؤثر في الخصم ؛ فتكلم بما اعتاد على الكلام فيه ، وصال وجال دون تودة ولا بما يشفع له أن يكون رجل المرحلة ، بل بما يحفظ له ما تبقى من حيثية معنوية في أوساط الحوزة .

إن عناصر العودة هذه المرة ليس من الحوزة ، وإنما من الجامعة ، خاصة بعد حضورهم الفاعل في التأثير في الشارع تجاه مفاهيم سياسية مألوفة ، وقراءتهم الجديدة لمشروع توزيع الأدوار كما يزعمون .

فبعثوا برسالة تتضمن أسئلة لم يفصح الشيخ المنتظري عنها ، إلا أن مضمونها معروف من إجابته عنها .

وللإجابة على تلك الأسئلة ألقى كلمة وضّح من خلالها موقفه من كل ما يجري ، ووضع من نفسه قيماً في تحديد واجب هذا وانحراف ذلك ، حتى قضى على ماله من رصيد معنوي في الحوزة والشارع .

ومما جاء في كلمته تلك : « لا يوجد لأحد الحق بأن يختار إذا كان لأحد الحق في أن يترشح أو لا يترشح ، فالذي يكون صالحاً ومؤمناً ، ويأخذ بالحق ، ويعرف جيداً بالسياسة والثقافة ، وليس متملقاً ، وأن يكون مستقلاً ، كما كان [حسن المدرس] ، الذي عارض وحده حكومة رضا خان له في الترشيح ، وليس رجلاً متملقاً ومباحاً ، ويقول مئات الأكاذيب ، ليصبح ممثلاً عن الشعب »<sup>(١)</sup> .

الحقيقة أن من له قليل إلمام بالسياسة يعتبر ذلك الكلام تخريفاً ، وخارجاً عن إطار الحديث في السياسة ؛ إذ كيف يتم التفريق بين الصادق والكذوب مادام بإمكان الكذوب أن يكذب مئات الأكاذيب في خداع الناس والتأثير عليهم ، حتى إذا دخلوا المجلس لن تجد إلا برلمان الشاه ، ولا يوجد فيه إلا صادق واحد كحسن المدرس بين كذابين . فعندما يقول : « فالذي يكون صالحاً ومؤمناً ، ويأخذ بالحق ، ويعرف جيداً بالسياسة والثقافة ، وليس متملقاً ، وأن يكون مستقلاً ، كما كان [حسن المدرس] ، الذي عارض وحده حكومة رضا خان له في الترشيح ، وليس رجلاً متملقاً ومباحاً ، ويقول مئات الأكاذيب ، ليصبح ممثلاً عن الشعب » ، هل بهذه الكلمات النصوحة والحازمة لن يتقدم الكذاب والمتملق بترشيح نفسه؟ أهذا كلام عارف بالسياسة؟! فمادام هو كذاب ، أليس من كذبه أنه سيدعي أنه صالح ومؤمن ، ويأخذ بالحق ، ويعرف جيداً بالسياسة والثقافة ، وليس متملقاً ، وسيكون كما كان حسن المدرس؟ ألا يلحُّ الواقع لمنع صعود الكذابين والمتملقين إلى وجود مفرزة يكون تكليفها هو قبول الصالح وصاحب المميزات المشروطة في تحمل المسؤولية؟ كم بقال؟ وكم فلاح؟ وكم منافق؟ وكم ثري كذاب؟ وكم متأمرك متدثر بعباءة الصلاح طرح نفسه مرشحاً لرئاسة الجمهورية؟ فهل

سيفوز السيد محمد خاتمي إذا ظهر أولئك الأشخاص في الانتخابات ؟  
لا يمكن لنا إلا الإجابة بالنفي ، وهذا الواقع تحمّل مسؤوليته مجلس صيانة الدستور ؛ لأن هذا المجلس هو الذي يتحمل هذا التكليف قانونياً .

وهذا المجلس ليس وليد الساعة ، وإنما هو عضو مهم منذ بداية الثورة ، وهو المفزة الشرعية التي أصبح من خلالها السيد خاتمي رئيساً للجمهورية ، والشيخ ناطق نوري عضواً في مجلس الشورى ، ومن خلال نواب مجلس الشورى أصبح رئيساً له ، وكذلك من خلال مجلس الصيانة دخل بقية النواب في مجلس الشورى .

نعم ، تحايل الشيخ المتظري على مجلس صيانة الدستور هو الذي حدا به أن يقول ما ليس مقبولاً أو معقولاً ؛ ولأن الذي صدر كان من الشيخ المتظري ، فليس غريباً أن يقول ما ليس مقبولاً .

إضافة إلى ذلك فهو يحمل بشدة على من يجعل له حق منع ذلك وترشيح هذا ، ثم يعطي لنفسه ذلك الحق لوضع شروط صلاحية تقدم ذلك المرشح للترشيح ، وحرمان الآخر من الترشيح ، وفق مواصفات محددة ذكرها هو .

قد يقال إنَّ الشيخ يقصد بالشروط الشروط الأساسية ، وليس بشرط انتمائه لهذا التيار أو ذلك .

وهذا غير صحيح ، فهو :

أولاً : وصف بعض الناس بأنهم كذّابون دون أن يثبت عليهم ما اتهمهم به .

ثانياً : ألغى مؤسسة دستورية ، وظيفتها قبول المرشح الذي يعمل من أجل النظام ، ويؤمن بثوابته ، وليس من الصحيح أن يُقبل أي متقدم ليمارس نشاطه وفق ثوابته التي قد تصطدم بثوابت النظام .

فيما الصالح والمؤمن والصادق عند الشيوعي يختلف عنه عند الإسلامي ، وهو يختلف عنه عند الليبرالي ، وأيضاً يختلف عنه عند المتدين المعارض لقيام نظام إسلامي في زمن الغيبة الكبرى .

نعم ، إذا كان مؤمناً صالحاً ، ويرى النظام بهويته الإسلامية والاستقلالية أساس ثوابته ، إضافة إلى الكفاءة ، والماضي النظيف فلن يقف أمام ترشيحه أحد .

أما أن يشهد ماضيه بسوء سيرته تجاه مؤسسة دستورية ، وتأليه للناس على تلك المؤسسات لخلافه مع العاملين فيها ، فليس من المنطقي قبول ترشيحه لمجرد وجود عنصر الكفاءة فيه ، دون أن يتوفر فيه احترامه لمؤسسات النظام ومسؤوليه .

ويواصل كلامه فيقول : «إحدى مشاكل السيد خاتمي أنهم لا يتركونه يحكم ، وأن يكون مستقلاً»<sup>(١)</sup> .

«فإنني لا أستطيع أن أحكم ، وبعد ذلك أشكر الشعب ؛ لأنه اقترح لي ، ثم أقدم استقالتي»<sup>(٢)</sup> .

هكذا يفكر القائد المفروض للمستقبل ، وهكذا يحرض رئيس الجمهورية ليعمل بشكل مستقل عن الولي الفقيه المعني بإعطاء رئيس الجمهورية الشرعية الدستورية لممارسة صلاحياته ، وهكذا يصور العلاقة بين القائد ورئيس الجمهورية على أنها فقط اعتراف بالمقام واحترام ولا غير .

فإذا كان دور القائد ، وهو الرجل الأول (رسمياً) في البلاد هكذا ، ولا شيء أكثر من ذلك ، فكيف ساغ له أن يجعل من نفسه رقيباً على النظام ومؤسساته ، ويرسم لرئيس الجمهورية تكليفه تجاه القائد ، ويطلب بإلغاء المؤسسات

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

الدستورية ، وما صفته الرسمية إلا مواطن إيراني عادي!! .

فهل ساغ له ذلك بصفته فقيهاً؟ أم بصفته سياسياً فحسب؟ أم بصفته القائد المفروض؟ أم بكل ذلك؟

فإن كان بصفته فقيهاً ، فالقائد - أيضاً - فقيهٌ ، وقد ألزم نفسه بولايته عليه عندما بايعه بعد وفاة الإمام الخميني قدسُ ، ولو قال : إنه بايع وهو كاره ، فكراهته لا تُبررُ له الرجوع عن بيعته .

وإن قال : كان ذلك برغبةٍ منه فذلك حجةٌ عليه ، وإن قال : انحرف القائد ، فهو يعلم أن مسألة مراقبة القائد ووجود شروط القيادة هي مسؤولية مجلس الخبراء ، وهو مؤسسة دستورية لا يمكن الخدش في قراراتها وقد سبق لها ان اختارت المنتظري خليفة للقائد ولم يتفوه حينها بأي اعتراض ؛ فاعتراضه الآن على صلاحياتها يعني أنه حين قَبِلَ الترشيح سابقاً قد قَبِلَ بأن يتحمل مسؤولية غير دستورية لكونه يتفجع منها .

ثم هل كان حين أنتخبَ للقيادة مرجعاً أعلى للتقليد ، أم هو مرشحٌ لأن يكون كذلك بعد وفاة الإمام الخميني قدسُ؟ أم هل كان الأعلم بالمفهوم الذي يطالب به هو الآن (الأعلم فقيهاً بالمعنى التقليدي)؟

ثم هل من مصلحة النظام والثورة الإسلامية أن يقدم رئيس الجمهورية المنتخب استقالته لمجرد أن القائد أو مجلس الشورى اقترحا عليه أن يرشح هذا الوزير أو ذاك لهذه الوزارة أو تلك ؟ في حين أن الإمام الخميني قدسُ قال للمتظري نفسه ، وأكد عليه أن مصلحة النظام الإسلامي مقدمة على كل شيء ، إذ يقول : « يجب أن يوضح الطلاب الأعداء ، أئمة الجمعة والجماعات المحترمين ، والجرائد والإذاعة والتلفزيون هذه القضية البسيطة للناس ، وهي أن مصلحة

النظام في نظر الإسلام من المسائل المقدّمة على كل شيء ، وجميعنا يجب أن نكون تابعين لذلك»<sup>(١)</sup> .

ولا أدري هل اشتكى السيد خاتمي إلى الشيخ المنتظري من القائد؟ أم استنبط الشيخ ذلك من الأجواء التي في بيته؟

طبعاً السيد خاتمي رد على ذلك ، بأنه في حال تنسيقٍ دائمٍ مع السيد القائد ، بل إن القائد في أكثر من مرة كان يدافع عن السيد خاتمي وعن شعارات حكومته .

ثم يتناول المنتظري في سياق حديثه بشأن وزارة الأمن فيقول : « لقد أرسلت رسالة إلى وزير الأمن (ذري نجف آبادي) قلت : إن مشكلة وزارة الأمن ليست في الوزير ، وإنما هي في التنظيم كله ، فهو متهرئ » .

وقال - أيضاً - : « أنا مع وجود وزارة الأمن ، ولكن وزارة الأمن مهمتها جمع المعلومات ، لا أن تكون مكاناً للجهلة ، ولأشخاصٍ لا يعملون سوى خلق المشاكل ، ويصنعون الملفات للناس ، لذلك يجب أن يتغيّر تنظيم الوزارة ، وألا يصبح مثل الوزير السابق (فلاحيان) مجرد آلةٍ للتوقيع » .

وهذا طبعاً موقفه الرسمي والدائم من وزارة الأمن ، فماضيتها في ملاحقة رواد بيته المتآمرين عليه وعلى النظام والثورة - دون أن يعي ذلك - قد ذوقه مرارة لن تزول مادام المتآمرون مظلومين في نظره ، والمسؤولون جلادين وقتلة . وإلا فإن الشيخ علي فلاحيان كان مساعد الشيخ محمد ري شهري في الوزارة أيام الإمام ، بل كان في وقتٍ من الأوقات (وفي أيام الإمام) مدعياً عاماً للثورة ؛ فكيف اكتشف أن فلاحيان مجرد آلةٍ للتوقيع؟ رغم أن مجلس الشورى اختاره الشعب وليس جهة رسمية ، والمجلس صوت لصالح تسلم



فلاحيان لوزارة الأمن على أساس تقواه وكفاءته .

بلا ريب إن تلك التهمة التي ألصقتها بفلاحيان هي من التيار الذي لا زال يسوِّغُ له ويحتمي به ، وإلا هل بإمكانه عرض دليلٍ عمليٍّ موثقٍ بالوثائق الرسمية تدل على أنه لا يمارس في وزارة الأمن إلا التوقيع على الاتهامات؟ أي منطبقٍ هذا الذي يتفوه به القائد المفروض للمستقبل؟ .

ثم يتابع حديثه فيقول : «على القائد أن يمنع الرئيس أو الوزراء أو غيرهم من المسؤولين إذا أرادوا القيام بعملٍ ضد الشرع»<sup>(١)</sup> .

وهكذا عاد على ما شيده فهدمه ، فمادام أنه يطالب بإلغاء مجلس صيانة الدستور ، وأن لا يتدخل القائد في عمل رئيس الجمهورية أو الوزير ، فكيف يطالب الآن القائد بممارسة ذلك الدور؟! .

وقوله السالف يتناقض تماماً مع قوله : « وليس عمله تشكيل حرسٍ أكبر من حرس الشاه ، وأن يتدخل في كلِّ شاردة وواردة ، وفي كلِّ الوزارات ، وفي كلِّ مكان»<sup>(٢)</sup> .

ولا أدري من أي زاوية ينظر الشيخ المنتظري إلى الحرس الثوري ومشروع العشرين مليون مقاتل الذي طرحه الإمام الخميني تتبُّل لاجتثاث إسرائيل؟ ولا أدري كيف استساغ هذا الاعتقاد وإيران دولة كبيرة جداً ، ونظامها السياسي ومشروعه يضرُّ بمصالح الدول الغاصبة في العالم؟ والتي لم تدع وسيلة ممكنة لمناوئته إلا توسلت بها .

فدول الاستكبار لا تبحث عن منطق الدول ، هل هو عقلائي أم دكتاتوري ،

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

إنما تبحث عن سوقها وهيمتها على مصادر الثروة في العالم وتمويلها .

وإلا هل يوجد نظامً دكتاتوريُّ أكثر من نظام صدام ، مع ذلك كان فترة سابقة وهو الذي لم يفارق دكتاتوريته لحظة مدعوماً من قبل أمريكا التي تسقط الأنظمة بحجة إقامة أنظمة ديمقراطية صالحة ، وكذلك دعمها لنظام «طالبان» في أفغانستان؟ ، وما اعتراضها عليه إلا في شأن أسامة بن لادن . وهل يوجد نظامٌ يمارس إرهاب الدولة في إرعاب الدول الأخرى كإسرائيل؟ ورغم ذلك فأمریکا على استعدادٍ لبذل ماء وجهها في الدفاع عنه .

إذن لا يمكن لبلدٍ يواجه الحصار ويريد أن يعيش حُرّاً ومستقلاً ، أن يحصر عدد جيشه في مائة ألف . ولا يمكن لبلدٍ لا يريد أن يتعهد لأحدٍ بما يمسُّ هويته واستقلاله ، إلا أن يصنع آلة الدفاع عن نفسه بنفسه .

هل يوجد نظام تعطيه أمريكا قوةً عسكرية وهي تعلم أن تلك القوة تستخدم لقتال إسرائيل؟ ، أو أقللاً لاستقلاله في قراره السياسي ؟ .

ثم إنَّ المنتظري يعلم أن حرس الثورة قد أسسَ في أول أيام الثورة ، وليس الآن ، وليس منطقياً أن يدعم القائد كل مؤسسات النظام إلا حرس الثورة وهو القائد العام للقوات المسلحة في البلاد .

ويتناول في معرض حديثه موضوع فقاها السيد القائد فيقول : «عندما توفي آية الله الأراكي ، أرسلتُ له آية الله المؤمن حاملاً مني رسالة ، قلتُ له فيها (أي للسيد الخامنئي) : لانتفت ، ولم يجبه القائد ، بل أرجعه إلى مكتبه ، حيث رأى البعض يكتب الفتاوى ، فسألهم على ماذا تستندون؟ فقالوا له : على رسالة الإمام الخميني ، هل هذا المرجع؟ وهل هذا هو عمله؟» .

من المؤلم حقاً أن الشيخ المنتظري لم يستفد من تجاربه ، ولا من سنن الفقهاء الماضين أبداً ؛ فالإمام الخميني قدَّم - أستاذه وأستاذ القائد - استند في رسالته إلى

وسيلة النجاة ، وكتب عليها آراءه التي اختلف فيها مع السيد الإصفهاني قده ، والسيد الخوئي قده علق على منهاج الصالحين للسيد محسن الحكيم قده ، وهكذا .

وفتاوى السيد الخامنئي التي يختلف فيها مع الإمام الخميني كثيرة ، ولا حاجة لسرد ذلك ، فالشيخ المنتظري أعلم بذلك إذا أراد الحقيقة .

ثم كيف يطالب رئيس الجمهورية بأن يوقف تدخل القائد في عمله الرئاسي ومن جانب آخر يتدخل في عمل القائد ليس من جهة كونه قائداً فقط ، وإنما أيضاً في كتابة رسالته العملية التي يقلده الناس على أساسها ... عجباً لا يكاد ينقضي لهذا الذي لا يكل وهو يدعي المظلومية !!! .

من حقّه أن يقول كيف يكون عمل المرجع كراي ، أما أن يفرضه على مرجع غيره ، ويعتبر عدم الالتزام بذلك نقصاناً في فقاوته فذلك ما لا يقبله منه أحد .

ثم ليس من حقه أن يعطي أوامره فيرسل رسله إلى القائد ليقول له : إفت ، أو لا تفت . إضافة إلى ذلك فهو عندما أيّد انتخابه للقيادة لأنه جدير ، وأهم شروط الجدارة للقيادة القدرة على الاستنباط ، فكيف يعود ليقول له : لا تفت !!؟ هذا ملخص ما جاء في كلمته ، والتي كانت بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير .

في إحدى المرات قال الإمام الخميني قده لآية الله طاهري : « اذهبوا وقولوا له إنه كان أملي ، فإذا رأى أن الروحانيين لا يقفون بوجهه ، فمرجع ذلك إلى وجودي ، ولو قدر في يوم ألا أكون بينكم ، فإنهم سيقفون في وجهه »<sup>(١)</sup> .

وهذا ما حدث تماماً ؛ فالملايين الذين انتخبوا السيد خاتمي أو الذين كان مرشحهم الشيخ ناطق نوري خرجوا في مسيرات مليونية في كافة المدن والمحافظات ، منددين بتجاوزه لحدوده التي حُسبت في إطار التأمّر على النظام والثورة . وصرّح

العلماء والمراجع الكبار في قم ومشهد وطهران وإصفهان ، وكذلك المفكرون ومتقفو البلاد الحقيقيون عن امتعاضهم من ذلك التصرف اللامسؤول .

وبذلك الموقف انتهى ما تبقى من حضورٍ معنويٍّ له كما قال الإمام الخميني قَدْ كُنْتُ ، إلا أنَّ تيار مهدي الهاشمي الذي استند إليه لا زال يأمل بالعودة ، وإن انتهى حين قامت مظاهرات ضخمة في إصفهان ونجف آباد تندد به ، وتدعو بالموت له ، إلا أنَّ استعانته بالوسائل غير المشروعة قد تعيده إذا ما غفل عنه المسؤولون أو تعاملوا معه بحسن نية أو تغاضٍ متعمدٍ عن بعض مظاهر عودته ، وإن شاء الله لن تأتي تلك الغفلة ، ولا المسؤول الذي يغفل .

وعودة ذلك التيار من جديد ، سواءً بواسطة الشيخ المنتظري أو غيره ستزيد من حجم الضربات التي سيتلقاها ، وهو لا يستطيع العودة من دون كبش فداء ، فهل يا ترى موجودٌ في الساحة من يقدم نفسه كبش فداء لتيار مهدي الهاشمي بعد الشيخ المنتظري ؟ لا أدري ، ولكنَّ غداً لناظره قريب .

وهكذا أجهزت الحلقة الثانية على ما تبقى من حيثة له ظلَّت عليه بفضل جهود الإمام الخميني قَدْ كُنْتُ وتسامح القيادة الحالية معه ، وصنفته الآن في عداد مهدي الثورة والنظام الإسلامي .

ولن يستطيع العودة إلا إذا أوجد له التنفيذيون أو المتنفذون في مؤسسات النظام والمؤثرون في الساحة الثقافية والدينية منافذ للعودة ، من خلال تغاضي المعنيين في النظام ومؤسساته ومثقفي الجامعة اللامبرر عن محاولات إعادته لإثارة الزوابع السياسية من جديد ، مما يجعله دائماً العنصر المزعج للنظام ، والمهدد لأمنه واستقراره ، وتماسكه ، بل وحتى ديمومته .

## الحلقة الثالثة :

### مع مذكرات الشيخ المنتظري

في حلقات سبعٍ أو ثمانٍ أورد عليّ نوري زاده (المعارض الإيراني والقاطن في لندن) أهم ما جاء في مذكرات الشيخ المنتظري ، وكان غايتها التوكيد على أربع قضايا رئيسة كان المسوّغ له فيها التظلم ، وهي في نفسها تظلم من عزل الإمام له وممن تأمر عليه لأجل ذلك :

الأولى : السذاجة ، وعدم القدرة على تشخيص الموقف .

الثانية : امتلاء بيته بمعارض النظام ، وسيطرتهم على قراراته ومواقفه وتوجيههم لإرادته تجاه النظام والثورة .

الثالثة : العودة عما تبناه في الإمام من الحكمة والنزاهة والبصيرة .

الرابعة : الظلم والأخطاء الفادحة .

أما المذكرات فهي تنقسم إلى قسمين :

الأول - ما قبل الثورة

الثاني - ما بعد الثورة

وتتميز روايته لما قبل الثورة بالمنهجية الملتزمة والتمنيات الثوريّة ، لكونه وجميع خصومه الحاليين كان هدفهم الثورة ، ولا شيء غير الثورة .

وأما ما بعد انتصار الثورة فقد برزت قراءة كل تيار للثورة والنظام وشخصياتهما ، ومن بينها قراءته هو بناء على شعوره بموقعه وأهميته في الثورة واستقلالية شخصيته كقائد للمستقبل ، فيما منّ يعتقد أنهم خصومه حالياً ملتزمون بقراءة الإمام الخميني لإدارة النظام والثورة .

وعلى ضوء ذلك فإنه عندما تعقدت الأمور بينه وبين الإمام ، كان من الطبيعي أن نجد أولئك إلى جنب الإمام ؛ ولأنهم - كما يعتقد - مربع المؤامرة ضده ، وأن ذلك استمر ما يقارب الستين إلى حين عزله ، وإلى الآن ، فقد خص ذلك بالصفحات الكثيرة سرداً وتحليلاً وتفسيراً . وهي لا تختلف في طبيعتها ولغتها عن جميع ما كتب الإمام بشأنه ويشأن مهدي الهاشمي وتياره ، أضف إلى ذلك فإن من يقرأ مذكراته في القسم الثاني يقول عنه : إنه زعيم حزب سياسي وليس مرجعاً دينياً .

وقد رأيتُ أن أعلق على طبيعة ولغة المذكرات - بالرغم من انتهائي من الكتاب منذ مدة - وليس تناول كل ما جاء فيها ، وآليت إلا أن ألحقها به ما لم تخرج الطبعة الأولى قبل ذلك ، ليكون الجمع فيما بين الحلقات الثلاث أفضل في التعرف أكثر على طبيعة الشيخ المنتظري وكيفية قراءته للأحداث بالرغم من تنوع المراحل التي عاشها ، وقد تركت التفاصيل المتعلقة بالأمن ، وبتهمه لشخصيات النظام ، وكذلك للشخصيات التي تناولتها مذكراته ، فيما قراءة متأنية للمذكرات السياسية للشيخ الري شهري يستطيع الباحث من خلالها أن يحصل على إجابات وافية على إثارات الشيخ المنتظري ، وإن كان أغلب ما في مذكراته لا يستحق الرد ، إلا أن استخدام منتظري لاسمه وتاريخه وعلاقته بالإمام ومشاركته في الثورة قد يسمم مواقف البعض ، وبالتالي قد يكون الرد أحياناً مسؤولية شرعية لا يجوز تجاهلها .

ولندع كل ذلك ، ولنبدأ الآن مع التقسيم الأول لها :

**الأول : السذاجة ، وعدم القدرة على تشخيص الموقف**

يقول الشيخ المنتظري عن اتهامه بالسذاجة : «وما يجدر ذكره فإنهم كانوا يتهمونني بالسذاجة ؛ لأنني كنت دائماً أنصحهم . إن ذنبي الوحيد هو أنني

كنت أعرف زيف شعاراتهم ، وحاولت بكل قوتي وإمكانياتي حراسة الثورة وضمن سمعة الإمام<sup>(١)</sup> .

فهل صحيح أنهم يتهمونهم بالسذاجة لأنه ينصحهم ، وأن ذنبه الوحيد هو أنه كشف زيف شعاراتهم؟! .

لنرى حقيقة ما يقول :

يقول : إن ذنبي الوحيد هو أنني كنت أعرف زيف شعاراتهم !

فمعنى ذلك أن اتهامه لهم بالزيف يشمل كل من يتهمه بالسذاجة ، فهل يقبل أن يتهم الإمام - رأس متهميه - بالزيف!!؟

هنا يردُّ قائلاً : «إن الإمام الخميني كان مجتهداً وفتياً ، ولكن لم يكن معصوماً ، فهو بشر والإنسان قابل للخطأ ، وهو ضعيف ، ويصاب بشتى الأمراض المتعلقة بالأعصاب ، والإنسان يهرم ، والإمام كان مصاباً بالسرطان ، وفي تلك الفترة تحرك البعض لجعل أحمد قائداً بعد رحيل الإمام الخميني . وبدأوا بإرسال الرسائل إلى الإمام الخميني دعوه فيها لتعيين أحمد خليفة من بعده ، غير أن الإمام توفي قبل أن يتقرر مصير الخلافة»<sup>(٢)</sup> .

وهذا الاحتمال وارد عنده ، بالرغم من أنه لا يملك أيأ من تلك الرسائل التي بُعِثَت للإمام في شأن تعيين السيد أحمد لمقام خلافة الإمام كما يزعم ، وكما يقول : «والاحتمال خفيف المؤونة» بالرغم من أن السيد أحمد لم يرد اسمه إلا في القيادة الجماعية ، للصوقه بالإمام ، وتركية الإمام له ، وهذا ليس بخافٍ عليه أو على أحد ، حيث أكسبه ذلك خبرة في الإدارة ، وليس في القيادة الفردية .

(١) الشرق الأوسط ، عدد ٨٠٥٨ .

(٢) المصدر السابق .

وكذا بقية الاحتمالات واردة عنده أيضاً، ومن بينها احتمال عدم رغبة الإمام قتل في قيادته لضعف قدراته القيادية نتيجة لإقناع أطراف المؤامرة للإمام بسداجته ، ومن المحتمل - أيضاً - انزعاج الإمام من نصائحه ، ومن المحتمل - أيضاً - أن عزله تمّ لأنه كشف زيف شعارات الإمام «والاحتمال خفيف المؤونة»!! ، فلماذا لا يحتمل أن الإمام لم يكن يريد خليفه له ، حتى من دون مؤامرة نجله السيد أحمد والشيخ الري شهري والشيخ الرفسنجاني - حسب زعمه - ...

والحقيقة أن السداجة لا تكمن في إسداء النصيحة ذاتها ، خاصة وأن الإمام هو صاحب القول بسداجته ، وليس الري شهري أو السيد أحمد أو الشيخ الرفسنجاني ، وإنما هي في عدم قدرة على تحديد وقت النصيحة أو مكانها أو موضوعها أو طريقة تبليغها ، أو عدم معرفة المنصوح ، أو عدم وضوح دوافع الناصح لنفسه ، والأكبر من ذلك تبرير احتمالات الخطأ في النصيحة المشينة (العلنية) ، وإلقاء مسؤولية ذلك على عاتق الآخرين ، والاستماتة في تنزيه الذات .

وعلى ضوء ذلك فعندما يقول : «في الستين الأخيرتين لحياة الإمام الخميني لم يكن هو يباشر مشاكل وشؤون الحكم بصورة يومية ، وكان هناك نجله أحمد الذي تولى إدارة الأمور»<sup>(١)</sup> ، على أن ذلك داعياً لتصور وقوع كل احتمالات اللعب بخيوط العبث مع الإمام ، وإنجاح مؤامرة عزله ، إلا أن قوله: «وأنا باعتباري نائباً للإمام الخميني كنت في قم منشغلاً بشؤون الحوزة والدراسة ، وما كان لدي وقت كافٍ لأذهب كل يوم إلى طهران لأزور الإمام وأقابله» أكبر داعٍ لإثبات القول بسداجته ، إذ كيف يتمسك بالعمل في الحوزة والدرس والإمام يقول : «إن الحفاظ على النظام والثورة من أوجب الواجبات»!؟



ثم هل تعطيل درسه وترك العمل في الحوزة سيعطل الدرس والحوزة؟! بالطبع لا؛ فالحوزة والدرس لم يتعتلا حينما أبعث الإمام في عام ١٩٦٣م إلى تركيا ثم إلى العراق وفي تلك الظروف المؤلمة والمخيفة، فيما كان حجم الإمام في الحوزة آنذاك أكبر من حجم المتظري في الوقت الذي يتحدث فيه عن انشغالاته، خاصة وأنه يتحدث عن مؤامرة على مستوى القيادة وحرف مسيرة الثورة! .

ومن دواعي القول بسذاجته قوله: «إن الإمام لم يكن يباشر الحكم بصورة يومية - وهو يرى العذر للإمام في ذلك - وإنما كان ذلك بواسطة السيد أحمد»، فيما لا يرى على نفسه غضاضة في أن ينشغل بالدرس والحوزة عن مباشرة ما لا يقدر الإمام عليه في ظروف شيخوخته ومرضه حسب زعمه الواهي، رغم كونه خليفة الإمام وعليه القيام بأداء تلك المسؤوليات الثقيلة .

وعلى ضوء ذلك الانشغال من حقي كـ (باحث) أن أسأل، كيف عليم بالمؤامرة تلك؟! .

بالطبع من مكتبه ورواؤه المخلصين! وهم خليط من معارضي النظام والثورة وقد تظاهروا بالتوبة والمظلومية (وقد تحدثنا عنهم في الحلقة الأولى) ولا أدري كيف اقتنع بأن يوزع تهمة المؤامرة والزيف وتزعم الفتنة وإدارتها وهو منشغل بالدرس والحوزة؟! .

وليته حصر تهمة المؤامرة في هؤلاء رغم هولها، وبالرغم من انشغاله إلا أنه وزع اتهاماته على رئيس الحرس والمدعي العام للثورة، وعلى كل من لا يقف إلى جانبه في تمرده على نصائح وأوامر الإمام!! .

كما أن السذاجة لا تنحصر في أمر النصيحة، وإنما في الأداء الموكول للهواجس، واعتبارها حقائق ثابتة، حيث إن أكثر دعاواه مبنية على التفسير المتعسف

والهواجس القائمة على سوء الظن وتسويلات مهدي الهاشمي وتياره .

وإلا كيف تصور إنجاز مؤامرة قادها رجال ليسوا بحجمه ولا بحجم الإمام ، وينظلي كل ذلك وببساطة على الإمام الذي كشف كل المؤامرات التي استهدفته واستهدفت نهجه وأنصاره منذ البداية قبل الثورة واستمرت بعد الثورة دون أن تنجح ، سواء بحرب الشوارع واغتيال المسؤولين والعامّة في الطرقات وعلى موائد الإفطار أم بالحرب الصدامية المفروضة والحصار السياسي والاقتصادي الشرقي والغربي ، وإنما ذلك نتيجة لوعيه تقبُّل وحزمه وحكمته ونفاذ بصيرته .

وهناك أمور كثيرة تدخل في توكيد دعوى القول بسذاجته ، زيادة على ما تم ذكره ، ونذكر منها :

١ - قوله في رسالته إلى الإمام إنه لم يكن يريد القيادة ، ثم يغضب ويزمجر ويشكك في كل من لم يكن إلى جانبه لأن الإمام عزّله ، ويتحدث عن وقوع مؤامرة لعزله .

ومع فرض ذلك على سخافته فقد أثبت سذاجته حيث كان يعلم بها في حينها ، ولم يستطع إقناع الإمام بذلك ، بالرغم من مكانته ، وهذا يتعلق بالكياسة والفتنة واستثمار أدق السوانح لإثبات أحقيته .

٢ - بعد فوز السيد خاتمي هنا بالفوز وطالبه بتنفيذ وعوده دون الانصياع لرغبات وأوامر القائد ، حيث الرئيس منتخب من قبل الشعب ، فيما القائد منتخب من قبل هيئة انتخابية (مجلس الخبراء) وهو يعلم أن انتخابه لخلافة الإمام آنذاك كان من قبل تلك الهيئة ، إضافة إلى ذلك أنه في كتابه دراسات في ولاية الفقيه قال : إن الأصل هو ولاية الفقيه ، فهو يقول في الجزء الثاني من كتابه تحت عنوان «مصدر السلطة التنفيذية» :

« وقد عرفت في الفصل الثالث أن المكلف والمسؤول في الحكومة الإسلامية أولاً وبالذات هو الإمام والولي ، وأن السلطات الثلاث أيديه وأعضاده»<sup>(١)</sup> ، إلا أنه يخالف ما قرره في كتابه ، ويطالب رئيس الجمهورية بالتمرد على القائد دون ملاحظة أن ذلك محرّجٌ للسيد خاتمي عندما شفع تأييده له بدعوته بالتمرد على من أعطاه الشرعية الدينية للرئاسة وفق رأيه هو في كتابه كما مرّ .

٣ - عند اقتراب موعد القمة الإسلامية في طهران أطلق تصريحات نارية وخطيرة ، يتهجم فيها على القائد والاستخبارات والحرس دون ملاحظة خطورة ذلك على طمأننة قادة الدول الإسلامية على الاستقرار في إيران على مستوى القيادة والأمن .

٤ - مذكراته : حيث كانت هناك مساع جادة من بعض الجهات الرسمية لرفع الرقابة عنه ، إضافة إلى ذلك حساسية الحوزة من اتهاماته المبنية على الهواجس ، فيما أثبت القادة الحاليون أنهم فوق تهمة المؤامرة والاستبداد الذي يلصقه بهم ، فما كان منه إلا أن أحبط بنشر هذه المذكرات الجهود الرامية إلى رفع الرقابة عنه ، ودفع بكتلة كبيرة من الشخصيات المؤثرة إلى صف مناوئيه .

والتقدير ليس في موقف أو موقفين يتخذهما القائد (أي قائد) بطريقة خاطئة أو مرتجلة تعني سذاجة القائد ، وإنما طريقة اتخاذه وتوقيته ، وطريقة معالجة التقديرات الخطأ ، وتكرار ذلك منه بفوضوية ، وفقدان انسجام الدافع مع الموقف .

وهكذا كان الشيخ المنتظري ، ومر الكلام في هذا الشأن .

(١) دراسات في ولاية الفقيه ج ٢ ، ص ١١٤ .

بل حتى ادعاءاته بشأن المؤامرة ضده تفتقر للمنطق تماماً ، حيث إن دعوات الإمام له لتطهير بيته كان قبل تعيينه خليفة للقائد ، ورسالة الإمام التالية التي وجهها لمجلس الخبراء ، والتي كان هو المعني بما فيها بالدرجة الأولى ، تؤكد أن ما اعتقده في أولئك ليس إلا لاطلاعهم على ملفه منذ البداية ، ولأنهم كانوا يواصلون معه الحوار حينما قاطع النظام ، ولأن الشيخ الري شهري كان المعني بملف السيد مهدي الهاشمي .

يقول الإمام لمجلس الخبراء : «اعلموا أن الطغاة والمجرمين مدثوا عيون الطمع إليكم أكثر من غيركم ، ومن الممكن - لا سمح الله - ومن خلال أشخاصٍ منحرفين ذوي ظاهرٍ إسلاميٍّ وثورِيٍّ في حواشيكم أن يحدث هؤلاء الطغاة كارثةً ، ومن خلال ممارسات منحرفة يقودون النظام إلى الانحراف ، وبواسطتكم يوجهون الضربة للإسلام والجمهورية الإسلامية .

الله الله في انتخاب الأصحاب ، الله الله في اتخاذ القرارات ، ويسرعة خصوصاً في الأمور الهامة ، كونوا على علمٍ - وهذا مما لا يخفى عليكم - أن الإنسان غير مصون عن الخطأ .

إن ارتكبتم خطأ اعترفوا وأقروا به ، فذلك كمال وسمو الإنسانية ، والإصرار على الأخطاء وتوجيه الأمور نقصٌ ، ومن ألعيب الشيطان ، شاوروا المختصين في الأمور المهمة ، واتخذوا جانب الاحتياط» .

**الثاني : امتلاء بيته بمعارضتي النظام .**

كما يقول الشيخ المنتظري نفسه بشأن اشتغاله بالعمل في الحوزة والدرس ، ولأجل ذلك الوضع كان في جهةٍ ، والإمام وقادة الثورة الآخرون في جهةٍ أخرى ، وتحت أي عنوان ، فإن كل من في بيته - ممن وقف أو يقف إلى جانبه - معارض

للنظام الإسلامي ، وبالتالي بلغوا به إلى حد إيقاعه في مواجهة الإمام وطريق الالعودة ، كما يقول مهدي الهاشمي .

فما كان عليه أن يرفض نصائح الإمام في تطهير بيته ، وأن حملة التطهير لا تنحصر في مهدي الهاشمي حتى يقول إنه مجرد زائر لمكتبه كما كان يفعل مثل ذلك في زيارة مكتب الإمام والمراجع الآخرين (كما يزعم) ، وإنما كان عليه أن يلتفت إلى الفكر الذي يحملونه وإلى من يحمله ، وكان عليه ألا يهتم لقرب الشخص إليه ليكفي إعطاءه صك البراءة ، ولكن كيف يكون كذلك وهو يعدل مهدي الهاشمي وجماعته بالسيد الخامنئي والرفسنجاني والري شهري !؟

ناهيك عن أن مهدي الهاشمي نفسه يتحدث عن قنواته التي تتحرك في بيت منتظري ، وهو شقيقه وبقية رجاله ، ولذلك لا معنى أن يخاطب الإمام على أن السيد مهدي لا يزوره ، فإيصال أفكار المرء ليس بحاجة إلى أن يكون حاضراً شخصياً ، ولا أظن أن منتظري يجهل ذلك . كما أنه لا عذر له حتى في اعتقاده بأن مهدي الهاشمي في تقواه كأولئك في تركه لاستجابته لنصائح الأب المشفق والبصير - كما قال بنفسه في بعض ما جاء في رسائله - إلا أنه لم يفعل ذلك ؛ لأنه يعتقد أن ذلك مشروع مؤامرة ، فيما الكياسة تفرض عليه أن يستجيب للولي الفقيه ، والدعوة إلى إبعاد مهدي الهاشمي في إحدى الملحقيات الثقافية في الخارج يمكن أن يكون حلاً يساعده على الحفاظ على مهدي الهاشمي والسماع لنصائح الإمام ، فيما كان صاحب فكرة إلحاقه بإحدى الملحقيات هو الشيخ الرفسنجاني ، ولكنه رفض ذلك تحت عنوان رغبة المتأمرين في التخلص من أبرز رجاله ومن كان يعرف حقيقتهم كما يعتقد !! فيما هو يقول إن مهدي الهاشمي مجرد زائر لمكتبه ، وكان عليه أن يدلل على كياسته بأن يقبل بذلك كله أيام الإمام وباعتباره ولي أمره ، فإذا

مات الإمام فبإمكانه إعادته إلى البلاد تحت أي مسؤولية ، وإذا كان في السجن وكان شاكاً في التهمة الموجهة إليه أن يستأنف محاكمته ، وإذا أعدم - كما حصل - أيام الإمام فليتحمل مسؤولية ظلامته من حَكَمَ عليه .

نعم ، قد يقول إن إثبات البراءة لمهدي الهاشمي بعد وفاة الإمام يمكن أن يضر بسمعة الإمام الذي كان جازماً بثبوت ارتكابه للتهمة الموجهة إليه ، إلا أنه من العجب العجاب أن لا يرى تضرراً سمعة الإمام في قوله للإمام : إن سجونكم قد بيّضت وجه الشاه !! .

هنا من حقنا أن نسأل : لو كان مهدي الهاشمي ليس شقيق صهره وإنما هو قريب للإمام مثلاً ، فهل إذا علم بمظلوميته سيدافع عنه بهذه الاستماتة كما فعل لأنه شقيق صهره وأحد العاملين بمكتبه !!؟

أنا أعتقد أنه لن يفعل ، والدليل أنه قاطع النظام وواصل هجومه على المسؤولين في قضية مهدي الهاشمي ، فيما الانتقادات الأخرى التي يقول إنَّ المخابرات قد أعدمت المئات أو الآلاف وهم لا يستحقون ذلك لم تكن بالنسبة له سوى الاختلاف مع المخابرات والإمام في موقفه منها ، واعتبارها مذنبه فحسب ، وما كان تهديده بمقاطعة النظام إلا فيما يتعلق بمهدي الهاشمي وصهره السيد هادي الهاشمي .

إن لقاءه بالمعارضين لم يكن خافياً على أحدٍ إلا أنه يصنفهم تحت مصنفات يُسوِّغ لنفسه لقاءه بهم .

ما يثير العجب - وما أكثره في ملفه - أنه يعتبر نصائحه ومشوراته لمن صرح أكثر من مرة بأنه الحكيم الذي قضى على كل المؤامرة على الثورة مسؤولية شرعية ، فيما يعتبر نصائح ذلك الحكيم له مؤامرة حاكها متأمرون !!! .

الثالث : العودة عن القول بحكمة الإمام ونزاهته وبصيرته .

يقول الشيخ المنتظري : «لا يشك أي شخص بأن هذه الثورة العظيمة تجاوزت حتى الآن في ظل قيادة وإرشادات سماحتكم أخطاراً عظيمة»<sup>(١)</sup> .

ويقول : «وفضحت وأخرجت - إرشاداتكم - من الساحة أعداء كثيرين ، مثل المنافقين عمي القلوب ، الملطخة أيديهم بدماء آلاف الأشخاص من الناس والشخصيات الحبيبة ، ومنها ولدي الحبيب»<sup>(٢)</sup> .

ويقول أيضاً : «وإذا حصلت أخطاء ونقاط ضعف ، وهي من لوازم طبيعة الإنسان فإن شاء الله ترتفع بقيادة سماحتكم ... أمل أن يستفيد هذا التلميذ المخلص [يعني نفسه] دائماً من توجيهاتكم» .

ويقول أيضاً : «مع السلام والشكر لمواقفكم المدبرة وتعاملكم الحازم مع القضايا المنحرفة ، يرجى أن تأمروا بمتابعة جرائم السيد مهدي الهاشمي والأشخاص المرتبطين به» .

إلا أنه يرجع عن ذلك كله في مذكراته ويسرد لنفسه حضوراً يوحى بأنه الموجه للإمام ، وأن الأخطاء التي حصلت إنما لأن الإمام لم يلتفت إلى اقتراحاته ، أو كما يسميها هو نصائحه ، وقال : إن الذي يدير دفة الأمور ليس الإمام ، وإنما حاشية الإمام بزعامة ابنه السيد أحمد ، حيث يقول : «عندما انتصرت الثورة أصيب الإمام الخميني ونحن والآخرين بغرور خاص ، وكأننا استولينا على العالم بأسره» .

والمذكرات مليئة بمثل هذا الهراء ، إلا أنه بلغ من التراجع درجةً وسعه فيها أن يقول مثل هذا وأكثر .

(١) المذكرات ، ص ٣٥٠ .

(٢) المذكرات ، ص ٣٥٠ .

### الرابع : الظلم والأخطاء الفواح :

أسهب في هذا الجانب ، لكون المذكرات اهتمت بالجانب التاريخي ، وهذه هي طبيعتها عادة ، ومن المفروض أن يكون الكاتب التاريخي أو بالتحديد المؤرخ متحلياً ليس فقط بالسرد الجاف والساذج للأحداث ، وإنما عليه أن يُعنى بالدوافع والغايات في شخصيات الواقعة .

وهذا المفروض فرض نفسه على كل المؤرخين تقريباً ، إلا إن ذلك لا يكون كاشفاً للواقع ، أو قل لمجموع القرائن المتولدة والمرافقة للواقعة ، وذلك نتيجة لموقع المؤرخ وموقفه تجاه الواقعة وتجاه أبطالها ؛ إذ إن ميله لأحد الأطراف سيتجلى في عرضه وتحليله بصورة تتجه نحو خدمة ميله ، وهذا ما يجعل المذكرات كتاباً تاريخياً ليس دقيقاً ، إلا إنها تأخذ طابع الجدية والواقعية إذا ما التزمت بالتوثيق والنقل المباشر ، وتحديد القصد الذي أرادوه دون تعسفٍ في الاستنباط أو اعتماداً على الاحتمالات فيما يريده أبطال الواقعة ، كما لا يصح الاعتماد على العنينة في النقل والتفسير المتعسف والحزبي للموثقات في وقت هو يعيش الواقعة وهو أحد أبطالها .

وهذا ما وقع فيه الشيخ المنتظري في مذكراته ، إذ إن سرده لها يعتمد كثيراً على العنينة تحت عنوان : ممن أثق به ، أو من موثوقين ، أو ما يجري في هذا المعنى ، أو النقل المباشر ثم العمل على تفسيرها بما ينسجم مع دعاوى المؤامرة والفسق والعمالة والغفلة ، وما إلى ذلك .

وهذا ما أدخله في قراءته للحرب ، وتصوراته للحلول ، التي تدل على مبالغة في السذاجة ، عندما صدق أن الجهات التي أعلنت عن تبنيها دفع التعويضات جادة في وعودها وضمأن عدم تكرار العدوان ، ولم يلتفت إلى أنها تطرح هذه الوعود تلبية لجهات معروفة في مجلس الأمن ، وحيث إن



الحرب مشروع تلك الجهات فليس من العقل ومن المنطق تصديق جديتها في تلك الوعود ، وقد رأينا وعود تلك الجهات للسلطة الفلسطينية ، حيث الفقر المدقع والبطالة في مناطق السلطة يكاد يكون قاتلاً بالرغم من التنازلات المنقطعة النظير التي قدمتها لإسرائيل ، وذلك لتخلي الدول المانحة عن التزامها بعودها .

وفي بداية حرب الخليج الثانية أعلن صدام وكذلك الأمم المتحدة اعتماداً على اعتراف صدام بأنه هو المعتدي على إيران ، وأنه البادئ بالحرب ، واعتذرت أهم الدول العربية الداعمة لصدام في الحرب عن موقفها ذلك تجاه إيران ، إلا إنها لم تدفع فلساً واحداً لإيران ، فكيف إذا توقفت الحرب والموقف الرسمي لتلك الدول آنذاك أن إيران معتدية؟! ، هذا من جهة ومن جهة أخرى بقاء صدام على ادعاءاته في حق العراق في الأراضي الإيرانية ، وهذا يعني أن مشروع الحرب باقٍ ببقاء الدعاوى في الحق على الأرض .

أما مسألة تصفية الحسابات معه ومع بعض الجهات المعارضة ، فقد اعتمد على العنينة بشكل رئيسي فيها ، وذلك لطبيعة انشغاله بالحوزة والدرس كما يقول هو ، وهذا الوضع يفرض عليه ألا تكون له وسيلة خبرية غير ذلك . فيما المعارضة لن تتحدث عن نظامٍ تريد إسقاطه بما تملكه من وسائل ، سواء بالدخول في أجهزته ، أو بتحريك الشارع أو بحرب العصابات إلا بما يخدم مشروع إسقاط النظام ، وقد صنفت تلك المواقف السلبية تجاه النظام وقادته الشيخ المنتظري وحاشيته في جانب المعارضة ، وهم بالرغم من رفضهم لهذا التصنيف إلا إن مواقفهم وفتات ألسنتهم تؤكد تلك الحقيقة .

ويدخل في هذا الإطار ما ذكره بشأن كل الحوادث التي دعم بها مواقفه التي خاصم بها النظام ، حيث إنه يعلم أن لو كان المعصوم عليه السلام هو الحاكم فليس هذا

بمانع من أن تحدث الأخطاء من أفرادٍ من أمثال عبيد الله بن العباس ، أو من أمثال شريح القاضي ، أو من أمثال ذي الخويصرة ، أو ابن جرهموز ، أو حتى من أمثال قيس بن سعد .

وبالتالي ملاحظة النظام وقادته لأخطاء ذكرها الإمام في وصيته وفي بيان الخامس عشر من شعبان قبل وفاته من قبيل عدم توافر كل الإمكانيات البشرية والخبرة والخدماتية أحياناً تحتاج إلى وقتٍ ليس بالقصير لمعالجتها تعتبر مجحفة وظالمة وكافية لتوكيد ما يلصق به ؛ إذ إنه لن يقدر على إصلاح ذلك بالسرعة والطريقة التي يريد لها لو كان هو القائد ، وكيف يستطيع إنجاز ذلك وهو لم يستطع توقيت موافقه والإعلان عنها وتحديد شكلها ودراسة نتائجها رغم بساطتها!!؟

وقد أشارت صحيفة الحياة إلى توقيت نشر مذكراته بأنه يشي إلى سوء تقدير التوقيت والنتائج ، وألقت مسؤولية نشرها إلى من حوله حيث قالت : «ويبدو أن» القريبين من منتظري أساءوا تقدير النتائج فأقدموا على نشر المذكرات ، رغم إدراكهم ما يمكن أن تثير من ردود فعل ، خصوصاً من جانب أطراف تناولتها الاتهامات»<sup>(١)</sup> .

أنا لن ألاحق كل ما حشره في مذكراته ، وإنما أشير - وكما قلت - إلى كون مصدرها النقل الصحيح أحياناً والتفسير المجحف لها ، والنقل المروري المعنعن ، وبناء الموقف على ضوئها ، فيما هو ينسب مواقف الإمام الخميني فتشكّل إلى أشخاص اشتغلوا بتحريف الوقائع وصناعة أخرى من أجل تمرير أغراضهم السياسية التي على أولويات سلّمها إزاحته عن خلافة الإمام الخميني ، ومن ثم تصفية المعارضين بالصاق التهم والإعدام والاعتقال حسبما يعتقد .

### الحلقة الرابعة : حديث الشهود

في واقع الأمر كانت ردود الأفعال على هوس وتجاوزات المنتظري عام ١٩٩٧م معبرة وواقية ومستوعبة لما ورد في مذكراته من هذيان ، بالرغم من اجتهادنا في إيجازها ، فيما كانت ردة الفعل على المستوى الشعبي منسجمة مع مفروضها الشرعي والوطني عندما تحركت كل أطرافه الفكرية والسياسية .

وكان على رأس المتصددين لذلك الهوس والتجاوز مراجع الدين العظام وفقهاء وأساتذة الحوزة الكبار ، فيما كان لاستجابة الشعب - من خلال المسيرات الضخمة في كل المدن والأقضية - لنداء المسؤولية الشرعية والوطنية أكبر الأثر في وأد الفتنة ، وسحب البساط من تحت أقدام مثيريها ، ولم يبقَ لهم أي ذريعة تُسوّغ لهم التحدث باسم الشعب والقانون ، وعلى رغم ذلك يعودون من جديد ، وبنفس الطبيعة والهذيان اللذين كانوا عليهما من قبل ، مما يؤكد أن ما بهم ليس قراءة سياسية ، أو وجهة نظر مخالفة ، وإنما هو حالة مرَضِيَّة ليس لها من دواءٍ إلا ما يعود إلى الكي والاستئصال .

ولقد كشفت ردود الأفعال التي صدرت من بعض المراجع والفقهاء - شهود وقائع العزل - عن حقائق آلوا - قبل ذلك - الاحتفاظ بها رغبة منهم في طي الملف ، وعلى أمل أن يرجع ذلك الشيخ إلى رشده ، وإلى السفينة التي كان من قبل أحد قباطنتها ، بدل أن يسعى إلى تدميرها والقضاء على من فيها ، إلا إنه خيب آمالهم ، وقد بلغ من التموقع درجة يستحيل عليه العودة إلى ما كان مأمولاً منه ، على الأقل في المدى المنظور .

من هنا يفترض أن تلحق تلك الحقائق بهذا العرض لتكون أثرى للإمام بالملف ، خاصة إذا كانت من قبل شهود الأحداث شهادة آية الله الشيخ علي المشكيني مثلاً .

سأبتدئها بشهادة السيدة زهراء مصطفى ، ثم شهادة آية الله الشيخ محمد آل إسحاق ، ثم آية الله الشيخ المشكيني ، ثم آية الله الشيخ حسن قديري ، ثم حجة الإسلام حسينيان ، ثم بيان الشيخ مهدي كروي وإمام جماراني ، وحميد روحاني (والذي صدر قبل عزل منتظري بشهر) .

وتلك المواقف والشهادات تقوم على أساس وضع النقاط على الحروف ، وتستوعب حقيقة ما هو عليه ، وهي بذاتها تفصح عن طبيعة مذكراته .

### نداء السيدة زهراء مصطفى<sup>(١)</sup>

نظراً لقرب السيدة زهراء من الإمام قَدْ تُرُّ ومن حيثيات العزل ، ومراقبتها الدقيقة لكل ذلك ، فقد كانت لها كلمة هي شهادة للتاريخ وللشعب الإيراني ، وهذا أهم ما جاء فيها :

### أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

لا زالت زفرات والدنا الشيخ الكبير من خيانه أصدقائه عالقة في أذهاننا حتى اليوم ، ولم ننسَ حتى الآن التأثيرات المروعة للأقاويل غير الحكيمة التي صرّحوا بها ضد جبهات الحرب . . لازلنا نتذكر من هم الأشخاص الذين كان الإمام يتمنى الموت بسببهم ، ومدى القلق الذي كان يساوره من إعلان الشخص الذي ينوب عنه .

إنّ السذاجة لا هي سنّ منخور فتقلعه ، ولا هي مرض فتداويه ، ولا هي ذنب فتعاقب عليه ، ولا هي جهل فيتمضى عليه بثمان سنوات من تدريس البحث الخارج بعد رحيل الإمام .

(١) كريمة الإمام الخميني قَدْ تُرُّ .

لقد وجد شعبنا في الخميني أميناً لله . . ذلك الأمين الذي علمنا كل شيء ،  
ووقف يذود عن الأمانة بكل صلابة ..

الإمام لا يعتبر الأعلمية شرطاً للولي الفقيه ، ويرى للفقهاء ولاية لإقامة الحكومة الإسلامية ؛ لأنه - بغض النظر عن الأدلة الفقهية - لا ينظر للحكومة باعتبارها حقاً للفقهاء ، حتى يتصور كل من يظن في نفسه الأعلمية أن الحكومة حق له ؛ فيصول تحت هذه الذريعة على الآخرين ، ويطلق لسانه بتأليب الليبراليين الانتهازيين على الفقهاء .

الحكومة في رأي الإمام فريضة على الفقيه ، وعلى جميع الفقهاء أن يتعاضدوا ويكونوا يداً واحدة ضد جور وظلم الطواغيت ، وإيصال سفينة الثورة في هذا العالم المضطرب إلى بر الأمان .

ولاية الفقيه حق للشعب ومسؤولية على الفقيه . من حق الشعب أن يقيم له الفقيه حكومة العدل الإلهية والجمهورية الإسلامية ، ومن مسؤولية الولي الفقيه أن يتزعم ويحرس بثبات مثل هذه الحكومة .

الولي الفقيه زعيم للدين وليس مرجع تقليد . وكم التفاوت شاسع بين شروطهما ، زعيم الدين يجب أن يكون فقيهاً شجاعاً مديراً مديراً واعياً بمتطلبات العصر وبالحوادث الواقعة فيه ، قادراً على تشخيص المؤامرات ، ولا ينخدع ولا يكون ساذجاً .

لازلنا نذكر أن إمامنا العزيز استمر حوالي ستين يفضح في رسائله ونداءاته الدور الماكر والمنافق ؛ لليبراليين والمنافقين ؛ ليوقظ خليفته على مخاطر وجودهم وتحريضهم وتحليلاتهم الفارغة ، لكنه لم يفلح في مسعاه ذلك ، وهكذا عزله - وملء قلبه دم - عن الساحة السياسية لنظام الجمهورية الإسلامية المقدّس .

لقد شهدنا أنا وكل من كان على صلة قريبة بالإمام أنه أقام خيمة الثورة بظهر منحن ، وسلم عمودها من بعده بيد آية الله الخامثي ليواصل السير على نهج الإمام وعلى طريق الإسلام الأصيل ، ولمحاربة أعداء هذا الشعب في الداخل والخارج ، وليكون في حرب الفقر والغنى سيفاً على أصحاب الثروات الطائلة ، وليكون عند الأخطاء والمنزلقات هادياً ، وأن لا يحيد خطوة عن مسار الإسلام والثورة .

كنت شخصياً قد سألته قبل عزل خليفته بمدة طويلة عمّن سيكون له زمام القيادة ، فذكر اسم آية الله الخامثي . فسألته ألا تشترط الأعلمية والمرجعية في القائد؟ فنفي ذلك ، وسألته أيضاً عن مقامه العلمي ، فقال صراحة : «إنّ لديه الاجتهاد اللازم للولي الفقيه» .

عثر الشعب الإيراني بدرايته ووعيه وتوجيهات الإمام على طريقة في تعيين القيادة ، وتقبل بكل رحابة صدر شهادة آية الله الأردبيلي ، وآية الله الهاشمي الرفسنجاني ، وأخي العزيز المرحوم سيد أحمد بطل مقارعة الاستكبار والليبراليين وأمين الإمام . ولازال شعبنا اليوم يعتبر نفسه في هذا الخيار وفي الخيارات الأخرى سائراً على نهج الإمام ، ولا يقبل بأي انحراف عن مسيره وأهدافه .

إذن يجب على الغافلين قبول هذه النصيحة وهي أن لا يهتمونا بالطاعة العمياء ، وأن لا يحتقرونا بعلمهم ، وأن لا يخذعونا بكتاباتهم وأقوالهم .

#### آية الله محمد آل اسحاق .

أحد العلماء الكبار الذين رافقوا أحداث الثورة ، وقضى رداً من الزمن في عهد الشاه في زنزانة واحدة مع الشيخ منتظري ، قد قام بواجبه الديني والوطني فبعث برسالة مليئة بالحسرة والشفقة عليه ، وتذكراً له لو كانت تنفعه الذكرى :

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رسالة مفتوحة إلى رفيق السجن آية الله المتظري المحترم وفقه الله تعالى .  
بعد السلام : أعتقد أن واجبي أن أتكلّم إليكم في هذه الأجواء التي يلفّها الضباب ؛ إذ إنّ معالم ظلّمة العقل شيثان : الصمت حين وجوب الكلام ، والكلام حين وجوب الصمت .

ولكن لماذا أنا ؟ لأننا جاهدنا سوية مدّة طويلة في سبيل انتصار الثورة وولاية الفقيه ، وغدّبتنا ، ولأننا نعرف بعضنا تمام المعرفة ، ويثق كل منا بإخلاص الآخر .  
أما أنا ، فبعد حادثة بني صدر حاکمت نفسي ساعة ، فأدرکت أنني لست رجل سياسة ؛ إذ إنني أردت تكحيل الأرمد فأعميت عينه ، وإن حراسة الحكومة الإسلامية وحل المعادلات السياسية تتطلب رجلاً محنكاً ذا خبرة ؛ فانسحبت علانية من الساحة وتركت الحكومة الإسلامية لأهلها ، وأشكر الله أنهم استطاعوا حتّى الآن رفع لواء التوحيد على قمّة التاريخ بكل فخر واعتزاز ، وأعترف لو أن زمام الحكم كان بيدي لوقعت فريسة لمكائد الذئاب الداخلية والخارجية ، ولسلبونا راية التوحيد للمرّة الخامسة ، وسلّموها لبني أمية أو لبني العباس .

يا رفيقي في الأسرا لقد نشرنا الشريط المسجل بصوتك ، ورسالة الإمام رضوان الله عليه في الصحف ؛ فكان ذلك مدعاة لشعوري بالمرارة والألم .

دعنا ندخل إلى صلب الموضوع : لقد قرأتُ رسالتك التي تبث فيها شكواك ، واستشعرت فيها آهات رجل ثوري ذي سجلّ تاريخي مشرق وخدمات مخلصّة على طريق انتصار الحكومة الإلهية وولاية الفقيه .

يا رفيقي في الأسرا لا أحد ينكر مكانتك وسجلك التاريخي الحافل ، ولا ينبغي

إهانتك ، ولكن تعال نخبر ذكائنا الاجتماعي ساعة ، ونقيم بالدرجات كفاءتنا الإدارية والقيادية .

هل توافق على أن ولاية الفقيه والحكومة ظاهرة اجتماعية تضطلع بمصالح العالم الإسلامي لا مصالح الأفراد؟ .

ألا تقبل أن حقوق ومصالح الفرد إذا تضاربت مع المصالح الاجتماعية (ولاسيما ولاية الفقيه) تُضخِّي بمصالح الفرد لأجل مصلحة المجتمع؟ .

هل كان لأمير المؤمنين عليه السلام عداً شخصي مع الزبير؟ أم أنه كان يقاتل حفاظ القرآن ورهبان الليل تحت تأثير انفعالات نفسية؟ .

هل قيمة دماء آلاف المسلمين أكبر أم قيمة بابك وشباك دارك<sup>(١)</sup> ؟ ولو أنك كنت إلى جانب علي عليه السلام ، ألم تكن تقاتلهم؟ ألم يقدم سماحة الإمام على الحرب بموافقتك وموافقة جميع فقهاء الحوزة؟ .

ألم يقتل آلاف الجنود العراقيين الذين كان بعضهم من الشيعة وسيقوا قهراً إلى ميادين الحرب؟ .

وهل كان لهم ذنب سوى أنهم جندوا لزعة الحكومة الإسلامية؟ فكيف إذن أقدمت أنت على زعة الحكومة الإسلامية ألا يُعتبر عمك هذا ذنباً؟ إن مشكلتنا الأساسية مشكلة ثقافية تكمن في قوة نزعتنا الفردية وضعف إدراكنا الاجتماعي .

أنت نائب إمام الزمان ، في حين أننا نعلم أن العدو قد أخفى مئآت الأفاعي التي تترصد لزعة ولاية الفقيه والقضاء عليها ، مثلما فعل في إعدام المرحوم الشيخ

(١) إشارة إلى حادثة المظاهرات الصاخبة التي انطلقت في قم المقدسة والتي هاجم فيها المتظاهرون رغم الحراسة المشددة بيت الشيخ المنتظري ، واقتلعوا أبواب القاعة التي ألقى فيها كلمته ، واجترأ فيها على مقام قائد الجمهورية الإسلامية .



فضل الله نوري باسم الإسلام والثورة ، وبإلّ على جنازته المقدسة بـيرم خان الأرمني ،  
فما يجب أن يفعل مع من يمارس هذه الأعمال ؟ .

أنا طبعاً لا أؤيدّ بعض الأعمال ، ولكن هل واجبنا الإلهي إلا أن نقف موقفاً  
يجعل الأفاعي تختفي تحت جحور أسيادها؟ ولا تتجرأ أن تطل برؤوسها؟ وإلا  
فيجب علينا أن نتوقع تكرار التاريخ .

كن أنت قاضياً واحكم .. هل قداستك الشخصية وما لك من سابقة ثورية واحترام  
لك وليتلك ، وحرمة أموالك ، أكثر أهمية عند الله ورسوله ، أم حفظ الحكومة  
الإسلامية وولاية الفقيه؟ وهل لو كان علي عليه السلام يفعل غير هذا؟ وهل شخصيتك أكبر أم  
شخصية الزبير؟ .

ألم يتنخب قائد الثورة وفقاً للدستور؟ وهل قصر حتى الآن في صيانة الإسلام  
وعزّته وحلّ المعادلات السياسية والاجتماعية ، أو ظهر منه ضعف في إدارته لها؟ .

الويل لي ! لماذا تلك الأفاعي دفعتك لاتخاذ هذا الموقف؟ .

اللهم وفقنا لما تحب وترضى ، اللهم اجعل عواقب أمورنا خيراً ، اللهم لا تكلنا  
إلى أنفسنا طرفة عين أبداً .

محمد آل إسحاق

ش ١٣٧٧/٩/١٠ هـ .

### تفاصيل لقاء آية الله المشكيني بالشيخ المنتظري

تحدث آية الله المشكيني رئيس مجلس الخبراء يوم الخميس ١٩ رجب  
١٤١٨ هـ في المدرسة الفيضية ، وتناول تفاصيل لقائه بالشيخ منتظري  
وحقيقة ما كان يجري في بيته ، وكيف تمارس فيه معارضة الإمام والنظام ،

مندداً بتهاونه ودفاعه عن أولئك المفرضين ، وهو يعلم أنهم لن يكونوا أكثر إشفاقاً عليه من الإمام ، ومن الذين صنفهم في خاتمة أعدائه وخصومه :

إن كل ما أقول هنا إنما أقوله من باب الحرص ، وأشهد الله أنني أسأل الله الهداية حتى للخصوم أحياناً ، ولم يحصل قط أنني قدّمت خطوة مفرضة أو تكلمت ضد أحد وإن كان خصماً لي .

وأنا باعتباري في الحوزة ونتيجة للأحداث التي وقعت ، يتطلب مني أن أتحدث عن الأوضاع الراهنة .

لم أكن إلى الآن قد تحدثت بشيء في هذا الصدد ولا أريد أن أكون أول متحدث به ، بيد أنني أشير بإيجاز إلى هذه الحادثة وإلى الشخص الذي أثارها ، وأختصر كلامي عن جذور القضية بوضع جمل تتناسب مع طبيعة هذا الاجتماع ، ثم أتحدث عن الوقائع الأخيرة .

إن الشخص الذي أطلق تلك التصريحات وأثار التوتر - حيث ارتفعت إثرها أصوات الأعداء في الداخل والخارج - وأوجد البهجة في قلوب الأعداء والألم في قلوب أنصار الثورة ، يتصف - مع مألديه من فضل - بعيب واضح أسقط اعتباره في جميع الجوانب ، واستحوذ على كل كمالاته ، وأنا أقول هذا الكلام لكي تفهموا طبيعة هذا الشخص إن كنتم من أصدقائه ، وأنا أعلن هنا ما لدي من معلومات مؤكدة ، ولا أدلي بمعلومات أشك في صحتها .

العيب الذي يتصف به هذا الشخص وغطى على جميع محاسنه هو أن فكره وقع منذ اليوم الأول في قبضة ثلثة من المفسدين ، ولم يستطع الإفلات منها .

كنت قد ذهبت لمقابلته عدّة مرات (قبيل إعدام مهدي الهاشمي) وقلت له : ما القضية؟ مالك تمتدح هذا الرجل إلى هذا الحد ، وتهتم بأمره إلى هذه

الدرجة؟ ألا تقرأ ما يُكتب عن جرائمه وماذا فعل في أفغانستان؟ ولكن رغم كل ما قلته له ، كان يقول - وهذا هو نصّ عبارته - : إنني مؤمن بمهدي الهاشمي .

لقد غدا بيت هذا الرجل وقدرته وعلمه واجتهاده أداة لتمرير بعض الأهداف المنحرفة ، وكان الإمام وجماعة معدودة يدركون أنّ هذا المسار لو كتب له البقاء لأصبح مهدي الهاشمي رئيساً للجمهورية ، ولقضوا عليه بعد وصولهم إلى أهدافهم .

قلت له : لو أنني مكانك لسنلت نفسي من هذا البيت كما تستل الحية من ثوبها ، ولذهبت إلى مكان آخر واستأنفت عملي ونشاطي من جديد ، ولأدركت أن كلّ ما وظّف لك من إمكانيات لم تذهب هدرًا ، لكنّه لم يُصغِر لكلامي ، حتى إن الإمام بكل ما أوتي من قدرة وسياسة وإيمان كامل وبصيرة نافذة لم يستطع عزله عن المحيطين به ، ولو أنكم طالعتم تلك الرسائل - ولابدأ أنكم طالعتموها - لفهتمم هذا ؛ فكل ما فعله وما قاله له علاقة بترك تلك الجماعة ، بدأ - وبدلاً من الاستجابة لرأي الإمام - بممارسة نشاطه ضد الإمام في أواخر حياته .

كما أنّ أئمة الجمعة كانوا يأتون إليه ويجتمعون في بيته ، وكنت أنا من بينهم ، ويعلم الله إلى أي مدى كان اجتماع أئمة الجمعة يُستغل لأغراض شخصية في هذا البلد ، وكنت أنا كلما ذهبت إلى هناك أخرج متألماً ، من غير أن أتكلّم بشيء . وبقيت مدّة لا أستطيع أن أقول شيئاً بسبب صلة الصداقة بيننا .

وفي أحد الأيام جاء إلى دارنا السيد رسولي محلاتي برفقته السيد توسلي (ولا أذكر على وجه الدقّة إن كان هو السيد توسلي نفسه أم شخص

آخر من المقربين إلى الإمام) ، فقلت للسيد رسولي أن يذهب ويعلن في كل مكان ويُخبر الإمام أنني متى ما ذهبت - وحتى الآن - إلى دار هذا الشخص أخرج وقد انطلت عليّ حيلةً ، وقد انطلت حيلةً على أئمة الجمعة ، ونحن لا ندري الأهداف التي يخططون لها تحت اسم هذا الشخص .

وأضاف رئيس مجلس الخبراء قائلاً : لقد ألقى هذا الرجل كلمة مقتضبة كان فيها مساس بالقائد وبالقيادة ، وطرح فيها مؤاخذات على المرجعية وعلى الولاية وعلى أئمة الجمعة ، وفيها إساءة للقضاة ، ولوزير الأمن ، ولعدد كبير من أعضاء مجلس الخبراء .

كل حكومة تصل إلى السلطة وتشعر أن لمعارضيتها قوة واقتداراً - وهذه الحقيقة مشهودة في عالم اليوم - تسارع بشتى السبل للقضاء على أبيه وابنه وأخيه وما إلى ذلك ، وإن من رحمة الإسلام ورحمانيته أنه لم يعامل معارضية بمثل هذه المعاملة القاسية . نحن نعلم ما هي الأقلام التي تكتب ضد الصغير والكبير في هذا الشعب وضد الإسلام ، إلا إن رحمانية الإسلام تفرض عدم التصدي لهم .

وأشار آية الله المشكيني إلى مقاطع أخرى من كلام المنتظري ، وقال : إن هذا تفريط بالثورة وتخريب لها ، وهذه والله مفسدة في البلد . فهل تظنون استبدال القيادة مزاح؟ وهل يمكن استبدال القيادة ما لم تقع في البلد هزاهز شديدة يستفيد منها أعداء الثورة؟ .

لقد أراد هذا الشخص تأليب رئيس الجمهورية ضد القائد ، ليقول إنني أعمل باستقلال ولا صلة لي بك ، وإلا فإنني أستقبل ، وهذا تحريض مفضوح ، وقد تناول في كلامه جوانب متعددة تتعارض مع الدستور ؛ فهو قد حدد للقائد واجبات تنافي الدستور .

الدستور الذي كتبه هو وشارك في اجتماعات تدوينه ، ووقع عليه ، ولكنه انقلب عليه الآن وتنكر للكثير من أصوله .

لم يكن يرضينا أن يتحدث بهذا الشكل الذي ينتهي به إلى السقوط . لقد كان الإمام قد كتب له أن يؤدي عمله في الحوزة ، لكنه جلب كل هذا الضرر على نفسه وعلى البلد وعلى الثورة . ولا أدري إن كانت أفكاره هذه خلقها واستتجها هو بنفسه ، أم أن أياد خفية قدرة تتسلل إلى الحوزة بين الحين والآخر - تدخلها بجيوب خالية وتخرج منها بجيوب مليئة - زودته بهذه الأفكار؟ وهذا هو الاحتمال الأقوى .

لقد تألمت كثيراً لهذه القضية ، وهذا الكلام جاء كرد فعل طبيعي لهذه الواقعة التي افتعلوها . هذا العالم شبّهوه بجدار ، وشبّهوا عمل الإنسان بالكرة ، فإذا رمى الكرة صوب الجدار تترد إليه ، وكلما اشتدت الضربة تترد بقوة ، وإذا ضربت على مهل تترد على مهل .

#### آية الله قديري :

في أعقاب التصريحات التي أدلى بها الشيخ المنتظري ، بعث آية الله الحاج الشيخ محمد حسن قديري - وهو من مدرسي الحوزة العلمية بقم ومن أعضاء مكتب استفتاء الإمام الخميني قده - رسالة إلى المنتظري ، وهذا بعضها :

السيد حسين علي المنتظري ، آسف لأنني لم أعد أعتقد اليوم بأي من التسميات والألقاب التي كنت أعتقد بها لكم في ما مضى ، بل ولا يسعني كتابتها شرعاً ! في قضية موقف الإمام إزاءكم لم أصدق أن الإمام قال عنكم : « إنني كنت أعتبركم شخصاً ساذجاً ، أما اليوم فأعتبركم شخصاً غير عادل » . ولكنني مع الأسف أصدق هذا الرأي اليوم .

أنتم على معرفة تامة بعدم جواز هتك حرمة المؤمن ، وهو ذنب كبير ، فما بالك بهتك حرمة عالم ، وما بالك بهتك حرمة مرجع؟

إذا كنتم تتذكرون أن الإمام فكك قال لكم في هذا السياق : إن الولاية تنقطع بينكم وبين الله ؛ فأبي مجوز شرعي أباح لكم هتك حرمة شخص كقائد الثورة؟ وأي ذنب كبير ارتكبه حتى يستحق هتك حرمة بهذه الشاكلة ؟ وهل قبول القيادة والتصدي لها وفقاً للدستور بعد أن صوت لصالحه مجلس الخبراء المنتخب من قبل الشعب جريمة؟ مع أنه قال بنفسه : «قلت لهم أن لا يتخبوني لكنهم انتخبوني» ، أم أن مرجعيته جريمة؟ وأية خطوة خطاها هو في سبيل المرجعية؟ وإذا كان البعض يعتبره - لأي سبب كان - مرجعاً ، أو يشيرون إليه - بأي طريق كان - على أنه مرجع ، فهل الذنب ذنبه؟

لقد نقلتم عن شخص ثالث يدون استفتاءاته أنه قيل له أن ينقل تلك الفتاوى من رسالة تحرير الوسيلة للإمام الخميني ، ثم وجهتم له كلمة نابية ! فهل جريمة أن يعتقد أحد بجواز البقاء على تقليد الميت ، أو يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك ، ويرى جواز التقليد الابتدائي لأمثال الإمام ، ناهيك عن أن ما يدون من استفتاءات يجب أن تختم من قبل سماحته ، وهو بدوره لا يختمها ما لم يتأكد من صحة ما كتب ، كما يجري تصحيح الكثير مما يكتب .

لقد تحدثتم عن قضية وجوب الأعلمية في القائد ، وزعمتم وجود ١٢ رواية في هذا المضمار ، ولا شأن لي حالياً بزعمكم ولا يبعد دلالة الروايات على ما ذهبتم إليه ، ولكنكم تحترمون الشعب ، وكنتم تعتبرون الإمام الخميني فكك الشريف ولي الفقيه ، وتعلمون أن إعادة النظر في الدستور قد عرضت على الشعب في أيام حياته ، وصادق عليه سماحته بعد استحصال رأي الشعب ؛ فتكون النتيجة إذن أن

كل ما في الدستور شعبي ، وشرعي أيضاً<sup>(١)</sup> .

إعادة النظر التي جرت على الدستور اعتبرت الاجتهاد في القائد كافياً ، في حين تتحدثون أنتم عمّا جاء في الرواية .

إذا افترضنا أن ما جاء في الرواية يفيد أن القائد يجب أن يكون هو الأعلّم ، إلا أن القائد المُسلّم عند الجميع بأعلميته - أعني الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه - نفَّذ رأي الشعب بناءً على مصالح الأمة ، ولاحظ أنك الأعلّم فرضاً لكنك لست أهلاً للقيادة ، فعزلك ؛ فتكون نتيجة هذا أن مطلق الاجتهاد هو الشرط النافذ في شروط القائد .

وقد تحدثتم أيضاً عن مرجعيته وكأنكم تريدون القول إنه ليس مرجعاً بالفعل . ولكن على رغم أنوف الكارهين للتقدير الإلهي يُعتبر هو اليوم أكبر مرجع للشيعة . وأسأل الله أن يزيد يوماً بعد آخر من عزته التي هي عزة الإسلام .

إن مقولتكم لا تحظى بأي اعتبار شرعي ، وأحد الأدلة على ذلك هو حديثكم هذا وما يحمله من إهانة وهتك حرمة .

كما تحدثتم أيضاً عن جولاته ذات التكاليف الباهظة ، فأية جولة من جولات سماحة القائد تقصدون؟ هل سفره إلى منظمة الأمم المتحدة ، أو إلى باكستان؟ ألم يكن فيه عزة للإسلام؟ أم أن جولاته الداخلية لا تؤدي إلى شوكة الإسلام وتوطيد أسس النظام؟ وكم تبدو في نظركم ثمينة جولته الأخيرة وصلاته وزيارته مع أفراد قوات التعبئة الأعضاء؟ ثم أنتم تتحدثون عن

(١) هناك خطأ لدى الشيخ القديري ، الإصلاحات عرضت على الإمام في حياته ، ولكن تصويت الشعب عليها كان بعد رحيله تذكُّر .

تكاليف هذه الجولات ، إلى أي مدى تثمنون حضوره في الجبهة مرات عديدة ولمُدَد طويلة ، وتأثيره في أوساط المقاتلين؟ .

وعلى كل الأحوال فإن التحدث عن جولاته بمثل هذا التعبير بعيد عن الإنصاف ، بل وبعيد عن العدالة أيضاً .

أسأل الله الهداية للجميع . والسلام على من أتبع الهدى .

محمد حسن قديري

### حجة الإسلام حسينيان :

في رسالة إلى المنتظري قال :

كتتم دائماً تفتقرون إلى نظام فكري ، وقد حرمك الله من فكر منطقي وتفكير منظم ، وكلامك مليء بالتناقضات الأصولية . لماذا تعدلون عن مواقفكم الفقهية؟ ألا يحق لي أن أطرح هذه الشبهة وهي أنكم في الفترة التي كتتم ترون أنفسكم خليفة للقيادة وترون فحولاً أمثال آية الله الأراكي والكلبايگاني ضحيتم بأصل الفقاهاة في قبال حسن التدبير .

### رسالة حجج الإسلام :

مهدي كرويي ، وإمام جماراني ، وحميد روحاني :

وهي تتناول الأحداث والأسباب التي انتهت بعزل الشيخ المنتظري ، والتي تشير إلى أنه لا زال - كما كان - عصا بيدٍ غيره ، يستميت في انتقاد النظام والدفاع عن أولئك الذين حرضوه ، أو قل - مراعاة لاعتداده بنفسه - قنواته الخبرية وفي قراءة الأحداث والشخصيات ، وأهم ما جاء فيها :



لقد كان تصرف وموقف جنابكم من قضية مهدي الهاشمي مثاراً لدهشة وحيرة أكثر أصدقائكم المخلصين ومحبيكم الذين اطلعوا على مواقفكم تلك من قريبٍ أو بعيد ، ولا زالت تلك الحيرة ماثلة حتى اليوم .

أنتم على علم بأن الشخص المذكور وعصابته خطفوا عالم الدين المرحوم شمس آبادي ، وعالم دين آخر وقتلوهما شر قتلة بتهمة السذاجة ، وبناءً على قوله : «بسبب عدم الاعتقاد بالنضال» ، وبعدما ألقى القبض عليهم - وفقاً لما يفيد به الملف الموجود - سخرَ الشخص المذكور نفسه لخدمة السفاك وأخذ يتعاون معه . وفي أعقاب انتصار الثورة الإسلامية أفرج عنه ، إلا أنه واصل أعماله الشريرة ، فاختطف بواسطة عصابته شخصاً يدعى «حشمت» هو وولديه البريئين وقتلهم .

وعلى الرغم من التحذيرات والنصائح التي كان يبديها سماحة الإمام والمسؤولون والأصدقاء ، فقد عُيِّن مسؤولاً لحركات التحرر ، وأنتم تعلمون كيف أثار الفتنة في أفغانستان وأشعل نيران الصراع والقتال بين الأخوة هناك . وأخيراً أخذ هو وعصابته بالدماء التي أراقوها ظلاماً ؛ فأصدر مسؤولو النظام في الجمهورية الإسلامية حكماً بإلقاء القبض عليه واعتقل واعترف بجرائمه ونال جزاءه العادل .

وفي تلك الأثناء كان المؤمل من جنابكم - بعد الاطلاع على جرائمه وقرصته وعشرات الجرائم الأخرى التي يحملها ملفه وأنتم على معرفة تامة بها - أن تعلنوا براءتكم منه وتطلبوا من المسؤولين معاقبته بأسرع ما يمكن ، بل وكان عليكم أن تستفيقوا وتبدوا قلقكم من وجود مثل هذا المجرم السفاك في بيتكم ، وتبادروا إلى تطهير بيتكم من العناصر المنحرفة والمرتبطة بعصبة الهاشمي ، وتعبروا عن امتنانكم للجهات المسؤولة التي سعت لاجتثاث عنصر الفساد هذا ، وتعتبروا ذاتكم مدينين لهم .

ولكن من المؤسف أنكم لم تفعلوا ذلك ، بل وكنتم تسعون حتى آخر يوم من حياته لاستنقاذه من عقابه القانوني ! فهل يمكن اعتبار موقفكم هذا مطابقاً للمعايير القانونية؟ .

أنتم كثيراً ما تتطرقون في أحاديثكم ومواقفكم إلى ضرورة التمسك بالقانون وعدم تخطيه ، والتحرك في ضوئه ، إلا إن التساؤل الذي يتبادر إلى أذهاننا هو هل أن أتباع القانون مفروض على الآخرين ، أي أن مسؤولي نظام الجمهورية الإسلامية والشعب الإيراني المنجب للشهداء هم الذين يجب عليهم الالتزام بالقانون فقط ، دون المحيطين بكم ، فهم أحرار من كل قانون؟! وإذا لم يكن الأمر كذلك فكيف تفسرون النقاط التالية؟ .

أ - إن خبر مقتل «حشمت» وولديه على يد عصابة مهدي لم يحرك ضميرك ، ليس هذا فحسب ، وإنما دافعت عن قاتليهم غاية ما استطعت .

ب - حينما بلغكم خبر سرقة أحد أفراد عصابة مهدي لأوراق ووثائق من رئاسة الوزراء ، أعلنتم « لعله عازم على أن يصبح رئيساً للوزراء في المستقبل ويريد الاطلاع على أعمال رئاسة الوزراء وكيفيةها » .

ج - اعترف ابنكم سعيد أمامكم بتزوير وثيقة ضد الدكتور هادي والسيد صادق الروحاني وأعلن صراحة أنه أظهرهما من خلال تلك الوثيقة وكأنهما من أفراد جهاز السافاك ، وكان في عمله هذا قد أساء أشد الإساءة إلى كرامتهما .

نرجو أن تبيّنوا لنا - أنتم الذين تكثرون من الحديث عن القانون وكرامة الناس - ما هو الموقف الذي اتخذتموه ضد هذا العمل المنافي للقانون؟! .

د - في ضوء الاتهامات الموجودة في ملف حجة الإسلام سيد هادي الهاشمي ، وبناءً على الاعترافات التي أدلى بها مهدي وعصابته ضده ، استدعي

الشخص المذكور لاستنطاقه وفقاً للقانون ، فاحتراماً لأي قانون أخفيتموه في بيتكم وأعلتكم أن استنطاقه ومحاكمته بمثابة استنطاقي ومحاكمتي؟! وبأي مجوز أخفيتم بعض أعضاء شبكة مهدي الهاشمي ، من أمثال القاتل جعفر زاده في بيتكم ، ولم تسمحوا بالقبض عليهم ومعاقبتهم وفق القانون؟ .

حقاً كيف يمكن لمن يقع تحت تأثير حاشيته بهذه السهولة ويتجاهل القانون ، ويتغاضى عما يقومون به من جرائم قتل وخرق للقانون ، أن يدافع عن القانون ، ويسعى إلى سيادة القانون؟! .

أنتم كثيراً ما تنتقدون عملية الرقابة التي تقوم بها وسائل الإعلام وعبرتم عن قلقكم من ذلك بالقول : « إذا كان الأمر يصل إلى هذا الحد بإعمال الرقابة على كلامي أنا طالب العلوم الدينية الذي كنت مهتماً بشؤون الناس من أول الثورة ، وكنت أفق إلى جانب الثورة الإسلامية على الدوام .. » .!

عجباً كيف صرختم بانفعال حينما بثت وسائل الإعلام بيان سماحة الإمام حول مهدي الهاشمي ، وقلتم : لماذا طبلوا وزمروا لهذا الموضوع؟ وحينما بلغكم أن الإذاعة والتلفزيون سيعرضان اعترافات مهدي حاولتم وحتى بالتهديد الحيلولة دون عرضها ، وعدم السماح للأمة الإسلامية بسماع جرائم مهدي من لسانه؟ .

هل ترون جواز إعمال الرقابة على بيان قائد الثورة الإسلامية الذي نذر كل وجوده في سبيل هذه الثورة ، فيما إذا ارتأيتم أنتم صلاحية ذلك ، وكذلك يجب إخضاع اعترافات مهدي وعصابته للرقابة ، ولكن إخضاع آرائكم أنتم للرقابة يعتبر خلافاً للقانون؟ .

وجاء في جانب آخر من الرسالة :

هل تقرأون جنابكم المنشورات السريّة لـ «حركة الحرية» التي تشكك فيها بالإمام وبالمسؤولين وبنظام الجمهورية الإسلامية ككل؟ .

هل تسمعون الكلمات التي تلقىها العناصر المرتبطة بحركة الحجّية ، وأتباع أطروحة «إسلام بلا علماء دين» ضد الشخصيات والمسؤولين في البلد؟ .

هل يرضى الله أن تقدموا بكلامكم هذا الطعام للإذاعات الأجنبية والمعادية للثورة ، وتشككون في أصل نظام الجمهورية الإسلامية في إيران؟ .  
سماحة آية الله :

أنتم تعلمون أن الشعب الإيراني شعب الأبطال لا يستسيغ أدنى مساس بشخصية الإمام ، وقد ثبتت هذه الحقيقة عدّة مرّات في عهد النظام الشاهنشاهي .

حقاً أتدرون ماذا سيصنع هذا الشعب ببيتكم إذا علم بالتجاسر الذي وقع فيه على صورة الإمام؟ .

أنتم تحدثون المسؤولين والجهات القضائية على الدوام بالغفو عن سجناء التنظيمات السياسية وتطلبون منهم الإفراج عنهم ، ومع علمكم أن الكثير منهم غفي عنهم وأطلق سراحهم استجابة لإصراركم ، وأنهم بادروا بعد التعرف على مزيد من حراس الثورة وأفراد قوات التعبئة إلى إرهابٍ وقتلٍ ، وأراقوا فيها دماء أعزّتنا ، إلا إن أمثال هذه الحوادث لم تغير قط من موقفكم المساند لهؤلاء السجناء ، إن موقفكم هذا يثير تساؤلنا ، ونحن على ثقة بأن للعناصر المشبوهة الموجودة في بيتكم دوراً أساسياً في موقفكم هذا .

وجاء أيضاً في جانب آخر من الرسالة المذكورة :

لو أن جنابكم ألقىتم نظرة على ماضيكم ، وعثرتم على أخطائكم ، ربّما بات بإمكانكم اليوم التزام جانب الحذر في تصرفاتكم ، ولأدركتم أنكم من

الممكن أن تكونوا على خطأ اليوم كما كنتم على خطأ بالأمس .

أنتم كنتم ذات يوم تقريراً على كتاب «شاهد جاويد» [الشهيد الخالد] وعزمتم في يوم آخر - نتيجة لضغط القوى المضادة - على التنصل من ذلك العمل ، وكتابة رسالة تعلنون فيها توبتكم من ذلك العمل لكن بعض الأصدقاء منعوكم عن ذلك ، وكان كلا العاملين خطأ .

لقد وصفتم الشهيد البطل محمد منتظري - نتيجة لتأثير أقوال الآخرين - بالجنون ، في حين أن الإمام لم يستجب للضغوط التي مورست عليه ليتفوه بكلمة واحدة ضد الشهيد محمد منتظري ، والله يعلم مدى الفائدة التي جناها الليبراليون والوطنيون من تصريحاتكم تلك بشأنه ، واستغلوها وبعثوه في مجلس الشورى الإسلامي - نقلاً عن كلامكم - بالجنون ! .

يحاول المحيطون بكم والمقربون إليكم عزلكم خطوة خطوة عن طريق الثورة ، وصياغة رؤيتكم بشكل يجعلكم تسيئون الظن بالقوى المؤمنة والمضحية والثورية ، في حين يصورون لكم القتلة والرأسماليين والليبراليين وكأنهم أبطال المجابهة ضد أمريكا! أنتم تنهون الآخرين عن التصلب والتعنّت ، إلا أنكم تبدو تعنتاً شديداً في مقابل جميع الأصدقاء القدماء وأهل الخير الذين تعرفهم منذ سنوات طويلة وتثق بإخلاصهم وإيمانهم ، وتتصرف معهم وكأنك تراهم جميعاً يسيرون في اتجاه معاكس للثورة أو أنهم منخطئون ولا يفهمون ، وأن الأشخاص المحيطين بك هم وحدهم الحريصون على الثورة ، وهم فقط الذين يفكرون تفكيراً سليماً ! .

لا يخفى أن نظام الجمهورية الإسلامية يعاني من بعض النواقص والمشاكل المتأتي بعضها من حوادث الثورة والحرب المفروضة وهي مشاكل لا مفر منها ، وبعضها الآخر ناتج عن قلة تجربة وعدم كفاءة بعض المسؤولين ، ويمكن حلها عن

طريق النصح والتوجيه ، وعبر تقديم البرامج والاقتراحات ، إلا إن الأسلوب الذي تسرون عليه أنتم هو أنكم تتخذون نقاط الضعف التي يضحّمها المحيطون بكم لتطلبوا بها وتزمرّوا ضد المسؤولين ، دون تقديم الرأي الكفيل بحلّها ، وهذا ليس أسلوباً بناءً يستهدف الإصلاح ، وإنما يوفر من جهة غذاءً إعلامياً لأعداء الإسلام والثورة ، ويشكك من جهة أخرى بكفاءة النظام الإسلامي ويؤدي إلى إضعافه .

كان حريّاً بكم - بدل التهجم على هذا وذاك - أن تقدموا التوجيهات والإرشادات ، بل وكان خليقاً بكم أن تنظروا في ما تؤدونه أنتم من أعمال لتدركوا مدى موفقيتكم على الصعيد العملي .

إن البند (ج) الذي لا يمكن الحديث عنه ، ومندوبوكم في الجامعات أصبح بعضهم مبعث خجلٍ وسبباً لابتعاد الجامعي عن عالم الدين ، وأمور كثيرة أخرى لا مجال لشرحها .

نرى في ختام المطاف لزوم تذكيركم بنهج الإمام ، فنحن نرى لو أنكم أبديتم مزيداً من الاهتمام والنظر في حياة الإمام ونهجه ، واستوعبتموه على حقيقته وطبقتموه لحصل تغيير كامل في حياتكم السياسية ، ولانتهجتم منهجاً آخر ؛ إذ إن من جملة الخصائص البارزة والقيمة لدى سماحته أنه لا يقع تحت تأثير الآخرين ، وهذه الخصائص هي التي صانته من كثير من المخاطر .

ففي تلك الفترة التي كان يعاني فيها الغربة في النجف الأشرف ، لم تستطع الرسائل والنداءات والضغوط التي كانت تمارس عليه من كل جانب على يد الأصدقاء والمحبين ، لم تستطع أن تؤثر عليه وتدفعه إلى تأييد المنافقين .

كما بُذلت جهود شتى لاستحصال تأييدٍ من سماحته لبعض الوجوه التي كانت لها شعبية في الأوساط الثقافية ، أو لبعض الفئات والمنظمات التي تبوأ بعضها -

وللأسف - اليوم مراكز حساسة ، ولكن مُنيت جميع تلك الجهود بالفشل بسبب وعي الإمام وفطنته ، مما أثبت للجميع قدرته على عدم الخضوع لأي تأثير .

إننا على ثقة بأن جنابكم قادر - من خلال استلھام توجيهات سماحة الإمام - على تطهير وإصلاح ما في بيتكم . . اطرّدوا العناصر الخبيثة منه ، وامنعوا المقربين إليكم من التدخل في شؤونكم السياسية والاجتماعية .

لقد تحدثتم كثيراً وأبديتم توجيهاتكم بشأن الإصلاحات ، إلا أن الغبار الذي يثيره بعض المحيطين بكم والمقربين إليكم لم يوفر لكم الفرصة التي تمكنكم من المبادرة لتطهير بيتكم ؛ أي أنهم لم يتركوا لكم الفرصة أساساً للتفكير بشأن هذا الموضوع .

نحن نؤكد لكم علانية : أنكم ما لم تصلحوا الحالة التي عليها مصادركم الخبرية وتشكيلاتكم الداخلية ؛ فإن الطريق الذي أنتم عليه لا ينتهي بكم إلى الغاية المنشودة ، ولن يتسنى لكم على الإطلاق الإنجاز السليم لما عليكم من واجبات ومسؤوليات تجاه الإسلام والثورة الإسلامية . وقد تتسبون - لا سمح الله - بإلحاق أضرار لا تحمد عقبها بنفسكم وبالإسلام والثورة ، ويمكنكم استنباط هذه الحقيقة جيداً من خلال التأمل في حياة بعض العلماء والمراجع السابقين الذين كانوا محاصرين من قِبَل حواشيهم وأقربائهم ، والقرآن الكريم يقول : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>(١)</sup> .

والسلام عليكم ورحمة الله ..

# الفصل الرابع

حديث الوداع

الوحيّة السياسيّة الإلهيّة

◀ مقدمة الوحيّة

◀ نصّ الوحيّة

◀ ملحقات الوحيّة





قبل البدء في عرض الوصية ، نود أولاً أن نقوم بعرض تقسيماتها ، إذ الإمام قسم وصيته إلى ثلاثة تقسيمات ، هي:

- المقدمة .

- نص الوصية .

- ملحقات الوصية .

## المقدمة

ابتدأ الإمام المقدمة بحديث الثقلين ، وأتبعه بحديث مقتضب حول المقامات العرفانية للثقلين ، وفقاً لمنهجيته وفلسفته في العرفان .

ثم تناول مظلومية هذين الثقلين وما نالهما من ظلم وجورٍ من قبل الأعداء المتأمرين ، والجهلة من الأصدقاء.

ثم تطرق بشكلٍ تفصيليٍّ حول الألفاظ الإلهية التي هي من أعظم المفخر التي من الله بها على الشعب الإيراني.

وفي الأخير أكد على الاهتمام بمراسم العزاء لأهل البيت المعصومين عليهم السلام ، ولاسيما سيد المظلومين والشهداء أبي عبد الله الحسين (صلوات الله الوافرة وأنبيائه وملائكته والصالحين على روحه الملحمية العظيمة) ، وشدد على أن خطوةً انحرافيةً واحدة ستؤدي إلى حرف المسيرة الإسلامية ، وتوجيهها إلى عبوديتها لأحد أقطاب الاستكبار في العالم .

**الوصية<sup>(١)</sup> :**

وأما نصُّ الوصية فقد قسّمه الإمام قَدْ تُكَلِّمُ حسب ترتيب الحروف الأبجدية (أبجد ، هوز ، حطّي ، كلمن ، سعفص ، ..) والتزم بطرح وصاياه مَبَوِّئَةً بهذه التقسيمات ضمن ١٨ فقرةً هي :

ألف ، باء ، جيم ، دال ، هاء ، واو ، زاي ، حاء ، طاء ، ياء ، كاف ، لام ، ميم ، نون ، سين ، عين ، فاء ، صاد .

**الملحقات :**

بعد ذلك أتبع الوصية بملحقين :

الأوّل : حول من يقرأ وصيته المباركة .

الثاني : رفضه استخدام اسمه كوسيلة لبلوغ أهداف مبطنّة وخبيثة .

(١) دوّن الإمام الخميني قَدْ تُكَلِّمُ وصيته السياسية الإلهية بتاريخ ١٣٦١/١١/٢٦ هـ ش ، وأودعها عند مجلس خبراء القيادة بتاريخ ١٦٦٢/٤/٢٢ هـ ش بمناسبة افتتاح الدورة الأولى للمجلس ، وأعاد النظر فيها بعد خمس سنوات بتاريخ ١٣٦٦/٩/١٩ هـ ش ، ثم في جلسة عقدت بمحضره ضمت عدداً من الشخصيات والمسؤولين سلم نسختين من الوصية واحدة إلى مجلس الخبراء والاخرى إلى خزانة سدانة الحضرة الرضوية .

فتحت الوصية لأول مرة في اليوم التالي لارتحال الإمام الخميني قَدْ تُكَلِّمُ أي بتاريخ ٨٣/١٥ هـ ق وقرئت في مجلس الخبراء من قبل سماحة آية الله السيد علي الخامنئي (حفظه الله تعالى) رئيس الجمهورية آنذاك .

## \* مقدمة الوصية \*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

\* حديث الثقلين <sup>(١)</sup> \*

قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) :

«إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ ، كِتَابَ اللهِ وَعِترَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، فَإِنُهُمَا لَنْ يَفْتَرَقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ» <sup>(٢)</sup> .

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسُبْحَانَكَ ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ مَظَاهِرِ جَمَالِكَ وَجَلَالِكَ <sup>(٣)</sup> ،

(١) العناوين الموضوعية بين نجمتين ليست من نص الوصية ، وإنما أضفناها من عندنا للتوضيح والتسهيل في فهم مقاصدها .

(٢) تصدى لإثبات تواتره ، ودراسة أسانيده ودلالاته ، آية الله العلامة السيد حامد حسين الموسوي الهندي في كتابه (عبارات الأنوار) ، في المجلد الأول من ملخص العبارات للسيد علي الحسيني الميلاني ؛ فأحصى رواته من العلماء المشاهير من القرن الثاني الهجري إلى القرن الثالث عشر ، فبلغوا حسب إحصائيته (١٨٧) ، وقام بذلك - أيضاً - العلامة آية الله الشيخ عبدالحسين الأميني في كتابه الغدير الجزء الأول ، وكذلك آية الله العلامة السيد عبدالحسين شرف الدين العاملي في كتابه (المراجعات بدءاً من ص ٨٢) ، والملحق الذي قام بإعداده سماحة الشيخ حسين الراضي ، والعلامة آية الله السيد مرتضى العسكري في كتابه (معالم المدرستين - المجلد الأول بدءاً من ص ٣٣١) .

(٣) يعتبر الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ أن النبي الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته الطاهرين هم التجلي لجمال الله وجلاله ، أي الظهور الحقيقي لذلك الجمال ولذلك الجلال .

وَخَزَائِنِ<sup>(١)</sup> أَسْرَارِ كِتَابِكَ ، الَّذِي تَجَلَّى فِيهِ الْأَحَدِيَّةُ بِجَمِيعِ أَسْمَائِكَ ، حَتَّى الْمُسْتَأْتَرِ مِنْهَا الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُكَ ، وَاللَّعْنُ عَلَى ظَالِمِيهِمْ أَصْلَ الشَّجَرَةِ الْخَيْثَةِ ، وَتَعَدُّ :

### \* نضحة عابرة عن الثقلين \*

أرى مناسباً أن أقدم - تذكيراً - نضحة قاصرة ويسيرة بشأن الثقلين ، لا من حيث المقامات الغيبية والمعنوية والعرفانية ؛ فقلتم أمثالي عاجزٌ عن التجرؤ على مرتبة يشغل عرفانها ويصعب تحملها - إن لم أقل يمتنع - على كل دائرة الوجود من المُلْك إلى الملكوت الأعلى ومنه إلى اللاهوت وما يعزب عن فهمي وفهمك ، ولا من حيث ما جرى على البشرية جرأه هجران حقائق المقام الرفيع لـ « الثقل الأكبر » و « الثقل الكبير » ، وهو الأكبر من كل شيء عدا الثقل الأكبر ؛ فهو الأكبر المطلق .

ولا من حيث ما جرى على هذين الثقلين من قبَل أعداء الله والطغاة المخادعين ، مما يصعب إحصاؤه على من هو مثلي لقصور الإطلاع ومحدودية الوقت ، بل رأيت من المناسب أن أشير إشارة عابرة ومقتضبة جداً إلى ما جرى على هذين الثقلين .

لعل في عبارة : « لئن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض » إشارة إلى أن كل ما ألمّ بواحدٍ من الثقلين بعد الوجود القدسي لرسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قد أصاب الثقل الآخر ، وأن هجر أي منهما هجرٌ للآخر حتى يردَ هذان المهجوران الحوضَ على رسول الله .

وهل إن هذا الحوض هو مقام اتصال الكثرة بالوحدة ، واضمحلال القطرات في البحر ؟ أم هو شيء آخر لا يتطرق إليه العقل والمعرفة البشرية ؟

(١) لأنهم مصداق قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ - آل عمران : ٧ .

وينبغي القول إنَّ ما أصاب وديعتي الرُّسول الأكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) من ظلم الطواغيت ، أصاب الأمة الإسلاميَّة ، بل البشريَّة جمعاء ، وذلك مما يعجز القلم عن بيانه .

ويلزم التذكير هنا بأنَّ حديث الثقلين متواتر بين جميع المسلمين ، وقد روته كتب أهل السنة من الصحاح الستة وغيرها من كتبهم ، متواتراً<sup>(١)</sup> عن الرُّسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بألفاظ متعددة وموارد متكررة .

فهذا الحديث الشريف حجة قاطعة على البشريَّة جمعاء ، لا سيَّما المسلمين بمختلف مذاهبهم ، ويجب على جميع المسلمين الذين تمَّت الحجة عليهم أن يتحملوا المسؤولية تجاهه ، وإن كان هناك عذر للجاهلين الذين لا اطلاع لهم ، فلا عذر لعلماء المذاهب .

### \* ظلامه الوديعتين \*

ولنرَ الآن ما جرى على كتاب الله - هذه الوديعة الإلهيَّة - وميراث رسول الإسلام (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) .

لقد بدأت الأحداث المؤسفة التي ينبغي أن يُبكي عليها دماً بعد استشهاد الإمام عليٍّ (عليه السلام) ؛ حيث استغلَّ عبدة الذات والطواغيتُ القرآنَ الكريمَ وجعلوا منه وسيلة للحكومات المعادية للقرآن ، وأبعدوا بذرائع شتى ومؤامراتٍ معدَّة سلفاً مفسري القرآن الحقيقيين العارفين بالحقائق ، الذين تلقوا القرآن كلَّه من الرُّسول الأكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، في وقتٍ لم يزل فيه نداء (إني تاركٌ فيكم الثقلين) يملأ أسماعهم .

(١) تناولنا عند ذكر الحديث الكتب التي تناولت تواتر الحديث ورواته.

وفي الحقيقة لقد أقصوا - عن ساحة الحياة - القرآن بالقرآن الذي هو أعظم منهاج لحياة البشر المادية والمعنوية إلى حين الورود على الحوض ، وأبطلوا حكومة العدل الإلهية ، وهي أحد أهداف هذا الكتاب المقدس ، ووضعوا أسس الانحراف عن دين الله والكتاب والسنة الإلهية ؛ حتى بلغ الأمرُ حداً يخجل القلم عن بيانه .

وكلما ارتفع هذا البناء المعوجُ ازداد الإعوجاج والانحراف ، ولقد أبعدوا القرآن الكريم عن ميدان الحياة إلى حداً بدا وكأنه لا دور له في الهداية ، وهو الكتاب الذي تنزل من مقام الأحديّة السامي إلى مقام الكشف المحمدي (ص) التام ، من أجل تكامل البشرية ، ونقطة التقاء لجميع المسلمين ، بل وعموم العائلة الإنسانية ، ومن أجل السمو بالبشرية إلى ما يجب أن تسمو إليه ، وتحريرها - وهي وليدةُ عَلَمِ الأسماء<sup>(١)</sup> - من شرور الشياطين والطواغيت ، والوصول بالعالم إلى القسط والعدل ، وتسليم الحكم إلى أولياء الله المعصومين (عليهم صلوات الأولين والآخريين) ، ليسلموه هم إلى من كان به صلاحُ الإنسانية .

ثم بلغ الأمرُ بواسطة الحكومات الجائرة وعلماء البلاط الخبيثاء - وهم أسوأ من الطفغاة - أن صار دور القرآن وسيلة لإقامة الظلم والفساد ، وتسويغ أعمال الظلمة والمعاندين لله تعالى . وللأسف فإن القرآن - هذا الكتاب المصيري - ما كان له من دور وإلى الآن سوى في المقابر والمآتم بسبب الأعداء المتآمرين والأصدقاء الجهلة .

(١) وليدةُ «عَلَمِ الأسماء» هي البشرية ، والتركيب مقتبس من الآية القرآنية : ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ - البقرة : آية ٣١ . والمقصود هذا الإنسان الذي عرض الله سبحانه عليه علماً يؤهله لخلافة الله تعالى في أرضه ، ولولاه لما كان مؤهلاً لذلك .

فأصبح الكتاب الذي ينبغي أن يكون محورياً لتوحيد المسلمين والعالمين وكتاب حياتهم وسيلةً للتفرقة والاختلاف ، أو غُطّل دوره كلياً ، حتى لقد رأينا كيف كان يُعتبر مرتكباً لأكبر المآثم من يتلفظ بالحكومة الإسلاميّة ويتحدث بالسياسة ، التي هي المهمة الكبرى للإسلام والرّسول الأعظم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، والقرآن والسنة مليثان بها ، وكيف كان وصف عالم الدين بالسياسي مرادفاً لوصفه بعدم التدين ، والحال الآن - أيضاً - كذلك .

ومؤخراً ، تعمد القوى الشيطانية الكبرى - ابتغاء محو القرآن وحفظ مطامعها الشيطانية - إلى طبع القرآن بخطٍ جميلٍ ونشره في الآفاق ، وتنفذ ذلك بأيدي الحكومات المنحرفة التي تتظاهر بالإسلام زيفاً ، وهي بعيدة عن تعاليمه ، وبهذا المكر الشيطاني عطّلوا القرآن عن دوره في الحياة .

وقد رأينا جميعاً كيف أن محمد رضا خان البهلوي طبع القرآن وخدع به البعض ، فصار بعض العلماء الجهلة بالأهداف الإسلاميّة من المادحين له أيضاً ، ونشاهد كيف أن الملك فهد ينفق سنوياً مبالغ كبيرة من ثروات الشعب الطائلة لطبع القرآن الكريم والترويج للوهابية ، هذا المذهب المعادي للقرآن ، والمليء من أوله إلى آخره بالزيف والخرافات ، فيسوق الناس والشعوب الغافلة باتجاه القوى الكبرى ، ويستغل الإسلام العزيز والقرآن الكريم لهدم الإسلام والقرآن .

### \* فخر و مآثر \*

نحن نفخر ، ويفخر شعبنا المتمسك بكلّ وجوده بالإسلام والقرآن بأننا أتباع مذهبٍ يهدف إلى إنقاذ القرآن من المقابر ، هذا القرآن الذي تدعو حقائقه إلى الوحدة بين المسلمين ، بل وعموم بني الإنسان ، وتُعتبر أنجع وصفةٍ لإنقاذ الإنسان من جميع القيود التي تكبل رجليه ويديه وقلبه وعقله وتسوقه إلى الفناء والعدم والرقّ والعبودية للطواغيت .



نحن نفخر بأننا أتباع مذهب أسسه رسول الله بأمر من الله تعالى ، فيما كُلف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - هذا العبد المحرر من جميع الأغلال - بتحرير البشرية من كافة القيود والعبوديات .

نحن نفخر بأن كتاب نهج البلاغة - وهو بعد القرآن - أعظم دستور للحياة - بشؤونها المعنوية والمادية - وأسمى كتاب لتحرير الإنسان ، وتعاليمه المعنوية والحكومية تمثل أرقى سبيل للخلاص ، هو من فيض إمامنا المعصوم .

نحن نفخر بأن الأئمة المعصومين هم أئمتنا ؛ بدءاً من علي بن أبي طالب ، وختماً بمنقذ البشرية الإمام المهدي صاحب الزمان (عليهم آلاف التحيات والسلام) وهو - بقدره الله القادر - حي يراقب الأمور .

نحن نفخر بأن الأدعية التي تبعث الحياة في النفس - وهي القرآن الصاعد كما يعبر عنها - هي من فيض أئمتنا المعصومين ؛ فعندنا مناجاة الأئمة الشعبانية ، ودعاء الحسين بن علي (عليهما السلام) في عرفات ، وعندنا الصحيفة السجادية (زبور آل محمد) ، والصحيفة الفاطمية وهي الكتاب الذي ألهمه الله تعالى للزهراء المرضية .

نحن نفخر بأن منا باقر العلوم ، وهو أعظم شخصية تاريخية ، ما عرف منزلتها ولا يستطيع معرفتها إلا الله تعالى ، ورسوله صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومون عليهم السلام .

نحن نفخر بأن مذهبنا جعفري ، وأن فقها - ذلك البحر الذي لا حد له - أثر من آثاره .

نحن نفخر بجميع الأئمة المعصومين (عليهم صلوات الله) ، وملتزم باتباعهم .

نحن نفخر بأن أئمتنا المعصومين (صلوات الله وسلامه عليهم) قضوا أعمارهم سجنًا ونفيًا في سبيل رفعة الدين الإسلامي وتطبيق القرآن الكريم الذي

من أبعاده تشكيل الحكومة العادلة ، ثم استشهدوا في النهاية في سبيل الإطاحة بالحكومات الجائرة وطفاعة عصرهم .

ونحن نفخر اليوم بأننا نسعى لتطبيق أهداف القرآن والسنة ، وفي هذا الطريق العظيم والمصيري تندفع فئات مختلف فئات شعبنا بولّه للتضحية بالأنفس والأموال والأعزة في سبيل الله .

نحن نفخر بمشاركة نساتنا - فتياتٍ ومسناتٍ صغيراتٍ وكبيراتٍ - إلى جانب الرجال ، أو بحضور أفضل في الميادين الثقافيّة والاقتصاديّة والعسكريّة ، من أجل رفعة الإسلام وتحقيق أهداف القرآن الكريم ، وأن القادرات منهن على الحرب شاركن في التدريبات العسكريّة التي تُعتبر من الواجبات المهمّة في الدفاع عن الإسلام والوطن الإسلامي ، وحررّرن بشجاعة والتزام أنفسهنّ من الحرمان الذي فرّضَ عليهنّ ، بل على الإسلام والمسلمين ، من خلال مؤامرات الأعداء وجهل الأصدقاء بأحكام الإسلام والقرآن ، وأطلقن أنفسهن من قيود الخرافات التي ابتدعها الأعداء خلمة لمصالحهم وروّجوها على أيدي الجهلة وبعض علماء الدين غير العارفين بمصالح المسلمين ، وشاركت غير القادرات منهنّ على الحرب بالخلمة القيّمة خلف الجبهات بصورة تهزّ قلوب أبناء الشعب شوقاً وسروراً ، وتثير السخط والغیظ في قلوب الأعداء والجهلة الأشدّ سوءاً من الأعداء .

ولقد شاهدنا مراراً النساء العظيمات وهنّ ينادين كزینب سلام الله عليها بأنهنّ قدّمن أبناءهنّ وضحيّن بكل شيء في سبيل الله تعالى والإسلام العزيز ، ويفخرن بذلك ، وهنّ واثقات من أن ما حصلن عليه هو أسمى من جنات النعيم<sup>(١)</sup> ، فكيف بمتاع الدنيا الحقير .

(١) المعنى مقتبس من المعارف القرآنيّة ، قال تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة ، الآية ٧٢ .

ويفخر شعبنا ، بل والشعوب الإسلامية وعموم مستضعفي العالم بأن أعداءهم أعداء الله العظيم والقرآن الكريم ، والإسلام العزيز . . هم وحوش لا تتورع عن ارتكاب أي جريمة وخيانة لتحقيق أهدافها المشؤومة والإجرامية ، ولا تفرق بين العدو والصديق في سبيل الوصول إلى السلطة وتحقيق أطماعها الدينية .

وعلى رأسهم أمريكا هذه الدولة الإرهابية ذاتاً ، التي أشعلت النار في جميع أرجاء العالم ، وحليفاتها الصهيونية العالمية التي ترتكب - تحقيقاً لأطماعها - جرائم يخجل القلم عن وصفها واللسان عن ذكرها ، ويدفعها وهم «إسرائيل الكبرى» الأحمق نحو ارتكاب كل جريمة .

إن الشعوب الإسلامية والمستضعفين في العالم تفخر بأن أعداءها حسين الأردني - هذا المجرم المتجول - وحسن<sup>(١)</sup> وحسني مبارك يعتلفون من حيث تعتلف إسرائيل المجرمة<sup>(٢)</sup> ، ولا يتورعون عن أي خيانة لشعوبهم في سبيل خدمة أمريكا وإسرائيل .

ونحن نفخر بأن عدونا هو صدام العفلق الذي يعرفه الصديق والعدو بالاجرام وانتهاك الحقوق الدولية وحقوق الإنسان ، والجميع يعرف أن خيانتة بحق الشعب العراقي المظلوم وإمارات الخليج لاتقل عن خيانتة بحق الشعب الإيراني .

#### \* أسمى المفاخر \*

ونحن والشعوب المظلومة في العالم نفخر بأن وسائل الدعاية وأجهزة الإعلام الدولية تتهمنا وجميع مظلومي العالم بكل جريمة وخيانة تأمر بها القوى الكبرى المجرمة .

(١) الملك الحسن الثاني ملك المغرب السابق .

(٢) الاعتلاف من مكان واحد كناية في اللغة الفارسية عن غاية الانسجام والتعاون والاتحاد .

وأى فخرٍ أسمى وأرفع من أن أميركا بكل ادعاءاتها وكل وسائلها الحربية ، وبكل الحكومات العميلة لها ومع امتلاك الثروات الطائلة العائدة للشعوب المظلومة المتخلفة ، وامتلاكها لكل وسائل الإعلام .. تقف عاجزة ومفتضحة في مواجهة شعب إيران الغيور ودولة بقية الله (أرواحنا لمقدمه الفداء) ، فلا تدري بمن تتوسل ، وتتلقى جواب الرفض من كل من تلجأ إليه .

وما كان ذلك ليتحقق إلا بفضل الإمدادات الغيبية للباري تعالى جلّت عظمته ، الذي أيقظ الشعوب وخاصة شعب إيران الإسلامي ، وقاده من ظلمات الظلم الملكي إلى نور الإسلام .

وإنني الآن أوصي الشعوب النبيلة المظلومة وشعب إيران العزيز ، أن يتمسكوا بقوة وثبات والتزام واستقامة بهذا الصراط الإلهي المستقيم ، الذي من الله به عليهم الذي لا يرتبط بالشرق الملحد ولا بالغرب الظالم الكافر ، وأن لا يغفلوا لحظة عن شكر هذه النعمة ، وأن لا يسمحوا بتغلغل الأيدي الأثمة لعملاء القوى الكبرى الأجانب والمحليين - وهم أسوأ من الأجانب - أن تضعع من نواياهم الخالصة وإرادتهم الصلبة ، وليعلموا أنه كلما ازداد صخب وسائل الإعلام الدولية والقوى الشيطانية الغربية والشرقية فذلك دليل قدرتهم الإلهية ، وسيجزئهم الله العظيم أجرهم في هذا العالم وفي العوالم الأخرى إنه ولي النعم وييده ملكوت كل شيء .

وأطلب بمنتهى الجدية والتواضع من الشعوب الإسلامية ، أتباع الأئمة الأطهار - هداة البشرية العظماء - وتعاليمهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية ، كما يليق ومن عمق وجودهم ، والتضحية بالنفس والأعزة في هذا السبيل .

ومن جملة ذلك أن لا يحيدوا ذرةً واحدةً عن الفقه التقليدي<sup>(١)</sup> ، فهو مظهر

(١) الفقه التقليدي : الفقه الأصل الذي ينهج طريقة السلف الصالح من الفقهاء في الاعتماد على القرآن والسنة وفي تعميق فهم مصادر التشريع . وفي مقابله الفقه الذي ينهج التسطیح والتميع والانتقاط .

مدرسة الرسالة والإمامة ، وهو ضمانته رقيّ وعظمة الشعوب بأحكامه الأولية والثانوية ، فهي جميعها من مدرسة الفقه الإسلامي ، وأن لا يصفوا لوسوسة الخناسين المعاندين للحق والدين .

وليعلموا بأنّ خطوةً انحرافيةً واحدةً تمهّد لانتكاسة الدين والأحكام الإسلاميّة وحكومة العدل الإلهيّة .

ومن ذلك عدم الغفلة أبداً عن صلوات الجمعة والجماعة ، وهي الوجه السياسي للصلاة ، فإنّ صلاة الجمعة هي من أعظم النعم التي منّ بها الحق تعالى على الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران .

ومن ذلك أن لا يغفلوا أبداً عن إقامة مراسم العزاء للأئمة الأطهار ، لا سيّما سيّد المظلومين ورائد الشهداء الإمام أبي عبد الله الحسين صلوات الله الوافرة وأبنيائه وملائكته والصالحين على روحه الملمحيّة العظيمة ، وليعلموا أنّ أوامر الأئمة (عليهم السلام) بإحياء هذه الملحمة التاريخيّة الإسلاميّة واللّعن والدعاء على ظالمي آل البيت ، إنما هي - كلّها - صرخة الشعوب البطولية بوجه الحكام الظالمين طوال التاريخ وإلى الأبد .

وتعلمون أنّ اللّعن والدعاء على بني أمية - لعنة الله عليهم - ورفع الصوت استنكاراً لظلمهم يمثّل - ورغم انقراضهم وارتحالهم إلى جهنم - صرخةً ضدّ الظالمين في العالم ، وإحياءً هذه الصرخة تحطيمٌ للظلم .

ومن الضروري أن تبين - وبصورة قارعة - فجائع الظالمين وجورهم في كل عصر ومصر ، ضمن أشعار النياحة والمراثي ، وفي أشعار المديح لأئمة الحق (عليهم سلام الله) .

وينبغي في هذا الزمان وهو زمان مظلوميّة العالم الإسلاميّ على يد أمريكا

والاتحاد السوفيتي وسائر عملاتهما ، ومن جملتهم آل سعود خونة الحرم الإلهي العظيم (لعنة الله وملائكته ورسله عليهم) ينبغي التذكير بذلك - وبصورة قارعة - وإرسال اللعن والدعاء عليهم .

وعليتنا أن نعلم جميعاً أن هذه المراسم السياسية هي التي أوجدت الوحدة بين المسلمين وحفظت هويتهم ، لا سيما شيعة الأئمة الإثني عشر (عليهم صلوات الله وسلامه) .

وما ينبغي أن أذكر به أن وصيتي السياسية الإلهية لا تختص بشعب إيران العظيم ، بل هي وصية لجميع الشعوب الإسلامية ومظلومي العالم ، من أي قوم ودين كانوا .

وأتمس من الله عز وجل متضرعاً أن لا يكلنا ولا شعبنا لحظة واحدة إلى أنفسنا ، وأن لا يحرم أبناء الإسلام والمجاهدين الأعداء من أطفاه الغيبية أبداً .

روح الله الموسوي الخميني



## \* نجر الوحيّة \*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن أهمية الثورة الإسلامية العظيمة ، التي هي ثمرة جهود الملايين من الشرفاء والآلاف من شهدائها الخالدين والمعوقين الأعزاء - هؤلاء الشهداء الأحياء - ، وهي أمل الملايين من المسلمين والمستضعفين في العالم .. بمستوى أسمى وأعلى من أن يقدر القلم والبيان على تقييمها .

إنني روح الله الموسوي الخميني ، غير آيس من الكرم العظيم لله تعالى رغم كل خطاياي ، وزاد طريقي المليء بالمخاطر هو هذا التعلق بجود الكريم المطلق ، وباعتباري طالباً متواضعاً أضع كوصية بين يدي الجيل الحاضر والأجيال العزيزة القادمة أموراً - ولو أنها مكررة - فإنني وكسائر إخواني في الإيمان لديّ أملٌ بهذه الثورة وبقاء منجزاتها ، وإثمارها أكثر فأكثر ، وأسأل الله الغفور أن يمنّ عليّ بخلوص النيّة في هذه التنبهات :

### \* الإمدادات الغيبية \*

(١) نحن نعلم أنّ هذه الثورة العظمى التي قطعت يد ناهبي العالم والظالمين عن إيران الكبرى قد انتصرت بالإمداد الإلهي الغيبي ، ولولا يد الله المقتدرة لم يكن ممكناً أن يُنجز شيئاً شعب الستة والثلاثين مليوناً<sup>(١)</sup> في ظلّ تلك الدعاية المعادية للإسلام وعلمائه ، خاصة في هذه المئة عام الأخيرة ، وفي

---

(١) أشرنا سابقاً أنّ هذا الرقم يعبر عن الحقبة التي كتب الإمام فيها وصيّته ، وعدد السكان الحالي للشعب الإيرانيّ ينيف على السبعين مليوناً .



ظل جهود التفرقة التي لا تحصى والتي كان يمارسها الكتاب والخطباء المرتزقة عبر الصحافة ومجالس الخطابة والمحافل والأندية المعادية للإسلام والوطنية باسم الوطنية ، وفي ظل كل تلك الأشعار والنكت الماجنة وكل تلك المراكز المخصصة للفساد والفحشاء والقمار والخمر والمُخدِّرات ، وهي كلها جميعاً من أجل جرّ جيل الشباب الفعّال - الذي ينبغي أن تنصبّ جهوده في طريق تقدّم ورفعته ورقبيّ وطنه العزيز - إلى الفساد واللامبالاة تجاه الوقائع الخيانيّة التي كانت تنفّذ بيد الشاه الفاسد وأبيه المتخلف والحكومات والمجالس الشكليّة التي كانت تفرضها على الشعب سفارات الدول المقتدرة . والأسوأ من كل ذلك وضع الجامعات والمدارس الثانوية والمراكز التعليمية - التي كانت توضع بيدها مقدّرات البلاد - باستخدامها المعلمين والأساتذة المتغربين أو المتشركين المعارضين تماماً وباسم القوميّة والوطنية للإسلام وثقافته ، بل وحتى للثقافة الوطنيّة الصحيحة . وعلى الرغم من وجود رجال ملتزمين ومخلصين بين هؤلاء ، فإنه لشدة قلّة عددهم وتعرضهم للتضييق لم يكونوا يستطيعون فعل شيء مؤثر .

مع كل هذه ، وعشرات المسائل الأخرى ، ومنها العمل على انزواء العلماء وعزلتهم ، وجرّ الكثير منهم بفعل الدعاية إلى الانحراف الفكريّ ، ما كان ممكناً أن ينتفض هذا الشعب لُحمة واحدة في جميع أرجاء البلاد ، ويدخرَ بهدف موحدٍ وبصرخات الله أكبر وتضحياته المذهلة والإعجازية كل القوى الداخليّة والخارجيّة ، ويمسك بيده مقدّرات بلاده .

لذا لا ينبغي الشك بأن ثورة شعب إيران الإسلاميّة تمتاز عن كل الثورات في النشأة وفي كيفية النضال ، وفي دوافع النهضة والثورة ، ولا ريب أنّها تحفة إلهيّة وهدية غيبية من الله المنان تلطف بها على هذا الشعب المظلوم المنهوب .

## \* الواجب الأكبر \*

(٢) إنّ الإسلام والحكومة الإسلاميّة ظاهرة إلهيّة يضمن تطبيقها سعادة أبنائها في الدنيا والآخرة على أتمّ وجهٍ، وهي قادرة على أن تبطل أشكال الظلم والنهب والفساد والعدوان، وإيصال الإنسان إلى كماله المطلوب .

والإسلام على خلاف جميع المذاهب غير التوحيدية، يتدخل في جميع الشؤون الفردية والاجتماعية، المادية والمعنوية، الثقافية والسياسية والعسكرية والاقتصادية ويشرف عليها، ولم يغفل أيّ قضية وإن كانت صغيرة ما دام لها تأثير في تربية الإنسان والمجتمع ورفقهما مادياً ومعنوياً، ونبه على الموانع والمشكلات التي تعترض طريق التكامل الاجتماعي والفردية، وسعى لإزالتها .

والآن، وقد تأسست الجمهوريّة الإسلاميّة بتوفيق الله وتأييده، ويبدد الشعب المؤمن المقتدرة، وحيث إنّ ما ينصبّ الاهتمام عليه في هذه الحكومة الإسلاميّة هو الإسلام وأحكامه السامية، فالواجب على شعب إيران العظيم أن يسعى لتحقيق مضمون الإسلام بجميع أبعاده وحفظه وحراسته؛ فحفظ الإسلام هو أهم الواجبات كلّها، ولأجله جاهد وضحي غاية التضحية الأنبياء العظام من آدم (عليه السلام) إلى خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولم يصدّهم عن أداء هذه الفريضة الكبرى أيّ مانع، وكذا سعى بعدهم في حفظه الصحابة الملتزمون وأئمة الإسلام (عليهم صلوات الله) بجهود شاقّة بلغت حدّ بذلهم دماءهم .

فالיום يتعين على شعب إيران خاصة وكلّ المسلمين عامة بذل كامل الوسع لحفظ هذه الأمانة الإلهيّة التي أعلنت رسمياً في إيران وحققت في فترة وجيزة نتائج عظيمة، كما أن عليهم السعي في طريق إيجاد موجبات بقائها وإزالة العوائق والعقبات عن طريقها. والمؤمل أن تشع أنوارها على كافة البلدان الإسلاميّة، وأن تتفاهم جميع الحكومات والشعوب على هذا الأمر المصيري؛

فيقطعوا - وإلى الأبد - يد القوى الكبرى الناهبة للعالم ومجرمي التاريخ عن مظلومي العالم ومضطهديه .

وإني وإذا أعيش أنفاسي الأخيرة أتقدم - عملاً بالواجب - إلى الجيل الحاضر والأجيال الآتية باستعراض شطرٍ مما يرتبط بحفظ وبقاء هذه الوديعة الإلهية ، وشطرٍ من العقبات والأخطار التي تهددها ، وأسأل الله رب العالمين التوفيق والتأييد للجميع .

### \* سر النصر والبقاء \*

ألف : لا شك أن سر ديمومة الثورة الإسلامية هو نفس سر انتصارها ، والأمة تعلم ما هو سر الانتصار ؟ وستقرأ الأجيال الآتية في التاريخ أن ركنيه الأصليين هما :

- الدافع الإلهي ، والغاية السامية (وهي الحكومة الإسلامية) .

- والتفاف الشعب في كافة أرجاء البلاد بكلمةٍ موحدةٍ حول هذا الدافع والغاية .

وإني أوصي كافة الأجيال المعاصرة والآتية إنكم إذا أردتم استقرار الإسلام وحكومة الله وقطع أيدي الاستعمار والمستغلين في الداخل والخارج عن بلدكم ، فلا تفرطوا في هذا الدافع الإلهي الذي أوصى به الله تعالى في قرآنه الكريم ، ويقابل هذا الدافع الذي هو سر الانتصار وديمومته نسيان الهدف والفرقة والاختلاف .

فليس عبثاً أن تبذل أبواق الدعاية في أنحاء العالم وصنائعها المحلية أقصى جهودها من أجل ترويج الاشاعات والأكاذيب المثيرة للفرقة ، وتنفق في سبيل ذلك المليارات من الدولارات ، وليس عبثاً الزيارات المستمرة التي يقوم بها معارضو الجمهورية الإسلامية للمنطقة ، وللأسف فإن بينهم من رؤساء

وحكومات بعض البلدان الإسلامية الذين لا يفكرون سوى بمصالحهم الشخصية ، والذين سلموا أمورهم غمياً وصماً لأمريكا ، ويلتحق بركبهم أيضاً بعض من المتلبسين بزّي العلماء .

فالأمر الذي يجب أن يحظى باهتمام الشعب الإيراني ومسلمي العالم وأن يعتنوا به اليوم ومستقبلاً هو إحباط الدعاية المفرقة والهدامة . إن وصيتي للمسلمين وخاصة الإيرانيين وبالخصوص في هذا الزمان أن يواجهوا هذه المؤامرات ، ويعززوا الانسجام والاتحاد بينهم بأي وسيلة ممكنة ؛ ويُدخلوا اليأس في قلوب الكفار والمنافقين .

#### \* المؤامرة الكبرى \*

باء : من المؤامرات المهمة الملحوظة بوضوح في القرن الأخير وخاصة في العقود المعاصرة وبالأخص بعد انتصار الثورة ، مؤامرة الدعاية الواسعة - وبأبعاد شتى - الهادفة إلى إيجاد اليأس من الإسلام لدى الشعوب ، خاصة شعب إيران المضحّي .

فتارة يعلنون صراحة ويسدّاجه بأن أحكام الإسلام التي وضعت قبل ألف وأربع مائة عام لا يمكنها اليوم إدارة الدول ، أو أن الإسلام دين رجعي ، يعارض كل تجديد أو مظهر من مظاهر التمدّن ، وفي العصر الراهن لا يمكن للدول أن تعتزل التمدّن العالمي ومظاهره ، وأمثال هذه الدعايات البلهاء .

وتارة يطرحون بخبث وشيطنة وتحت غطاء الحرص على قدسيّة الإسلام أن الإسلام والأديان الإلهية الأخرى إنما تعنى بالمعنويات وتهذيب النفوس والتحذير من المناصب الدنيوية ، وتدعو إلى ترك الدنيا ، والانهماك في العبادات والأذكار والأدعية التي تُقرّب الإنسان من الله تعالى وتبعّده عن الدنيا ، وأن

الحكومة والسياسة وإدارة الأمور تناقض ذلك الهدف العظيم والمعنوي ، فهي جميعاً من أجل إعمار الدنيا ، وهذا ما لا ينسجم مع سيرة الأنبياء العظام ! .

ومع الأسف فإنّ النوع الثاني من الدعاية أُرِفَ في بعض علماء الدِّين والمتديّنين غير العارفين بالإسلام حتّى أنهم كانوا يعتبرون التدخل في شؤون الحكم والسياسة معصيةً وفسوقاً ، ولعلّ البعض ما زالوا على ذلك ! وقد كانت هذه فاجعة عظيمة ابتليَ الإسلامُ بها .

بالنسبة للطائفة الأولى ، ينبغي القول : إنهم إمّا جهلة بالحكم والقانون والسياسة ، أو عالمون لكنهم يتظاهرون - مغرضين - بعدم الاطلاع ؛ فإجراء القوانين على أساس القسط والعدل ومنع الظلم والحكم الجائر ، ونشر العدالة الفرديّة والاجتماعية ، والمنع من الفساد والفحشاء وأشكال الانحرافات ، والحرية بحسب ميزان العقل والعدل ، والاستقلال والاكتفاء الذاتي ، ومكافحة الاستعمار والاستغلال والاستعباد ، وإجراء الحدود والتعزيزات على أساس العدل للحيلولة دون فساد المجتمع وانحلاله ، وسياسة المجتمع وهدايته وفق معايير العقل والعدل والإنصاف ، والمئات من هذا القبيل هي ليست من الأمور التي تفقد حداتها بمرور الزمان طوال التاريخ البشريّ والحياة الاجتماعية .

وإنّ هذا الادعاء بمثابة أن يقال : بأنّ القواعد العقليّة والرياضيّة يجب أن تُلغى في القرن الحاضر وتُستبدل بقواعد أخرى .

فإذا كان يجب في صدر الخليفة أن تُطبّق العدالة الاجتماعية وأن يمنع الظلم والنهب والقتل ، فهل أصبح هذا النهج اليوم قديماً لأنّ هذا العصر هو عصر الذرّة !؟

إن ادعاء معارضة الإسلام للاختراعات - كما كان يدّعي محمد رضا بهلوي

المخلوع بأن هؤلاء<sup>(١)</sup> يريدون أن يسافروا في هذا العصر بواسطة الدواب - لا يعدو أن يكون تهمةً بلهاء .

لأنه إذا كان المقصود من مظاهر التمدن والاختراعات هو الابتكارات والإبداعات والصناعات المتطورة التي تساهم في تقدم البشر وتحضّرهم ، فلا الإسلام ولا أي دين توحيدي عارض أو سيعارض ذلك أبداً ، بل إن العلم والصناعة قد أكد عليهما الإسلام والقرآن المجيد ، وإذا كان المراد من الحدائث والتحضر ذلك المعنى الذي يطرحه بعض المثقفين المحترفين وهو الحرية في جميع المنكرات والفحشاء حتى الشذوذ الجنسي وما شاكلة ، فهذا ما ترفضه كافة الأديان السماوية والعلماء والعقلاء ، وإن روج لذلك المبهورون بالغرب أو الشرق انطلاقاً من تقليدهم الأعمى .

#### \* حكومة الحق أعظم العبادات \*

وأما الطائفة الثانية التي تمارس دوراً خبيثاً ، وترى فصل الإسلام عن الحكم والسياسة ، فينبغي القول لهؤلاء الجهلة إن القرآن الكريم وسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيهما من أحكام الحكم والسياسة ما لا تبلغه أحكام سائر المجالات الأخرى ، بل إن كثيراً من أحكام الإسلام العبادية هي عبادية سياسية ، وقد أدت الغفلة عنها إلى كل هذه المآسي ؛ فلقد أسس نبي الإسلام (ص) حكومة كسائر حكومات العالم ولكن بدافع بسط العدالة الاجتماعية ، وكان لخلفاء الإسلام الأوائل حكومات واسعة ، وحكومة علي بن أبي طالب (عليه السلام) أيضاً كانت بنفس الدافع ، وينحو أوسع وأشمل ، وهذا من البدايات التاريخية ، ثم استمرت بعده الحكومات باسم الإسلام الواحدة تلو الأخرى ، واليوم أيضاً كثيرون هم أدياء الحكومة الإسلامية اتباعاً للإسلام والرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) .

(١) يشير إلى علماء الدين .

إنني أقتصر في هذه الوصية على الإشارة العابرة ، ولكن أمل أن يتصدى الكتاب وعلماء الاجتماع والمؤرخون لإخراج المسلمين من هذا الفهم الخاطيء .  
 وإن ما قيل ويقال من أن اهتمام الأنبياء عليهم السلام محدود بالأمور المعنوية ، وأن الحكم وإدارة الأمور الدنيوية عملٌ منبوذٌ اجتنبهه الأنبياء والأولياء والصالحون وعلينا أن نجتنبه أيضاً ، هو خطأ مؤسفٌ يؤدي إلى ضياع الشعوب الإسلامية وفتح الطريق أمام المستعمرين القساة ، فالمرفوض هو الحكومات الشيطانية المستبدة والجائرة التي تقوم على حبّ التسلّط والدوافع المنحرفة ، والدنيا التي حذروا منها هي جمع الثروات والأموال ، وحبّ الجاه ، والطغيان ، وبالنهاية تلك الدنيا التي تجعل الانسان يغفل عن الله تعالى .

وأما حكومة الحق التي تكون لصالح المستضعفين والحيلولة دون الظلم والجور ، واقامة العدالة الاجتماعية ، تلك التي سعى لإقامتها أمثال سليمان بن داود ، ونبي الإسلام العظيم (صلى الله عليه وآله) وأوصياؤه العظام ، فهي من أعظم الواجبات وإقامتها من أسمى العبادات ، كما أن السياسة السليمة التي كانت في هذه الحكومات هي من الأمور اللازمة .

فيلزم على شعب إيران اليقظ والواعي أن ينطلق من رؤية إسلامية لإحباط تلك المؤامرات ، وعلى الخطباء والكتّاب الملتزمين أن يهبوا لمؤازرة الشعب وقطع أيدي الأبالسة المتآمرين .

#### \* خطر الإشاعات والنقد الهدام \*

جيم : ومن نفس سنخ تلك المؤامرات - ولعلها أشدُّ خبثاً - إثارة الإشاعات الواسعة في أنحاء البلاد وفي بقية المدن أكثر من العاصمة ، بأن الجمهورية الإسلامية هي الأخرى لم تقدّم شيئاً للناس ، وأن هذه الجماهير مسكينة ؛ اندفعت

بذلك الشوق والتلهف للتضحية لكي تتخلص من نظام الطاغوت الظالم فابتليت بنظام أسوأ ، حيث ازداد المستكبرون استكباراً والمستضعفون استضعافاً .. السجون ملأى بالشباب وهم أمل البلاد في المستقبل .. والتعذيب أصبح أسوأ مما كان عليه في النظام السابق وأبعد عن الإنسانية .. في كل يوم يعدمون مجموعة باسم الإسلام ، ويا ليتهم لم يضعوا اسم الإسلام على هذه الجمهورية .. إن هذا العهد أسوأ من عهد رضا خان وابنه.. الناس تفرق في الآلام والمصاعب والغلاء الفاحش ورجال الحكم يسوقون النظام باتجاه النظام الشيوعي.. أموال الناس تصادر والشعب مسلوب الحرية بكافة أشكالها .. وكثير من أمثال هذه الإشاعات التي تنفذ ضمن خطة معدة .

ولا أدل على وجود خطة ومؤامرة من أن تثار بين فترة وأخرى قضية واحدة تتناقلها الألسن في كل زاوية وناحية وفي كل منطقة ومحلة ، نفس هذه القضية يُتحدثُ بها في سيارات الأجرة والحافلات والتجمعات الصغيرة ، وكلما استهلكت قضية أثيرت أخرى .

ومن المؤسف أن يتوهم بعض علماء الدين غير العارفين بالمكائد الشيطانية صحة الإشاعة عبر اتصال واحدٍ أو اثنين من عناصر المؤامرة ، وحقيقة الحال أن كثيراً من الذين يسمعون هذه الإشاعات ويصدقونها لا اطلاع لهم على الوضع العالمي والثورات العالمية ، ووقائع ما بعد الثورة ومشاكلها الكبيرة التي لا مفر منها ، كما أنهم ليس لديهم معرفة صحيحة بالتطورات الحاصلة والتي هي كلها لصالح الإسلام ، فيستمعون دون تَبَيُّنٍ ووعيٍ لمثل هذه الأمور ويلتحقون بالمتأمرين عن غفلة أو عمد .

إنني أوصي بأن لا تبادروا للتخطيط والنقد الهدام والبذيع من القول قبل دراسة الأوضاع الراهنة في العالم ، ومقارنة الثورة الإسلامية في إيران بسائر الثورات ، وقبل



الأطلاع على أحوال البلدان والشعوب وما كان يجري عليهم في غضون ثوراتهم وبعدها ، وقبل الانفجارات إلى مشاكل هذا البلد الذي ابتلي بالحكم الطاغوتي في عهد رضا خان وابنه الأسوأ منه محمد رضا ، وما خلفه نهبهما من مشاكل جمّة للحكم الحالي بدءاً من التبعيات المهلكة وإلى أوضاع الوزارات والدوائر الحكومية والاقتصاد والجيش ومراكز الفساد وحانات الخمر والتحلل في كافة شؤون الحياة ، وأوضاع التربية والتعليم وأوضاع المدارس الثانوية والجامعات ، وكذلك دور السينما ومراكز البغاء ، وحالة الشباب والنساء ، ووضع علماء الدين والمتديّنين والأحرار الملتزمين والنساء العفيفات المظلومات ، وحال المساجد في عهد الطاغوت .

.. وقبل متابعة ملفات المحكومين بالإعدام والسجن ، والاهتمام بالسجون ، وطبيعة عمل المتصدّئين ، والنظر في أموال الرأسماليين والإقطاعيين الكبار والمحتكرين والبيعة المُغلين في الأسعار ، والاهتمام بمحاكم العدل ومحاكم الثورة ، ومقارنتها بما كان عليه حال العدالة والقضاء سابقاً ، والنظر في أوضاع نواب مجلس الشورى الإسلامي وأعضاء الحكومة ورؤساء المحافظات وسائر المسؤولين الحاليين ، ومقارنة ذلك بما كان عليه الحال في العهد السابق ، وقبل ملاحظة منجزات الحكومة وجهاد البناء في القرى المحرومة من جميع الخدمات حتى المياه الصالحة للشرب والمستوصفات ، ومقارنتها بما أنجزه النظام السابق طوال حكمه ، مع الأخذ بنظر الاعتبار الابتلاء بالحرب المفروضة وآثارها : كتشريد الملايين وعوائل الشهداء والمصابين في الحرب ، وبملايين المشرّدين من أفغانستان والعراق ، ومع الأخذ بنظر الاعتبار المقاطعة الاقتصادية والمؤامرات المستمرة التي تنفّذها أمريكا وعملاؤها الأجانب والمحليّون ، أضيفوا إلى ذلك عدم توفر العدد الكافي من المبلّغين المطلّعين على الأمور ومن قضاة الشرع ، والفوضى التي يجري تنفيذها حالياً من قبل أعداء الإسلام والمنحرفين بل والجهلة من الأصدقاء ، وعشرات القضايا الأخرى ..

فالرجاء قبل الاطلاع على الأمور أن لا تبادروا للتخطئة والنقد الهدام والبذء من القول ، وارحموا حال هذا الإسلام الغريب ، الذي عاد اليوم بعد قرون من ظلم الجبايرة وجهل الجماهير طفلاً ناهضاً ، ووليداً يحيط به الأعداء في الداخل والخارج .

وفكروا - أنتم يا من تثيرون الاعتراضات - أليس من الأفضل أن تسعوا إلى الإصلاح والمعاضلة بدلاً من توجيه الضربات ؟ أليس من الأفضل أن تكونوا أنصاراً للمظلومين والمضطهدين والمحرومين بدلاً من مناصرة المنافقين والظالمين والرأسماليين والمحترنين المجحفين الغافلين عن الله؟ أليس من الأفضل بدلاً من الدعم غير المباشر للفئات المثيرة للشغب والإرهابيين المفسدين أن تعيروا اهتماماً لضحايا الإرهاب من علماء الدين والمسؤولين الخدميين الملتزمين ؟ .

أنا لم أقل أبداً ولا أقول بأن الإسلام العظيم يطبق اليوم بجميع أبعاده في هذه الجمهورية ، وأن ليس هناك من يتصرف خلافاً للتعاليم الإسلامية لجهالة أو عقدة أو لعدم انضباط ، لكنني أقول بأن القوى التشريعية والقضائية والتنفيذية تبذل جهوداً مضنية سعياً لأسلمة البلاد ، يساندها الشعب بعشرات ملايين وبعاضدها .

ولو أن هذه الأقلية المثيرة للانتقادات والمثبطة هبت إلى المساعدة فإن تحققت هذه الآمال سيكون أيسر وأسرع ، وإذا لم يعد هؤلاء إلى أنفسهم - لا سمح الله - فإن الجماهير المليونية قد استيقظت ، وهي تدرك الأمور ، ولها حضورها الفاعل . وستحقق الأهداف الإنسانية الإسلامية بنحو ملحوظٍ بمشيئة الله تعالى ، ولن يقوى المنحرفون ومثيرو الانتقادات على الصمود في مواجهة هذا السيل الهادر .

إنني أدعي وبجرأة إن شعب إيران بجماهيره المليونية في العصر الحاضر هو أفضل من شعب الحجاز في عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وشعب الكوفة والعراق على عهد أمير المؤمنين والحسين بن علي صلوات الله وسلامه

عليهما ، فالحجاز الذي على عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى الْمَسْلُومِينَ لم يكونوا يطيعونه ، وكانوا يتخلّفون عن الحرب بشتّى الذرائع ، حتى إنّ الله تعالى ويخهم في آيات من سورة التّوبة<sup>(١)</sup> وتوعّدهم بالعذاب ، ولقد كذبوا عليه حتى دعا عليهم على المنبر - حسبما روي<sup>(٢)</sup> - .

وأهل العراق والكوفة - في ذلك الوقت - آذوا أمير المؤمنين وتمردوا على طاعته حتى اشتهرت شكواؤه منهم في كتب الحديث والتاريخ .

ومسلمو العراق والكوفة - أولئك - هم الذين فعلوا بسيد الشهداء(عليه السلام) ما فعلوا ، ومن لم يلطّخ يديه في قتله إمّا فرّ من المعركة أو قعد حتى وقعت جريمة التاريخ تلك .

فيما نرى اليوم أيّ تضحيات يندفع لتقديمها بكلّ شوق ورغبة شعب إيران ، وأيّ ملاحم يسطرها هو وقواته المسلحة - جيشاً وحرساً وقوات أمن داخليّ وتعبئة وقوى جماهيرية من عشائر ومتطوعين - في الجبهات ، والجماهير خلف الجبهات ، ونرى أيّ مساعدات قيّمة تقدّمها الجماهير النبيلة في كافة أنحاء البلاد ، فيما يطلّ علينا وعليكم أهالي الشهداء والمتضرّرون بالحرب وذووهم بوجوه تبعث على الروح الملحمية ، ويقول وفعل مفعم بالشوق وباعث على الثقة ، ومنبع كلّ ذلك هو حبّهم وعشقهم لله تعالى ، وإيمانهم المفعم به وبالإسلام والحياة الخالدة ،

(١) قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَقِمْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ، إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ التوبة : الآية ، ٣٨ - ٣٩ .

(٢) قال النبيّ (ص) : «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» ، وفي رواية بلا «متعمداً» . البخاري : كتاب العلم ، باب اثم من كذب على النبي ، وكتاب الجنائز . صحيح مسلم : كتاب العلم . وغيرهما من كتب الصحاح والحديث .

في حين أنهم لا يعاصرون الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ولا الإمام المعصوم صلوات الله عليه ، ودافعهم هو الإيمان والثقة بالغيب وهذا هو سر الفلاح والانتصار في كافة المجالات ، وحرى بالإسلام أن يفخر بتربية أبناء كهؤلاء ، ونحن جميعاً نفخر بأننا في عصر كهذا ، وفي كنف أمة كهذه .

وهنا أتقدم بوصية إلى أولئك الذين يعارضون الجمهورية الإسلامية بدوافع شتى ، وإلى الشباب - فتية وفتيات - ممن استغلهم المنافقون والمنحرفون الانتهازيون والنفعيون بأن يقيموا بحيادية وفكر حر ، وأن يدرسوا بدقة - وبعيداً عن الأهواء النفسية - دعايات أولئك الذين يريدون إسقاط الجمهورية الإسلامية ، وأساليب عملهم وسلوكهم تجاه الجماهير المحرومة ، وهوية الجماعات والحكومات التي كانت ولا زالت تدعمهم ، وهوية المجاميع والأفراد الذين التحقوا بهم في الداخل وصاروا يساندونهم ، وأخلاقياتهم وسلوكياتهم فيما بينهم وأتباعهم وتناقضات مواقفهم تجاه شتى الوقائع ، وتأملوا في أحوال الذين استشهدوا على أيدي المنافقين والمنحرفين في هذه الجمهورية الإسلامية ، وقارنوا بينهم وبين أعدائهم ، إن أشرطة تسجيل هؤلاء الشهداء موجودة الى حد ما ، وأشرطة المعارضين لعلها بمتناول أيديكم ، وانظروا أي الفريقين يدافع عن المحرومين والمظلومين في المجتمع .

أيها الإخوة ، إنكم لن تقرأوا هذه الأوراق قبل موتي ، ولعلكم تقرأونها بعد وفاتي ، وعندها لن أكون بينكم حتى يكون هدفي التلاعب بقلوبكم الفتية لمصلحتي ومن أجل استمالتكم توصلاً إلى منصب أو سلطة ، ولكن لكونكم فتية لاتقين أحب أن تنفقوا شبابكم في سبيل الله والإسلام العزيز والجمهورية الإسلامية لتحفظوا بسعادة الدارين ، وأسأل الله الغفور أن يهديكم إلى صراط الإنسانية المستقيم ، وأن يعفو عما سلف منا ومنكم برحمته الواسعة ، وادعوا الله أنتم أيضاً في الخلوات بذلك ، فهو الهادي والرحمن .

ولي وصية إلى الشعب الإيراني النبيل ، وإلى جميع الشعوب المبتلاة بالحكومات الفاسدة ، والواقعة في أسر القوى الكبرى .

أما وصيَّتي إلى الشعب الإيراني العزيز فهي : أن تعرفوا قيمة النعمة التي حصلتم عليها عبر جهادكم العظيم ودماء شبابكم النُّجباء ، وأن تقدروها كأعزُّ الأمور إليكم ، وتحرسوها وتحافظوا عليها وتجاهدوا في سبيلها فإنها نعمة إلهية عظيمة وأمانة ريبانية كبيرة ، ولا ترهبوا ما يواجهكم من العقبات في هذا الصراط المستقيم فإنه : ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾<sup>(١)</sup> .

كونوا مع حكومة الجمهورية الإسلامية بكل وجودكم فيما تواجهه من مشاكل واسعوا لحلها ، اعتبروا الحكومة والمجلس منكم واحفظوهما كحبيب عزيز .

وأوصي المجلس والحكومة والمسؤولين بأن يعرفوا قدر هذا الشعب ، وأن لا يألوا جهداً في خدمته خاصة المستضعفين والمحرومين والمظلومين ؛ فهم قرَّة أعيننا وأولياء نعمة الجميع ، والجمهورية الإسلامية عطيتهم وثمرة تضحياتهم ، كما أن بقاءها رهين خدماتهم ، فاعتبروا أنفسهم من الناس والناس منكم .

أدينوا على الدوام حكومات الطواغيت الذين كانوا وما زالوا عبارة عن ناهيين متخلفين ومتسلطين حُمقاء ، وبالطبع فلتكن الإدانة بأساليب إنسانية تليق بحكومة إسلامية .

وأما وصيَّتي للشعوب الإسلامية فهي : أن اتخذوا من حكومة الجمهورية الإسلامية والشعب الإيراني المجاهد نموذجاً لكم ، وأوقفوا - وبكل قوة - حكوماتكم الجائرة عند حدِّها إن هي رفضت الانصياع لمطالب الشعوب التي هي مطلب الشعب الإيراني ، فإن هذه الحكومات التابعة للشرق والغرب هي علَّةُ شقاء المسلمين .

(١) سورة محمد : الآية ٧ .

وأشدُّ الوصية لكم بأن لا تصغوا إلى الأبواق الدعائية لأعداء الإسلام والجمهوريّة الإسلاميّة؛ فهم جميعاً يسعون لإقصاء الإسلام عن الساحة حتى تُؤمّن مصالح القوى الكبرى .

#### \* مؤامرة الفصل بين العلماء والجامعيين \*

دال : إنَّ عزل علماء الدين هو من المخططات الشيطانية التي تنفذها القوى الاستعمارية والاستغلالية الكبرى منذ سنوات متتالية ، وقد تزايدت في إيران منذ عهد رضا خان ، وتويعت في عهد محمد رضا بأساليب أخرى .

فعلى عهد رضا خان كان ذلك ينفذ بالتضييق والقمع ونزع الزي الديني والسجن والنفي والإهانة والإعدام وما مائل ذلك .

أما على عهد محمد رضا فقد كانت تنفذ وفق خطة وبأساليب أخرى ، أحدها إثارة العداة بين الجامعيين وعلماء الدين ، وقد شنت حملة إعلامية واسعة في هذا المجال ، كان لها - مع الأسف - أثرٌ ملحوظ بسبب جهل الفتين بالمؤامرة الشيطانية للقوى العظمى .

فمن جهة حرصوا - من المدارس الابتدائية وحتى الجامعة - على اختيار المعلمين والمدرسين والأساتذة ورؤساء الجامعات من المبهورين بالغرب أو الشرق ومن المنحرفين عن الإسلام والأديان الأخرى ، وغبنوا في الوظائف بحيث يكون المؤمنون الملتزمون قلة بينهم ، حتى يتمكنوا أن يربوا الطبقة المؤثرة التي ستمسك زمام الحكم في المستقبل من الطفولة إلى الصبا والشباب تربيةً ينفرد معها من الأديان مطلقاً ، والإسلام خصوصاً ، ومن المرتبطين بالأديان خاصة العلماء والوعاظ ، حيث كانوا يصفونهم في ذلك الوقت بأنهم عملاء الإنجليز ، وبعد ذلك صاروا يصفونهم بأنهم مناصرون للرأسماليين والإقطاعيين وأنهم رجعيون يرفضون التمدن والرقى .

ومن جهةٍ أخرى ، أخافوا وبواسطة الإعلام المفروض العلماء والخطباء والمتدينين من الجامعة والجامعيين ، وكانوا يرمونهم جميعاً بعدم التدوين والتحليل ومخالفة ظواهر الإسلام والأديان ، فصارت النتيجة أن رجال الحكم يعارضون الأديان والإسلام والعلماء والمتدينين ، وجماهيرُ الشعب المتعلقة بحبِّ الدين وعلماؤه تعارض الحكم والحكومة وكل ما يرتبط بهما ، فيفتح هذا الخلاف العميق بين الحكم والشعب وبين الجامعي وعالم الدين الطريقَ أمام الناهيين بحيث تكون كافة أمور البلاد تحت سيطرتهم ، وتنصبُّ ثرواتُ الشعب كلها في جيوبهم ، كما رأيتُ ما جرى على هذا الشعب وما كان سيجري عليه .

والآن وقد تحطمت قيود الأسر وتهدم سدُّ اقتدار القوى الكبرى بمشيئة الله تعالى ، وبجهد أبناء الشعب من العلماء والجامعيين وحتى الكسبة والعُمال والفلاحين وسائر الفئات ، وأُنقذت البلاد من أيدي القوى العظمى وعملائها ؛ فوصيتي هي أن لا تصيب الغفلةُ الجيلَ المعاصرَ والأجيالَ الآتيةَ ، وأن يسعى الجامعيون والشبان النُجباء الأعرزاء إلى تعزيز وتوثيق أو اصرر الودِّ والتفاهم أكثر من ذي قبل مع العلماء وطلبة العلوم الدينيَّة ، وأن لا يغفلوا عن منخططات ومؤامرات العدو الغادر .

وفور مشاهدتهم لشخصٍ أو أشخاص يحاولون بسلوكهم وأقوالهم بثُ بذور النفاق بينهم ، فلينصحوهم ويرشدوهم ، وإن لم يراعوا فليعرضوا عنهم ويعزلوهم ، لكيلا يسمحوا للمؤامرة أن تمتدَّ جذورها ، فإنَّ المنع يمكن التحكُّم فيه بيسرٍ ، وبخاصَّةٍ إذا وُجد بين الأساتذة من يريد إيجاد الانحراف فليرشدوه ، وإن لم يستجب فليطرده من بينهم ومن قاعة درسهم . وإنَّ هذه التوصية موجهة إلى علماء الدين وطلبة علومه بنسبة أكبر .

والمؤامرات في الجامعات تحظى بعمقٍ خاصٍّ ، فعلى كل شريحة محترمة تشكل عقل المجتمع المفكر أن تحذر المؤامرات .

## \* فقدان الهوية أمام الشرق والغرب \*

هاء : إن من جملة المنخبطات التي تركت - وللأسف - أثراً بالغاً على البلدان وعلى بلدنا العزيز ، وأثارها لاتزال باقيةً إلى حدٍ كبير أيضاً ، هو سلخ البلدان المستعمرة عن هويتها وتغريبها وتشريقها ، حتى لم تعد تقيم وزناً لنفسها وثقافتها وقدرتها ، وصارت ترى في القطيين المقتدرين الغرب والشرق أنهما العنصر المتفوق ، وأن ثقافتها هي الأسمى ، وأن هاتين القوتين هما قبلة العالم ، وصوروا أن التبعية لأحدهما من الفرائض التي لا يمكن اجتنابها .

وقصة هذا المنخبط المؤلم طويلة ، والضربات التي تلقيناها منه وما نزال الآن ننتلقاها قاتلة ومدمرة ، والأكثر ألماً هو أنهم أبقوا على الشعوب المظلومة المقهورة متخلفة في كل شيء ، وجعلوا منهم بلداناً استهلاكية ، وأرهبونا من تطوراتهم وقدراتهم الشيطانية بحيث لم تعد لدينا الجرأة على المبادرة إلى أي إبداع ، فسلمنا لهم كل أمورنا ووضعنا مصيرنا وبلداننا بأيديهم ، ثم أخذنا نطيع الأوامر صمماً وعمياناً .

وهذا الخواء والفراغ العقلي المفتعل جعلنا لا نعتمد في أي أمر على فكرنا وعلمنا ، ورحنا تقلد الشرق والغرب تقليداً أعمى ، بل راح الكتاب والخطباء الجهلة المبهورون بالغرب والشرق يعصفون - انتقاداً واستهزاءً - بثقافتنا وأدبنا وصناعتنا وإبداعنا إن وجد ، وعملوا وما زالوا يعملون على كبت فكرنا وطاقتنا المحلية ، ويثياس فيها وترويج التقاليد والعادات الأجنبية مهما كانت خليعة وفاضحة بسلوكهم وأقوالهم وكتاباتهم ، وسعوا بمدحها والإشادة بها - وما زالوا - لتثيتها لدى الشعوب .

فعلى سبيل المثال يتلقون بإعجاب أي كتاب أو مقالة أو خطبة تضم عدداً من المصطلحات الأجنبية ، دون الالتفات إلى محتواها ، ويصفون الخطيب أو الكاتب بأنه عالم ومثقف ، وكل ما نراه من المهد إلى اللحد إنما يكون مستحسناً ويحظى



بالاهتمام وبعده من مظاهر التمدن والتقدم إذا ما أطلق عليه مفردة غربية أو شرقية ،  
وأما إذا كان يحمل شيئاً من مفرداتنا المحلية فهو منبوذٌ وبالٍ ورجعيٌ .

وأطفالنا يفخرون إذا كانوا يحملون أسماء غربية وإلا فيشعرون بالضعة والتخلف ،  
وينبغي أن تطلق أسماء أجنبية على الشوارع والأزقة والمحال التجارية والشركات  
والصيدليات والمكتبات ، والأقمشة وسائر البضائع الأخرى - حتى إن كان إنتاجها  
محلياً - كي تحظى برضا الناس وإقبالهم عليها .

فأصبح التفرنج الكامل في كافة العلاقات الاجتماعية وآداب المعاشرة وجميع  
شؤون الحياة سبباً للفخر والإعتزاز والتمدن والتقدم ، وفي المقابل الالتزام بعاداتنا  
وتقاليدنا هو تحجّر وتخلف ! وأصبح السفر إلى الخارج لأي مرضٍ ووعكةٍ ضرورياً  
مهما كان المرض بسيطاً ويمكن معالجته في الداخل ، تقليلاً من شأن أطبائنا  
الحاذقين وزرعاً لليأس في نفوسهم .

السفر إلى إنجلترا وفرنسا وأمريكا وموسكو مفخرةٌ كبرى ، فيما الحجّ وزيارة  
العتبات المقدسة تحجّر وتخلف !! .

الاستخفاف بكل ما يرتبط بالدين والمعنويات هو من أدلة الفكر النير والتمدن ،  
والتزامها دليل التخلف والتحجّر ! .

إنني لا أقول بأننا نمتلك كل شيء ، فمن المعلوم أننا غرضنا للحرمان من أيّ  
تقدمٍ طوال التاريخ الحديث وخاصة في القرون الأخيرة ، ورجال الحكم الخونة  
وخاصة عائلة بهلوي ومراكز الدعاية المضادة لمنجزاتنا الذاتية ، وكذلك عامل الشعور  
بالنقص واحتقار الذات ، كل هذه العوامل حرمتنا من أيّ مسعىٍ للتقدم .

فاستيراد البضائع من كل نوع وإلهاء النساء والرجال وخصوصاً الشباب بأنواع  
السُّلع الاستيرادية كموادّ التجميل والزينة والكماليات ، واللعب الصبائية ، وجرّ

العوائل أكثر فأكثر إلى التباري في مظاهر الروح الاستهلاكية ، وهذا الأمر بحد ذاته يحكي قصصاً محزنة ، وجرّ الشباب - وهم العناصر الفاعلة - إلى اللهب والفساد ، بإشاعة مراكز البغاء والفحشاء ، وعشرات من أمثال هذه المصائب المدروسة .. ، كلها بهدف الإبقاء على تخلف البلدان .

### \* إذا أردتم تستطيعون \*

والآن بعد أن نجوتم إلى حدّ كبير جداً من كثيرٍ من تلك الشراك ، وهبّ الجيل المعاصر المحروم إلى العمل والإبداع - وقد رأينا العديد من المصانع والأجهزة المتطورة مثل الطائرات وغيرها ، ولم يكن يتصور أن الخبراء الإيرانيين قادرون على تشغيل المصانع وأمثالها ، وكانت أيدي الجميع ممدودة نحو الغرب أو الشرق ليقوم خبراءهما بتشغيلها ، ولكن في ظلّ المقاطعة الاقتصادية والحرب المفروضة رأينا كيف تمكّن شبابنا الأعراء أنفسهم من صنع القطع اللازمة وتقديمها بكلفة أقلّ ، فأمنوا بذلك الحاجة ، وأثبتوا أننا قادرون إذا أردنا .. فإنني أوصي الشعب العزيز انطلاقاً من الحرص عليه والرغبة في الخدمة ، بأنّ عليكم باليقظة والحذر ، ومراقبة محترفي السياسة المرتبطين بالغرب أو الشرق ، كي لا يسوقوكم بوساوسهم الشيطانية إلى تبعية هؤلاء السراقّ الدوليين ، وأن تهبوا لقطع دابر التبعيات ، بإرادتكم الصلبة ونشاطكم ومثابرتكم ، واعلموا أنّ الجنس الآريّ والعربيّ لا يقلّ عن جنس شعوب أوروبا وأمريكا والاتحاد السوفيتي ، وإذا اكتشف ذاته وأبعد اليأس عن نفسه ولم يتطلّع إلى غير ذاته فإنّه قادرٌ على المدى البعيد على إنجاز أيّ عملٍ وصنع أيّ شيءٍ ، وستصلون إلى ما وصل إليه أمثال هؤلاء شريطة التوكّل على الله تعالى والاعتماد على النفس وقطع أسباب التبعية للآخرين وتحمل الصعاب من أجل تحقيق حياة كريمة والخلاص من تسلّط الأجنبي .

وينبغي على الحكومات والمسؤولين في الجيل الحاضر والأجيال القادمة أن يكرّموا خبراءهم ويشجّعوهم على العمل بالدعم المادي والمعنوي، ويمنعوا استيراد البضائع المدمرة المؤججة للروح الاستهلاكية، ويكتفوا بما عندهم إلى أن يتمكنوا بأنفسهم من صنع كل شيء .

وأطلب من الشبان - فتياناً وفتيات - أن لا يضحوا بالاستقلال والحرية والقيم الإنسانية فداءً لما يعرضه عليهم الغرب وعملاؤه الخونة للوطن من الأمور الكمالية والملذات والتحلل والانغماس في مراكز الفساد، ولو كلّفهم ذلك تحمّل المشقة والألم، فإنهم - وكما أثبت التجارب - لا يفكرون سوى في ضياعكم وخديعتكم عن مصير بلدكم ونهب ثرواتكم وجركم إلى أسر الاستعمار وذلّ التبعية، وتحويل شعبكم وبلدكم إلى سوق استهلاكية، وهم بذلك وأمثاله إنما يريدون الإبقاء عليكم متخلّفين، وبحسب تعبيرهم «أنصاف وحوش» .

#### \* مؤامرة حرق الشباب والجامعات \*

واو : من مؤامراتهم الكبرى - وكما أشير وذكرت مراراً - السيطرة على مراكز التعليم والتربية خصوصاً الجامعات التي يقع بأيدي خريجيها مقدرات البلدان .

وتختلف أساليبهم تجاه العلماء ومدارس العلوم الدينية عن أساليبهم تجاه الجامعات والثانويات؛ خطّتهم هي إزالة علماء الدين عن الطريق وعزلهم إما بالقمع والعنف والإهانة كما كان الحال على عهد رضا خان وأعطى نتائج عكسية، وإما بالدعايات وتوجيه التّهم والمخططات الشيطانية لفصل الفئة المتعلّمة - وما يصطلح عليها بالمتحقّفة - وكان هذا أيضاً ينفذ على عهد رضا خان إلى جانب الضّغط والقمع واستمرّ العمل به على عهد محمد رضا بدون العنف ولكن بخبث .

وأما في الجامعات، فكانت الخطّة هي حرق الشباب عن ثقافتهم وأدبهم وقيمهم الذاتية، وجرحهم باتجاه الشرق أو الغرب واختيار رجال الحكم منهم، وتسليطهم على

مصائر البلدان لينفذوا بأيديهم كل ما يبتغون ، فيقوم هؤلاء بدفع البلاد نحو النهب والتغريب ، فيما لا يستطيع علماء الدين منع ذلك في ظل حالة العزلة والكرهية والهزيمة التي غرّضوا لها ، وهذا هو أفضل سبيل للإبقاء على تخلف البلدان المتسلط عليها ونهبها ؛ لأنه يؤدي إلى صب كل شيء في جيوب الدول الكبرى دون أن تتجشم عناء أو تنفق شيئاً ، ودون إحداث ضوضاء في المجتمعات الوطنية .

إذن ، يجب علينا جميعاً الآن حيث يسعى إلى إصلاح وتطهير الجامعات والمعاهد العلمية أن نؤازر المتصدين لهذه المهمة ، ونحول إلى الأبد دون جرّ الجامعات إلى الانحراف ، وأن نبادر بسرعة إلى رفع أي انحرافٍ حيثما يُشاهد ، ويجب أن يُنجز هذا الواجب المصيري بالدرجة الأولى الأيدي المقتدرة لطلبة الجامعات والمعاهد العلمية أنفسهم ؛ فإن نجاة الجامعة من الانحراف هي نجاة البلد والشعب .

وأنني أوصي الأحداث والشباب كافة بالدرجة الأولى ، وآباءهم وأمّهاتهم وأصدقائهم بالدرجة الثانية ، وأوصي بعلوم المسؤولين والمنتقنين الحريصين على البلد ؛ أوصيهم أن اسعوا بكل وجودكم لإنجاز هذه المهمة الخطيرة التي تحصن بلدكم من الأضرار ، ثم سلّموا الجامعات للجيل القادم .

وأوصي كل الأجيال المتعاقبة أن احفظوا الجامعات ، واحرسوها من أخطار الانحراف والتغريب والتشريق ؛ إنقاذاً لأنفسكم وللبلد العزيز وللإسلام المرئي للإنسان ، ويإنجازكم هذه المهمة الإنسانية الإسلامية تقطعون أيدي القوى الكبرى عن البلد ، وتجعلونها تياس منه .. والله معينكم وحافظكم .

\* أهمية مجلس الشورى \*

زاي : من الأمور المهمة التزام نواب مجلس الشورى الإسلامي .

لقد شاهدنا أيّ ضربات محزنة للغاية أصابت الإسلام وإيران من مجالس الشورى غير الصالحة والمنحرفة منذ ما بعد الحركة الدستورية<sup>(١)</sup> وإلى عهد نظام البهلوي المجرم ، حيث كانت في زمن هذا النظام الفاسد المفروض أسوأ وأخطر من أي زمان ، كما رأينا أية مصائب وخسائر فادحةٍ ألحقها بالبلد والشعب هؤلاء الجناة التافهون المستعبدون .

إن وجود أكثرية مزيفةٍ منحرفةٍ مقابل أقليةٍ مظلومةٍ - خلال تلك الخمسين عاماً - أدى أن تعمل إنجلترا والاتحاد السوفيتي ومؤخراً أمريكا كلٌ ما أرادوه بيد هؤلاء المنحرفين الذين لا يعرفون الله ، فَجَرُّوا البلاد إلى الضياع والفناء .

ومنذ ما بعد الحركة الدستورية لم يُعمل بالنود المهمة في الدستور في أيّ وقت من الأوقات تقريباً ، أما قبل مجيء رضا خان فبسبب تصدي المتغربين وشرذمة من الخوانيين والإقطاعيين ، وأما في زمن النظام البهلوي فبسبب ذلك النظام السفّاك وعملائه وأرقائه .

واليوم وبعد أن أصبح بفضل الله وبهمة الشعب العظيم مصير البلد بأيدي الجماهير ، وبعد أن شقّ نوابٌ من الشعب - ويانتخابه - طريقهم إلى مجلس الشورى

(١) الحركة الدستورية أو المشروطة كما يعبر عنها الإيرانيون كلمة عربية تطلق في إيران على الحركة التي استهدفت أن تقيد الشاه بالدستور ، وبالنتيجة فهي تعني : «الملكية المشروطة بالدستور» . انطلقت انتفاضة المشروطة في أواخر العصر القاجاري بقيادة علماء الدين من أجل أن يحولوا دون استبداد الشاه ، واستمرت هذه الثورة لعدة سنوات ، صراعاً مريراً إلى أن انتصرت عام ١٩٠٦م ، وحققت مكاسب قيّمة على الصعيد الاجتماعي والسياسي ، لكن تحييد العلماء عن الساحة السياسية والحكم ، ونفوذ عناصر وعملاء الغرب إلى داخل الثورة أدى إلى منع الانتفاضة من تحقيق هدفها المنشود ، وعودة نظام الحكم الملكي المتوارث ، وذلك إثر نجاح مؤامرة « رضاخان » . ويلاحظ أن الإمام تكلم يشير الى هذه الحادثة بمرارة وألم ، ويوصي دائماً بالاعتبار بها ، وعدم السماح بتكرارها .

الإسلامي ، دون تدخل من الحكومة وخوانين المحافظات ، ومن المؤمل أن يحول التزامهم بالإسلام ومصالح الشعب دون حصول أي انحراف ، فإنِّي أوصي أبناء الشعب في الحاضر والمستقبل بأن يتخبوا بإرادة راسخة ، وانطلاقاً من التزامهم بأحكام الإسلام ومصالح البلاد ، في كلِّ دورة انتخاباتٍ نواباً ملتزمين بالإسلام والجمهوريَّة الإسلاميَّة ، غير منحرفين عن الصراط المستقيم إلى الغرب أو الشرق ، وليست لهم ميولٌ للتيارات الفكرية المنحرفة ، متعلمين ومطلعين على قضايا العصر ، وعارفين بالسياسة الإسلاميَّة ، وغالباً ما يكون هؤلاء من بين الطبقة المتوسطة والمحرومة في المجتمع .

#### \* العلماء والمجتمع \*

وأوصي علماء الدين المحترمين ، لا سيما المراجع الموقرين ، أن لا يعتزلوا بأنفسهم عن قضايا المجتمع ، خاصة عن مثل انتخاب رئيس الجمهوريَّة ونواب المجلس ، فلا يكن موقفهم موقف اللامبالاة تجاهها ، فجميعكم شاهدتم وجيل المستقبل سيسمع أن محترفي السياسة من أتباع الشرق والغرب قد عزلوا العلماء وهم الذين أسسوا ببيان النظام الدستوري بتحمل المشاق والآلام ، وأن العلماء قد خدعوا بالأعيب محترفي السياسة فاعتبروا التدخل في شؤون البلد والمسلمين لا يناسب مقامهم ، وتركوا الساحة بأيدي المتغربين ، فأنزلوا بالنظام الدستوري والدستور والبلد والإسلام ما يتطلب تلافِي آثاره زمناً طويلاً .

اليوم وبعد أن أزيلت - ويحمد الله تعالى - العوائق وتوافرت أجواء حرةً لمشاركة جميع الفئات لم يبق أي عذر ، والتهاون في أمور المسلمين هو من الكبائر التي لا تغتفر .

فالواجب على كل فرد أن يكون في خدمة الإسلام والوطن قدر استطاعته ، وبمستوى نطاق تأثيره ، وأن يسعى بعزمٍ لمنع تغلغل المرتبطين بقطبي الاستعمار

والمتأثرين بالغرب أو الشرق والمنحرفين عن مدرسة الإسلام العظيم ، وليعلموا أن أعداء الإسلام والبلدان الإسلامية - وهم القوى الكبرى والسُّراق الدوليون - يتسللون شيئاً فشيئاً وبدقّةٍ إلى بلدنا والبلدان الإسلاميّة الأخرى ؛ ليقعوا الشعوب والبلدان في شباك استغلالهم وبأيدي أبنائها أنفسهم ، فيجب أن ترقبوا بيقظة تحركاتهم ، وفور الإحساس بخطوة التسلُّل الأولى هبُّوا للمواجهة ، ولا تمهلوهم ، والله ناصركم وحافظكم .

#### \* إلى نواب المجلس \*

وأطلب من نواب مجلس الشورى الإسلامي في هذا العصر والعصور الآتية ، أن يرفض مجلسهم أوراق اعتماد العناصر المنحرفة إذا حدث - لا سمح الله - أن استطاعت فرض تمثيلها للجماهير بالائتمار واللعب السياسيّة ، وأن لا يسمحوا ولا لعنصرٍ منحرفٍ وعميلٍ واحدٍ بالوصول إلى المجلس .

#### \* إلى الاقليات الدينيّة \*

وأوصي أبناء الأقليات الدينيّة الرسميّة أن يتعظوا من دورات مجالس الشورى في عهد النظام البهلوي ، وأن ينتخبوا ممثليهم من الأشخاص الملتزمين بأديانهم وبالجمهوريّة الإسلاميّة ، وغير المرتبطين بالقوى الناهبة للعالم ، ولا ميّالين للتيارات الإلحادية والمنحرفة والالتقاطية .

وأطلب من جميع النواب أن يتعاملوا فيما بينهم بكامل حسن النية والأخوة ، وليسع الجميع من أجل أن لا يُسنَّ قانونٌ منحرفٌ عن الإسلام لا سمح الله .

وكونوا جميعاً أوفياء للإسلام وأحكامه السماوية ، لتفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة .

## \* إلى أمناء الدستور \*

وأطلب من أعضاء مجلس أمناء الدستور الموقرين من الجيل الحاضر والأجيال الآتية - وأوصيهم أن يؤدوا بكامل الدقة والاعتدال مسؤولياتهم الإسلامية والوطنية ولا يتأثروا بأي قوة، وأن يرفضوا المصادقة على التشريعات التي لا تنطبق على الشريعة المطهرة والدستور، دون أية اعتبارات، وأن يأخذوا بنظر الاعتبار ضرورات البلاد التي يجب أن تنفذ استناداً إلى الأحكام الثانوية حيناً وبالاستناد إلى ولاية الفقيه حيناً آخر.

## \* المشاركة في الانتخابات \*

وأوصي الشعب النبيل أن يكون له حضوره في جميع الانتخابات سواء في انتخاب رئيس الجمهورية أو نواب مجلس الشورى الإسلامي أو في انتخاب أعضاء مجلس الخبراء المكلف بتعيين مجلس القيادة أو القائد، وأن يكون انتخابه للأفراد وفق ضوابط معتبرة؛ فعلى سبيل المثال لو تساهل أفراد الشعب في انتخاب أعضاء مجلس الخبراء المكلف بتعيين مجلس القيادة أو القائد ولم يستند هذا الانتخاب إلى المعايير الشرعية والقانون، فقد تلحق بالإسلام والبلد أضراراً فادحة لا يمكن تلافيتها، وعندها يكون الجميع مسؤولين عن ذلك بين يدي الله تعالى.

وكذلك عدم المشاركة فيها من قبل أبناء الشعب بدءاً من المراجع وكبار العلماء ومروراً بفئة الكسبة والفلاحين والعَمال والموظفين؛ فالجميع من الجيل المعاصر والأجيال الآتية مسؤولون عن مصير الدولة والإسلام، وقد يصبح عدم الحضور والتساهل في بعض الظروف ذنباً في قمة الذنوب الكبيرة؛ فيجب إذن علاج الحادثة قبل وقوعها، وإلا خرج الأمر من يد الجميع، وهذه حقيقة لمستموها ولمسناها بعد الحركة الدستورية، ولا علاج أنجع وأنفع من أن يلتزم أبناء الشعب في جميع أنحاء البلاد بالضوابط الإسلامية والدستورية في أداء



المسؤوليات المناطة بهم ، وأن يستشيروا في انتخاب رئيس الجمهورية ونواب المجلس طبقة المتعلمين الملتزمين والمثقفين العارفين بمجريات الأمور ، ممن لا يرتبطون بالدول القوية المستغلة ، والمعروفين بالتقوى والتقيّد بالإسلام والجمهورية الإسلامية ، وأن يستشيروا - أيضاً - العلماء الأتقياء الملتزمين بالجمهورية الإسلامية ، وليحرصوا على أن يكون رئيس الجمهورية والنواب ممن تحسّسوا حرمان المستضعفين والمحرومين و ظلامتهم ، وممن يسعون إلى رفاهيتهم ، وليس من الرأسماليين والإقطاعيين والأعيان المترفين الغارقين في الملذّات والشّهوات ، الذين لا يستطيعون أن يدركوا مرارة الحرمان وآلام الجياع والخفاة ، ولنعرف بأنّ كثيراً من المشاكل لن تقع وإن كان هناك مشاكل فستحلّ إذا كان رئيس الجمهورية ونواب المجلس أكفاء متمسكين بالإسلام ، حريصين على مصالح البلد والشعب .

ويجب مراعاة نفس هذا الأمر بشكل خاص في انتخاب أعضاء مجلس الخبراء المكلف بتعيين مجلس القيادة أو القائد ؛ فإذا كان انتخاب الخبراء وتعيينهم من قبل الشعب قائماً على الدقة الكاملة واستشارة المراجع العظام في كل عصر ، وكبار العلماء في أرجاء البلاد والمتدينين والطاقات العلميّة الملتزمة فإنّ كثيراً من المشاكل والمعضلات لن تقع بفضل تعيين أفضل الشخصيات - كفاءة والتزاماً - للقيادة أو مجلس القيادة ، وإذا وقعت فستحلّ بجدارة .

والنظر في الأصليين التاسع بعد المائة والعاشر بعد المائة من الدستور يبيّن المسؤولية الجسيمة للشعب في اختيار الخبراء ، ومسؤولية ممثليهم في تعيين القائد أو مجلس القيادة ، ويبيّن أيّ ضررٍ فادحٍ يلحقه بالإسلام والبلد والجمهورية الإسلاميّة أدنى تهاونٍ في ذلك الانتخاب ، وهذا الاحتمال - وهو على مستوى عالٍ من الأهمية - يوجد واجباً إلهياً لهم .

## \* إلى القائد ومجلس القيادة \*

ووصيتي إلى القائد ومجلس القيادة في هذا العصر ، وهو عصر هجمة القوى الكبرى وعملياتها في داخل البلاد وخارجها على الجمهورية الإسلامية ، وفي الحقيقة على الإسلام تحت غطاء مهاجمة الجمهورية الإسلامية - وهي وصيتي إلى القائد ومجلس القيادة في العصور القادمة - أن يجعلوا أنفسهم وفقاً لخدمة الإسلام والجمهورية الإسلامية والمحرومين والمستضعفين ، وأن لا يتوهموا أن القيادة بحد ذاتها منحة لهم ومقام سام ، بل هي مسؤولية جسيمة وخطيرة يستتبع الزلل فيها إذا كان نابعاً عن هوى النفس - لا سمح الله - خزيأً أبدياً في هذه الدنيا ، وجحيم غضب الله القهار في الآخرة .

وأسأل الله المنان الهادي ، مبتهلاً ومتضرعاً إليه أن ينجينا وإياكم من هذا الامتحان الخطير ، ويوردنا حضرته بوجوه مبيضة .

وهذا الخطر قائم أيضاً بدرجات أقل ، تتناسب مع حجم المسؤولية بالنسبة لرؤساء الجمهورية والحكومات والمسؤولين حاضراً ومستقبلاً ، فعليهم أن يعلموا أن الله تعالى حاضرٌ وناظرٌ وأنهم في حضرته المباركة . أسأل الله تعالى أن يسدّد خطاهم .

## \* أهمية القضاء \*

حاء : إن القضاء من مهمات الأمور لارتباطه بأرواح الناس وأموالهم وأعراضهم ، فوصيتي للقائد ومجلس القيادة بالنسبة لما بعهدتهم من تعيين أعلى مسؤول قضائي هي أن يسعوا لتنصيب أفراد ملتزمين ذوي خبرة ورأي في القضايا الشرعية والإسلامية وفي شؤون السياسة .

وأطلب من مجلس القضاء الأعلى أن يجلبوا في إصلاح شؤون القضاء التي وصلت على عهد النظام السابق إلى حالة مؤسفة ومحنة ، وأن يمنعوا أولئك الذين

يتلاعبون بأرواح الناس وأموالهم والشيء الذي لا يفكرون فيه هو العدالة الإسلامية ؛ عن كرسي القضاء أن تطاله أيديهم - وهو منصب بالغ الأهمية - ، وليصلحوا تدريجياً وضع «العدلية» بسعيٍ حثيثٍ جادٍ ، وليستبدلوا من لا تتوافر فيهم الشروط الإسلامية من القضاة بقضاة يتحلون بها ممن تُعلّمهم تربيةً وتعليماً الحوزات العلمية وهي جادةٌ في هذا الأمر بمشيئة الله ، ولا سيما الحوزة العلمية المباركة في قم ، حتى يُطبّق القضاء الإسلامي في جميع أرجاء البلاد قريباً إن شاء الله تعالى .

### \* القضاء خطر عظيم وواجب كفائي \*

وأوصي القضاة الموقرين في العصر الحاضر والعصور القادمة أن يتصدّوا لهذه المهمة الخطيرة آخذين بنظر الاعتبار الأحاديث الواردة عن المعصومين صلوات الله عليهم عن أهمية القضاء وخطره العظيم ، وأن يتبهاوا ويلتفتوا إلى ما ورد عن القضاء بغير الحق ، وألا يسمحوا بأن يُعهد بهذا المنصب إلى من ليس أهلاً له ، وأن لا يمتنع عنه من هو أهلٌ له ، ولا يدعوا مجالاً لغير أهله ، وليعلموا أن أجر وفضل وثواب هذا المنصب عظيمٌ مثلما أن خطره عظيم ، كما أنهم يعلمون بأن التصدي لمنصب القضاء واجب كفائي على من هو أهل له .

### \* إلى الحوزات العلمية ، احذروا الاختراق \*

طاء : وصيتي للحوزات العلمية المقدسة هي ما ذكّرت به مراراً ، من أن أعداء الإسلام والجمهوريّة الإسلاميّة في هذا العصر قد عقّدوا العزم على الإطاحة بالإسلام ، ساعين لتحقيق هذا الهدف الشيطاني بكل وسيلة ممكنة .

ومن وسائلهم الهامة في تحقيق نواياهم المشؤومة للخطررة للغاية على الإسلام والحوزات الإسلاميّة ، هي العمل على توغّل أفراد منحرفين مفسدين إلى الحوزات العلميّة .

والخطر الكبير لهذا التوغل على المدى القريب تشويه سمعة الحوزات العلمية بأعمالهم غير اللائقة ، وأخلاقهم وسلوكياتهم المنحرفة ، والخطر الكبير للغاية لهذا التسلسل على المدى البعيد هو وصول واحدٍ أو عدةٍ من المحتالين إلى المقامات العالية باطلاعهم على العلوم الإسلامية ، وتكوين موقع لأنفسهم بين الجماهير وطبقات الناس الطيبين ، واستجلاب مودتهم لتوجيه ضربة قاتلة في الوقت المناسب للحوزات الإسلامية والإسلام العزيز والبلاد .

ونعلم أن للقوى الكبرى الناهبة احتياطاً في المجتمعات من أفراد بعناوين شتى من الوطنيين والمثقفين الزائفين ، والمتلبسين بزي العلماء الذين لو سحقت لهم الفرصة لكانوا أشدَّ خطراً وإضراراً ، فهؤلاء يعيشون بين الشعوب ثلاثين أو أربعين سنة أحياناً ، متحمّلين بصبرٍ مشقّة الاستمرار في التظاهر بسلوكٍ إسلاميٍّ وقدسِيٍّ ؛ أو بقوميّةٍ فارسيّةٍ ووطنيةٍ ، وحيلٍ أخرى ، ثم وفي الوقت المناسب ينقذون مأموريتهم .

وقد شاهد أبناء شعبنا العزيز في الفترة القصيرة التي تلت انتصار الثورة ، نماذج لذلك كمجاهدي الشعب وفدائيي الشعب وحزب توده<sup>(١)</sup> وغيرهم ، فيجب أن يحبط الجميع بيقظتهم هذا النوع من المؤامرات ، ويتأكد هذا الواجب أكثر على الحوزات العلمية التي تقع مسؤولية تنظيمها وتطهيرها على الأساتذة الموقرين وأصحاب الفضيلة والسابقة العريقة بإشراف مراجع كل عصر ، ولعل مقولة : (إن

(١) «حزب توده» هو أقدم وأشهر تنظيم ماركسي لينيني إيراني ، تأسس هذا الحزب عام ١٩٢٠م ، وجدّد تأسيسه وتركيزه باسم حزب توده عام ١٩٤٢ م ، وهو حزب تابع بشكل مباشر لأجهزة الامن السوفيتية (ك . ج . ب) . وفي عام ١٩٨٣م قام بمؤامرة فاشلة بدت فيها بوضوح ارتباطاته المباشرة بأجهزة الأمن السوفياتية ، عند ذلك تم اعتقال أعضاء اللجنة المركزية للحزب ؛ وجميع الشبكات السرية التابعة له .

نظمَ الحوزة في عدم نظمها) هي من الإحياءات المشؤومة لنفس المتأمرين ومنخططي المؤامرة .

على أيِّ حالٍ ، فوصيتي هي أنَّ النهضة لتنظيم الحوزات ضروريةٌ ولازمةٌ في كافة العصور وفي هذا العصر بالذات حيث تسارعت المنخططات والمؤامرات واشتدَّت .

ويتحتم على العلماء والأساتذة والفضلاء الأجلاء في هذا الظرف بالذات أن يبذلوا الوقت لدرء الأضرار عن الحوزات العلميَّة وفق برنامجٍ دقيقٍ وصحيحٍ ، لا سيَّما حوزة قم العلميَّة وسائر الحوزات الكبرى والمهمة .

#### \* الفقه العريق وتنظيم الحوزة \*

وعلى العلماء والأساتذة الموقرين أن لا يسمحوا بالانحراف عن طريقة المشائخ العظام في الدروس المتعلقة بالفقاهة والأبحاث الفقهيَّة والأصوليَّة ؛ فهي الطريقة الوحيدة لحفظ الفقه الإسلامي ، وأن يسعوا دائماً للمزيد من الدقة والبحوث والآراء والإبداع والتحقيق لحفظ الفقه التقليدي ، وهو إرث السلف الصالح الذي يؤدي الانحراف عنه إلى إضعاف دعائم التحقيق والتدقيق ، ولتُضاف التحقيقات إلى التحقيقات .

وطبيعيُّ أنه ستعدُّ خططٌ في الفروع الأخرى من العلوم بما يتناسب مع احتياجات الدولة والإسلام ، ويجب إعداد رجالٍ في هذه الفروع ، ومن أهمِّ وأسمى العلوم التي يجب تعميم تدريسها ودراستها هي العلوم المعنوية الإسلاميَّة كعلم الأخلاق وتهذيب النفس والسير والسلوك إلى الله - رزقنا الله وإياكم ذلك - فإنه الجهاد الأكبر .

#### \* أهمية السلطة التنفيذية \*

بإزاء : من الأمور التي يجب إصلاحها وتنقيتها ومتابعتها هو السلطة التنفيذية . فقد يحدث أحياناً أن يسُنَّ مجلس الشورى تشريعات راقية ونافعة للمجتمع ، ثم يصادق عليها مجلس أمناء الدستور ، ويبلغها الوزير المختصُّ ، ولكنها عندما تصل

إلى التنفيذيين غير الصالحين فإنهم يمسخونها ، ويعملون بخلاف المقررات ؛ إما وفقاً لما اعتادوه من الروتين المعقد والاتواتات الإدارية ، أو عن عمدٍ بهدف إثارة الإضطراب لدى الناس ، مما يؤدي بالتدرج والتساهل إلى الفتنة .

وصيئي إلى الوزراء المسؤولين في العصر الحاضر والعصور الأخرى هي إنكم جميعاً بحاجة إلى دعم الشعب ، فبدعم الشعب - خاصة الفئات المحرومة - تحقق الانتصار وقطعت أيدي الظلم الملكي عن البلد وثوراته ، ولو حرمتكم يوماً هذا الدعم فسوف تُقصون عن مناصبكم ، وسيحتلها بدلاً عنكم الظلمة كما في النظام الملكي الجائر ، هذا فضلاً عن أن الميزانية التي ترتزقون منها أنتم وموظفو الوزارات هي ملك للشعب ، فيجب عليكم جميعاً أن تكونوا في خدمة الشعب ، خاصة المستضعفين منهم ، كما أن إيجاد المشقة للناس والعمل خلافاً للواجب حرام ويوجب أحياناً الغضب الإلهي - لاسمح الله - .

انطلاقاً من هذه الحقيقة الملموسة ؛ عليكم أن تسعوا لكسب تأييد الشعب ، وأن تجتنبوا التعامل اللاإسلامي واللاإنساني .

ومن هذا المنطلق ، أوصي وزراء الداخلية على مدى التاريخ في المستقبل ، أن يتحرروا الدقة في اختيار رؤساء المحافظات ، فليستخبوا أفراداً أكفاء متدينين ملتزمين ذوي عقلٍ ووثامٍ مع الناس ، ليسود الهدوء في البلاد أكثر فأكثر .

#### \* أسلمة الوزارات والسفارات \*

ولا بد من العلم بأن جميع الوزراء مسؤولون عن أسلمة وتنظيم شؤون وزاراتهم ، إلا أن بعضها له خصوصية خاصة ، كوزارة الخارجية المسؤولة عن السفارات في خارج البلاد .

إنني قد وجهت منذ بداية الانتصار وصايا إلى وزراء الخارجية تتعلق بالمظاهر

الطاغوتية في السفارات ، وتحويلها إلى سفارات تليق بالجمهورية الإسلامية ، ولكن بعضهم لم يُنجز عملاً مؤثراً ؛ إما لأنهم لم يريدوا ذلك ، أو لعدم استطاعتهم . واليوم وإذا تمرّ ثلاثُ سنوات على الانتصار ، ورغم أن وزير الخارجية الحالي<sup>(١)</sup> قد بادر إلى ذلك ، والمؤمل أن يُنجز هذا الأمر المهمّ بالمتابعة وبذل الوقت .

فوصيتي إلى وزراء الخارجية في هذا العصر والعصور التالية هي أن مسؤوليتكم كبيرة جداً ، سواءً على صعيد إصلاح الوزارة والسفارات ، أو على صعيد السياسة الخارجية المتمثلة في حفظ استقلال البلاد ومصالحها ، وإقامة علاقات حسنة مع الحكومات التي لا تنوي التدخل في شؤون بلادنا .

وأن تجتنبوا اجتناباً باتّأ كل أمر فيه شائبة التبعية بكافة أبعادها ، ولتكونوا على علم بأن التبعية وإن كان لها مظهرٌ خادعٌ ، أو منافعٌ وفوائدٌ آنيّةٌ في بعض المجالات ، إلا أنها تؤدي في النتيجة إلى تدمير أساس البلاد ، واسعوا لتحسين العلاقات مع البلدان الإسلامية ، وتوعية المسؤولين الحكوميين ، وادعوا إلى الوحدة والاتحاد ، فإنّ الله معكم .

#### \* مستقبل الشعوب الإسلامية \*

ووصيتي إلى شعوب البلدان الإسلامية ، أن لا تنتظروا أن يعينكم أحدٌ من الخارج على الوصول إلى الهدف وهو الإسلام وتطبيق أحكامه ، يجب عليكم أن تنهضوا أنتم من أجل هذا الأمر المصيري الذي يحقق الحرية والاستقلال .

وليدع العلماء الأعلام والخطباء الموقرون في البلدان الإسلامية الحكومات إلى التحرر من تبعية القوى الأجنبية الكبرى ، والتفاهم مع شعوبها ، عند ذلك سيكون النصر حليفهم ، وأن يدعوا أبناء الشعوب كذلك إلى الوحدة ونبذ

(١) وزير الخارجية السابق ، ومستشار القائد الخامنئي الحالي الدكتور علي أكبر ولايتي .

القومية فهي خلاف مبادئ الإسلام ، وأن يمدّوا يد الأخوة إلى إخوانهم في الإيمان من أيّ بلدٍ أو عرقٍ كانوا ، فالإسلام العظيم اعتبرهم إخوة ، ولو تحققت في يوم من الأيام هذه الأخوة في الإيمان بهمة الحكومات والشعوب وتأييد الله سبحانه ، فسترون أن المسلمين يشكلون أكبر قوة في العالم ، نأمل أن يأتي اليوم الذي تتحقق فيه هذه الأخوة والمساواة بمشيئة رب العالمين .

#### \* المؤامرات الإعلامية ودور وزارة الإرشاد \*

ووصيتي لوزارة الإرشاد في جميع العصور ، خصوصاً في العصر الحاضر الذي يحظى بميزة خاصة ، هي أن يسعوا لتبليغ الحق في مواجهة الباطل ، وإبراز الصورة الحقيقية للجمهورية الإسلامية .

إننا الآن ، في هذا العصر الذي قطعنا فيه أيدي القوى الكبرى عن بلدنا نتعرض لهجمة اعلامية تشنّها جميع وسائل الإعلام المرتبطة بالقوى الكبرى ، فأية أكاذيب وافتراءات لم يلصقها عملاء القوى العظمى من الكتاب والخطباء - وما يزالون - بهذه الجمهورية الإسلامية الفتية ١٩ .

وللأسف ! فإنّ معظم حكومات المنطقة الإسلامية ، قد هبت إلى معاداتنا ومعاداة الإسلام ، بدلاً من أن يمدّوا إلينا يد الأخوة طبقاً لحكم الإسلام ، وهاجمونا جميعهم من كل صوب خدمة لناهي العالم ، فيما قوتنا الإعلامية ضعيفة للغاية وعاجزة ، وتعلمون أنّ العالم اليوم يتحرك بعجلة الإعلام .

ولشديد الأسف ! إنّ الأنانيات والانتهازية والاحتكار لم تسمح لمن يُسمون بالكتّاب المتنوّرين والمياليين لهذا أو ذاك من القطبين أن يفكروا لحظة في استقلال بلدتهم وشعبهم وحرّيتهم ، ويلاحظوا مصالحهما ، ولا أن يقارنوا بين الحرّية والاستقلال في هذه الجمهورية وبين حالهما على عهد النظام الظالم السابق ، كما لم



تسمح لهم أن يزِنُوا الحياة الكريمة القيِّمة المقرونة بالبعض الذي فقده وهو الرفاهية والترَف ، بما كانوا يتسلمونه من نظام الظلم الملكيِّ مقرونًا بالعمالة والاستعباد والإطراء والإشادة بأصول الفساد ومصادر الظلم والفحشاء ، وأن يكفوا عن توجيه التهم والافتراءات لهذه الجمهوريَّة الفتية ، وأن يجندوا بيانهم وأقلامهم إلى جنب الشعب والحكومة صفاً واحداً ضد الطواغيت والظلمة .

إنَّ مسؤوليَّة التبليغ لا تنحصر بوزارة الإرشاد ، بل هي واجب كلِّ العلماء والخطباء والكتَّاب والفنانين ، ويجب على وزارة الخارجية أن تعمل على أن يكون للسفارات إصدارات تبليغيَّة تبيِّن للعالم الوجه المشرق للإسلام ، فلو تجلَّى هذا الوجه من وراء النقاب الذي يضره أعداء الإسلام وانحرف الفهم لدى الأصدقاء ، وظهر بذلك الجمال الجميل الذي دعا له بكل الأبعاد القرآن والسنة فسيعم الإسلامُ العالمَ ، وستخفق رايته المجيدة في كلِّ مكان .

كم هي مصيبةٌ وكم هو محزنٌ أن يكون للمسلمين سلعةٌ لا نظير لها منذ بداية العالم إلى نهايته لم يستطيعوا عرضها ، وهي الجوهرة الثمينة التي يتوجَّه إليها كلُّ إنسانٍ بفطرته السليمة ، بل إنَّ المسلمين أنفسهم غافلون عنها وجاهلون بها ، وفارُّون منها أحياناً .

#### \* مراكز التعليم والتربية وأثرها \*

كاف : مسألة مراكز التعليم والتربية من دور الحضارة وإلى الجامعات هي من القضايا المهمة جداً والمصيريَّة التي كرَّرتها مراراً لأهميَّتها الاستثنائية ، فأكتفي بالإشارة .

ليعلم الشعب المنهوب أن الجامعات كانت مصدر القسم الأكبر من الضربة القاصمة التي وجَّهت إلى إيران والإسلام خلال النصف الأخير من هذا القرن ،

فما كان لوطننا - أبداً - أن يتبعه إنجلترا وبعدها أمريكا والاتحاد السوفيتي لو كانت الجامعات ومراكز التربية والتعليم تدار وفق مناهج إسلامية ووطنية ، وتسير باتجاه مصالح البلد في تربية وتعليم وتهذيب الأطفال والأحداث والشباب ، ولما كان ممكناً قطُّ أن تُفرض على الشعب المحروم المنهوب الاتفاقيات المهلِكة ، ولا أن تطأ أقدام المستشارين الأجانب أرض إيران ، ولكان محالاً أن تُصبَّ ثروات إيران والذهب الأسود العائد لشعبها الكادح في جيوب القوى الشيطانية ، وما كان ممكناً قطُّ للعائلة البهلوية والمرتبطين بها أن ينهبوا أموال الشعب ، ويبنوا لأنفسهم في الخارج والداخل قصوراً وجناناً على أجساد المظلومين ، ويملؤوا المصارف الأجنبية من حاصل كدح هؤلاء المظلومين ، ويصرفوه على مجونهم ، ومفاسدهم هم والمرتبطين بهم ، ولو أن المجلس والحكومة والسلطة القضائية وسائر المؤسسات كانت تنبثق من جامعات إسلامية ووطنية ، فإن شعبنا ما كان لِيُبتلى اليوم بالمشاكل المدمرة .

ولو كانت قد شَقَّت طريقها من الجامعات إلى مراكز السلطات الثلاث شخصيات نقيّة ذات اتجاهات إسلامية ووطنية - بمعناها الصحيح ، وليس بهذا المعنى الذي يطرح اليوم قبال الإسلام - لما كان يومنا كهذا اليوم ، ولا وطننا على ما هو عليه اليوم ، ولتَحَرَّرَ المحرومون من أسر الحرمان ، ولطوي بساطُ الظلم والجورِ الملكيِّ ومراكزِ الفحشاءِ والإدمانِ والبغاءِ التي يكفي كلُّ واحد منها لتدمير جيل الشباب الفعّال القِيَم ، ولما ورث الشعب هذه التركة المدمرة للبلاد والعباد .

ولو كانت الجامعات إسلامية وإنسانية ووطنية ، لاستطاعت أن تقدّم للمجتمع المئات والألاف من الأساتذة ، ولكن كم هو محزن ومؤسف للغاية أن الجامعات والمدارس الثانوية كانت تدار من قبل أشخاص جميعهم - باستثناء

أقليةٍ مظلومةٍ محرومةٍ - من المتأثرين بالغرب والشرق الذين احتلوا مواقع في الجامعات ببرنامجٍ وخطةٍ مملأةٍ ، وعلى أيدي هؤلاء كان يتلقى أعزأونا التعليم والتربية ، فكان قدر شبابنا الأعزّة والمظلومين أن يترنوا في أحضان هذه الذئاب العميلة للقوى الكبرى ، وأن يتصدوا للمناصب التشريعية والحكومية والقضائية لينجزوا الأعمال على وفق أوامرهم ، أي أوامر النظام البهلوي الظالم .

اليوم ، وقد أنقذت الجامعة - بحمد الله تعالى - من مخالب الجناة فعلى شعب الجمهورية الإسلامية وحكومتها في كل عصر أن يمنعوا تسلسل العناصر الفاسدة ذوي المدارس الفكرية المنحرفة والميول الغربية والشرقية إلى المعاهد العلمية والجامعات وسائر مراكز التعليم والتربية ، وليمنعوا ذلك من الخطوة الأولى لكي تُجتنب المشاكل ولا يفلت الزمام من اليد .

ووصيتي إلى الشبان الأعزء في المعاهد العلمية والثانويات والجامعات هي أن ينتفضوا بأنفسهم وبشجاعةٍ أمام الانحرافات ليصان استقلالهم وحريةهم واستقلال وحرية بلدهم وشعبهم .

#### \* واجب القوات المسلحة \*

لام : هناك خصوصية خاصة للقوات المسلحة جيشاً وحرساً وقوات دَرَكَ وشرطة ولجاناً ثوريةً وتعبئةً شعبيةً وعشائر ، فهم ساعد الجمهورية الإسلامية القوي والمقتدر ، وحرّاس الحدود والطرق والمدن والقرى ، وفي النتيجة ؛ هم حفظة الأمن وياعثو الاطمئنان لدى الشعب ؛ لذا يجب أن يكونوا محل اهتمام خاص من الشعب والحكومة والمجلس .

وعليهم الالتفات إلى أن الشيء الذي يكون محل استغلال في العالم من قبل القوى الكبرى والسياسات الإفسادية أكثر من أي شيء ومن أي فئة هو القوات

المُسلّحة ، فبأيدي القوات المسلّحة وبالأعيب السياسيّة تُنفذ الانقلابات العسكريّة وتُبدل الحكومات والأنظمة ؛ حيث يقوم النفعيون المكرّة بشراء بعض رؤسائهم ويسيطرون على البلدان بواستطهم وبمؤامرات القادة المخدوعين فيتسلطون على شعوبها المظلومة ويسلبون البلدان استقلالها وحرّيتها .

ولو كان المتصدّون للأمر قادة ذوي نزاهة لما كان ممكناً قط لأعداء البلدان تنفيذ الانقلابات فيها أو احتلال بلد ما ، أو ان ذلك كان يتعرض - فيما لو اتفق حصوله - للإحباط والفشل بيد القادة الملتزمين .

وفي إيران حيث تحقّقت معجزة العصر بيد الشعب كان للقوات المسلّحة الملتزمة والقادة الشرفاء الوطنيين أيضاً دور كبير في تحقيقها .

واليوم إذ تواجه الحرب الملعونة التي فرضها صدام التكريتي بأمر من أمريكا ودعمها هي والقوى الأخرى وبعد قرابة عامين ، هزيمة سياسية وعسكرية للجيش البعثي المعتدي وحّماته الأقوياء وعملائهم ؛ فإنّ القوات المسلّحة العسكريّة والأمن الداخليّ والحرس والتعبئة الشعبيّة وبالدمع السخيّ للشعب في الجبهات وخلفها ، قد خلقوا هذه المفخرة الكبرى ، ورفعوا رأس إيران عالياً ، كما أحبطت السواعد المقتدرة لفتية اللجان الثورية والحرس والتعبئة والأمن الداخلي يدعّمها الشعبُ الغيورُ الشروزّ والمؤامرات الداخليّة التي تنفّذها الدُمى العميلة للغرب والشرق التي استنّفت لإسقاط الجمهوريّة الإسلاميّة ، إنهم أولئك الفتية الأعزاء المضحون الساهرون ليلهم لتستريح العوائل مطمئنّة ، نصرهم الله وأعانهم .

فإذن وصيتي الأخوية للقوات المسلّحة عامة وأنا في خطوات عمري الأخيرة هي : أيّها الأعزاء العاشقون للإسلام ، الذين تواصلون بدافع عشقكم للقاء الله الفداء والتضحية في الجبهات وأعمالكم القيّمة في أرجاء البلاد ؛ كونوا على يقظةٍ

وحذر فإن أصحاب اللُّعب السياسيَّة ومحترفي السياسة المبهورين بالغرب أو الشُّرق وأيدي الجناة المشبوهة خلف الستار يوجِّهون إليكم أيها الأعداء أكثر من أيِّ فئةٍ أخرى سفار أسلحة خيانتهم وإجرامهم ومن كل صوب ، ويريدون أن يستغلوكم - أنتم أيها الأعداء الذين أوصلتم الثورة للنصر وأحييتم الإسلام بتضحياتكم - لإسقاط الجمهوريَّة الإسلاميَّة ، ويعزلوكم باسم الإسلام وخدمة الوطن والشعب عن الإسلام والشعب ، ويلقوا بكم في أحضان أحد القطبين الناهيين للعالم ، ويبطلوا جهودكم وتضحياتكم بمكايد سياسيَّة وظواهر إسلاميَّة ووطنيَّة .

#### \* اجتنبوا الدخول في الأحزاب \*

وصيَّتي المؤكَّدة للقوات المسلَّحة هي التزام عدم دخول العسكريين في الأحزاب والحركات والتحالفات ، كما تنصُّ على ذلك مقررات النُّظام ، وأن يبقى أفراد القوات المسلَّحة عموماً سواء العسكريون والأمن الداخلي ، والحرس والتعبئة وغيرهم بعيدين عن اللُّعب السياسيَّة ، ولا يدخلوا أيِّ حزبٍ وحركةٍ ، فبذلك يمكنهم حفظ قوتهم العسكريَّة ويأمِنوا الاختلافات الداخليَّة ، ويلزم القادة أن يمنعوا من تحت إمرتهم من الانتماء للأحزاب .

وبما أن الثورة ثورة جميع الشعب ، وحفظها يقع على الجميع ، وإذا ما أرادت القوات المسلَّحة - سواء القادة والرُّتب العالية أو من هو دونهم درجة - القيام بعمل يتعارض ومصالح الإسلام والدولة ، أو الانتماء للأحزاب - وهو بلا شك يجرُّ إلى دمارهم - أو الدخول في اللُّعب السياسيَّة ؛ فإن الواجب الشرعيُّ والوطنيُّ للحكومة والشعب ومجلس الدفاع الأعلى ومجلس الشورى الإسلامي هو الاعتراض على ذلك منذ الخطوة الأولى ، وإن على القائد أو مجلس القيادة أن يمنعوا من ذلك بحزم لتسلم البلد من الضُّرر .

## \* الإيمان بالذات \*

وأوصي جميع أفراد القوات المسلحة وأنا في نهاية حياتي الأرضية ، وصية مشفقة أن اثبتوا على وفائكم للإسلام - كما أنتم أوفياء اليوم - فهو دين الاستقلال والتحرر الوحيد ، والله تعالى يدعو الجميع إلى مقام الإنسانية السامي بنور هداه ، فهو منقذكم وبلدكم وشعبكم من ذل التبعية والارتباط بالقوى التي لا تريدكم إلا عبيداً لها ، ولا تريد إلا إبقاء بلدكم وشعبكم الحبيب متخلفين وسوقاً استهلاكية وريزحان تحت وطأة الخضوع للظلم المهين ، ورجحوا الحياة الإنسانية الكريمة ولو مع المشاكل على ذل حياة العبودية للأجانب ولو اقترنت بالرفاه الحيواني ، واعلموا أن قوة الإبداع والتطور في الاكتشافات لن تفتح فيكم ما دتمتم تمدون أيديكم إلى الآخرين، لتلبية احتياجاتكم من الصناعات المتطورة ، وما دتمتم تقضون العمر بالاستجداء .

وقد شاهدتم عياناً وبجلاء ، خلال هذه الفترة القصيرة التي أعقبت المقاطعة الاقتصادية كيف أن نفس أولئك الذين كانوا يرون أنفسهم عاجزين عن صنع أي شيء ، وكانوا يثيرون فيهم اليأس من تشغيل المصانع ، أعملوا عقولهم وهبأوا الكثير من احتياجات الجيش والمصانع ، فكانت هذه الحرب والمقاطعة الاقتصادية وإخراج الخبراء الأجانب هبة إلهية كنا غافلين عنها ، والأمل الآن هو أن يتحقق الاكتفاء الذاتي للبلد ويتخذ من استجداء الأعداء ، إذا ما بادرت الحكومة والجيش بأنفسهم إلى مقاطعة بضائع ناهبي العالم وإلى تكثيف الجهود والسعي على طريق الإبداع .

ويجب أيضاً أن أضيف هنا أن احتياجنا بعد كل هذا التخلف المفتعل للصناعات الثقيلة الموجودة في البلدان الأجنبية هو واقع لا يمكن إنكاره ، ولكن هذا لا يعني أن نرتبط بأحد القطبين في العلوم المتطورة ، بل على الحكومة

والجيش أن يسعيا إلى إرسال الجامعيين الملتزمين إلى البلدان التي تمتلك صناعات كبيرة متطورة ، دون أن تكون استعمارية ولا مستغلة ، ولِيَجْتَنَّبَ الإرسال إلى أمريكا والاتحاد السوفيتي والبلدان الأخرى السائرة في قَلَكِ هذين القطبين ، اللهم إلا أن يأتي يومٌ - إن شاء الله - تتبهِ فيه هاتان القوتان إلى خطئهما ، فتثوبان إلى مسير الإنسانية ومحبة البشر ، واحترام حقوق الآخرين ، أو يكبح جماحهما - إن شاء الله - مستضعفو العالم ، والشعوب الواعية والمسلمون الملتزمون ، على أمل يومٍ كهذا .

### \* الإعلام ودوره \*

ميم : لقد كانت الإذاعة والتلفزيون والصحافة ودور السينما والمسارح من الوسائل المؤثرة في إفساد وتدمير وتخدير الشعوب ، خاصةً جيل الشباب ، وأيُّ خططٍ واسعةٍ كانت تعدُّ خلال القرن الأخير وخصوصاً نصفه الثاني باستخدام هذه الوسائل سواء للدعاية ضد الإسلام وضد علمائه العاملين ، أو للدعاية لمصلحة المستعمرين - الغربيين والشرقيين - كما استخدمت لإيجاد سوقٍ لبضائعهم ، لاسيما الكمالية وبضائع الزينة بكافة الأشكال ، من التقليد في المباني وزينتها وكمالياتها ، والتقليد في أنواع الأشرطة والملابس وأشكالها ، وآل الأمر إلى أن أصبح فخراً عظيماً - خاصة للنساء الثريات أو المتوسطات الثراء - التفرنج في كافة شؤون الحياة من السلوك والكلام واللباس وشكله ، وفي آداب المعاشرة وطريقة الحديث واستخدام المفردات الغريبة في الحديث والكتابة ، حتى كان يبدو فهمها محالاً على غالبية الناس ، وعسيراً على نظرائهم أيضاً .

والأفلام التلفزيونية كانت إما من إنتاج الغرب أو الشرق ، وتحرف طبقة الشباب - فتية وفتيات - عن مسار الحياة العادي وعن العمل والصناعة والإنتاج والعلم ، وتجزئهم إلى الجهل بهويتهم وشخصيتهم ، أو إلى التشاؤم وإساءة الظن بكل شيء يتعلّق بهم وبلددهم ، حتى الثقافة والأدب والمآثر النفيسة التي نقل

الكثير منها بأيدي الخونة النفعيين إلى مكاتب ومتاحف الغرب والشرق .

وكانت المجلات بمقالاتها وصورها الفاضحة والمؤسفة ، والصحافة اليومية بسباقها في نشر المقالات المضادة للثقافة والإسلام ، تقود - فخورة - الجمهور لاسيما فئة الشباب المؤثرة إلى الغرب أو الشرق ، أضيفوا إلى ذلك الدعاية الواسعة لترويج مراكز الفساد والبغاء والقمار واليانصيب ، ومحلات بيع البضائع الكمالية وأدوات الزينة والألعاب والمشروبات الكحولية خاصة ما كان يستورد من الغرب .

وفي مقابل تصدير النفط والغاز والذخائر الأخرى كانت تستورد الدُمى واللُّعب والسُّلع الكمالية ومئات الأشياء الأخرى التي لا أطلع لأمثالي عليها ، ولو استمر - لا سمح الله - عمر النظام البهلوي العميل المفسد ، فإنه لم يكن ليمر وقتٌ طويل حتى يغادر شبابنا النُجباء - وهم أبناء الإسلام والوطن الذين يعقد الشعب عليهم آماله - أحضان الإسلام والشعب فيما أنهم يتلفون شبابهم في مراكز الفساد ، أو يصبحون خداماً لدى القوى الناهبة للعالم فيجروا البلاد إلى الدمار ، وكل ذلك بفعل مختلف المكائد والمخططات الشيطانية ، التي كان ينفذها النظام الفاسد ووسائل الإعلام والمثقفون الذين يميلون للغرب أو الشرق . وقد من الله تعالى علينا وعليهم ، وأنقذنا جميعاً من شر المفسدين والناهيين .

وصيتي الآن إلى مجلس الشورى الإسلامي في الحاضر والمستقبل ، ورئيس الجمهورية الحالي ، ورؤساء الجمهورية مستقبلاً ، ومجلس أمناء الدستور ، ومجلس القضاء ، والحكومات في كل زمان ، هي أن لا يسمحوا للأجهزة الإخبارية والصحافة والمجلات ، أن تنحرف عن الإسلام ومصالح البلاد ، ولنعلم جميعاً أن الإسلام والعقل يُدينان الحرية على الطراز الغربي ؛ فهي تؤدي إلى تدمير الشباب فتيات وفتية ، وإن الإعلام والمقالات والخطابات والكتب والمجلات محرمة إذا كانت منافية للإسلام والعفة العامة ومصالح البلاد ، ويجب علينا جميعاً وعلى المسلمين كافة



منعها ، ويجب الحيلولة دون الحريّات المُضرة ، والجميع مسؤولون إذا لم يتم التصدي بحزم لما يخالف الشرع ولما يخالف مسيرة الشعب والبلد الإسلامي وما يتنافى وكرامة الجمهورية الإسلاميّة ، وإذا ما شاهد الناس وفتية حزب الله أياً من تلك الموارد ، فليراجعوا الأجهزة المختصة ، وإذا ما قصرت هذه فيجب عليهم أن يبادروا هم إلى منع ذلك ، وكان الله تعالى في عون الجميع .

### \* نصيحة لزعماء الأحزاب والفصائل المعارضة \*

نون : نصيحتي ووصيتي إلى الأحزاب والفصائل والأشخاص الذين يمارسون نشاطاً مناوئاً للشعب والجمهورية الإسلاميّة والإسلام ، وأبدأ بزعمائهم في الداخل والخارج :

إنّ التجربة الطويلة في كلّ سبيلٍ سلكتموه وكلّ مؤامرة أقدمتم عليها وكلّ بلدٍ ومسؤولٍ لجأتم إليه ، يفترض أن تكون علمتكم أنتم الذين ترون أنفسكم من أهل العلم والعقل ؛ أن من المحال حرفَ مسيرة شعبٍ مضحٍ باللجوء إلى الاغتيال والتفجير والقنابل والافتراءات غير المدروسة والتي لا أساس لها ، كما لا يمكن أبداً بهذه الأساليب اللإنسانيّة واللامنطقية إسقاط حكومةٍ أو دولةٍ ؛ وخاصةً شعب كعرب إيران الذي يبذل الأرواح ويقدم التضحيات جميع أبنائه من الأطفال الصغار إلى النساء والرجال المسنّين في سبيل الهدف والجمهورية الإسلاميّة والقرآن والدين .

إنكم تعلمون أنّ الشعب ليس معكم والجيش يعاديكم ، وإن كنتم لا تعلمون فإنكم تفكّرون بغاية السُداجة ، وإذا فرضتم أنّهم كانوا معكم ويؤادونكم ، فإن تحركاتكم الصببانيّة ، والجرائم التي ارتكبت بتحرّضكم قد أدّت إلى فصلهم عنكم ، ولم تستطيعوا فعل شيء سوى خلق العداة لكم .

إنني أوصيكم في آخر العمر ناصحاً .. أولاً إنكم نهضتم لحرب وعداء هذا الشعب الذي عانى من حكم الطاغوت وتجرع الآلام ، ثم بعد ألفين وخمسمئة عام من ظلم الملكية تخلص بالتضحية بخيرة أبنائه وشبابه من تحت وطأة ظلم الجناة أمثال النظام البهلوي وناهبي العالم الشرقيين والغربيين .

كيف يرضى ضمير إنسان مهما كان خبيثاً أن يتعامل بتلك الصورة مع وطنه وشعبه ؟ فلا يرحم منهم صغيراً ولا كبيراً من أجل احتمال الوصول لمنصب ما .

إنني أنصحكم بالكف عن هذه الأعمال العقيمة والمجانبة للعقل ، وأن لا يخذعكم ناهبو العالم ، وحيثما كنتم - إذا لم ترتكبوا جريمة - فعودوا إلى وطنكم وأحضان الإسلام ، وتوبوا فالله أرحم الراحمين ، والجمهورية الإسلامية والشعب سيفونان عنكم - إن شاء الله - .

وإن كنتم قد أجزتم ، فإن حكم الله قد حدد مصيركم ، فأيضاً عودوا من منتصف الطريق وتوبوا ، وعليكم بالاستسلام للجزاء إذا كانت لديكم الشجاعة ، وأنقذوا أنفسكم بذلك من العذاب الإلهي الأليم ، وإلا فحيثما كنتم فلا تضيعوا أعماركم أكثر من هذا ، وانصرفوا إلى أعمال أخرى ، فإن الصلاح في ذلك .

#### \* نصيحة لاتباع الأحزاب المعارضة \*

ثم أوصي أتباعهم في الداخل والخارج ، بأنكم مالكم تضيعون شبابكم من أجل أولئك الذين ثبت اليوم أنهم يخدمون القوى الناهبة للعالم ، ويسرون وفق مخططاتها ، وقد وقعوا في شركها من حيث لا يشعرون ، وفي سبيل من هذا الجفاء لشعبكم ؟ لقد خذعكم هؤلاء ؛ فإن كنتم في إيران فأنتم تشاهدون عياناً كيف أن الجماهير المليونية وفيه للجمهورية الإسلامية ومضحية من أجلها ، وتشاهدون عياناً أن الحكومة والنظام الحالي يقوم بخدمة الشعب والمعوزين

بتفان وإخلاصٍ ، وأن أولئك الذين يدعون كونهم «شعبيين» و«مجاهدين» و«فدائيين» من أجل الشعب قد نهضوا لمعاداة عباد الله ، واستغفلوكم أنتم الفتية والفتيات البسطاء لمآربهم وأهداف أحد قطبي القوة الناهيين للعالم .

يقذفون بكم في لهوات الموت ، وهم إما في الخارج مشغولون بالملذات في أحضان أحد القطبين المجرمين ، أو في الداخل يواصلون جرائمهم ويعيشون حياة مترفة في منازل فخمة - هي أوكارٌ حزبيةٌ - كمنازل المجرمين التعماء .

نصيحتي المشفقة عليكم أنتم أيها الأحداث والشباب في الداخل والخارج ، هي أن ارجعوا عن طريق الخطأ ، واتحدوا مع محرومي المجتمع الذين يخدمون الجمهورية الإسلامية بتفانٍ وإخلاصٍ ، واعملوا من أجل إيران مستقلةً وحرّةً لكي يتخلّص البلد والشعب من شرور الأعداء ، ثم استمروا جميعكم في الحياة معاً حياةً كريمة .

إلى متى ولأي شيء تأتمرون بأوامر أفراد لا يفكرون سوى بمنافعهم الشخصية ، ويحاربون شعبهم في كنف وحماية القوى الكبرى ، ويضخّون بكم في سبيل مآربهم المشؤومة وأطماعهم السلطوية ؟!

لقد رأيتم في سنوات انتصار الثورة تناقض ادعاءات هؤلاء مع سلوكياتهم وعملهم ، وأن ادعاءاتهم إنما هي لتضليل الشباب ذوي القلوب الصافية .

وأنتم تعلمون أنكم لا طاقة لكم قبالة هذا الطوفان الهادر للشعب ، ولا جدوى لكم من أعمالكم سوى الضّرر وضياع العمر .

إن واجبني هو الإرشاد وقد أدبته ، والأمل أن تصفوا لهذه النصيحة التي تصلكم بعد موتني ، إذ لا شائبة فيها للسعي للسلطة ، وأن تنقذوا أنفسكم من

العذاب الإلهي الأليم ، هداكم الله المنان وأوضح لكم الصراط المستقيم .

### \* إلى اليساريين \*

وصيتي إلى اليساريين أمثال الشيوعيين وميليشيات «فدائيو الشعب» ، وسائر الفئات النازعة للييسار ، هي أنكم بأي مبرر أقنعتم أنفسكم بالتوجه إلى مذهب هُزِمَ عالمياً اليوم ، دون التحقيق السليم في المدارس الفكرية والمدرسة الإسلامية عند أناسٍ مطلَّعين اطلاعاً صحيحاً على المدارس الفكرية ، خاصة الإسلام .

وما الذي جرى حتى استراحت أنفسكم إلى عدة مصطلحات خاوية عند أهل التحقيق ، وما الذي يدفعكم لأن تحاولوا جرّ بلادكم إلى أحضان الاتحاد السوفيتي أو الصّين ؟ ونهضتم باسم «محبّة الجماهير» لمحاربة شعبكم ، أو لتنفيذ المؤامرات لمصلحة الأجانب ضدّ بلدكم وجماهيره المظلومة .

إنكم ترون أن مُدَّعي الشيوعيّة ومنذ بداية ظهورها كانوا وما زالوا من أشدّ حكومات العالم دكتاتورية وسعيّاً للتسلّط واستبداداً ، وكم من شعبٍ سُحق بأرجل وأيدي الاتحاد السوفيتي - الذي يدعي مناصرة الشعوب - وفقد كل ما لديه . إن شعوب روسيا من المسلمين وغير المسلمين هم إلى الآن يرزحون تحت ضغط استبدادية الحزب الشيوعي ، محرومين من كل أشكال الحرية ، ويعانون كبتاً يفوق كبت الدكتاتوريات في العالم ، ولقد رأينا نحن ترف ستالين - وهو من الوجوه التي توصف بأنها لامعة في الحزب - وشاهدنا مجيئه وذهابه وما يحيط بهما من مظاهر الأبهة .

والآن فيما أنتم أيها المخدوعون تموتون شغفاً بذلك النظام ، فإن شعوب الاتحاد السوفيتي المظلومة وشعوب الدول السائرة في ركابه كآفغانستان يُحتضرون من ظلمهم .

ثم إنكم أنتم الذين تدعون مناصرة الشعب ؛ أي جرائم ارتكبتها ضد هذا الشعب المحروم حيثما وصلت أيديكم ، وأي جريمة لم ترتكبوها ضد أهالي مدينة (أمل)<sup>(١)</sup> الشرفاء الذين كنتم تدعون زيفاً بأنهم أنصاركم الأوفياء ، حيث أرسلتم عدداً كبيراً ممن خدعتموهم ليحاربوا الناس والحكومة ، وألقيتم بهم إلى القتل .

وأنتم يا «أنصار الشعب المحروم» ! تريدون تسليم شعب إيران المظلوم المحروم لاستبداد الاتحاد السوفيتي ، وتقومون حالياً بتنفيذ هذه الخيانة تحت غطاء «فدائي الشعب» وناصر المحرومين ، غاية الأمر أن حزب تودة ورفاقه ينفذون ذلك عبر التآمر وتحت قناع موالاتة الجمهورية الإسلامية ، بينما المجموعات الأخرى بالأسلحة والاعتقال والتفجير .

إنني أوصيكم بأن تلتحقوا بصفوف الشعب أنتم أيها الأحزاب والحركات سواء تلك المعروفة باليسارية - على الرغم من أن هناك بعض الشواهد والقرائن تدل على أنهم شيوعيون أمريكيون - أو تلك التي ترتزق من الغرب وتستلم منه ، أو تلك التي حملت السلاح تحت شعار «الحكم الذاتي» والدفاع عن

(١) أمل ، مدينة زراعية تقع شمالي إيران ، وفي السادس من بهمن ١٣٦٠ هـ ش وقعت فيها الحادثة المذكورة على يد «اتحاد الشيوعيين» ، حيث تجمّع العشرات منهم بكامل أسلحتهم في الغابات ، وقاموا بعمليات إرهاب وإرهاب ، ثم نفذوا مخططاً يرمي إلى احتلال مدينة أمل ، معتقدين أنهم إذا نجحوا باحتلالها ، فإن الناس ستلتحق بهم ، لتصبح المدينة مركزاً للعصيان ضد الثورة الإسلامية ، لكن الذي حدث كان خلافاً لتصوراتهم ، فإن أهالي المدينة هبوا بمقاومة شعبية هادرة سحقت تحركهم الإرهابي في ساعاته الأولى ، فامتألت المدينة بالمتاريس ؛ مما شل حركة المهاجمين وحوّل المدينة إلى ساحة مواجهة بين السكان العزل والمهاجمين المسلحين ، وخلال مدة خمس ساعات استطاع سكان المدينة أن يعتقلوا المهاجمين ، وبذلك استعقت المدينة أن يطلق عليها في الثقافة الثورية اسم : «مدينة الألف متراس» .

الأكراد أو البلوش مثل : «الحزب الديمقراطي» و «الكوملة» ، وأفقدت أهالي كردستان المحرومين وأهالي المناطق الأخرى كل ما لديهم ، ومنعوا حكومة الجمهورية الإسلامية من تقديم الخدمات الثقافية والصحية والاقتصادية والعمرانية في هذه المحافظات ، فقد جربوا لحد الآن أنهم لم يحققوا ولن يستطيعوا تحقيق شيء لأهالي تلك المناطق سوى الشقاء .

إذن ، فصلاحتهم وصلاح شعبيهم وديارهم هو أن يعاضدوا جهود الحكومة ويكفوا عن التمرد وخدمة الأجانب وخيانة وطنهم ، وأن يتوجهوا لإعمار البلاد ، وليثقوا بأن الإسلام خير لهم من القطب الغربي المجرم ومن القطب الشرقي المستبد ، ويحقق طموحات الشعب الإنسانية بصورة أفضل .

#### \* إلى الحركات الإسلامية للخطئة \*

ووصيتي للحركات الإسلامية التي تبدي - خطأ - ميولاً للغرب وأحياناً للشرق ، وكانت تؤيد أحياناً المنافقين الذين انكشفت خيانتهم اليوم ، وكانوا يذمّون أحياناً خطأ واشتباهاً ويعيبون أولئك الذين يعارضون من يريد سوءاً بالإسلام .. هي أن لا يصرّوا على خطئهم ، وليعترفوا به بشجاعة إسلامية ، وضموا صوتكم ومسيرتكم من أجل رضا الله إلى صوت ومسيرة الحكومة والمجلس والشعب المظلوم ، وأنقذوا مستضعفي التاريخ هؤلاء من شرّ المستكبرين ، واحفظوا مقولة المرحوم «المدرّس»<sup>(١)</sup> ، هذا العالم الملتزم النقي

(١) المدرّس : هو آية الله الشهيد السيد حسن المدرّس ولد سنة ١٢٨٧ هـ.ق. علم من أعلام الفقهاء والجهاد والحنكة السياسية ، دخل المجلس النيابي الثاني بعد حركة المشروطة (الحركة الدستورية) باعتباره مجتهداً مراقباً قوانين المجلس ، ثم دخله نائباً في دوراته الرابعة والخامسة والسادسة ، أحبط بشجاعته النادرة عدة معاهدات استعمارية ، وقاد في الدورة السادسة النضال ضد حكومة رضا خان بهلوي ، استشهد سنة ١٣٥٦ هـ.ق في زرنانات رضا خان بعد سجن دام عشر سنوات .

السيرة والفكر ، حيث قال في مجلس الشورى المحبَّب آنذاك : «الآن وإذ تحتم القضاء علينا ، فلماذا نفعل ذلك بأيدينا؟» ، وأنا أيضاً وفي ذكرى هذا الشهيد في سبيل الله أقول لكم أيها الإخوة المؤمنون ، إن مَحُونَا من الوجود بأيدي المجرمة لأمريكا والاتحاد السوفيتي ، ولقاءنا الله مخضبِّين بدم الكرامة هو خير من أن نعيش حياة الترف والرفاهية في ظل الجيش الشرقي الأحمر أو الغربي الأسود ، وعلى هذا كانت سيرة ونهج الأنبياء العظام وأئمة المسلمين وعظماء الدين المبين ، وعلينا أتباعها ، وعلينا أن نخلق في أنفسنا الإيمان بأن أي شعب إذا أراد الحياة من دون التبعيةَات فإنه قادر على ذلك ، ولن تستطيع القوى العالمية أن تفرض على شعبٍ خلاف ما يؤمن به .

يجب الاعتبار بأفغانستان<sup>(١)</sup> ، فرغم أن الحكومة الغاصبة والأحزاب اليسارية كانت وما زالت مع الاتحاد السوفيتي ، ولكنها عجزت إلى الآن عن قمع جماهير الشعب ، وفضلاً عن ذلك فإن شعوب العالم المحرومة قد استيقظت الآن ، ولن يمر وقت طويل حتى تنتهي هذه اليقظة إلى انتفاضات ونهضات وثورات تنقذهم من تسلط الظلمة المستكبرين .

وأنتم المسلمون المتمسكون بالقيم الإسلامية ترون كيف أن الانفصال والانقطاع عن الشرق والغرب بدأ يظهر بركاته ؛ فقد نشطت العقول المفكرة المحلية ، وهي تتقدم باتجاه الاكتفاء الذاتي ، وما كان يصوره الخبراء الخونة الغربيون والشرقيون لشعبنا بأنه مستحيل ؛ تحقق اليوم بشكل ملحوظ بأيدي وعقول أبناء الشعب ، وسيتحقق على المدى البعيد بشكل تام بمشيئة الله تعالى . واحسرتا مئة مرة ! أن هذه الثورة تحققت متأخرة ، ولم تتحقق على الأقل

(١) أفغانستان في ذلك الوقت كانت تحت احتلال جيوش الاتحاد السوفيتي ، والحكومة المركزية فيها حكومة شيوعية عميلة .

في بداية الحكم المتجبر القدر ؛ حكم محمد رضا ، ولو أنها تحققت لكانت إيران المنهوبة غير إيران هذه .

### \* إلى الكتاب والخطباء الذين يثيرون الانتقادات \*

وصيئي إلى الكُتَّاب والخطباء والمثقفين ومثيري الانتقادات والمعتقدين ، هي أن انقطعوا إلى رُئُكم ليلة واحدة ، أو إلى ضميركم إن لم يكن لكم إيمان بالله ، بدلاً من إنفاق وقتكم في مخالفة مسيرة الجمهورية الإسلامية وتسخير كل جهودكم في إثارة سوء الظن والإساءة والوقية بالمجلس والحكومة وسائر المتصدين للخدمة ، مما يؤدي لسوق بلدكم باتجاه القوى الكبرى ، وتفكروا في دوافعكم الباطنية التي كثيراً ما يغفل الناس أنفسهم عنها .

ثم انظروا بأي معيار وبأي إنصاف تتجاهلون دماء هؤلاء الفتية الذين تناثرت أشلائهم في الجبهات والمدن ، وقمتم بشن حرب نفسية على شعب يريد التخلص من تحت وطأة الظلمة والناهيين - الأجانب والمحليين - بعد أن نال استقلاله وحرته ببذل الأرواح والتضحية بأبنائه الأعداء ، ويسعى لحفظهما بتقديم التضحيات ١٩ .

وتسعون نار الاختلافات والمؤامرات الخيانية ، وتفتحون الطريق للمستكبرين والظلمة ؟ أليس الأفضل أن ترشدوا بفكركم وأقلامكم وبياناتكم الحكومة والمجلس والشعب حفظاً لوطنكم ؟ أليس حرياً بكم أن تعينوا هذا الشعب المظلوم المحروم ، وتساهموا بدعمكم في استقرار الحكم الإسلامي ؟ وهل تعتبرون هذا المجلس ورئيس الجمهورية والحكومة والسلطة القضائية في الوقت الحاضر أسوأ مما كان في عهد النظام السابق ؟ أنسيتم المظالم التي كان يُنزِلها ذلك النظام اللعين بهذا الشعب المظلوم الأعزل ؟ .



ألا تعلمون بأن هذا البلد الإسلامي كان على ذلك العهد قاعدة عسكرية لأمريكا يتعاملون معه كمستعمرة، وكان كل شيء من المجلس والحكومة والقوات المسلحة في قبضتهم ؟ .

ألا تعلمون بما كان يفعله مستشاروهم وصناعيهم وخبرائهم بهذا الشعب وثوراته ؟ هل مٌحي من ذاكرتكم ما كان يجري من إشاعة للفاحشة في أرجاء البلاد ، ومراكز الفساد من دورالبغاء والقمار والحانات ومحلات بيع الخمر ودور السينما وغيرها ، كان كل منها يشكّل عاملاً كبيراً في تدمير جيل الشباب ؟ .

هل نسيتم وسائل إعلام ذلك النظام ومجلاته الإفسادية من أولها إلى آخرها ، وصحفه ؟ .

واليوم إذ لم يبق أثر لأسواق الفساد تلك تثورون صراخاً لأجل أنه في عدد من المحاكم أو عدد من الشباب ولعل أكثرهم متسللون يتمون للحركات المنحرفة قاموا بأعمال منحرفة من أجل تشويه الإسلام والجمهورية الإسلامية ، وإعدام شردمة من المفسدين في الأرض المحاربين للإسلام والجمهورية الإسلامية ، وتمدّون يد الأخوة تضامناً مع أولئك الذين يشجبون الإسلام صراحةً وقد انبروا لمحاربتة عسكرياً أو بالقلم والبيان وهي أشد إيلاماً من المواجهة المسلحة ، وتعتبرون أولئك الذين أهدر الله دماءهم قرّة أعينكم وتجلسون إلى جانب المخادعين الذين أوجدوا فاجعة الرابع عشر من إسفند<sup>(١)</sup> ، وقمعوا بالضرب

(١) فاجعة ١٤ إسفند ١٣٥٩ هـ .ش. ، ٥ مارس (آذار) ١٩٨١ م هي محاولة لحرف مسيرة الثورة عن نهجها الإسلامي ، قادها رئيس الجمهورية آنذاك أبو الحسن بني صدر المخلوع ، مستعيناً بالعناصر المنحرفة الموالية للغرب من الليبراليين والأحزاب اليمينية واليسارية أمثال مجاهدي الشعب وفدائيي الشعب وجبهة النضال وغيرهم ، وكانوا قد اجتمعوا في ذلك اليوم في جامعة طهران بمناسبة الذكرى السنوية لوفاة الدكتور مصدّق ، فالتقى فيهم بني

والإهانة الفتية الأبرياء فيما أنتم تفرجون على المعركة ! فهذا كله عمل إسلامي<sup>١</sup> وأخلاقي<sup>٢</sup> ، بينما عمل الحكومة والسلطة القضائية في معاقبة المعاندين والمنحرفين والملحددين جزاء أعمالهم تثورون منه صراخاً وترفعون نداء المظلومية ؟

إنني آسف من أجلكم أنتم أيها الإخوة ممن أعرف إلى حد ما سوابقكم وأود بعضكم ، لا من أجل أولئك الذين كانوا أشراراً متلبسين بظاهر حب الخير ، وذئاباً في ثياب رعاة ، ومخادعين هزئوا بالجميع وسخروا منهم ، وسعوا لتدمير البلد والشعب ؛ وخدمة أحد القطبين الناهيين .

إن هؤلاء الذين قتلوا بأيديهم القذرة الشباب والرجال الكرام والعلماء المرئيين للمجتمع ، ولم يرحموا حتى أطفال المسلمين المظلومين ، قد فضحوا أنفسهم أمام المجتمع ، وخذلوا بين يدي الله القهار ، وليس لهم سبيل عودة ؛ فقد استحوذ عليهم شيطان النفس الأمارة .

أما أنتم أيها الإخوة المؤمنون ، فلماذا لا تعينون الحكومة ومجلس الشورى وتشككون منهما ، وهما يسعيان لخدمة المحرومين والمظلومين ، وإخواننا المعدمين المحرومين من كافة مواهب الحياة ؟! فهل قارنتم ما أنجزه النظام السابق من عمران بمقدار ما أنجزته خلال هذه الفترة القصيرة الحكومة ومؤسسات الجمهورية من خدمات على الرغم من وجود هذه المشاكل والاختلالات الملازمة لأيّة ثورة ،

---

صدرت كلمة دعا فيها إلى توحيد المعارضة ، واتخاذ قيادة وطنية عوضاً عن القيادة الإسلامية، وانتهت كلمته تلك باشتباكات دامية بين الجماهير الشعبية المؤمنة من جهة ، وميليشيات مجاهدي الشعب المنظمة والمهيئة للمواجهة والليبراليين من جهة أخرى .

وقد تعمد بني صدر في كلمته أسلوب التحريض والاستفزاز وخذاع الجماهير ، فيما بادر حرسه الخاص وميليشيا المنافقين إلى مهاجمة الجماهير المناصرة للثورة وخط الإمام الذين تجمعوا في الجامعة وخارجها ، وهتفوا دفاعاً عن الثورة وقيمها .

وعلى الرغم من الحرب المفروضة علينا بكل خسائرها ، والملايين المشردين من الإيرانيين وغير الإيرانيين والعراقيل التي لا حد لها ؟ .

ألا تعلمون بأن الأعمال العمرانية قد اختصت في ذلك العهد بالمدن تقريباً ، وبمناطق المترفين فقط ، أما الفقراء والمحرومون فنصيبهم منها كان النزر اليسير ، أو لم يكن لهم نصيب ؟ في حين أن الحكومة الحالية والمؤسسات الإسلامية تتفانى في خدمة هذه الفئة المحرومة ، فكونوا أنتم - أيضاً - أيها المؤمنون عوناً لها ، لتنجز الأعمال سريعاً ، ولتذهبوا إلى لقاء الله تعالى - وهذا حاصل شتم أم أبيتم - حاملين وسام خدمة عباده<sup>(١)</sup> .

#### \* الإسلام يرفض الرأسمالية والاشتراكية \*

سين : من الأمور التي يلزم التوصية والتذكير بها هي أن الإسلام لا يؤيد الرأسمالية المطلقة الظالمة التي تؤدي إلى حرمان الجماهير المضطهدة المظلومة ، بل يدينها بشكل جدي في الكتاب والسنة ، ويعتبرها نقيضاً للعدالة الاجتماعية ، وإن كان بعض ذوي الأفهام المنحرفة الجاهلين بنظام الحكومة الإسلامية والقضايا السياسية الحاكمة في الإسلام ؛ طرحوا وما زالوا يطرحون الإسلام في أقوالهم وكتاباتهم بصورة وكأنه يؤيد الرأسمالية والملكية بلا قيد ولا حد ، وبهذا الطرح النابع من فهمهم المنحرف للإسلام حجّبوا الوجه النوراني للإسلام ، ومهدّوا الطريق للمفرضين وأعداء الإسلام ، كي يهاجموه ويعتبروه نظاماً كالنظام الرأسمالي الغربي ، مثل نظام أمريكا وإنجلترا وسائر الدول الغربية الناهبة ، وهبوا لمعارضته - عن غرض أو حماقة - استناداً إلى أقوال وأفعال أولئك الجهلة ، وبدون الرجوع إلى خبراء الإسلام الواقعيين .

(١) في النسخة الخطية في هذا المكان يوجد مقطع في أسفل الورقة قصه الإمام وكتب أمامه هذه العبارة : (هذا المقطع المقتطع أنا اقتطعته) مع وجود إمضائه الشريف .

الإسلام ليس نظاماً كنظام الشيوعية أو الماركسية اللينينية ، هذه التي ترفض الملكية الفردية وتتبنى الاشتراكية ، بفارق كبير اليوم عما كانت عليه في العصور القديمة ، حيث كانت ترى الاشتراك حتى في المرأة والشذوذ الجنسي ، واشتملت على دكتاتورية واستبداد ماحقين ، بل الإسلام نظام متعادل يعترف بالملكية ويحترمها ضمن قيود في حصولها وإنفاقها ، ولو عمل به حقاً لدارت عجالات الاقتصاد السليم ، ولتحققت العدالة الاجتماعية الملازمة لنظام سليم .

وفي مقابل الفئة الأولى هناك أيضاً فئة طرحت بفهمها المنحرف وجهلها بالإسلام ونظامه الاقتصادي السليم : بأن الإسلام يؤيد المذاهب الفكرية المنحرفة لماركس وأمثاله ، متمسكة لذلك أحياناً ببعض الآيات وبعض عبارات نهج البلاغة ، ولم تلتفت إلى سائر الآيات وفقرات نهج البلاغة ، فراحوا من أنفسهم واستناداً إلى فهمهم القاصر يتبعون «المذهب الاشتراكي» ، ويدافعون عن الكفر والديكتاتورية والكبت المهلك الذي يتجاهل القيم الإنسانية ، ويتعامل فيه حزبٌ أقلية مع جماهير الناس كالحوانات .

وصيتي لمجلس الشورى ومجلس أمناء الدستور والحكومة ورئيس الجمهورية ومجلس القضاء الأعلى أن تخضعوا لأحكام الله تعالى ، ولا تتأثروا بالدعايات الجوفاء لقطب الرأسمالية الظالم الناهب ، وقطب الاشتراكية والشيوعية الملحده ، واحترموا الملكية والرؤسامة المشروعة ضمن الضوابط الإسلامية ، وطمئنوا الشعب حتى توظف الرؤسامة والنشاطات البناءة ، لتحقق للحكومة والبلد الاكتفاء الذاتي والصناعات الخفيفة والثقيلة .

\* إلى أصحاب رؤوس الأموال المشروعة \*

وأوصي الأثرياء وأصحاب الأموال المشروعة أن تشغلوا ثرواتكم العادلة ، وهبوا إلى النشاطات البناءة في المزارع والقرى والمصانع ؛ فإن هذا العمل بذاته

عبادة جلييلة ، وأوصي الجميع بالسعي من أجل رفاهية الفئات المحرومة ؛ فإن خير دنياكم وأخراكم في الاهتمام بأوضاع محرومي المجتمع الذين عانوا الآلام والمشقة طوال تاريخ الظلم الملكي والإقطاعي .

وكم هو جميل أن يبادر ذوو اليسار - تطوعاً - لتوفير المسكن وأسباب العيش للطبقة الفقيرة وسكان "العُشش" ، وليتقوا بأن في ذلك خير الدنيا والآخرة ، فليس من الإنصاف أن يكون شخص بلا مأوى ، وإلى جانبه من يملك عماراتٍ عديدة .

#### \* إلى العلماء العاديين \*

عين : وصيتي لتلك الفئة من علماء الدين والمتلبسين بزّي العلماء ، الذين يعارضون الجمهوريّة الإسلاميّة ومؤسساتها بدوافع شتى ، والذين وقفوا وقتهم لإسقاطها ، ويعينون أعداءها المتآمرين وأرياب اللعب السياسيّة ، إلى درجة تصل أحياناً - مثلما يُنقل - حدّ تقديم مساعدات ضخمة مما يستلمونه لهذا الغرض من مبالغ طائلة ، يقدمها الرأسماليون الغافلون عن الله - وصيتي لهؤلاء - هي أنكم لم تجنوا شيئاً من هذه الأعمال المنحرفة ، ولا أظنكم تجنون شيئاً فيما بعد ، وإذا كان عملكم هذا سعيّاً للدنيا - والله لن يدعكم تصلون لهدفكم المشؤوم - فالأفضل هو أنه ما دام باب التوبة مفتوحاً فاستغفروا الله ، وضّموا صوتكم لصوت شعبكم المُعدّم المظلوم ، وادعموا الجمهوريّة الإسلاميّة التي تحققت بتضحيات الشعب ، ففي هذا خير الدنيا والآخرة ، وإن كنت لا أظنكم توفّقون للتوبة .

وأما بالنسبة لتلك الفئة التي تخالف بشدة الجمهوريّة الإسلاميّة وحكمها أساساً ، وتعمل لإسقاطها من أجل الله !! ويحسب أوهاها فهذه الجمهوريّة أسوأ من الحكم الملكي أو مثله ، وذلك بسبب بعض الاشتباهاة أو الأخطاء المخالفة لأحكام الإسلام والصادرة عمداً أو سهواً عن مختلف الأشخاص أو الفئات ،

وصيتي لهؤلاء هي أن يتفكروا بنيةٍ مخلصَةٍ في الخلوات وليقارنوا الحال - يانصاف - بالحكومة والنظام السابق ، وليتبهوا أيضاً إلى أن الثورات في العالم يلازمها وقوع اضطرابات وانحرافات وحالات من الانتهازية .

فانتبهوا وخذوا بعين الاعتبار المشاكل التي تواجهها هذه الجمهورية من قبيل المؤامرات والدعايات الافتراضية ، والهجوم العسكري من الخارج والداخل ، وما لا يمكن تجنبه من تسأل مجموعات من المفسدين والمعادين للإسلام إلى كافة المؤسسات الحكومية ابتغاء إثارة الاستياء لدى الشعب من الإسلام والحكم الإسلامي ، وانعدام الممارسة السابقة لدى أكثر المتصدئين للأمر أو كثير منهم ، ونشر الإشاعات الكاذبة من قبل الذين توقّف أو نقص ما كانوا ينالونه من منافع جمّة غير مشروعة ، والنقص الملحوظ في عدد قضاة الشرع ، والمشاكل الاقتصادية القاسمة ، والصعوبات الكبيرة في غربة وتهذيب عدة ملايين من المتصدئين ، والنقص في عدد الأفراد الخبراء الصالحين والمختصين ، وعشرات من المشاكل الأخرى التي لا يعرفها إلا من دخل في معتركها .

ومن جهة أخرى ، هناك الأفراد المغرضون المؤيدون للملكية ذوو الرساميل الضخمة ، الذين يوجهون الآن ضغوطاً تصل إلى حدّ الهلاك لفقراء المجتمع ومحروميه ، ويجرّونه للفساد عبر ممارسة الرّبنا والاسترياح المجحف ، وتهريب العملة الصّعبة ، وإيجاد الغلاء الفاحش والتّهريب والاحتكار ، هؤلاء يأتونكم بالشكوى والخداع ، وأحياناً يعطونكم مبالغ - كحقوق شرعية - ليستجلبوا التصديق ، وليظهروا بمظهر المسلم الخالص ، ويدرفون دموع التماسيح فيثيرونكم ويدفعونكم للمعارضة ، في حين أن الكثير منهم يمتصّون دماء الناس بانتفاعاتٍ غير مشروعة ، ويجرّون اقتصاد البلد إلى الإنهيار .

إنني أقدم نصيحةً أخويةً متواضعةً أن لا يتأثر السادة المحترمون بأمثال هذه

الإشاعات ، وأن يعملوا على تقوية هذه الجمهورية من أجل الله ، وحفظ الإسلام ، وليعلموا أن هذه الجمهورية الإسلامية لو سقطت ، فلن يحل محلها نظام إسلامي يرضاه بقیة الله (روحي فداه) ، أو نظام مطيع لأمرکم - أيها السادة - ، بل سيصل للحکم نظام یرتضیه أحد قطبي القوة ، وسيستولي اليأسُ على قلوب محرومي العالم ، الذين توجهوا للإسلام والحکم الإسلامي ، وعشقوهما ، وسيترعّض الإسلام للانزواء إلى الأبد ، وتندمون على أعمالکم عندما يقضى الأمر ، ولا ينفع الندم .

أيها السادة ، إذا كنتم تتوقعون أن تكون كل الأمور في ليلة واحدة على طبق الإسلام وأحكام الله تعالى فهذا خطأ ، ولم تقع معجزة كهذه على مدى التاريخ الإنساني ولن تقع . ولا تتوهموا أن تقع معجزة عندما يظهر مصلح العالم إن شاء الله تعالى ويتحقق إصلاح العالم في يوم واحد ، بل يُطرد الظلمة ويُقمعون ببذل الجهود والتضحيات .

وإذا كان رأيكم مثل رأي بعض العوام المنحرفين ، بأنه لا بد - لظهور ذلك العظيم - من السعي لتحقيق الكفر والظلم ، لئلا العالم بالجور ، وتتوفر مقدمات الظهور .. فإننا لله وإننا إليه راجعون .

#### \* مستضعفو العالم ومسلموه \*

فاء : وصيتي إلى كافة مسلمي العالم ومستضعفيه هي : يجب أن لا تفعدوا بانتظار أن يأتي حكام بلدانكم ومسؤولوها أو القوى الأجنبية ليقدموا الحرية والاستقلال هدية لكم .

في هذا القرن الأخير على الأقل ، الذي وطأت فيه تدريجياً أقدام القوى الكبرى الناهبة للعالم جميع البلاد الإسلامية وبقية البلدان الصغيرة ، لقد رأينا نحن

وأنتم أو روت لنا ذلك التواريخ الصحيحة ؛ أن أياً من الحكومات المتسلطة على تلك البلدان لم تكن تفكر بحرية واستقلال ورفاهية شعوبها ، وهي لا تفكر بذلك الآن ، بل إنها كلها تقريباً إما بادرت بنفسها لممارسة الظلم والكبت لشعوبها ، وكل ما فعلته كان من أجل مصالحها الشخصية أو الفئوية أو من أجل رفاهية فئة المترفين والأعيان ، فيما كانت الفئات المظلومة وسكنة الأكواخ و"العشش" محرومين من كل مواهب الحياة ، حتى من مثل الماء والخبز وما يقام به الأود ، وسخروا هؤلاء البؤساء لخدمة تلك الفئة المترفة المنغمسة في الملذات .

أو إنهم كانوا ممن قد نصبتهم القوى الكبرى ليجنّدوا كل طاقاتهم من أجل ربط البلدان والشعوب بها ، فحولوا البلدان بمكائدهم شتى إلى أسواق للشرق والغرب ، فأمنوا بذلك مصالحهم ، وجعلوا الشعوب متخلفة استهلاكية ، وهم مستمرّون الآن على الحركة وفق هذا المخطط .

فانهضوا يا مستضعفي العالم ، وأيتها البلدان الإسلامية ، ويا أيها المسلمون في العالم وانتزعوا الحق بالقوة ولا ترهبوا ضجيج دعايات القوى الكبرى وعملائها الخانعين ، واطردوا من بلدانكم الحكام الجناة الذين يسلمون نتاج كدحكم لأعدائكم وأعداء الإسلام العزيز ، وأمسكوا أنتم والملتزمون العاملون لخدمة الشعب بزمام الأمور ، والتفوا جميعاً حول راية الإسلام المجيدة ، وهبوا للدفاع في مواجهة أعداء الإسلام وأعداء المحرومين في العالم ، وتقدّموا نحو دولة إسلامية بجمهوريات حرة مستقلة ، وبتحقيق ذلك ستوقفون كافة مستكبري العالم عند حدّهم ، وتصلون بجميع المستضعفين إلى إمامة الأرض ووراثتها ، على أمل ذلك اليوم الذي وعد به الله تعالى .

\* عودة إلى الشعب الإيراني المجيد \*

صاد : مرة أخرى وفي خاتمة هذه الوصية ، أوصي الشعب الإيراني النبيل



بأنَّ حجمَ تحمُّلِ الصُّعابِ والآلامِ والتضحياتِ والغداءِ والحرمانِ يتناسبُ في العالمِ مع كبرِ الهدفِ وقيمتِهِ وسموِّ مرتبتهِ ، والهدفُ الذي انتفضتَ من أجله - أيها الشعبُ النبيلُ المجاهدُ - وتواصلُ السيرِ نحوه ، وبذلتَ - وما زلتَ - من أجلِهِ الأنفُسَ والأموالَ هو أعظمُ وأرفعُ وأسمى هدفٍ عُرضَ منذ بدءِ العالمِ في الأزلِ أو سيُعرضُ بعدَ هذا العالمِ إلى الأبدِ ، وهو مدرسةُ الألوهيةِ بمعناها الواسعِ ، وعقيدةُ التوحيدِ بأبعادها الساميةِ ، وهو أساسُ الخلقِ وغايتهِ في عرصاتِ الوجودِ وفي درجاتِ ومراتبِ الغيبِ والشهودِ .

وقد تجلَّى ذلكَ في المدرسةِ المحمديةِ صلى اللهُ عليه وآله وسلم بكلِّ معناه ودرجاته وأبعاده ، ولأجلِ تحقُّقه انصبَّتْ جهودُ الأنبياءِ العظامِ (عليهم سلامُ اللهِ) والأولياءِ المعظمينِ (سلامُ اللهِ عليهم) ، والوصولُ إلى الكمالِ المطلقِ ، والجلالِ والجمالِ اللامتناهيينِ مُحالٌ إلاَّ به ، وهو الذي شَرَّفَ الترابينِ على الملكوتينِ وعلى من هو أسمى منهم ، وما يحصلُ للترابينِ من خلالِ السيرِ فيه لا يحصلُ لأيِّ موجودٍ في كافةِ الخليقةِ في السرِّ والعلنِ .

إنكم يا أبناءَ الشعبِ المجاهدِ تسرون في ظلِّ رايةٍ تخفقُ في أرجاءِ العالمينِ - الماديِّ والمعنويِّ - سواءِ عرفتمُ ذلكَ أم لم تعرفوه . وتسرون في دربٍ هو وحدهِ دربُ جميعِ الأنبياءِ عليهم سلامُ اللهِ ، وهو وحدهِ دربُ السَّعادةِ المطلقةِ ، ومن أجله يندفعُ كافةُ الأولياءِ لاحتضانِ الشهادةِ ، ويرون الموتَ الأحمرَ «أحلى من العسلِ»<sup>(١)</sup> ، وقد احتسى فتيتكم في الجبهاتِ جرعةً منه فهاموا وجرأوا ، وظهرت تجلياته في أمهاتهم وأخواتهم وأبائهم وإخوانهم . فحقُّ

(١) هذه الجملة تركيبٌ عربيٌّ استخدمه الإمامُ تقيُّ في المتنِ الفارسيِّ كما هو ، ولعله إلماحٌ إلى جوابِ القاسمِ بنِ الإمامِ الحسنِ عليهما السلامِ عندما سأله عمه السُّبطُ الشهيدُ كيف تری الموتَ يا بني؟ قال : الموتُ معك أحلى من العسلِ .

علينا أن نقول صدقاً: (ياليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً) ، فهنيئاً لهم هذا النسيم المبهج للقلوب ، وذلك التجلي المثير .

ولنعلم بأن جانباً من هذا التجلي قد ظهر في المزارع الملتهبة والمصانع المجهدة ، وفي المعامل ومراكز الصناعة والاختراع والإبداع ، وهو متجلٌ لدى غالبية الشعب في الأسواق والطرق والقرى ، ولدى جميع المتصدين للخدمة في هذه المجالات من أجل الإسلام والجمهورية الإسلامية وتقدم البلد واكتفائه الذاتي .

وما دامت روح التعاون والالتزام هذه قائمة في المجتمع فإن البلد العزيز مصونٌ من نوائب الدهر - إن شاء الله تعالى - ، والحوزات العلمية والجامعات والأعزة فتية المعاهد العلمية والتربوية يتمتعون بهذه النفحة الإلهية الغيبية - والله الحمد - ، وهذه المراكز في أيديهم كاملة ، وأيادي المفسدين والمنحرفين مقطوعة عنها بإذن الله .

ووصيتي للجميع هي أن تسيروا ذاكرين الله تعالى نحو معرفة الذات والاكفاء الذاتي ، والاستقلال بكافة أبعاده ، ولا شك أن يد الله معكم ما دمتم في خدمته متمسكين بروح التعاون من أجل رقي ورفعة الدولة الإسلامية .

إنني ومع ما أراه في الشعب العزيز من يقظة ووعي والتزام وتضحية ، وروح مقاومة وإصرار ، وصلابة في طريق الحق - ولدي أمل أن تتقل هذه القيم الإنسانية إلى أعقاب هذا الشعب ، وتربو جيلاً بعد جيل ، بفضل الله تعالى ..

أستأذنكم - أيها الإخوة والأخوات - لأرحل عن خدمتكم إلى المقر الأبدي بفؤادٍ وادعٍ وقلبٍ مطمئنٍ ، وروحٍ مسرورةٍ ، وضميرٍ مؤملٍ لفضل الله ، وأنا في غاية الحاجة لدعواتكم الصالحة .

وأسأل الله الرحمن الرحيم أن يقبل عذري عما كان مني من قصورٍ أو تقصيرٍ في الخدمة ، وآمل من أبناء الشعب أن يقبلوا عذري عن القصور والتقصيرات ، وأن

يوصلوا بقوة وإرادة راسخة التقدّم إلى الأمام ، وليعلموا أنّ رحيل خادمٍ لن يحدث  
ثغرةً في سدِّ الشعب المنيع ، فهناك خَدَمَةٌ أسمى وأرفع حاضرون للخدمة ، والله  
حافظ هذا الشعب ومظلومي العالم .

والسّلام عليكم وعلى عباد الله الصالحين ، ورحمة الله وبركاته .

٢٦ بهمن ١٣٦١ - ١ جمادى الأولى ١٤٠٣

روح الله الموسوي الخميني

## \* ملحقَاتُ الوصِيَّةِ \*

### \* قارئُ الوصِيَّةِ \*

باسمه تعالى

يقرأ هذه الوصِيَّةَ على الناس بعد موتي أحمد الخميني ، فإن كان لديه عذرٌ فليقبل مشقة ذلك رئيس الجمهورية المحترم ، أو رئيس مجلس الشورى الإسلامي المحترم ، أو رئيس مجلس القضاء الأعلى المحترم ، فإن كان لديهم عذرٌ فليقبل المشقة أحد الفقهاء المحترمين في مجلس أمناء الدستور .

روح الله الموسوي الخميني

### \* الكذبُ عليّ \*

باسمه تعالى

أنبّه في ذيل هذه الوصِيَّةِ المكوَّنة من ٢٩ صفحة ومقدمة على عدة أمور :

١- تنسب لي الآن - وأنا حاضرٌ - بعض الأمور غير الواقعية ، وقد يزداد حجمها بعدي ، لذا أقول إن ما نُسِبَ إليّ أو سُنِّسَبَ لا تؤيده ما لم يكن بصوتي أو بخطّ يدي وإمضائي بتأييد المختصّين ، أو أكن قد قلته في تلفزيون الجمهورية الإسلاميّة .

٢- لقد ادّعى أفرادٌ في حال حياتي أنّهم كانوا يكتبون بياناتي ، إنني أكذبُ هذا الأمر بشدّة ؛ فلم يبق أحدٌ حتى الآن باعداد أي بيانٍ لي غيري أنا شخصياً .

٣- وبناءً على ما ذُكر ، ادّعى البعض أن ذهابي لباريس كان بواسطتهم ، وهذا كذب ؛ فإني بعد إرجاعي عن الكويت اخترت باريس بالتشاور مع أحمد ، إذ كان احتمال منعي عن دخول البلدان الإسلاميّة قائماً لخضوعها لنفوذ الشاه ، أما باريس فلم يكن هذا الاحتمال وارداً .

#### \* ميزان الرجال \*

٤- لقد أشرت خلال فترة النهضة والثورة إلى بعض الأشخاص وأثنت عليهم ، نتيجة نفاقهم وتظاهرهم بالاسلام ، ثم فهمتُ فيما بعد أنني غفلتُ عن خداعهم . إن ذلك الثناء كان في وقت كانوا يُظهرون أنفسهم مؤمنين بالجمهوريّة الإسلاميّة وأوفياء لها ، فلا ينبغي أن يساء استغلال ذلك ، والميزان في أيّ شخصٍ هو وضعه الفعلي .

روح الله الموسوي الخميني

# الفصل الخامس

## ما بعد الرجيل

◀ بيانات الفاجعة

◀ القائد الخلف

◀ أول خطبة جمعة بعد رجيل الإمام

◀ خطاب القائد الخلف



## بيانات الفاجعة

بعد الرحيل المفجع لآية الله العظمى الإمام الخميني قدسُ أصدر المراجع العظام والعلماء الأعلام والمسؤولون المحترمون بيانات بهذه المناسبة ، تحدثوا فيها عن الفقيه الراحل بما هو له أهلٌ ، وعزوا إمام العصر والزمان الحجة ابن الحسن (أرواحنا لمقدمه الفداء) والأمة الإسلامية ، وحثوا المؤمنين بنهج الإمام على التمسك بثوابت نهجه ، والحفاظ على الودائع الإلهية التي حملَّ الأمة مسؤولية ديمومتها .

ومن تلك البيانات التي أصدرها المراجع العظام بياني الآيتين العُظْمَيْنِ السيد الكلبيكاني والسيد المرعشي النجفي ، ونأتي بهما على التوالي :

بيان آية الله العظمى السيد محمد رضا الكلبيكاني قدسُ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ﴾ ، ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ .

لقد استجاب دعوة الحق رجلٌ أحيا الإسلام في عالمنا المعاصر بجهاده العظيم ، وتضحياته الفذة ، وقيادته الحاسمة والحكيمة ، وأسمع العالم نداء التوحيد والتكبير معيداً للإسلام مجده ، وللمسلمين عزتهم ، وأدخل الرُعب في قلوب المستكبرين بصرخاته المدوية .

لقد ودَّع هذه الدار الفانية والتحق إلى جوار رحمة الله المتعال رجلٌ فجرَّ



الثورة الإسلامية في إيران باتكاله على نصر الله والشجاعة والإيمان ، وأنهى الاستبداد والاستعمار الذي كان يجثم على هذا الشعب المستضعف ، وأثار المستضعفين في كل مكانٍ ضد المستكبرين .

لقد انتقل إلى جنان الخلد فقيهٍ عظيمٍ ، ومرجعٍ مُسلمٍ . . . كان بحق آيةً من آيات الله في الزهد والعبادة والتهجد في الأسحار والخشية من الله . . . لم تأخذه فيه لومة لائمٍ ، وكثيرٌ من الصفات الممتازة الأخرى . . . إنَّ فجاعة الخطب أغرقت الجميع في لُججٍ من الحزن والألم ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

وإنِّي إذ أعزي الإمام المهديَّ المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) ، والحوزات العلميَّة والعلماء الأعلام ، وجميع المسلمين في العالم ، وكلُّ من يتطلَّع إلى إعلاء كلمة الله ، والشعب الإيراني النبيل بهذا المصاب الجلل .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يلهمنا الصبر الجميل والأجر الجزيل ، كما أدعو الإخوة أن يكونوا على وعيٍ ويقظةٍ كاملةٍ في هذا الظرف الحساس ، ويتعاونوا مع المسؤولين في الحفاظ على النظام والأمن .

وأبتهل إلى الله جلَّت قدرته أن يتغمَّد سماحته برحمته الواسعة ، وأنَّ يمنَّ على الإسلام والمسلمين بمزيدٍ من العزة والرفعة ، ويحفظهم من شرِّ الأعداء .

٢٩/١٠/١٤٠٩هـ محمد رضا الموسوي الكلبايكاني<sup>(١)</sup> .



(١) راديو الجمهورية الإسلامية (القسم العربي) يوم الأحد ٣٠/١٠/١٤٠٩هـ ، ومجلة الرُّصد

بيان آية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي النجفي قدس سره :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾

ببالغ الأسف وبقلبٍ ملؤه الحزن والأسى تلقيتُ نبأ وفاة سماحة آية الله السيد الخميني (رضوان الله عليه) .

ويماناسبة هذا المصاب الجلل ، والثلمة التي لا يسدّها مسدّ ، أتقدم بأحرّ التعازي إلى صاحب الأمر والزمان الإمام المهدي المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) ، وجميع المسلمين في العالم ؛ سيّما الشعب الإيراني المسلم ، والعلماء والأعلام ، والحوزات العلمية ؛ وخاصة ابنه البار حجة الإسلام الحاج السيد أحمد الخميني (دامت إفاضاته) ، وذوي المرحوم المغفور له ، وأشاطر الجميع الحزن والأسى بهذا المصاب الجلل .

أسأل الله سبحانه وتعالى بحقّ بيت العصمة والطهارة أن يُسكِّنَ المرحوم المغفور له فسيح رحمته الواسعة .

١٤٠٩/١٠/٢٩ هـ شهاب الدين المرعشي النجفي<sup>(١)</sup> .



(١) راديو الجمهورية الإسلامية ، يوم الأحد ١٤٠٩/١٠/٣٠ هـ .

بيان حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الموسوي الخميني تدئ :

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنِّةُ \* ازْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً \* فَاذْخُلِي فِي عِبَادِي \* وَاذْخُلِي جَنَّتِي ﴾ صدق الله العلي العظيم .

التحق بالرفيق الأعلى إمام المسلمين وقائد أحرار العالم تدئ ، وانطلقت روحه الزكية مرفرفة إلى الملكوت الأعلى ، وسكت التلب النابض بالعشق الإلهي ، وحب المحرومين .. غير أن القلوب المترعة بحب الإمام الخميني ، ستظل نابضة إلى الأبد ، وستبقى شمس الإمام ساطعة على عالم البشرية كما كانت ، بل ستبقى أشد ألقاً وسطوعاً .

إلهي إذا كان عبدك المحبُّ قد انتقل إلى رحمتك ، والتحق بجوارك ، وإذا كان القلب الكبير الزاخر بالحب العاصف قد سكن مطمئناً بقربك ، فإنك تعلم يا إلهي أن هذه المصيبة الكبرى قد أيقظت في القلوب من جديد ذكرى رحلة نبي الإسلام العظيم محمد ﷺ ، تلك التي قرَّحت أفئدة المسلمين .

إلهي إن هذه الفاجعة الكبرى التي أدمت قلوب المسلمين لا يخفف من شدة وطأتها إلا لطفك .. إلهي بحق الإمام الذي علمنا الشجاعة ورفع منزلة الشهادة إلى الدرجات العلى ، وأعلى قدر هذه الأمة المظلومة ، وأضاء سبيلها في أشد عصور الاستكبار ظلاماً .. إلهي من بالصبر والسلوان على الأفئدة المفجوعة ، وامنح القوة والثبات والمنعة لهذه القلوب التي أدركت ووعت كنه القيادة الحكيمة ، وحقيقة الزعامة الرشيدة للإمام الخميني العظيم .

لقد عاش روح الله الخميني في قلب الزمن ، وستبقى روحه خالدة أبداً الدهر . إنها سنة الله في خلقه أن يُعلي شأن الرجال العظام ، حتى إذا رحلوا

ظلت شمسهم ساطعة في الأفق الأعلى ، لتضيء القلوب والنفوس ، وتشع على أرواح أولي البصيرة ، وبقيت أفكارهم ضاربة في عمق الحياة ، وخلد نهجهم على امتداد التاريخ ، أما أولئك الذين تعمي أبصارهم برؤية الشمس ، والذين قبعوا في ظلمات أنفسهم الخبيثة يتربحون أفول نجم الإمام فسيشهدون اليوم موتهم الأبدي في الحضور الجماهيري اللامتناهي . . هذه الجماهير التي ترى حياتها الكريمة مرهونة بقيادة الخميني العظيم ، وتأبى اليوم إلا أن تتفاعل مع إمامها ؛ إذ إن هذا التفاعل هو الذي سطر أعظم ملاحم الزمن . . أجل ، إن هذا التفاعل هو الذي سيبقى على امتداد مسيرة الإمام بأهدافها السامية حتى ظهور المهدي (عجل الله فرجه الشريف) . . إن هذه الأمة ترى ديمومة الثورة الإسلامية تحقق دعائها المألوف في حفظ الإمام ، وتعني أن قلب الإمام سيظل نابضاً وإلى الأبد في الطوفان الجارف لثورة المستضعفين والمحرومين وطلاب العدالة ، وفي مداهمة هذه الثورة للمستكبرين والجبابرة . . لقد وجد المستضعفون والمظلومون في الإمام الخميني الولي الذي يعنى بأمرهم حقاً ، واستردوا عزهم السليب في ظلاله ، وبندائه الأبوي الذي أذل عروش الكفار والطواغيت .

وستبقى مشرقة أنوار الخميني الذي كان أعلم وأشجع من بين معالم الإسلام الأصيل ، وستبقى أنواره خالدة وضاءة على صفحات التاريخ . . مبددة غيوم الشك والذلة من نفوس مستضعفي الأرض ، وسيبقى الصراع التاريخي بين الفقر والغنى ، والإسلام والكفر ، والعدل والظلم حامي الوطيس ، وستبقى قيادة الإمام الخميني فاعلة من خلال حوزات العلوم الدينية ، وسيواصل العرفاء والحكماء والفقهاء الذين تضم صدورهم معاني وحي الله ، سيواصلون نشر الإسلام في كل مكان وزمان ، ديناً قيماً للإنسانية ، مطهريين ساحة الحوزات من صدا الخرافات والتحجر ، وتلك ضمان ديمومة نهج الإمام .

إنَّ نهج الإمام سيستمر متجلياً ومرتسخاً في مظلومية الجمهورية الإسلامية ، وهي اليوم قلعة الإسلام الأصيل ، والقاعدة الحصينة لمجاهدة الكفر والنفاق والإسلام الأمريكي ، حيث تقف اليوم قوات التعبئة ، وهي أكثر جيوش التوحيد جماهيريةً على مرِّ التاريخ . . تقف كالطود الشامخ الأشم ثورةً توحيديةً محطمةً مؤامرات الأعداء ، وستحرس نهج الإمام السواعد القويَّة لحرس الثورة الإسلامية وجيش الإسلام الأبويِّ . . تلك السواعد التي استمدت قوتها وعزَّتها من الدعم والرعاية التي أولاها لها الإمام الخمينيُّ الكبير ، فهذه السواعد هي التي ستحرس نهج الإمام ، وتحافظ على بقائه حتى ظهور بقية الله الأعظم (أرواحنا له الفداء) .

ولاشك في أنَّ الأعداء - أولئك الذين عُمت قلوبهم ، والذين وجدوا موتهم في حياة الإمام - لن يرعوا عن التهديد والتأمر ، غافلين عن حقيقة خلود نهج الخميني . . لكن ليعلموا يقيناً أنَّ سوء العاقبة ستكون نصيبهم على أيدي هذه الأمة اليقظة الرشيدة ، التي ربَّها الإمام الخميني الكبير . . وحيث يرحلُ الإمام فإنَّ وجوده المقدَّس قد تواصل في الثورة الإسلامية العالمية . . هذه الثورة التي تخطَّت حدود إيران المنجبة للشهداء . . إلى فلسطين المغتصبة ولبنان وأفغانستان ، وأرجاء العالم الكبير ، وتعدَّتْها إلى مراكز سيطرة الكفر العالمي ، كإنجلترا لتدقَّ فيها ناقوس موت الاستكبار ، سيِّما الشيطان الأكبر .

لقد وفي قائدُ مسيرة الثورة الإسلامية بما عاهد الله عليه ، وقضى نجه ، ليتصدَّرَ قافلة شهداء الثورة لدى الحضرة الإلهية ، حيث سيشهد استمرار مسيرة الثورة التي تفجَّرت بقيادته في الخامس عشر من خرداد عام ١٣٤٢ للهجرة الشمسية ، وليشهد استمرارها حتى ظهور منقذ العالمين ، داعياً أمته المجيدة الكبرى إلى الأخوة والوحدة والالتفاف حول أهداف ومصالح الثورة

الإسلامية ، ورفض الاستسلام أمام ضغوط الأعداء ومؤامراتهم ، فلا يطلب من أمته أجراً سوى حفظ الإسلام والثورة الإسلامية .

وختاماً نعزي إمام العصر (عجل الله فرجه الشريف) والمسلمين والمستضعفين كافةً بهذا المصاب الجلل . . سائلين الباري تعالى أن ينفع المستضعفين ، الذين سيورثهم الأرض ومن عليها ، لينفعهم بأفكار الإمام الخميني الوضاعة ، حتى تلعو رايات العدل الإسلامي خفاقةً مظلةً أرجاء المعمورة ، فلا يجد عندها المتصيّدون في الظلمات مأوى لهم .

السيد أحمد الموسوي الخميني (١)



بيان رؤساء السلطات الثلاث (التنفيذية : آية الله العظمى الإمام السيد الخامنئي ، والقضائية : آية الله العظمى السيد الأردبيلي ، التشريعية : آية الله الشيخ الرفسنجاني :

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(أما الدنيا فبعدهك مظلمة ، وأما الآخرة فبنور وجهك مشرقة) . . لقد غرّبت بالأمس الشمس الساطعة التي كانت تفيض بالدفء على قلوب المسلمين الموحدين . بالأمس أفلّ أشدُّ الكواكب تألقاً في العصر الإسلامي الحاضر بعد المهديّ الموعود (عجل الله تعالى فرجه الشريف) . . بالأمس أفلّ النجم الذي كانت تنبضُ بحبّه كلُّ أفئدة المسلمين ، وخفّت نوره الوضاء الذي نورّ عقول مئات الملايين من المسلمين في العالم ، وحرك قلوبهم الوالهة . . لقد ارتفعت

(١) راديو الجمهورية الإسلامية الإيرانية .

روحه إلى الملكوت الأعلى ، تلك الروح التي كانت مصدر دفء وقوة للأمة الإسلامية ، وعشاق هذا الدين المبين ، والتي كان ينهل منها المسلمون الحب والإخلاص والعرفان والجهاد . . بالأمس رحل عنا ألمع الوجوه ألقاً بالنور الإلهي بعد الأنبياء عليهم السلام ، وبه مضى فارس الجهاد ، ومظهر العرفان والإخلاص والزهد والتقوى ، وفارقنا من كان أصلب عزمًا وإصراراً في وجه الظلم والشرك ، وتناعت عن عالمنا القدوة الفريدة التي ترعرعت في أحضان الإسلام . . لقد توقف بالأمس القلب النابض للأمة الإسلامية . . كيف لنا أن نرثي هذا المصاب الجلل ، وهذه الفاجعة الكبرى؟! وأنتى للقلم أن يعبر عن هذه المحنة الأليمة ، التي فجعت كل المسلمين والمستضعفين والمظلومين؟! وأنتى لنا أن نصدق أن إمامنا قد غاب عنا ، ولم يعد بيننا؟! كيف لنا أن نطبق هذه الخسارة العظيمة التي أحزنت قلوبنا؟! لقد كان الإمام حبيباً للقلوب ، وكعبة للأفكار ، وأملاً للجميع ، وهاهو اليوم قد رحل عنا .

إننا اليوم نتفجرُ ألمًا وحزنًا ، ونقيم المآتم حداداً على فقد حبيبنا ، وأن لنا أن نحزن اليوم ؟ فبدون ذلك لن تهدأ قلوبنا ، ولكن عزاءنا وعزاءكم الوحيد ، وما يرضي الله سبحانه وتعالى ، ويطمئن روح إمامنا العزيز هو أن نواصل مسيرة الإمام ، ونحقق أهدافه السامية ، التي وقف كل حياته لتحقيقها ، والتي كان ينبغي من خلالها أن تسود القيم الإسلامية . . إننا لن ننسى أن الإمام أكد مراراً أن الإسلام والعقيدة الإسلامية فوق كل شيء ، وأن علينا أن نضحّي بأرواحنا ونفوسنا من أجل الإسلام . وكان أبرز مصداقٍ للآية الكريمة ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ ، ولئن كان الإمام قد غاب عنا فإن نهجه سيبقى ينير الدرب أمام مستقبلنا .

ألم يلتحق الرسول ﷺ من قبل بالرفيق الأعلى ؟ ألم يقل الله سبحانه وتعالى : ﴿أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ .

لقد ورث إمامنا العزيز نهج نبي الإسلام العظيم ، وكان يعتبر نفسه فداً لهذا الدين الإلهي ، وبالتأكيد فإن رحيله عنا والتحاقه بالملكوت الأعلى لن يؤدي إلى إنهاء مسيرته . . وهكذا كان الحال بالنسبة لجدّه الرسول الأعظم ﷺ ، الذي لم تنته مسيرته برحيله ؛ لأنّ هذه المسيرة شقّت طريقها بين قلوب المسلمين ، وسيبقى إمامنا خالداً على هذا الدرب ، وإننا إذ نعزي كل أبناء الأمة الإسلامية ، كل أبناء الإمام ، وكل المؤمنين الأوفياء للإمام ، وبهذه المصيبة الكبرى نعقد العزم معاً على مواصلة نهجه ، وهذه هي سلوانا جميعاً ، فالكل يعلم أنّ اطمئنان روح الإمام منوطٌ باتباع نهجه . . فلتعاهد جميعاً ولنبايع إمامنا في هذا الوداع الأخير بأننا لن نتهاون لحظةً واحدةً عن السير في طريقه الإلهي المستبين ، وإننا على يقين بأنّ النجاح في السير على هذا الطريق إنما يستلزم الصبر والحلم وضبط النفس ، وأنّ تحقيق هذا الهدف الذي كان إمامنا العزيز يرفع لواءه يستوجب العزم والصبر والحلم إزاء هذه المصيبة وتحملها ؛ لأنّ الموت حقٌّ ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ ، وتلك سنة الله التي جرت حتى على أفضل خلق الله محمد ﷺ ، وإنّ ما يبقى هو مبادئ وقيم الدين الإسلامي الحنيف التي أحيها الإمام العزيز ، ونادى بها في عصرنا الحاضر . . وإذا كان الرسول الأكرم ﷺ والأئمة الأطهار (عليهم أفضل الصلاة والسلام) قد خلدوا في التاريخ ببقاء الإسلام واستمرار نهجهم ، فإنّ إمامنا العزيز سيخلد أيضاً بفضل بقاء نهجه ، واستمرار النهضة الإسلاميّة العالميّة . . فلنخلد إمامنا بتخليد نهجه .

إن إيران الإسلاميّة مدينة اليوم بشرفها وبفخرها وقوتها ورفعته لرعاية الإمام ، والحركة التي رسمها وقادها ، وإننا ماضون على هذا النهج .

إن إحياء نهج الإمام يتطلب - كما كان دائماً - حضور الجميع في الساحة بكل يقظة ووعي وحذر ، وكما تعرفون فإنّ إيران الإسلاميّة يحوطها أعداء



كثيرون ، ويتربصون بها ؛ فإنهم لم ولن يكفؤا عن حياكة المؤامرات ضدها . . إن الأعداء في الداخل والخارج لازالوا يتحینون الفرص لضرب هذه الثورة الكبرى ، هذه الملحمة النادرة في التاريخ المعاصر بسبب ما تلقوا من ضربات مهلكة من هذه الثورة ، وإنهم يسعون للانتقام من هذه الثورة الإلهية ما استطاعوا .

ولقد خاب سعي الأعداء في حياة الإمام بفضل إرشاداته الحكيمة ، وبفضل قيادته الحازمة ، وتلاحم أبناء الشعب .

إن علينا الآن أن نتحلّى باليقظة والحذر ، وأن نرُصّ صفوفنا في قوة وانسجامٍ كما كنا في السابق ، وأن نحذر مؤامرات الأعداء ، فلقد كان من وصايا الإمام العزيز الأساسيّة أن نحرس حصون الثورة الإسلامية بكل يقظة ، وأن نسهر على حمايتها ، ومنع الأعداء من النيل منها ، وأن تُرابط القوات المسلّحة صفّاً واحداً مع الشعب لمواجهة أيّة دسيسةٍ أو مؤامرةٍ يحوكمها الأعداء في الداخل والخارج .

يا أبناء الأمة الإسلامية ، إننا سنمضي قُدماً بعون من الله تعالى ومنكم على طريق الثورة بكل عزم وقوة ، مستنيرين بفكر الإمام الخميني ، وإننا على يقين بأن الله سينصرنا ويؤمن على قلوبنا المفعمّة بحب الإمام<sup>(١)</sup> .

## القائد الخلف

آية الله العظمى الإمام السيد علي الحسيني الخامنئي (دام ظلّه)

ولأنّ الكتاب تركّز على تناول شخصية الإمام الخميني قدسُ وفكره وثورته ، فقد آلينا أن نوجز موضوع القيادة الخلف في ثلاث نقاط :

الأولى : القاعدة الشرعية .

الثانية : القاعدة الدستورية .

الثالثة : القاعدة الشعبية .

القاعدة الشرعية : تعتبر القيادة من الوظائف التي يندرج تحتها القضاء ، وبالتالي يشترط في القائد الاجتهاد المطلق ، الذي يمكنه من الإفتاء في جميع أبواب الفقه .

وهنا .. هل المصاديق الشرعية منطبقة على القائد الجديد ؟

سنكتفي بنقل شهادتين فقط لقوة مصدرهما :

الأولى : أ - ما سيأتي في خطبة سماحة آية الله الشيخ الرفسنجاني لأول جمعة بعد رحيل الإمام ملخصها : «في اجتماع مع الإمام الخميني (رض) قبل شهرين من رحيله ، ضمّ رؤساء السلطات الثلاث السابقين (آية الله الخامنئي وآية الله الأردبيلي وحجة الإسلام الرفسنجاني) ورئيس الوزراء السابق (السيد مير حسين الموسوي) ، وحجة الإسلام السيد أحمد نجل الإمام . . جرى الحديث حول الفراغ القيادي الذي سيحدث بعد الإمام ، وما ينصُّ عليه

الدستور بهذا الشأن ، فقال الإمام :

«لن يحدث فراغٌ قياديٌّ ؛ إنَّ لديكم من يسدُّه» .

ف قيل له : ومن هو ؟

فأشار الإمام إلى آية الله الخامنئي قائلاً :

«هذا . . السيد الخامنئي»<sup>(١)</sup> .

الثانية : القبول المطلق بما تمنحُص عنه قرار مجلس الخبراء في القيادة من قِبَل سماحة آية الله العظمى الشيخ الهاشمي الأملي ، حيث قال في بيان البيعة :

«سماحة آية الله الخامنئي المحترم (دامت بركاته)

. . . والآن والأمة الإسلامية في حالة عزاءٍ بهذا فقدان ، فإنَّ الانتخاب اللائق لسماحتكم من قِبَل مجلس الخبراء سيكون أساساً للأمل والتسكين ، لأنكم شخصٌ مفكرٌ وعارفٌ بالإسلام وصاحب دراية» .

«إنَّ قيادة سماحتكم هي من قِبَل حضرة آية الله العظمى إمام المسلمين السيد الخميني ، ولو من خلال مجلس الخبراء ؛ لأنَّ ما بالعرض ينتهي إلى ما بالذات ، وكلُّ إلى ذاك الجمال يشير»<sup>(٢)</sup> .

ب - في فقه التعارض ، لا يوجد من يُعتدُّ برأيه قد نفى الاجتهاد عنه آنذاك أو الآن .

الثانية : القاعدة الدستورية : وتعتمد هذه القاعدة على سالفتها ، فإذا أيدت القاعدة الشرعية ذلك المرشح لموقع القيادة فإن الملاك الأول للقيادة قد أُحرز ،

(١) لماذا الخامنئي ، ص ١٦ .

(٢) لماذا الخامنئي ، ص ٩٢ .

ولذلك فإن شرط القيادة الاجتهاد ، مضافاً إلى ذلك التقوى ، والكفاءة السياسية والاجتماعية ، والشجاعة والقدرة والإدارة الكافية للقيادة . يقول الشيخ الهاشمي الرفسنجاني في هذا الصدد : «... خاصة وأنه مديرٌ خبيرٌ بكلِّ تفصيلات الجمهورية الإسلامية وسياستها» .

أما فيما يتعلق بزهده وتقواه ، فهذا ما سلّم به الجميع ، وأقرب شاهدٍ إلى الأذهان حديثه عن المرجعية بعد بيان جامعة المدرسين ورابطة علماء طهران حول المرجعية إثر رحيل شيخ الفقهاء آية الله العظمى الشيخ الآراكي قدس .

الثالثة : القاعدة الشعبية : وتتكون من ثلاث شرائح :

**الشريحة الأولى :** الحوزات العلمية ، بمراجعتها ومدرسيها وطلابها ، وقد مثل مواقف تلك الشريحة برقيات التأييد والمبايعة التي أرسلها الأساتذة والطلاب لآية الله العظمى السيد الخامني ، إذ قابلت الأغلبية الساحقة منها ذلك الانتخاب بارتياحٍ واطمئنانٍ بالغين ، وقد سارت مجموعاتٍ غفيرة من طلاب الحوزة على الأقدام لتقديم البيعة إلى طهران تأكيداً منهم على الولاء المطلق للقيادة .

**الشريحة الثانية :** المسؤولون في أجهزة الدولة ، وكلهم أعلنوا تأييدهم وولاءهم .

**الشريحة الثالثة :** عموم الشعب الإيراني ، وقد تمثل ذلك في «الرسائل والبرقيات الجماعية ، والمسيرات المليونية في طهران ومختلف المدن الإيرانية ، والتهنئات في صلوات الجمعة والجماعات ، وخاصة في الأيام من (٥) إلى (٩) حزيران (١٩٨٩م) ، وكذلك المسيرات الراجلة التي انطلقت من الكثير من المدن الإيرانية نحو طهران مشياً على الأقدام ، لتقديم البيعة لآية الله الخامني ، والتي استمرت من (١٠) حزيران ، وحتى (١٣) تموز»<sup>(١)</sup> .

(١) لماذا الخامني ، ص ٥٨ - ٥٩ .

وما هذا الدعم والتأييد إلا مرآة لدعم الله وتأييده وأطافه القدسية إن شاء الله تعالى في تعيين السيد القائد الخامثي (دام ظله العالي) قائداً أعلى للثورة الإسلامية في إيران ، وبرعاية ودعاء إمام العصر ورحمة الله في الأرض (أرواحنا لمقدمه الغداء) .

وهكذا انتهت إلى هذا الرجل العظيم حقبة من أشدّ الحقب سخونةً في تاريخ الأمة والإسلام ، ولطالما انتظر المتربصون في الظلمات تلك اللحظات بفارغ الصبر ، ولكنَّ ﴿اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ، وتجسّد لطف الله ودعاء إمام الزمان في حرمان بلوغ أولئك المتربصين مرامهم بعد ثمانية أعوامٍ من الرحيل المفجع لسماحة آية الله العظمى الإمام العظيم الخميني الكبير (رضوان الله عليه) .

### خلفيات الانتخاب:

في الليلة التي عرجت روحُ الإمام فيها إلى بارئها ، استدعي أعضاء مجلس الخبراء من المدن الإيرانية كافةً . وفي صباح اليوم التالي ، الأحد ٤/حزيران/ ١٩٨٩م عُقد اجتماعٌ كبير ضمَّ أبرز قادة البلاد ، ومسؤوليها ، تلا فيها آية الله الخامثي وصيّة الإمام . . وفي عصر اليوم نفسه عُقد اجتماعٌ آخر اقتصر على أعضاء مجلس الخبراء ، وجرى فيه النقاش حول انتخاب القائد والقيادة الجديدة ، ولم يكن هناك اتفاق سابق معيّن بشأن شكلها ، أو مصاديقها ؛ لأنَّ الأحاديث الجانبية التي سبقت انعقاد الاجتماع كانت تدور حول انتخاب مجلس قيادي ، يتألف من آية الله الخامثي ، وآية الله المشكيني ، وآية الله الأردبيلي ، واقترح بعضهم ، إضافة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الرفسنجاني ، وحجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد نجل الإمام .

وطبيعة تلك الأحاديث والنقاشات التي جرت داخل الاجتماع تشير إلى أنَّ البتَّ في قضية القيادة سيطول عدة أيام ، ولكن تم ابتداءً حصر النقاش في قضية

واحدة ، تتعلق بشكل القيادة ، هل تكون جماعية (٣ - ٥) أشخاص ، وإما فردية بالنظر للتيارين اللذين يتبنى كلٌّ منها أحد الشكلين ، وتحدث خلال ذلك اثنا عشر خبيراً ، نصفهم مع القيادة الجماعية ، والنصف الآخر على خلافها .

المؤيدون للقيادة الفردية أكدوا ضرورة المركزية في قيادة النظام والوحدة في القرار والحزم في إدارة الدولة ، واستدلوا بسلبات عدم المركزية في عمل السلطتين التنفيذية والقضائية ، والتي اضطرت الإمام الراحل لتشكيل مجلس إعادة النظر في الدستور ، كما استدلوا بميل الإمام للقيادة الفردية ، إضافة إلى أن أعضاء مجلس القيادة يجب أن يحمل كلٌّ منهم مواصفات القائد وانتخاب مثل هؤلاء في وقت قصير أمر ليس باليسير ، أما المؤيدون للقيادة الجماعية فاستدلوا بنجاح عمل مجلس الصيانة .

وبعد انتهاء المناقشات ، تمّ التصويت على الموضوع فأدلى (٤٤) عضواً من مجموع (٧٤) بأرائهم لصالح القيادة الفردية ، وهكذا تحولّ النقاش بعد ذلك إلى إيجاد المصداق الحقيقي للقيادة الفرديّة ، فكانت الأنظار تتجه إلى آية الله الخامنئي ، الذي كان يرفض تحمّل هذه المسؤولية العظمى بمفرده ؛ لأنه يميل إلى القيادة الجماعية ، وقد صوّت لصالحها ، إلا إنّ المصلحة العامة والموقف الشرعيّ ، والجو العام الحاكم على البلاد والشهادات الإيجابية التي سبق للإمام الراحل أن منحها إياه ، وإصرار الخبراء ، كل هذه العوامل جعلته يرضخ للترشيح ، ويضطلع بالمسؤولية الكبرى<sup>(١)</sup> .

### قرار مجلس الخبراء

إنّ الذي ساعد مجلس الخبراء على حزم أمرهم وتجاوز المزيد من

(١) لماذا الخامنئي ، ص ١٣-١٥ .

النقاش بشأن انتخاب آية الله الخامنئي لولاية الأمر هي العوامل الثلاثة التي تتلخص في تأييد الإمام له ولقيادته ، وتوفر الشروط الفقهية والدستورية فيه ، ومميزاته الشخصية الفذة ، ولذلك أصدر المجلس البيان التالي بعد قرار الأغلبية الساحقة :

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بعد تقديم مجلس الخبراء للتعازي برحيل إمام الأمة وقائد الجمهورية الإسلامية في إيران ومؤسسها ، ومع الإدراك العميق لمسؤوليته التاريخية وبالنظر للموقع الرفيع والحساس لمنصب القيادة في نظام الجمهورية الإسلامية في إيران ، ومع الاهتمام البالغ الذي أولاه سماحة إمام الأمة ومؤسس الجمهورية الإسلامية في إيران (رضوان الله عليه) في نداءاته وبياناته المتكررة ، وخاصةً أوامره وإرشاداته بشأن القيادة ، وبالنظر للأسس المتعلقة بالدستور ، ومع الإحساس الكامل بمؤامرات الخناسين وأعداء الإسلام في الداخل والخارج تجاه مستقبل النظام الإسلامي المقدس ، ومن أجل الاستعداد اللازم لمواجهة أية حادثة ، وبالنظر للظروف الداخلية والخارجية ، وباستلهام المضامين الرئانية الرفيعة لوصية سماحة إمام الأمة الإلهية السياسية المهمة جداً ، فإنه [أي مجلس الخبراء] انتخب في اجتماعه الطارئ ، المنعقد بتاريخ ١٤/٧٣٣هـ. ش سماحة آية الله السيد علي الخامنئي لقيادة نظام الجمهورية الإسلامية في إيران ، بأكثرية أربعة أخماس الأعضاء الحاضرين ، (٦٠) صوتاً مؤيداً من (٧٤) عضواً حاضراً<sup>(١)</sup> .

هيئة رئاسة مجلس الخبراء

(١) لماذا الخامنئي ، ص ٧٧ - ٧٨ .

## أول خطبة جمعة بعد رحيل الإمام

آية الله الشيخ الهاشمي الرفسنجاني ١٤٠٩/١١/٥ هـ :

وقد تحدّث فيها عن دور حجة الإسلام والمسلمين المرحوم السيد أحمد الخميني قدس في متابعة أحوال الإمام الصحية والقيام بخدمته على أكمل وجه .

ثم استعرض حيثيات الاختيار الموفق لموقع القيادة في آية الله العظمى الإمام السيد الخامنئي (دام ظله) ، وقد ابتدأ حديثه أولاً عن السيد أحمد ، فقال :

«كان يقوم بدور مستشاره ، ومساعدته الخاص على اتخاذ القرارات ، وهو ما شاهدناه عن قرب في بيت الإمام (رضوان الله عليه) ، ويضيف سماحته قائلاً : إنه عندما كان السيد أحمد يسافر إلى خارج طهران ليوم واحد فإننا لا نعرف ماذا سيحدث ؟ وقلوبنا تضطرب ، وإنه إذا لم نذكر دور السيد أحمد فإننا سنظلم التاريخ .

وتحدّث سماحته بشيءٍ من التفصيل عن اهتمام السيد أحمد بالإمام ، وبصحة الإمام ، الذي كان لا يوافق على أن يشارك السيد أحمد في الحكومة ؛ لأنّ مكانه كان في بيت الإمام وقرب الإمام .

وعن انتخاب آية الله العظمى الإمام السيد الخامنئي ، وظروف ذلك ورغبة الإمام (رض) ، حيث اجتمع مجلس الخبراء وأقرّوا وتوصلوا إلى تلك النتيجة .

وقال : إنّ النظام بحاجةٍ إلى القائد ، وإنّ مشروعية النظام الإسلامي تنبع من الفقيه العادل الكفوء الذي بايعه الإمام ، وفي الدستور ، فإنّ القائد عبّر عنه بالوليّ الفقيه ، وإنّ وفاة الإمام جاءت في ظروف استقالة خليفة الإمام ، وكانت قد شغلنا



هذه القضايا قبل وفاة الإمام ، رغم أنه تَمَّتْ قد هيا الأجواء والأرضية المناسبة ومقدمات انتخاب القائد الجديد قبل وفاته ، من قبيل توجيه مسألة القيادة في مسير واتجاه معين ، وأصدر أمر إصلاح وترميم الدستور فيما يتعلق بهذه المناسبة ، وغير ذلك من المقدمات . . وأذكرُ - أيضاً - في هذا المجال أننا كنا في أيام معينة نناقش الإمام حول مسألة القيادة في أجواء مثيرة بعد استقالة خليفته .

أذكرُ أنه قال : إنني لا أرى أنني باقٍ معكم فرصة طويلة ، وأنه يجب أن أعمل عملاً أكون فيه عند الله غير مسؤول ، ويعني مسألة القيادة .

ومع الأمل الذي كان الأطباء يعطونه عن صحة الإمام ، إلا أن الحاج السيد أحمد أخبرنا بأنه يعرف صحة الإمام ، ويدرك أهمية أن يسرع مجلس الخبراء في بحث قضية القيادة وحلها في حياة الإمام ، الذي كان يرغب في ذلك .

وقمنا بعقد اجتماع للخبراء في مكتب رئاسة الجمهورية ، وقررنا أن ننهي البحث في مسألة القيادة ، تاركين بقية أعمالنا ، وفي نفس اليوم تمَّ استدعاؤنا بواسطة التليفون إلى بيت الإمام ، حيث كان الإمام في ساعاته الأخيرة ، ولذلك فقد انزوينا عن سرير الإمام - رغم صعوبة ذلك علينا - لنفكر في مسألة القيادة وخلافة الإمام ، وما يترتب على وفاة الإمام من أمورٍ يجب تهيتها . . وتمَّ استدعاء أعضاء مجلس الخبراء لعقد اجتماع في اليوم التالي ، وفجأةً سمعنا صراخاً من عند غرفة الإمام ، ولكننا قررنا أن نؤخر الإعلان عن وفاة الإمام من الساعة العاشرة والعشرين دقيقة مساءً حتى الصباح ، لكي نُعدَّ العدة على الرغم من أن ذلك كان أصعب علينا ، وهي ليلة كانت بالنسبة لنا وبالنسبة لي أصعب ليلة في حياتي ، فبدلاً من البكاء والنحيب كنا نسكت لكي لا يطلع الناس في هذا الوقت الليلي ، وفي هذا الظرف الحساس على خبر وفاة الإمام تَمَّتْ .

وبكى الشيخ الرفسنجاني وهو يتذكر تفصيلات تلك الليلة الموحشة القاسية ، وأكد (وهو يتحدثُ عن مسألة انتخاب آية الله الخامثي) : أنَّ الإمداد الغيبي من الله كان واضحاً ، خاصةً وأنَّ انتخاب سماحة الولي الفقيه كان مفاجئاً بعد أن بُحِثت قضية شورى القيادة .

وبعد مداوراتٍ طويلةٍ تمَّ الاتفاق على أن يُتَّخَبَ شخصٌ واحدٌ لقيادة الأمة ، متكئين بذلك على إرشادات الإمام وتوجيهاته ، وكان الإمام غيرٌ راغبٍ أن يعيّن خليفته معطياً الحق في ذلك لمجلس الخبراء حسب الدستور ، وكان الإمام قد بعث برسالةٍ جوابيةٍ إلى آية الله المشكيني (رئيس مجلس الخبراء ورئيس مجلس إعادة النظر في الدستور) أوضح فيها خلاصة رأيه الفقهي في قضية الخليفة والقائد الفقيه ، حيث أكدَّ الإمام أنه لا يتدخلُ في صلاحيات أعضاء مجلس إعادة النظر في الدستور ، إلا إنَّه أوضح أنَّه يجب انتخاب فردٍ واحدٍ ، يدافع عن حيثية الإسلام والمسلمين ، وأنه ليس شرطاً أن يكون هذا الفقيه مرجعاً ، كما كان رأي الإمام من قبل ، وأنَّ المجتهد العادل الذي يؤيده الخبراء يكفي لولاية الأمة ، وقال الإمام في رسالته المذكورة : إنَّ حكم هذا المجتهد الفقيه الولي يكون نافذاً على جميع المجتهدين والمراجع والناس ، وينصُّ حكمه الذي قال فيه إنَّه في هذه الحالة - أي انتخاب الخبراء للمجتهد العادل - يعني انتخاب الناس ومبايعتهم له ، فهو ولي الأمة المنتخب ، وحكمه نافذاً على الفقهاء والناس .

وبعد أن قرأ سماحته رسالة الإمام إلى آية الله المشكيني أكدَّ أنَّ الإمام ذكر في رسالته أنه (رضوان الله عليه) كان يعلمُ بأنَّ شرط المرجعية لم يكن من رأيه ، وأنَّ ذلك لا يمكنه أن يتحقق كما حصل بالفعل ، وأكد سماحته (أي الإمام) أيضاً إطاعة هذا الولي الفقيه ، ودعا العلماء والفقهاء إلى بحث هذا الموضوع ، ويحكم الإسلام فإنَّ المرجعية يجب أن تكون تابعة لحكم الولي الفقيه العادل ، ومن هذا

البناء تمّ حذف قيد المرجعية ، وذلك يتوافق مع رأي الإسلام كما هو معروف ،  
ويقي المصداق - أي من هو المجتهد العادل الذي يصبح الولي الفقيه ، علماً بأن  
جميع أعضاء مجلس الخبراء هم من المجتهدين - لأنّ الاجتهاد شرطاً في عضوية  
مجلس الخبراء ، وبذلك فإنّ للمديرية شرطان : الاجتهاد والعدالة ، وهذه صفات  
متمثلة في آية الله السيد علي الخامنئي ، حيث كنا نعرفه منذ أكثر من ثلاثين عاماً ،  
ونعرف اجتهاده وفضله ، وجهاده السياسي ، ولا توجد عنه ذرة من الشك في  
صحة انتخابنا سماحته ، في مقام القيادة والولاية ، إضافةً إلى أنّ الإمام أخبرنا  
بنفسه ، وبحضور الإخوة آية الله الأذربيلي (رئيس مجلس القضاء سابقاً) والولي  
الفقيه قائد الجمهورية الإسلامية (رئيس الجمهورية سابقاً) ، والأخ مير حسين  
الموسوي (رئيس الوزراء سابقاً) ، والأخ الحاج أحمد (ابن الإمام) : أخبرنا بأن  
السيد الخامنئي موجود ، وهو لائق بالقيادة ، عندما كنا نقول له بأننا وصلنا إلى  
الطريق المسدود في مسألة الخليفة قبل عدة أشهر .

وأكد سماحة الشيخ الرفسنجاني أنّ الإمام قال له في لقاءٍ خاصٍ إنّ السيد  
الخامنئي يسدّ فراغ القيادة ، ألا تعلمون بذلك ، وأيضاً فإنّ الإمام قدّس قد استثنى  
مؤخراً السيد الخامنئي في مخاطبته الأخيرة بوصفه الأخ من دون الآخرين ، وهذا  
مؤشراً على أنّ السيد علي الخامنئي هو مصداق الولي الفقيه ، خاصةً وأنّه مديرٌ خيرٌ  
بكلّ تفصيلات الجمهورية الإسلامية وسياستها ، وكونه من أبرز الفقهاء الثوريين ،  
وعاصر الثورة في بدايتها متحملاً أول سوطٍ من سياط النظام الشاهنشاهي وآخر  
سياطه ، وأنّ الشباب الثوريين تتلمذوا على يديه ، فهو المجتهد العادل ، وحكمه  
نافذٌ فينا جميعاً<sup>(١)</sup> .

(١) راديو الجمهورية الإسلامية ، الجمعة الأولى بعد رحيل الإمام الخميني قدّس .

## خطاب القائد الخلف

آية الله العظمى الإمام السيد علي الحسيني الخامنئي (دام ظله الشريف) بعد  
انتخابه قائداً :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها الشعب الإيراني الشريف والعزيز<sup>(١)</sup> .

أيها الأمة المرفوعة الرأس والبطلة .

أيها الناس الواعون والشجعان .

أيها الإخوان المواطنون المسلمون .

إنَّ الخبراء المنتخبين من قبل الشعب في اجتماعهم الطارئ الذي عقده مباشرةً بعد الإعلان عن المصاب الأليم بفقدان قائد الثورة العظيم ، ومؤسس الجمهورية الإسلامية في إيران سماحة الإمام الخميني (قدس الله نفسه الزكية) انتخبوني لقيادة نظام الجمهورية الإسلامية في إيران .

إنَّ هذه المسؤولية العظمى والأمانة الثمينة ، والامتحان الكبير لا يمكنني حملها وإيصالها إلى هدفها ، والخروج منها مرفوع الرأس ، إلا بالتأييد الإلهي ، ورعاية ولي العصر ودعائه (روحي فداه) ، ودعمكم وحمايتكم أنتم أصحاب الثورة والبلد الحقيقيين .

(١) لماذا الخامنئي ، ص ٧٩ - ٨٨ .

والآن ، وبعد رحيل قائدنا الفقيه العزيز سماحة الإمام الخميني قدس ، فإنّ لدينا ثروةً ثمينة من النماذج القياديّة الفريدة لذلك الرجل التاريخي العظيم ، وتلك الشخصية الاستثنائية للعالم المعاصر . . لقد كان الإمام الخميني شخصيّة كبرى إلى حدّ يصعب فيه تصوّر شخص بهذه الأبعاد والخصوصيات بين زعماء العالم والتاريخ وقادتهما ، باستثناء الأنبياء والمعصومين عليهم السلام ، وكان ذلك العظيم يمتلك قوة الإيمان مع العمل الصالح ، والإرادة الفولاذية مع الهمة العالية ، والشجاعة الأخلاقية مع الحزم والحكمة ، وصراحة الكلام والبيان مع الصدق والتمانة ، والصفاء المعنوي والروحي مع الذكاء والكياسة ، والتقوى والورع مع الإقدام والحزم ، والهيبة والصلابة القيادية مع الرقة والعطف .

واختصاراً كان يمتلك خصلاً نفيسةً ونادرة ، بحيث يندر أن تجتمع خلال قرون وقرون في إنسانٍ عظيم . . حقاً كانت شخصية ذلك الحبيب فريدة . . شخصية لا يمكن الحصول عليها ، ومقامه الإنساني الرفيع مقامٌ بعيد التصور وشبيه بالأساطير . لقد كان القائد والأب والمعلم والمراد والمحجوب للشعب الإيراني ، والأمل المشرق لجميع مستضعفي العالم ، وخاصة المسلمين . . كان عبداً صالحاً خاضعاً لله ، وداعياً باكياً في منتصف الليل ، وروحاً كبرى لعصرنا ، ونموذجاً كاملاً للمسلم ، ومثالاً واضحاً للقائد الإسلامي .

لقد أعزّ [الإمام] الإسلام ورفع راية القرآن في العالم ، وأنقذ الشعب الإيراني من أسر الأجنبي ، ومنحهم الكبرياء والشخصية والثقة بالنفس ، ونادى بالاستقلال والتحرر في جميع أنحاء العالم ، وأيقظ الأمل في قلوب الشعوب المظلومة .

لقد أبدع نظاماً يقف على أساس الدين والمعنوية والقيم الأخلاقية في عصر سعت جميع القوى السياسية العظمى لعزل الدين والمعنوية والقيم الأخلاقية ، وبنى دولةً وسياسةً إسلاميّةً ، وأدار باقتدارٍ الجمهوريّة الإسلاميّة ، ودافع عنها ،

وقادها خلال عشر سنوات وسط طوفانٍ مرعبٍ وحوادثٍ مصيريّةٍ ، وأوصلها إلى نقطةٍ أمينة .

إنّ عشر سنوات هي ذكرى لا تُنسى ، وذخيرة ثمينة لشعبنا ومسؤولينا .

إنّ قيادة نظام الجمهورية الإسلامية الآن تحظى بهذه الذخيرة القيّمة واللامتهدية ، وكذلك بالصورة الرفيعة والنادرة لشخصية قائدنا العظيم .

فلا أنا - طالب العلم الصغير بنواقصي وقصوري الكثير - ولا أيُّ شخصٍ آخر في الجمهورية الإسلامية بقادرٍ على الوصول إلى قمّة تلك الشخصية الممتازة والاستثنائية ، ومقارنة نفسه مع أبي الثورة الإسلامية وبانيها ، ومؤسس الجمهورية الإسلامية وموجهها .

لقد كان الوحيد الذي لا ثاني له ، والمسافة التي تفصل بينه وبين أمثالي طويلة ولا يمكن طيها ، ولكن الآن سنحت لأمثالي الفرصة الكبيرة والاستثنائية لأنتفع من تلك الذخيرة الثمينة جداً ، وكوديعة إلهية وإلهامٍ معنوي .

أنا الذي أعتبر نفسي تلميذاً متواضعاً وابتناً مطيعاً ومريداً هائماً بروح الله خالفني التوفيق طيلة مدة العشر سنوات وبضعة أشهر ، أي منذ عودة القائد العظيم إلى إيران وحتى عروج روحه الملكوتية ، لأنّ أرتوي من ذلك النبع الفياض ، وأحس لحظةً بلحظةً بالسريان المبارك لذلك الهدى الإلهي في كلِّ كياني .

كان كلامه وإشاراته . . فكره ونصحه . . أوامره وتوصياته . . وأخيراً عمله وسلوكه . . كانت كلها عطايا مختلفة تنبع من تلك القمة الصافية بسخاءٍ ينهل منها باستمرار ذلك النفر من أصحابه القريبين منه .

لم تكن دروسه هي تلك التي تعلّمناها منه في الحوزة العلمية ، ولا التي ارتويها منها في مدة الستة عشر عاماً من الجهاد فحسب ، فأهم تعاليمه

وأبقاها هي التي شربناها بالروح والقلب ، وسجلناها في لوح الضمير كآياتٍ محكماتٍ خلال هذه السنوات العشر ، وبحول الله وقوته فإنّ أية حادثةٍ وأية غايةٍ لن تتمكّن من فصلها عنا ؛ لأنها جزء من وجودنا ، وأنا في مسؤوليتي الخطيرة والجديدة ألتزم وأتعهدُ بتطبيق تلك التعاليم الإلهية بحذافيرها .

والآن وحين أُكَلِّف بهذا التكليف ، ويحمل هذه الأمانة الإلهية الثقيلة من قبل الخبراء المنتخبين من قبل الأمة ، فإنني أرى لزاماً في هذه الأيام الحساسة التي لا تنسى أن ألفت انتباه جميع أبناء الأمة العزيزة ومسؤولي البلد إلى جملة أمور :

١ - إنّ أعداء الثورة المتربصين انتظروا هذه الأيام مدةً طويلةً والآن كالخفافيش التي تنتظر غروب الشمس بصدد تأمرهم الخبيث والسيء ، ومع طوفان المشاعر المقدّسة للشعب ، والتي صهرت جوّ البلد كالبركان لن تفسح للأشرار ومشعلي الفتنة في الداخل ، وكذلك الأعداء الحاقدين في الخارج أي مجالٍ للشّر ، وإنّ أيّ تحركٍ ضدّ نظام الجمهورية الإسلامية المقدس - الذي هو أثنى إرثٍ لقائدنا العظيم الفقيد - سيُحرَق بالنار ، وحفظ الاستعداد والحذر ، والحضور في الساحة والتحسُّس في مقابل التحركات المشبوهة هو اليوم من الواجبات العامة .

منذ انتصار الثورة الإسلامية وحتى الآن ، ولم يرسُخ الاستكبار العالمي في ذهنه فكرة إضعاف الجمهورية الإسلامية وحسب ، بل أراد محوها ، كما أنه لم يمتنع عن أيّ عملٍ ممكنٍ في هذا السبيل ، وما دام الشعب ومسؤولو الجمهورية الإسلامية يلتزمون استقلالهم وعزّتهم الوطنية وأصولهم الإسلامية ، فإنّ الاستكبار سيبقى يحتفظ لنفسه بذلك الهدف .

ولكن بفضل الله ومدده ، وطبقاً لقوانين الخلق والتاريخ فإنه عَجَزَ عن أي عملٍ في مواجهة عزم الشعب وإرادته واستعداده ، ولم يوصله فكره وكيد

إلى أي نتيجةٍ ، وإرادة الله ستكون أيضاً هكذا إن شاء الله .

ولذا أطلب من جميع أبناء الشعب ومختلف الطبقات أن يعتبروا أن حفظ الاستعداد والحذر والانتباه لمؤامرات الأعداء هو واجبهما الثوري ، وليكشفوا نيات الأعداء السيئة المتمثلة بمواقفهم السياسية والإعلامية العالمية ، وبثُّ الشائعات وفرض الحصار الاقتصادي أيضاً ، وليعلموا أنه في حالة الاستعداد والحذر فإنَّ جميع مؤامرات الأعداء ستُحبط ، وأنَّ النصر سيكون للشعب الإيراني .

٢ - وكما كرر قائدنا العظيم الحبيب مراراً ، وأكد عليها أيضاً في وصيته السياسيَّة الإلهيَّة ، فإنَّ وحدة كلمتنا ووحدة صفوف شعبنا التي كانت رمز انتصار الثورة هي أيضاً رمز بقائها وسلامتها وديمومتها .

فانقسام الشعب إلى جماعاتٍ وفرقٍ متعارضة ، وتهويل الخلافات الهامشية والأحاسيس غير المنطقية ، ونسيان الأصول المهمة التي يشترك فيها جميع شعبنا أو أكثريته العظمى ، ونسيان وجود العدو والأخطار المتعددة الناشئة عنه ، إنما هو أكبر فاجعة لأمة تريد نبيل حقها المضيق وتخليص نفسها من التبعية للأجانب ، والطريق الطويل الذي يوصلنا إلى المستقبل المشرق لبلدنا وشعبنا ، والأعداء الشرسون يرغبون ، وبأيِّ ثمنٍ في الحيلولة دون طيِّنا هذا الطريق ، والوصول إلى ذلك المستقبل لا يمكن طيِّه بحكم العقل والدين والتجربة إلا برصِّ صفوفنا وتوحيدها ، وتجنُّب الخلافات .

إنَّ اختلاف الأذواق ، وحتى الأفكار إذا كانت الأصول المشتركة للشعب كافة تجمعهم الإحساس يجب أن لا يُجرَّ إلى المعارضة والجدل مطلقاً .

وفي هذا الزمن الحساس أعطت السياسات الأجنبية وعداً لنفسها من قبل بأن تشهد خلافاتٍ شديدة بين شعبنا ، فيجب على الإخوان والأخوات المواطنين الأعزاء أن يهتمُّوا أكثر من المعتاد بالمحافظة على الوحدة والتعاون ،



ويزرعوا اليأس في أعداء الإسلام وإيران ، ومن المناسب أن يقوم العلماء الأعلام وأئمة الجمعة المحترمون ، والخطباء الإسلاميون والطلبة ، والجامعيون الأعضاء ، وأعضاء مجلس الشورى الإسلامي المحترمون ، والمثقفون والكتاب والفنانون بإرشاد الجميع ، وبألف لسان إلى هذه الحقيقة ، وتوضيحها لهم .

٣ - منذ أوائل انتصار الثورة كانت إحدى مؤامرات الأعداء التي حاولوا تنفيذها من خلال العناصر الخائنة في داخل البلد هي جرُّ أعمال الدولة إلى الركود وتعطيل الحركة والإنتاج والخلق والإبداع العلمي ، ومن حسن الحظ فإنه من خلال التحذيرات المتكررة لسماحة الإمام تَدَثُّلُ ووعي الشعب وانتباهه أُحْبِطت هذه المؤامرات النخبيّة التي تضرُّ أهداف الثورة ، وتناهض استقرار الجميع ورفاههم .

وفي هذه البرهة الحساسة التي يفكّرُ فيها الأعداء أكثر من ذي قبل بتخريب نظام الجمهورية الإسلامية ، يجب أن يعمل الشعب كلّهُ بوعيٍ على إحباط هذه المؤامرة أيضاً .

يجب اليوم - وبرغم إرادة العدو - أن تتحرك عجلات نظام الجمهورية الإسلامية بشكلٍ أفضل وأكثر مرونة من أي وقتٍ آخر ، ويجب التعجيل في مسار الإنتاج الداخلي ، سواء الإنتاج الزراعي أو الصناعي ، والأجهزة الإدارية والحكومية والمؤسسات الثورية ، والحوزات العلمية والجامعات ، ومراكز الأبحاث ، والمؤسسات الثقافية والفنية ، وفي مسار حركة الاكتفاء الذاتي في الجيش وقوات الحرس ، وسائر مراكز الإنتاج ، ومراكز الكسب ، والمهن والدوائر الحكومية وغير الحكومية الأخرى التي لها دورٌ بشكلٍ من الأشكال في إدارة دفة البلد ، وتأمين احتياجات المجتمع في الحاضر والمستقبل ، يجب أن تعمل بهمةٍ عاليةٍ وهدفٍ أكبرٍ من السابق .

وبالنظر إلى أن الأعداء مهتمون بنا اليوم اهتماماً مضاعفاً ، فأنا أناشد - مخلصاً - جميع الذين يقومون بدورٍ كبيرٍ أو صغيرٍ في التنظيم وإدارة دفة البلد ، من العمال والفنيين والفلاحين والقرويين ، والإداريين والموظفين الحكوميين ، والعلماء الأعلام والروحانيين المحترمين ، والجامعيين وطلبة الجامعة ، والكسبة والحرفيين ، والكتّاب والخطباء والفنانين ، والقوات المسلحة وقوى الأمن الداخلي ، ومسؤولي المؤسسات الثورية والآخرين بأن يضاعفوا عملهم وسعيهم أيضاً ، في جوٍّ مليءٍ بالصفاء والخلوص والتعاون والحذر ، ولا بدّ أن ييأس الأعداء من التعرض للجمهورية الإسلامية ، والحكومة المحترمة ومجلس الشورى الإسلامي المعظم خاصةً ، والذين يرتبط كلُّ منهم بنحوٍ ما بالخطة الخمسية لإعادة بناء البلد أن يعيروا هذه المسألة ما تستحقه من اهتمام .

٤ - يجب على القوات المسلحة الاهتمام - أكثر من غيرها من مؤسسات الجمهورية الإسلامية الأخرى ومسؤوليها بالاستعداد الإنساني والآلي .

وبرغم أن تجربة السنوات العشر الماضية أثبتت لجميع الأعداء أن الهجوم العسكري ضدّ شعبنا وبلدنا الثوري سيكون مؤداه خسران المهاجمين وخيبتهم ، فإنّ الكثير من التلكؤ قد شوهد من الجانب المقابل في تنفيذ القرار (٥٩٨) ، ومن هنا فإننا إلى جانب تأييدنا القاطع لاستتباب السلام الثابت والدائم في المنطقة نؤكد ضرورة المحافظة على الاستعداد الكامل للقوات المسلحة .

إنّ الجيش وقوات الحرس هما ذراعا النظام القويان ، فيجب - في إطار التعاون بينهما - مضاعفة قوتهما واستعدادهما وقدرتهما يوماً بعد آخر ، ويجب تقوية تعبئة المستضعفين ، التي هي مصدر فخر واعتزاز .

٥ - إنّ حضرات أئمة الجمعة المحترمين ، والممثلين السياسيين والماليين لسماحة الإمام فثقل في مراكز المحافظات والمدن ومراكز الخارج والأجهزة

الحكومية ، والمؤسسات الثورية وجيش الجمهورية الإسلامية وقوات حرس الثورة الإسلامية ، ولجان الثورة الإسلامية والدرك وشرطة الجمهورية الإسلامية ، والهلال الأحمر والأمانة المركزية لأئمة الجمعة ، والصحافة وممثلي الجامعات يبقى كلٌ منهم في مسؤوليته ، ويجب الاستمرار في أداء واجباتهم المقررة بشكل كامل ودقيق .

وأطلب من حضرات أئمة الجمعة المحترمين - سواء المعينين بحكم سماحة الإمام قَدْشُرُ أو المعينين من قبل الأمانة المركزية لأئمة الجمعة - أن يدعو الجميع في هذه الأيام الحساسة والمهمة للحضور في الساحة ، وحفظ مكتسبات الثورة ووحدة الكلمة ، ويوصوهم بالتقوى والتوجُّه إلى الله والتوكل عليه ، بعد تقديم التعازي لشعبنا العزيز ، الذي فقد أباه العطوف ، والشكر لكل هذا الوفاء والإخلاص .

٦ - أتقدِّم بالتعازي بشكل خاص إلى أبناء الشهداء وعوائلهم المكرَّمة ، والأسرى والمعوقين ، وكذلك إلى الأسرى الشجعان أنفسهم الذين لا زالوا يعانون من الأسر ، وكذلك إلى المعوقين الأعزاء الذين كانوا يحظون بعطفٍ خاصٍ من قبل قائدنا العظيم ، وأسأل الله الشكور المنان أن يلهمهم الصبر والسلوان بفقد أبيهم الحنون الرؤوف ، كما أعزي بكلِّ كياني الشعب العظيم والرشيد والوفى الذي رفع - حقاً - رأس الثورة والإسلام ، وأدخل السرور على روح قائدنا العظيمة من خلال إبراز وفائه المثير في هذه الأيام ، وأقول له بأنك شعبٌ عظيمٌ وتستحق بإخلاصك وتضحياتك هذه الألفاظ الإلهية ، وأتمنى أن يشملكم البارئ تعالى ببركاته الدائمة ، وأن تشهدوا النصر النهائي ، وتنالوا الأهداف المتعالية لقائدنا الفقيه الحبيب .

٧ - أرى من واجبي إبراز احترامي وتقديري العميقين تجاه أهل بيت قائدنا المعظم وأسرته الجليلة ، وخاصةً بقيته العزيزة والمحبوبة التي خلَّفها ، وهو سماحة

حجة الإسلام الحاج السيد أحمد الخميني ، ويجب أن يعلم جميع الذين يحبون الإمام ويعشقونه بأن سلامة الإمام الحبيب وحيوته خلال السنوات الماضية مدينة لجهود ولده الكريم ومساعيه ، ولولا نشاطه الدؤوب والفعال ، وتديره الممزوج بالإبداع في إدارة أعمال سماحة الإمام وحياته لكان متوقفاً أن نُحرَمَ منذ مدةٍ من نعمة وجود قائدنا العظيم ، وبعد تقديمي الشكر والتقدير الوافرين له والتعازي مجدداً بهذا المصاب العظيم ، وهذا الحزن الأليم أسأل الله تعالى أن يزيد في توفيقه .

كما أرى من واجبي أن أقدم الشكر للإخوان المضححين في الفريق الطبي ، والأطباء المشرفين على علاج سماحة الإمام تقمُّ سواء الذين أشرفوا طيلة السنوات السابقة بشكلٍ مستمرٍّ وبسعيٍ يثير الإعجاب على معالجته ، أو الذين شاركوا في العملية الجراحية الأخيرة ، وضحوا ليلاً ونهاراً براحتهم الشخصية ، ولجميع مساعديهم .

وفي الختام أرى من اللازم أن أؤكد هذه النقطة ، وهي أن الإخلاص والوفاء والإيمان الذي أظهرته أيُّها الشعب العظيم في هذا الامتحان الإلهي الكبير ستكون واحدة من أكثر الذكريات إشراقاً ، وتجسيداً لعظمتك وعظمة قائدك الكبير ، ويجب القول - حقاً - بأن أمة كهذه جديرة بإمامٍ كإمامنا العظيم ، ويجب أن نأمل ونطمئن بأن الرعاية الإلهية ستشملكم ، ولا شك بأن النصر النهائي الذي هو عطاء إلهي سيكون نصيب المؤمنين الصادقين والمتوكلين عليه ، من خلال التزامهم الإيمان والمعنوية العالية والتوكل على الله تعالى ، إنه وليُّ التوفيق .

السيد علي الخامنئي

١٨ خرداد ، ١٣٦٨ هـ . ش

الرابع من ذي القعدة الحرام ، ١٤٠٩ هـ ق



## أرشيف الصور

◀ صور من حياة الإمام الخميني ( قدس )

◀ صور قادة ورجال الثورة

◀ صور لبعض تلاميذ الإمام ( قدس )

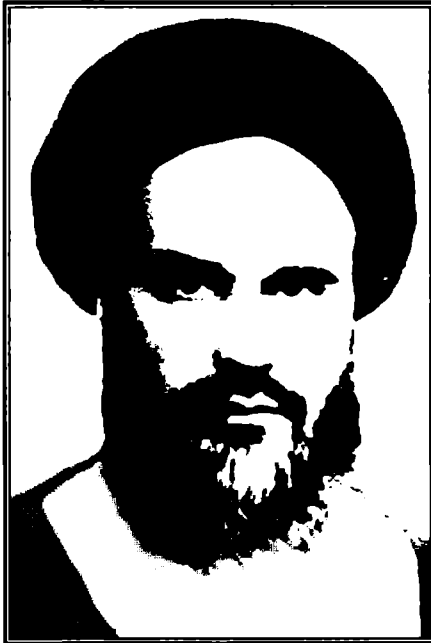




الإمام الخميني في مقتبل عمره الشريف



الإمام الخميني في أول شبابه



في سنّ الأربعينات من عمره

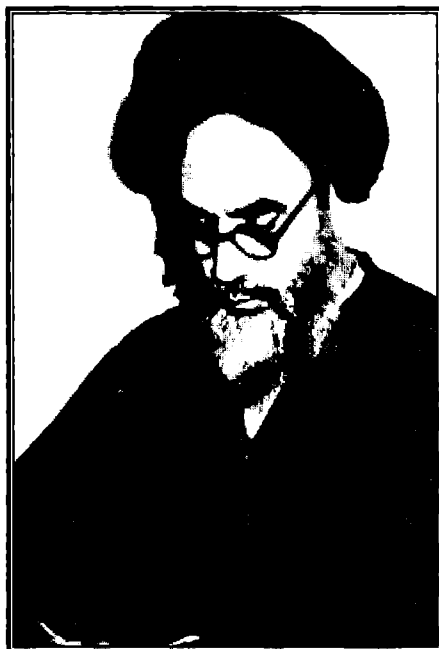


في سنّ الثلاثينات من عمره





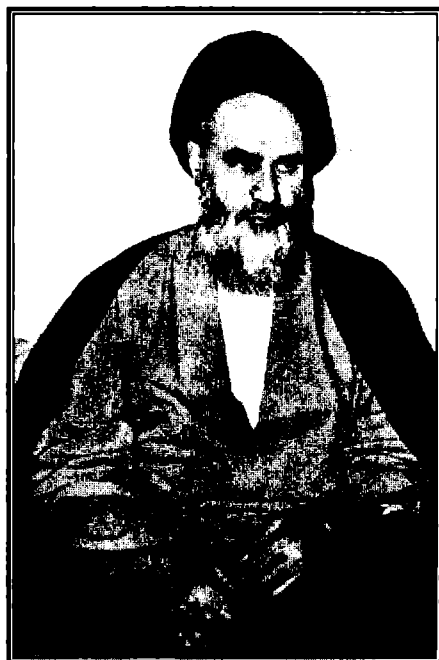
الإمام في سنّ السنين



الإمام في سنّ الخمسينات



الإمام في سنّ السنين



الإمام في سنّ السنين



الإمام وآية الله العظمى المرعشي النجفي (قدس سرهما) في أول أيام الجهاد



الإمام وشقيقه آية الله بسنديده (قدس سرهما) في أول أيام الجهاد



الإمام يخطب في الجماهير المؤمنة في المسجد الأعظم في قم المقدسة



الإمام ونجله الشهيد آية الله السيد مصطفى



الإمام في سيارة الاعتقال الشاهنشاهية



الإمام محتجزاً بعد اعتقاله الذي أدى إلى انتفاضة ٥ حزيران ١٩٦٣ الدامية



الإمام ونجله الشهيد السيد مصطفى حينما كانا في تركيا بعد نفيهما من إيران وقد أجبرا على خلع الزي الحوزوي بموجب النظام العلماني هناك



صهر آية الله العظمى السيد أحمد الخونساري يلتقي الإمام في تركيا مبعوثاً عن المراجع في إيران للإطمئنان على حاله



الإمام في إحدى العتبات المقدسة في العراق بعد نفيه إلى هناك



الإمام يخطب في الجماهير المحتشدة في النجف الأشرف



الإمام يخطب في طلاب الحوزة في النجف الأشرف



الإمام مع أحد مراجع النجف الأشرف نمرحوم آية الله العظمى السيد حسن البجنوردي



الإمام في إحدى خطبه السياسية في مسجد الشيخ الانصاري في النجف الأشرف





الإمام متوجهاً إلى الكويت التي رفضت منحه تأشيرة الدخول تحت ضغوط حكومة الشاه



الإمام عندما كان في فرنسا (نوفل لوشاتو)



فرنسا - نوفل لوشاتو ۱۹۷۸



الإمام في الطائرة حين العودة إلى طهران



الإمام في ساحة الحرية في استقبال الجماهير المليونية بعد عودته من المنفى



الإمام في إحدى قاعات الاستقبال، ويبدو في الصورة آية الله الدكتور الشهيد بهشتي



الإمام في مقبرة جنة الزهراء حيث ألقى أول كلمة له بعد العودة في الجماهير التي رافقته إلى هناك وفاءً للشهداء



بيعة ضباط القوة الجوية تحدياً لحكومة بختيار . طهران ٨ شباط ١٩٧٩



الإمام في استقبال جماهيري في قم المقدسة بعد عودته



الإمام يخاطب جماهير الثورة في قم المقدسة أول أيام الثورة



الإمام يخاطب في الجماهير في قم. ويبدو إلى جانبه شقيقه السيد بسنديه وتلميذه الشيخ فاضل لنكراني وابنه السيد أحمد



الإمام ومجموعة من المسلمين من أنحاء مختلفة من العالم



الطلبة يحتلون السفارة الأمريكية



عمليات انقاذ الرهائن الفاشلة - صحراء طيس



الإمام في المستشفى إثر إصابته بنوبة قلبية أول أيام الثورة





الإمام عند خروجه من المستشفى الذي دخله إثر إصابته بنوبة قلبية حادة أول أيام الثورة



الإمام في لقطة عائلية حميمة في مستشفى طهران إثر النوبة القلبية التي ألمت به في بدايات الثورة



يقرأ القرآن بعد أن عوفي من نوبته القلبية. ضيف - ح -



الإمام يستقبل أبناء شهداء الحزب الجمهوري في حسينية جماران بطهران



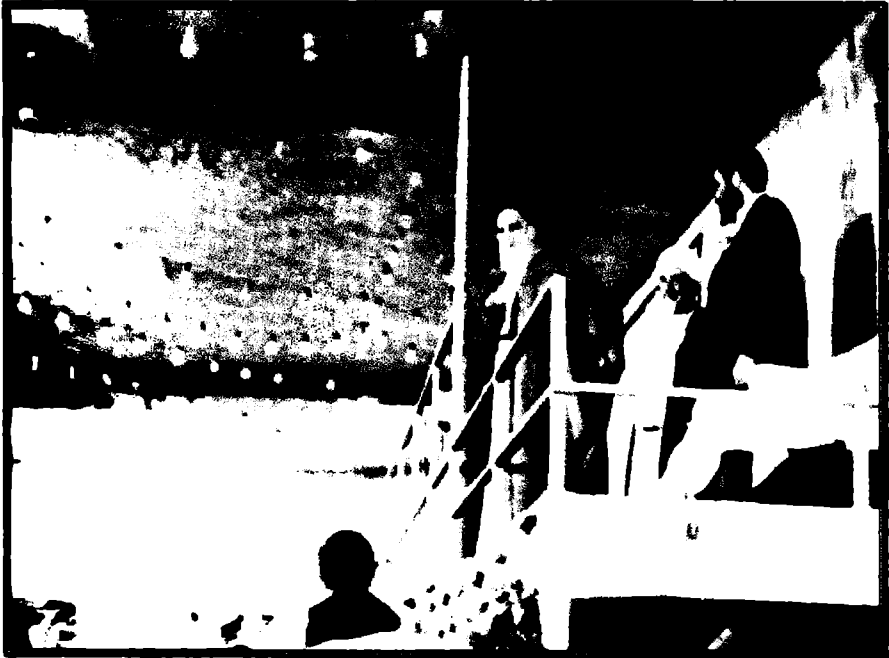
الإمام يدلي بصوته في إحدى الانتخابات في الجمهورية الإسلامية



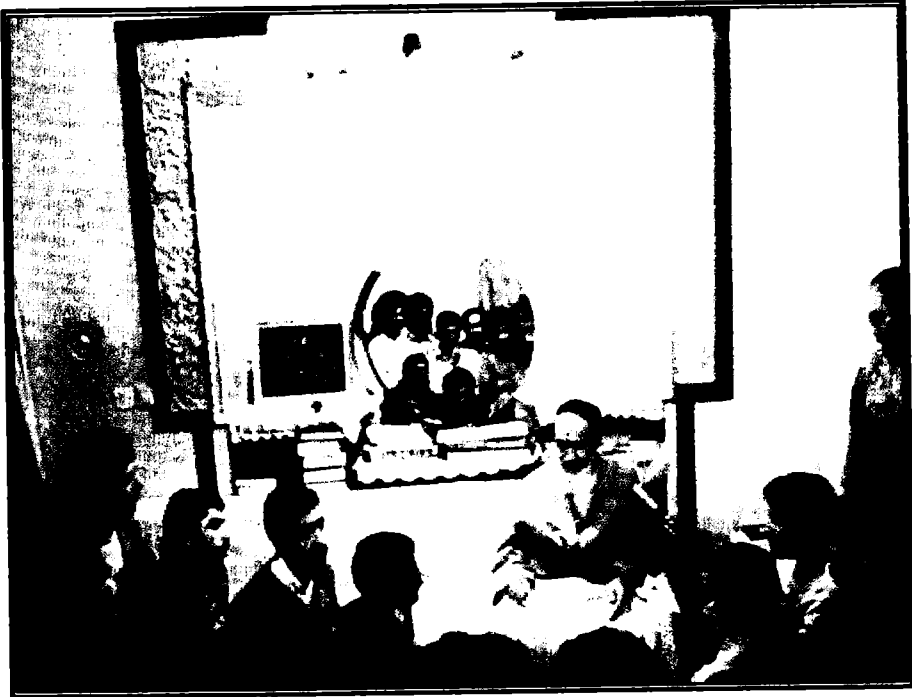
مراسم تنفيذ الحكم الرئاسي للشهيد محمد علي رجائي بعد إقالة بني صدر



مراسم تنفيذ الحكم الرئاسي لأية الله السيد علي الخامنئي بعد استشهاد الرئيس رجائي



الإمام يستقبل الجماهير المؤمنة في حسينية جماران



الإمام يستقبل الجماهير في مجلس بيته في طهران





الإمام في المستشفى قبل إجراء العملية الجراحية



يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضيةً مرضيةً



التشيع المهيب ، لم تستطع صور الطائرات المروحية تغطية الجموع المليونية



المرجع الكبير آية الله العظمى الكلبايكاني يقيم الصلاة على الجثمان الطاهر

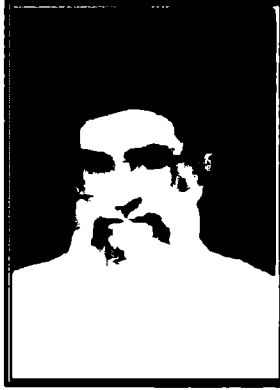




## من إر شيف صور المسؤولين فى أول أيام وسنين الثورة



الشهيد المطهري فيلسوف  
ومفكر وقيادي بارز



الخامني الرئيس والقائد



الشهيد البهشتي القضاء  
والحزب الجمهوري



الرفسنجاني أول رئيس  
للمجلس ، ورئيس الجمهورية



طالقاني أول إمام جمعة  
لطهران



الشهيد مفتح قيادي بارز



المنتظري أول رئيس لمجلس  
الخبراء، وخليفة الإمام المقال،  
وقد تناول هذا الكتاب قضيةه  
بالتفصيل فليراجع..



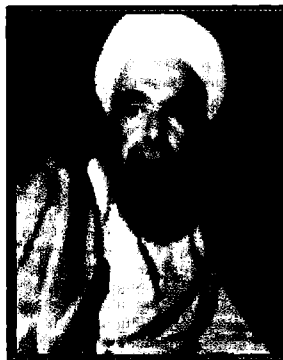
الشهيد جواد با هنر  
رئيس الوزراء



السيد أحمد الخميني  
نجل الإمام ومستشاره



شهيد المحراب مدني إمام  
جمعة تبريز



شهيد المحراب صدوقي إمام  
جمعة يزد



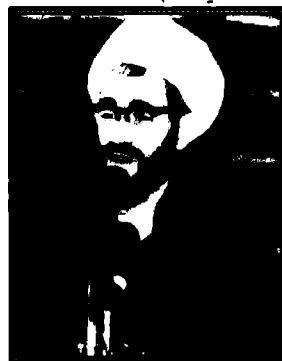
شهيد المحراب أشرفي  
أصفهاني إمام جمعة باختران



الشهيد مصطفى الخميني  
مستشار والده



شهيد المحراب دستغيب إمام  
جمعة شيراز



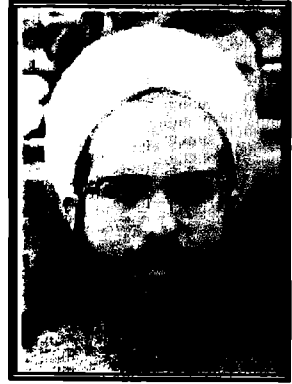
المشكيني: رئيس مجلس  
خبراء القيادة



الشهيد محمد منتظري مجلس  
الشوري: الحزب الجمهوري



صادق الخلخالي  
المحاكمة الثورية



ري شهري  
وزارة الأمن



مهدي كني: قيادي بارز



الأردبيلي: القضاء



رضائي: الحرس الثوري



ناطق نوري: مجلس الشوري



الشهيد رجائي رئيس  
الجمهورية



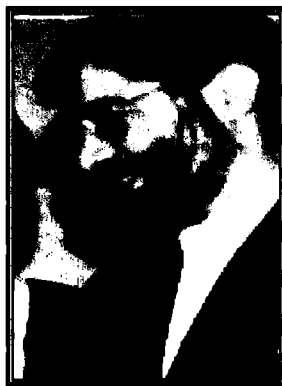
إمامي كاشاني: مجلس صيانة  
الدستور



الشهيد مصطفى شمران ممثل  
الإمام في مجلس الدفاع



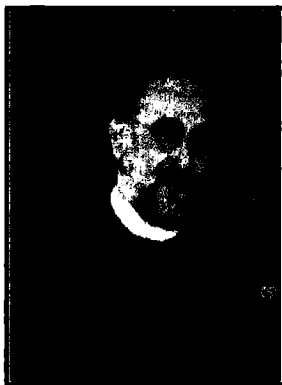
رفيق دوست  
الحرس الثوري



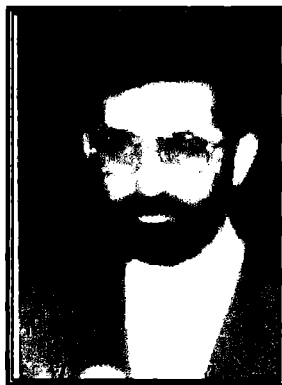
مير حسين موسوي  
رئيس الوزراء



محتشمي: وزير الداخلية



خاتمي: وزير الثقافة



ولايبي: وزير الخارجية



الشيخ الكروبي  
بعثة الحج



مكارم الشيرازي  
مجلس خبراء الدستور



الشيخ جتفي  
مجلس صيانة الدستور



السيد جعفر كريمي مكتب  
استفتاء الإمام



الشهيد صياد شيرازي  
القوات البرية



محمد هاشمي  
الاذاعة والتلفزيون



صانعي  
المدعي العام



مهدوي كني  
وزير  
الداخلية



آذري قمي  
مجلس خبراء القيادة



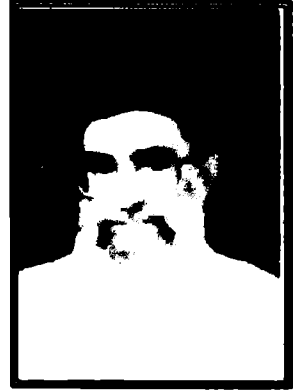
من إر شيف صور  
لبعض تلامذه الإمام الخمينى (قده)



آية الله الوحيدى



آية الله اللنكرانى



آية الله الخامنى



آية الله شبرى الزنجانى

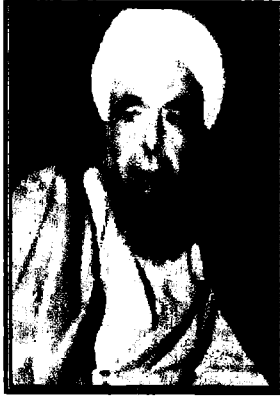


آية الله المطهرى



السيد مصطفى الخمينى





آية الله الصدوقي



آية الله البهشتي



آية الله مكارم الشيرازي



آية الله الرفسنجاني



آية الله المنتظري



آية الله السيد السيستاني



آية الله محمد الصدر



آية الله المشكيني



آية الله المدني



آية الله الجزائري



آية الله محمد مفتوح



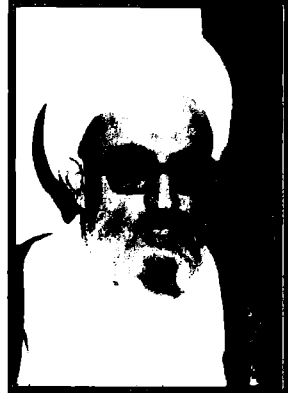
آية الله موسى الصدر



آية الله جعفر كريمي



آية الله الكاشاني



آية الله مهدي كني



آية الله الخليلي



آية الله أشرفي إصفهاني



آية الله الأردبيلي



آية الله آذري قمی



آية الله مهدي الروحاني



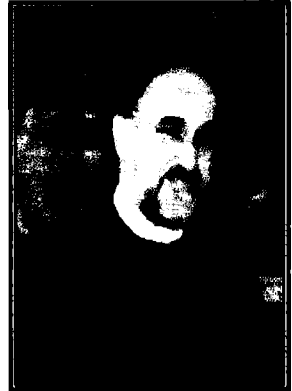
آية الله الصانعي



حجة الاسلام محمد جواد  
باهنر



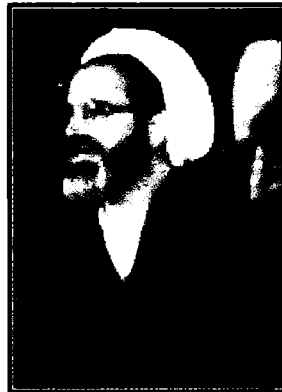
حجة الاسلام أحمد الخميني



حجة الاسلام الخاتمي



آية الله التالقي



حجة الاسلام كربوي

وختاماً

أتوجه متضرعاً إلى الله تبارك وتعالى أن يوفقني لما يرضاه لي، وأتوجه إليه بالشكر والثناء له  
(عدد ما أحصاه علمه).

كما أتوجه بالشكر إلى كل من ساهم في إخراج هذا الكتاب ولو بالتشجيع وأدعوه أن يجعل  
هذا ذخيرة لي يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

تراب إمامي

١٤٢٠/٤/١٠ هـ



# المصادر

- ١- القرآن الكريم — — .
- ٢- نهج البلاغة — خطب ورسائل وكلمات الإمام علي عليه السلام .
- ٣- الكافي — محمد بن يعقوب الكليني .
- ٤- وسائل الشيعة — الحر العاملي .
- ٥- بحار الأنوار — محمد باقر المجلسي .
- ٦- الصواعق المحرقة — أحمد بن حجر الهيتمي .
- ٧- مجمع البيان — أبو الفضل الطبرسي .
- ٨- تفسير التبيان — الشيخ الطوسي .
- ٩- تفسير الميزان — محمد حسين الطباطبائي .
- ١٠- تفسير الأئمة — ناصر مكارم الشيرازي .
- ١١- معارف القرآن — محمد تقي المصباح .
- ١٢- التفسير الكبير — فخر الدين الرازي .
- ١٣- تفسير القرطبي — القرطبي .
- ١٤- كتاب البيع — الإمام الخميني .
- ١٥- جواهر الكلام — محمد حسن النجفي .
- ١٦- مستدرك الصحيحين — الحاكم النيسابوري .
- ١٧- صحيح البخاري — — .
- ١٨- صحيح مسلم — — .
- ١٩- صحيح الترمذي — محمد بن عيسى الترمذي .
- ٢٠- كنز العمال — المتقي الهندي .

- ٢١ - معجم الكبير الطبراني - سليمان بن أحمد الطبراني .
- ٢٢ - الغدير - العلامة الأميني .
- ٢٣ - شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد المعتزلي .
- ٢٤ - ميزان الاعتدال - الذهبي .
- ٢٥ - المناقب - للخوارزمي .
- ٢٦ - الدر المنثور - السيوطي .
- ٢٧ - سنن ابن ماجه - محمد بن ماجه .
- ٢٨ - الإمام المهدي وظهوره - ——— .
- ٢٩ - خصائص أمير المؤمنين - النسائي .
- ٣٠ - إكمال الدين وإتمام النعمة - الصدوق .
- ٣١ - ينابيع المودة - القندوزي الحنفي .
- ٣٢ - تاريخ دمشق - ابن عساکر .
- ٣٣ - الإصابة في تمييز الصحابة - ابن حجر العسقلاني .
- ٣٤ - بيت الأحران - الشيخ عباس القمي .
- ٣٥ - مائة كلمة لأمر المؤمنين - ابن ميثم البحراني .
- ٣٦ - ولاية الفقيه في صحبة عمر بن حنظلة - السيد جعفر مرتضى .
- ٣٧ - لكل سؤال جواب - السيد علي الفاني .
- ٣٨ - حديث الشمس - كلمات للإمام الخميني .
- ٣٩ - حق الإمام في فكر السيد البغدادي - ——— .
- ٤٠ - لواعج الأشجان - السيد محسن الأمين .
- ٤١ - مقتل الحسين - بحر العلوم .
- ٤٢ - الحج في كلام الإمام - كلمات للإمام الخميني .
- ٤٣ - معجم الفقه الجعفري - ——— .
- ٤٤ - المراجعات - شرف الدين .

- ٤٥ - معالم المدرستين - السيد مرتضى العسكري .
- ٤٦ - الحكومة الإسلامية - الإمام الخميني .
- ٤٧ - زيادة الفقه الإسلامي - الإمام الخميني .
- ٤٨ - الوصية الإلهية - الإمام الخميني .
- ٤٩ - بلسم الروح - الإمام الخميني .
- ٥٠ - البيان الأخير - الإمام الخميني .
- ٥١ - دراسات في ولاية الفقيه - حسين علي المنتظري .
- ٥٢ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي .
- ٥٣ - المعجم الفلسفي - جميل صليبا .
- ٥٤ - القاموس السياسي - أحمد عطية الله .
- ٥٥ - ملخص عبقات الأنوار - علي الحسيني الميلاني .
- ٥٦ - تاريخ الشيعة - محمد رضا المظفر .
- ٥٧ - موسوعة التاريخ الإسلامي - أحمد شلبي .
- ٥٨ - رأي الإسلام في السلام المفروض - محمد علي التسخيري .
- ٥٩ - تاريخ الثورة الإسلامية - صاحب حسين صادق .
- ٦٠ - الحياة السياسية للإمام الخميني - حسن رجبى .
- ٦١ - من أفكار الإمام الخميني - السيد محمد جواد المهري .
- ٦٢ - عبرات وعبارات - مجموعة من المفكرين والكتاب .
- ٦٣ - الإمام قدوة - مجموعة من العلماء وخواص الإمام .
- ٦٤ - قبسات من حياة الإمام - مجموعة من العلماء وخواص الإمام .
- ٦٥ - قضايا الثورة الإسلامية - الشهيد مرتضى مطهري .
- ٦٦ - رسالة اللوعة - أحمد الخميني .
- ٦٧ - المذكرات السياسية - محمدي ري شهري .
- ٦٨ - لماذا الخامنئي - علي المؤمن .



- ٦٩ - الاستقامة والثبات - كاظم ياسين .
- ٧٠ - الإسلام يقود الحياة - محمد باقر الصدر .
- ٧١ - الإمام الشهيد الصدر سنوات المحنة - محمد رضا النعماني .
- ٧٢ - من ذا وذاك - محمد جواد مغنية .
- ٧٣ - خواطر الإمام الخميني تَدَكُّرٌ - مقتطفات من كتاب (صحيفة النور) .
- ٧٤ - مجلة الثقافة الإسلامية - مستشارية الجمهورية الإسلامية .
- ٧٥ - مجلة الرصد الثقافي - العدد ٣٠ - ٣١ ، مستشارية الجمهورية الإسلامية .
- ٧٦ - سلسلة الولاية - العدد الأول - دار الولاية للثقافة .
- ٧٧ - جولة في الأماكن المقدسة - إبراهيم الزنجاني .
- ٧٨ - إيران من الداخل - فهمي هويدي .
- ٧٩ - طبعة القرآن الكريم السورية - مقدمة مروان بن نور الدين .
- ٨٠ - سوار جريدة الحياة - العدد ١٢٦٩٧ - \_\_\_\_\_ .
- ٨١ - جريدة الشرق الأوسط - العدد ٣٨٤٢ - \_\_\_\_\_ .
- ٨٢ - مجلة باسدار اسلام - \_\_\_\_\_ .
- ٨٣ - قصص من حياة الإمام الخميني - مجموعة من العلماء وخواص الإمام .
- ٨٤ - دروس في الجهاد والرفض - السيد محمد جواد المهري .
- ٨٥ - دستور الجمهورية الإسلامية - \_\_\_\_\_ .

# المحتويات

الإهداء	٩
المقدمة	١٣

## الفصل الأول

إشراقه النور والأمل	١٩
من هو روح الله	٢١
أسرته المباركة	٢١
طفولته ويتم	٢٢
في طريق العلم	٢٥
على خطى الحسين <small>عليه السلام</small>	٣١
إلى دولة القائم	٣٩
الإمام : طالباً ، أستاذاً ، مؤلفاً	٤٧
الإمام : طالباً	٤٧
الإمام : أستاذاً	٤٨
الإمام : مؤلفاً	٥٠
الأصول والفقه	٥٢
الأخلاق والعرفان	٥٣
الإجتماع والسياسة	٥٤
قالوا في الإمام	٥٥

كرامات الإمام ----- ٦٣

## الفصل الثاني

من أدب الوصية ----- ٧١

تمهيد ----- ٧٣

العنرة ----- ٧٤

طريق حديث الثقلين ----- ٧٩

حجة الحديث على البشرية جمعاء ----- ٧٩

الحجة أعظم على علماء المذاهب الإسلامية ----- ٨٢

مأساة القرآن ----- ٨٤

حديث الفخر ----- ٨٨

مفاخره الآخر ----- ١٠٣

الصحيفة الفاطمية وملهمها ----- ١٠٥

باقر العلوم والمدرسة الجعفرية ----- ١٠٩

الإمام والإيمان بالغيب ----- ١١٢

الإمام والجامعات ----- ١٢١

الإمام والعلماء ----- ١٢٩

الإمام والحكومة ----- ١٣٧

حين لا تغتفر الخطيئة ----- ١٤١

السلطة القضائية ----- ١٤٥

مجلس الشورى ----- ١٥١

مثيرو انتقادات التخطئة ----- ١٥٥

## الفصل الثالث

- من مخاض الثورة : قضايا وأحداث ..... ١٦٩
- الحرية عند الإمام تتلخص ..... ١٧٠
- واقع ومخاوف ومحاولة ..... ١٧٣
- وفي إيران كيف هي الحرية ؟ ..... ١٧٩
- الإمام والشعب ..... ١٨٧
- خط الإمام أمثولة مترجمة إلى واقع ..... ١٩٣
- القدوة وموقعه في الترشيح ..... ١٩٦
- فلسفة القدوة في منهج التغيير الاجتماعي ..... ١٩٦
- تأكيد القرآن لدور القدوة ..... ١٩٩
- القدوة الصالحة والقدوة الفاسدة ..... ٢٠٠
- تأثير الحب والموقع الاجتماعي في القدوة الصالحة ..... ٢٠٢
- مفهوم القدوة في عصر الغيبة الكبرى ..... ٢٠٤
- الثابت والمتغير في خط الإمام ..... ٢٠٨
- خط الإمام وفهم الشعوب والمجاميع الحزبية له ..... ٢١٢
- خاتمة ..... ٢١٣
- ولاية الفقيه ..... ٢١٥
- ولاية الفقيه أم ولاية القانون ..... ٢٤٦
- الولاية وروح القانون ..... ٢٥٤
- الولي الفقيه ممثل عن الشعب أم عن الله ؟ ..... ٢٦٠
- الإمام وقضية فلسطين ..... ٢٦٥
- الإمام وموقفه الحكيم في الحرب ..... ٢٧٣

- ٢٧٦----- موقف الحقول الأربعة
- ٢٧٦----- الموقف الشرعي
- ٢٨٦----- الحقيقة البعثية
- ٢٩٣----- الموقف السياسي
- ٣٠٠----- الموقف العسكري
- ٣٠٤----- الموقف القانوني
- ٣٠٦----- كربلاء: الطريق إلى القدس
- ٣١٨----- المرود الإيجابي للحرب على الثورة الإسلامية
- ٣٢٣----- ملف الخليفة المعزول الشيخ المنتظري
- ٣٣٠----- الحلقة الأولى
- ٣٣٣----- اضطرابات في قراءة الأحداث والشخصيات
- ٣٤٠----- ملف اقتراحات مهدي الهاشمي
- ٣٤٠----- لقاء مع المسؤول المباشر عن الملف
- ٣٤٩----- لقاء مع المتهم (مهدي الهاشمي)
- ٣٦٨----- الحلقة الثانية
- ٣٨٤----- الحلقة الثالثة
- ٣٩٨----- الحلقة الرابعة

## الفصل الرابع

- ٤١٩----- حديث الوداع (الوصية السياسية الإلهية)
- ٤٢٠----- المقدمة
- ٤٢٢----- الوصية
- ٤٢٢----- المحلقات

٤٢٣	مقدمة الوصيَّة
٤٢٣	حديث الثقلين
٤٢٤	نفحة عابرة عن الثقلين
٤٢٥	ظلامه الوديعتين
٤٢٧	فخر ومآثر
٤٣٠	أسمى المفاخر
٤٣٤	نص الوصيَّة
٤٣٤	الإمدادات الغيبية
٤٣٧	الواجب الأكبر :
٤٣٨	سر النصر والبقاء
٤٣٩	المؤامرة الكبرى
٤٣٨	( ألف )
٤٣٩	( باء )
٤٤١	حكومة الحق أعظم العبادات :
٤٤٢	خطر الإشاعات والنقد الهدام
٤٤٩	مؤامرة الفصل بين العلماء والجامعيين ( دال )
٤٥١	فقدان الهوية أمام الشرق والغرب (هاء)
٤٥٣	إذا أردتم تستطيعون
٤٥٤	مؤامرة حرف الشباب والجامعات (واو)
٤٥٥	أهمية مجلس الشورى (زاي)
٤٥٧	العلماء والمجتمع
٤٥٨	إلى نواب المجلس
٤٥٨	إلى الأقليات الدينية
٤٥٩	إلى أمناء الدستور

- ٤٥٩----- المشاركة في الانتخابات
- ٤٦١----- إلى القائد ومجلس القيادة
- ٤٦١----- أهمية القضاء ( حاء )
- ٤٦٢----- القضاء خطر عظيم وواجب كفائي
- ٤٦٢----- (إلى الحوزات العلمية (احذروا الاختراق) ( طاء )
- ٤٦٤----- الفقه العريق وتنظيم الحوزة
- ٤٦٤----- أهمية السلطة التنفيذية
- ٤٦٥----- أسلمة الوزارات والسفارات
- ٤٦٦----- مستقبل الشعوب الإسلامية
- ٤٦٧----- المؤامرة الإعلامية ودور وزارة الإرشاد
- ٤٦٨----- مركز التعليم والتربية وأثرها ( كاف )
- ٤٧٠----- واجب القوات المسلحة : ( لام )
- ٤٧٢----- اجتنبوا الدخول في الأحزاب
- ٤٧٣----- الإيمان بالذات
- ٤٧٤----- الإعلام ودوره
- ٤٧٦----- نصيحة لزعماء الأحزاب وفصائل المعارضة ( نون )
- ٤٧٧----- نصيحة لأتباع الأحزاب المعارضة
- ٤٧٩----- إلى اليساريين
- ٤٨١----- إلى الحركات الإسلامية المخطئة
- ٤٨٣----- إلى الكتاب والخطباء الذين يثيرون الانتقادات
- ٤٨٦----- لإسلام يرفض الرأسمالية والإشتركية ( سين )
- ٤٨٧----- إلى أصحاب رؤوس المال المشروعة
- ٤٨٨----- إلى العلماء المعادين ( عين )

- ٤٩٠----- مستضعفو العالم ومسلموه ( فاء )-----  
 ٤٩١----- عودة إلى الشعب الإيراني المجيد ( صاد )-----  
 ٤٩٥----- ملحقات الوصية-----

## الفصل الخامس

- ٤٩٧----- ما بعد الرحيل-----  
 ٤٩٩----- بيانات الفاجعة :-----  
 ٤٩٩----- بيان السيد الكلبيكاني-----  
 ٥٠١----- بيان السيد المرعشي النجفي-----  
 ٥٠٢----- بيان السيد أحمد الخميني-----  
 ٥٠٥----- بيان السلطات الثلاث-----  
 ٥٠٩----- القائد الخلف-----  
 ٥١٢----- خلفيات الانتخاب-----  
 ٥١٣----- قرار مجلس الخبراء-----  
 ٥١٥----- خطبة الجمعة-----  
 ٥١٩----- خطاب القائد الخلف-----  
 ٥٢٩----- أرشيف الصور-----  
 ----- صور من حياة الإمام الخميني (تذکر)-----  
 ----- صور قادة ورجال الثورة-----  
 ----- صور لبعض تلاميذ الإمام (تذکر)-----  
 ----- ختاماً-----  
 ٥٦٩----- المصادر-----  
 ٥٧٣----- المحتويات-----



لقد كان الإمام الخميني شخصيّة كبرى إلى حدّ يصعب فيه تصوّر شخصٍ بهذه الأبعاد والخصوصيات بين زعماء العالم والتاريخ وقادتهما، باستثناء الأنبياء والمعصومين عليهم السلام، وكان ذلك العظيم يمتلك قوة الإيمان مع العمل الصالح، والإرادة الفولاذية مع الهمة العالية، والشجاعة الأخلاقية مع الحزم والحكمة، وصرافة الكلام والبيان مع الصدق والمتانة، والصفاء المعنوي والروحي مع الذكاء والكياسة، والتقوى والورع مع الإقدام والحزم، والهيبة والصلابة القيادية مع الرقة والعطف.

لقد أعرّز الإمام الإسلام ورفع راية القرآن في العالم، وأنقذ الشعب الإيراني من أسر الأجانب، ومنحهم الكبرياء والشخصية والثقة بالنفس، ونادى بالاستقلال والتحرر في جميع أنحاء العالم، وأيقظ الأمل في قلوب الشعوب المظلومة.

الإمام الخامنئي (مجدد طهارة العالم)

